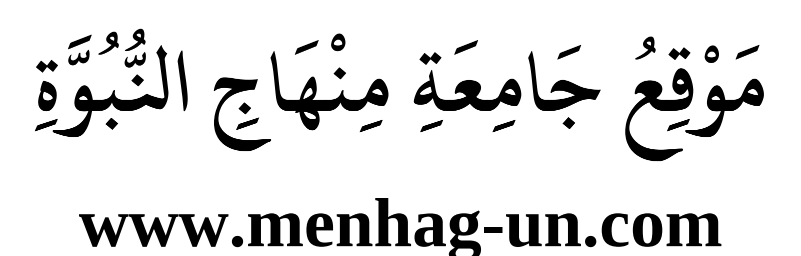


يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْأُولَى)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

المصنفات في الاعتقاد

فَلَقَدِ اهْتَمَّ الْعُلَمَاءُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ -رَحِمَهُمُ اللهُ- اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِبَيَانِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَتَوْضِيحِهَا، وَالدِّفَاعِ عَنْهَا، وَبَيَانِ مَنَاهِجِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدْعَةِ، وَتَفْنِيدِهَا، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا؛ فَهَذَا حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتُرْجُمَانُهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُنَاظِرُ الْخَوَارِجَ فِي قَضِيَّةِ التَّحْكِيمِ حَتَّىٰ رَجَعَ مَعَهُ أَلْفَانِ، وَهَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَصُدُّ هَجْمَةً مِنْ هَجَمَاتِ الْمُبْتَدِعَةِ وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ.

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ بِالْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ -أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ- فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ.

قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ». الْحَدِيثَ.

وَمِنْ بَعْدِهِمْ أَئِمَّةٌ كُثُرٌ؛ مِنْهُمْ: الْإِمَامُ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ كَانَ شَوْكَةً فِي حُلُوقِ الرَّوَافِضِ.

رَوَىٰ اللَّالَكَائِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الشَّعْبِيُّ: «يَا مَالِكُ! لَوْ أَرَدْتُ أَنْ يُعْطُونِي رِقَابَهُمْ عَبِيدًا، أَوْ أَنْ يَمْلَؤُوا بَيْتِي ذَهَبًا عَلَىٰ أَنْ أَكْذِبَ لَهُمْ عَلَىٰ عَلِيٍّ لَفَعَلُوا، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا كَذَبْتُ عَلَيْهِ أَبَدًا».

وَهَكَذَا يَبْعَثُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي كُلِّ فَتْرَةٍ أَئِمَّةً يَحْفَظُونَ عَلَىٰ النَّاسِ عَقِيدَتَهُمْ، وَيَذُبُّونَ عَنْهُمْ شُبُهَاتِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**». الْحَدِيثَ.

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمْ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ -أَيْضًا-: إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ قَامَ لِلَّهِ لِنُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ، وَتَحَمَّلَ الْأَذَىٰ فِي مِحْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ حَتَّىٰ رَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ رَايَةَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ.

وَسَارَ عَلَىٰ دَرْبِهِمُ الْأَئِمَّةُ فِي نُصْرَةِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَاخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ، وَرَفْعِ رَايَةِ الْعَقِيدَةِ الصَّافِيَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ سَرَدَ الْعَقَائِدَ سَرْدًا؛ يُحَدِّدُ مَعَالِمَهَا، وَيُبَيِّنُ أَفْرَادَهَا دُونَ التَّعَرُّضِ لِلْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ كَـ«أُصُولِ السُّنَّةِ» لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَ«شَرْحِ السُّنَّةِ» لِلْبَرْبَهَارِيِّ، وَ«الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ» لِلطَّحَاوِيِّ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَسَّمَ الْعَقِيدَةَ إِلَىٰ أَبْوَابٍ، كُلُّ بَابٍ يُمَثِّلُ جُزْئِيَّةً مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ الْعَقَدِيَّةِ مُشْتَمِلًا عَلَىٰ أَدِلَّتِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَقْوَالِ السَّلَفِ؛ كَـ«كِتَابِ السُّنَّةِ»: لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ، وَ«كِتَابِ التَّوْحِيدِ»: لِابْنِ خُزَيْمَةَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ الْعَقَائِدَ السَّلَفِيَّةَ مَقْرُونَةً بِأَدِلَّتِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ كَـ«عَقِيدَةِ السَّلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ»: لِلصَّابُونِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَ«لُمْعَةِ الِاعْتِقَادِ»: لِابْنِ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَ«الْوَاسِطِيَّةِ»: لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ صَنَّفَ فِي مَسْأَلَةٍ مُفْرَدَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الِاعْتِقَادِ مِمَّا عَظُمَ فِيهَا الِاخْتِلَافُ كَـ«الرُّؤْيَةِ»، وَ«النُّزُولِ»، وَ«الصِّفَاتِ» لِلدَّارَقُطْنِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَكَـ«الْعُلُوِّ» لِلذَّهَبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَصَدَّىٰ لِلْمُبْتَدِعَةِ وَالزَّنَادِقَةِ بِالرَّدِّ عَلَىٰ شُبُهَاتِهِمْ وَتَفْنِيدِهَا، كَـ«الرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ»: لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَابْنِهِ عَبْدِ اللهِ، وَالدَّارِمِيِّ، وَالْبُخَارِيِّ، وَابْنِ قُتَيْبَةَ -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ-.

وَمِنْهُمْ مَنْ نَظَمَ الْعَقَائِدَ السَّلَفِيَّةَ شِعْرًا؛ حَتَّىٰ يَسْهُلَ حِفْظُهَا وَاسْتِحْضَارُهَا، كَـ«الْحَائِيَّةِ»: لِأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ -رَحِمَهُمَا اللهُ-، وَكَـ«الشَّافِيَةِ الْكَافِيَةِ فِي الِانْتِصَارِ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ»: لِابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، وَكَـ«الْعَقِيدَةِ السَّفَّارِينِيَّةِ»: لِلسَّفَّارِينِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

وَالْمَتْنُ الَّذِي مَعَنَا -وَهُوَ «الْحَائِيَّةُ»- نَظْمٌ مِنَ النُّظُمِ الْعَقَدِيَّةِ بَيَّنَ فِيهِ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ مَنْهَجَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِأُسْلُوبٍ سَهْلٍ رَائِقٍ.

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ -رَحِمَهُمَا اللهُ-:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا؛ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

«تَمَسَّكْ»؛ أَيِ: اعْتَصِمْ.

قَالَ الْفَيْرُوزَ آبَادِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَسَكَ بِهِ، وَأَمْسَكَ، وَتَمَاسَكَ، وَتَمَسَّكَ، وَاسْتَمْسَكَ، وَمَسَّكَ: احْتَبَسَ وَاعْتَصَمَ بِهِ».

«تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ»: الْحَبْلُ هُوَ الرِّبَاطُ.

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا الْحَبْلُ: فَإِنَّهُ السَّبَبُ الَّذِي يُوصَلُ بِهِ إِلَىٰ الْبُغْيَةِ وَالْحَاجَةِ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْأَمَانُ حَبْلًا؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ يُوصَلُ بِهِ إِلَىٰ زَوَالِ الْخَوْفِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الْجَزَعِ وَالذُّعْرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟**﴾ [آل عمران: ١٠٣]».

وَقَدْ ذَكَرَ السَّلَفُ -رَحِمَهُمُ اللهُ- عِدَّةَ مَعَانٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**بِحَبْلِ ٱللَّهِ**﴾ ذَكَرَهَا الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ مِنْهَا: أَنَّهُ الْإِسْلَامُ، وَقِيلَ: الْجَمَاعَةُ، وَقِيلَ: حَبْلُ اللهِ عَهْدُهُ؛ أَيْ: عَهْدُ اللهِ لِعِبَادِهِ، وَقِيلَ: هُوَ إِخْلَاصُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقِيلَ: هُوَ الْقُرْآنُ، وَهُوَ أَوْلَاهَا وَأَشْمَلُهَا لِكُلِّ مَا سَبَقَ.

وَقَدْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ مَا يُؤَيِّدُهُ، فَقَدْ رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ حَبْلُ اللهِ؛ مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ**».

فَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ أَنَّ حَبْلَ اللهِ -تَعَالَىٰ- هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وَرَوَىٰ الدَّارِمِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ:** «إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، يُنَادُونَ: يَا عِبَادَ اللهِ! هَذَا الطَّرِيقُ، فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ فَإِنَّ حَبْلَ اللهِ الْقُرْآنُ».

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ ... وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا؛ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

وَهَذَا تَوْجِيهٌ إِلَىٰ التَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ، وَالْهُدَىٰ الَّذِي فِيهِ، وَتَرْكِ الْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ؛ لِأَنَّ التَّمَسُّكَ بِكِتَابِ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالْفَلَاحُ، وَأَنَّ التَّدَيُّنَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِكِتَابِ اللهِ، وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَيُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ هَذَا هُوَ طَرِيقُ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاةِ وَالرِّبْحِ، وَهَذَا التَّوْجِيهُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢- ١٠٣]، وَقَوْلِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**». أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ **عِنْدَ قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ-:** ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ...﴾ [آل عمران ١٠٣]: «قِيلَ: بِحَبْلِ اللهِ؛ أَيْ: بِعَهْدِ اللهِ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الَّتِي

بَعْدَهَا: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران ١١٢]؛ أَيْ: بِعَهْدٍ وَذِمَّةٍ».

بَدَأَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ نَظْمَهُ بِهَذَا التَّوْجِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ؛ أَيْ: تَمَسَّكْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ بِحَبْلِ اللهِ الَّذِي هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران ١٠٣]، وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

فَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ نَظْمِ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ الْأَمْرُ بِالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللهِ، وَحَبْلُ اللهِ -تَعَالَىٰ- هُوَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ، وَسُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَىٰ تَقُولُ: حَبْلُ اللهِ وَحْيُهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ سَوَاءً كَانَ كِتَابًا أَوْ سُنَّةً.

«تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ»؛ أَيِ: اعْتَصِمْ بِهِ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران ١٠٣].

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ**».

هَذِهِ الثَّلَاثُ -وَالْحَدِيثُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ»- مِنْهَا: الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ يَقِي مِنَ الِافْتِرَاقِ وَالِاخْتِلَافِ، فَلَا يَحْصُلُ الِاخْتِلَافُ وَالِافْتِرَاقُ إِلَّا بِسَبَبِ عَدَمِ التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَافْتِرَاقِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا؛ لِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران ١٠٥].

هَذِهِ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ تَرَكُوا كِتَابَ اللهِ فَتَفَرَّقُوا، وَهَذِهِ نَتِيجَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِكُلِّ مَنْ لَا يَأْخُذُ دِينَهُ وَعَقِيدَتَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَإِنَّ النَّتِيجَةَ الِاخْتِلَافُ وَالتَّفَرُّقُ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢-٥٣].

كُلٌّ أَحْدَثَ لَهُ مَذْهَبًا وَمَنْهَجًا يُخَالِفُ بِهِ غَيْرَهُ، فَحَصَلَتْ فِتَنٌ عَظِيمَةٌ، وَوَقَعَتْ شُرُورٌ كَثِيرَةٌ لَا عَاصِمَ مِنْهَا إِلَّا بِالِاعْتِصَامِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا سِيَّمَا فِي الْأَصْلِ وَالْأَسَاسِ، وَهُوَ الْعَقِيدَةُ الَّتِي يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢- ٦٣].

فَلَا يُؤَلِّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ وَلَا كَثْرَةُ الْأَمْوَالِ، بَلْ هَذِهِ تَزِيدُ الْقُلُوبَ نُفْرَةً وَتَبَاغُضًا، مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَنْ تُؤَلِّفَ بِهَا بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُؤَلِّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ هُوَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ مِنْ تَفَرُّقِهَا بَعْدَمَا جَاءَتْهَا الْبَيِّنَاتُ، فَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤].

لَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ؛ لِأَنَّ اللهَ بَيَّنَ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ تَرَكُوا هَذِهِ الْبَيِّنَةَ فَتَفَرَّقُوا، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ إِذَا قَامَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَهَذَا دُعَاءٌ عَظِيمٌ يَعْصِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ الْمُسْلِمَ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْفِتَنِ وَالشُّرُورِ.

الْمُرَادُ بِحَبْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **-كَمَا مَرَّ- فِي أَوْلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَفِي أَشْمَلِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ هُوَ:** كِتَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَالْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ يَنْصَحُ الْمُسْلِمَ بِأَنْ يَتَمَسَّكَ بِكِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ يَتَّبِعَ هَدْيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَسْتَفِيدُ مِنْ كَوْنِ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ عَبَّرَ بِهَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ -بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ-: أَنَّ الْأَوْلَىٰ بِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَلْتَزِمَ فِي حَدِيثِهِ لَا سِيَّمَا فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ بِأَلْفَاظِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّ هَذَا أَسْلَمُ لَهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْغَلَطِ، وَأَفْضَلُ فِي اتِّبَاعِ الْمَأْثُورِ مِنْ نُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ.

وَقَدْ ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي جَامِعِهِ حَدِيثًا مَرْفُوعًا، وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ، قَالَ أَبُو عِيسَىٰ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ مَقَالٌ، فَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ، وَإِنْ كَانَ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ أَوْصَافِ الْقُرْآنِ هُوَ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، الْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، قَالَ: «دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أُنَاسٌ يَخُوضُونَ فِي أَحَادِيثَ، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ عَلِيٍّ فَقُلْتُ: أَلَا تَرَىٰ أَنَّ النَّاسَ يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فِي الْمَسْجِدِ؟!!

فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا؟

قُلْتُ: نَعَمْ!

قَالَ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ».

قُلْتُ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟

قَالَ: «كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغَىٰ الْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَىٰ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»، خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ».

الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالدَّارِمِيُّ، وَقَدْ قَالَ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الْحَارِثِ مَقَالٌ»، وَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ كَمَا مَرَّ، وَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ، فَمَا جَاءَ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ أَوْصَافِ الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ.

فَالْمَقْصُودُ: وَيُغْنِي عَنْ هَذَا حَدِيثُ مُسْلِمٍ الَّذِي فِيهِ التَّصْرِيحُ أَنَّ حَبْلَ اللهِ هُوَ الْقُرْآنُ، فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمُرَادَ بِحَبْلِ اللهِ هُوَ الْقُرْآنُ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِحَبْلِ اللهِ: الْوَحْيُ، وَالْوَحْيُ يَشْمَلُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالسُّنَّةُ وَحْيٌ كَالْقُرْآنِ، وَهِيَ -أَيْضًا- مُنَزَّلَةٌ كَالْقُرْآنِ؛ أَيْ: مُوحًىٰ بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَمَّا كَوْنُ السُّنَّةِ وَحْيًا؛ فَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٣- ٤]، وَأَمَّا كَوْنُهَا مُنَزَّلَةً؛ فَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ**﴾ [النساء: ١١٣]؛ فَالْكِتَابُ هُنَا هُوَ: الْقُرْآنُ،

وَالْحِكْمَةُ: السُّنَّةُ فَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الْمُرَادَ بِحَبْلِ اللهِ: الْوَحْيُ، سَوَاءً كَانَ قُرْآنًا أَوْ سُنَّةً، وَهَذَا هُوَ الرَّاجِحُ.

«وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ»؛ أَيِ: الْزَمْ طَرِيقَ السُّنَّةِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَهِيَ طَرِيقُ النَّجَاةِ، وَسُلَّمُ الْفَلَاحِ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النُّونِيَّةِ:

يَا مَنْ يُرِيدُ نَجَاتَهُ يَوْمَ الْحِسَا ... بِ مِنَ الْجَحِيمِ، وَمُوقَدِ النِّيرَانِ

اتْبَعْ رَسُولَ اللهِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْ ... أَعْمَالِ لَا تَخْرُجْ عَنِ الْقُرْآنِ

وَخُذِ «الصَّحِيحَيْنِ» الَّذَيْنِ هُمَا لِعَقْـ ... ـدِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَاسِطَتَانِ

وَاقْرَأْهُمَا بَعْدَ التَّجَرُّدِ مِنْ هَوًىٰ ... وَتَعَصُّبٍ وَحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ

وَاجْعَلْهُمَا حَكَمًا، وَلَا تَحْكُمْ عَلَىٰ ... مَا فِيهِمَا أَصْلًا بِقَوْلِ فُلَانِ

فَاسْتَفْتَحَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ الْمَنْظُومَةَ بِالْوَصِيَّةِ بِالْأَخْذِ بِالْقُرْآنِ، وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ؛ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ؛ الْوَصِيَّةُ بِالْأَخْذِ بِالْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

الْأَمْرُ الثَّانِي: بَيَانُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكْفِي عَنِ السُّنَّةِ، فَهُمَا مُتَلَازِمَانِ لَا يُمْكِنُ اسْتِقْلَالُ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، فَالَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَتَمَسَّكُ بِكِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَهُوَ لَا يَتَمَسَّكُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَسَّكْ بِالْقُرْآنِ أَصْلًا؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ حَضَّ عَلَىٰ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»؛ فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «ثُمَّ أَثْنَىٰ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ مَنْ تَمَسَّكَ بِكِتَابِهِ الَّذِي يَقُودُهُ إِلَىٰ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ، وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ؛ أَيْ يَعْتَصِمُونَ بِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، وَالَّذِينَ تَرَكُوا زَوَاجِرَهُ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ»، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الزخرف: ٤٣]؛ أَيْ: خُذْ بِالْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ قَلْبِكَ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الْحَقُّ، وَمَا يَهْدِي إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ الْمُفْضِي إِلَىٰ صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُوصِلِ إِلَىٰ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالْخَيْرِ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ، وَاتَّبِعِ السُّنَّةَ، وَاتَّبِعْ هِدَايَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟**﴾ [النور: ٥٤]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**فَقَدِ اهْتَدَىٰ**».

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَالْهُدَىٰ وَالْهِدَايَةُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

* هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالإِلْهَامِ.

* وَهِدَايَةُ الدَّلَالَةِ وَالإِرْشَادِ.

أَمَّا هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالْإِلْهَامِ: فَهَذِهِ خَاصَّةٌ بِاللهِ ﷻ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا نَافِيًا إِيَّاهَا عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ -فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُ؟!!-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

فَالْهِدَايَةُ الَّتِي نَفَاهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ هِيَ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالْإِلْهَامِ، هِيَ هِدَايَةُ الْقُلُوبِ.

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ آل الشَّيْخِ فِي «فَتْحِ الْمَجِيدِ» عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]: «الْمَنْفِيُّ هُنَا هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالْقَبُولِ؛ فَإِنَّ أَمْرَ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَحْدَهُ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْهِدَايَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فَإِنَّهَا هِدَايَةُ الدَّلَالَةِ وَالإِرْشَادِ، وَالْبَيَانِ؛ فَهُوَ ﷺ الْمُبَيِّنُ عَنِ اللهِ، وَالدَّالُّ عَلَىٰ دِينِهِ وَشَرْعِهِ».

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْهِدَايَةُ الَّتِي نَفَاهَا اللهُ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ، وَالَّتِي أَثْبَتَهَا لَهُ هِدَايَةُ الدَّلَالَةِ وَالإِرْشَادِ، وَلِهَذَا أَتَتْ مُطْلَقَةً؛ لِبَيَانِ

أَنَّ الَّذي بِيَدِهِ هُوَ هِدَايَةُ الدَّلَالَةِ فَقَطْ، لَا أَنْ يَجْعَلَهُ مُهْتَدِيًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]؛ فَلَمْ يَخْصُصْ -سُبْحَانَهُ- فُلَانًا وَفُلَانًا؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّكَ تَهْدِي هِدَايَةَ الدَّلَالَةِ، فَأَنْتَ تَفْتَحُ الطَّرِيقَ أَمَامَ النَّاسِ فَقَطْ، وَتُبَيِّنُ لَهُمْ وَتُرْشِدُهُمْ، وَأَمَّا إِدْخَالُ النَّاسِ فِي الْهِدَايَةِ فَهَذَا أَمْرٌ لَيْسَ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، وَإِنَّمَا هُوَ مِمَّا تَفَرَّدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ.

فَنَحْنُ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ، وَأَنْ نُرْشِدَ، وَأَنْ نَدْعُوَ، وَأَمَّا هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ -أَيْ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهْتَدِي قَلْبُهُ- فَهَذَا إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، وَهَذَا هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ».

فَعِنْدَنَا هَاهُنَا أَمْرَانِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُبْطِلِينَ -إِمَّا بِجَهْلٍ، وَإِمَّا بِسُوءِ نِيَّةٍ- يُرِيدُونَ أَنْ يَضْرِبُوا آيَاتِ اللهِ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَهَيْهَاتَ فَهُوَ كَلَامُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا!!

فَيَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ أَثْبَتَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الْهِدَايَةَ وَنَفَاهَا عَنْهُ، وَهَذَا كَذِبٌ مَحْضٌ، وَإِنَّمَا أَثْبَتَ لِلنَّبِيِّ ﷺ هِدَايَةً لَا الْهِدَايَةَ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ، وَإِنَّمَا أَثْبَتَ لَهُ هِدَايَةً وَنَفَىٰ عَنْهُ هِدَايَةً، وَالْمُثْبَتُ غَيْرُ الْمَنْفِيِّ، فَلَمْ يَتَوَارَدِ النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ عَلَىٰ مَحَلٍّ وَاحِدٍ حَتَّىٰ يُقَالَ: وَقَعَ تَنَاقُضٌ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ! وَإِنَّمَا نَفَىٰ عَنْهُ هِدَايَةً بِاعْتِبَارٍ، وَهِيَ هِدَايَةُ الْقُلُوبِ فَهَذَا إِلَىٰ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، وَسِتِّيرِ الْعُيُوبِ لَا يَمْلِكُهُ حَتَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]؛ يَعْنِي: هِدَايَةَ الْقُلُوبِ، وَالْأَرْوَاحِ، وَأَثْبَتَ لَهُ

هِدَايَةً، وَهِيَ ثَابِتَةٌ لَهُ وَلِلْعُلَمَاءِ مِنْ أُمَّتِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، وَهِيَ هِدَايَةُ الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ وَالْبَيَانِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فَأَثْبَتَ الْهِدَايَةَ بِاعْتِبَارٍ، وَنَفَاهَا بِاعْتِبَارٍ آخَرَ، فَهَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْأَوَّلُ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: هُوَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَأَنَّ هِدَايَةَ الْقُلُوبِ لَيْسَتْ مَبْذُولَةً لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّىٰ وَلَا لِخَلِيلِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ -وَهُوَ مَنْ هُوَ!!- فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِدَ ذَلِكَ اعْتِقَادًا رَاسِخًا وَنَحْنُ نَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَإِنَّمَا نَأْسَىٰ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا رَفَضُوا هِدَايَةَ الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ فَقَدِ اخْتَارُوا الْغِوَايَةَ وَالضَّلَالَ، فَنَأْسَىٰ عَلَيْهِمْ لَا أَنْ نَجِدَ فِي أَنْفُسِنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَنَا، أَوْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِدَايَتِنَا، لَا لَيْسَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ قَدْ نُفِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَيْفَ بِمِثْلِنَا مِنَ الضُّعَفَاءِ الْمُذْنِبِينَ؟!!

فَعَلَيْنَا أَنْ نَجِدَ الْحُزْنَ فِي الْقُلُوبِ عَلَىٰ مَنْ لَا يَهْتَدِي، فَنَحْزَنَ عَلَيْهِ، وَنَحْزَنَ لِمَا يَقَعُ مِنْهُ؛ لَا أَنَّنَا نَغْضَبُ مِنْ هَذَا الَّذِي أَتَي بِهِ مِنْ رَدِّ الْهِدَايَةِ عَلَىٰ مَنْ دَلَّ عَلَيْهَا وَأَرْشَدَ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلِأَنَّ الدَّعْوَةَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، لَا إِلَىٰ مَا سِوَاهُ، وَلَا مَنْ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ، فَإِذَا مَا أَصَابَنَا حُزْنٌ فَإِنَّمَا هُوَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ صَالِحَهُمْ، وَرَدُّوا الْهِدَايَةَ -هِدَايَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ-.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هِدَايَةِ الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وَقَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

إِذَا عَرَفْنَا الْفَرْقَ بَيْنَ الْهِدَايَتَيْنِ لَمْ يَشْتَبِهْ عَلَيْنَا شَيْءٌ مِنْ نَظْمِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ لِأَنَّكَ رُبَّمَا تَقْرَأُ قَوْلَ رَبِّكَ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ فَيَنْصَرِفُ ذِهْنُكَ إِلَىٰ هِدَايَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، تَقُولُ: فَكَيْفَ اسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَقَدْ هُدُوا؟!!

وَأَمَّا الْمَعْنَىٰ فَهُوَ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾؛ دَلَلْنَاهُمْ، وَأَرْشَدْنَاهُمْ، وَبَيَّنَ لَهُمْ سَبِيلَ الْهِدَايَةِ، وَسَبِيلَ الْغِوَايَةِ، وَرَغَّبْنَاهُمْ فِي الْأَوَّلِ، وَنَفَّرْنَاهُمْ مِنَ الثَّانِي فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ.

وَالنَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَحُثُّ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّهُمَا مَصْدَرُ التَّلَقِّي، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِالْأَخْذِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]؛ وَالْحِكْمَةُ هَاهُنَا: سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِالرُّجُوعِ عِنْدَ الِاخْتِلَافِ إِلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ؛ أَيْ: إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ ﷻ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ أَنْ يُرَدَّ التَّنَازُعُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠].

فَمَا حَكَمَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَشَهِدَا لَهُ بِالصِّحَّةِ فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟!! وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾؛ أَيْ: رُدُّوا الْخُصُومَاتِ وَالْجَهَالَاتِ وَالنِّزَاعَاتِ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِمَا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ فِي مَحَلِّ النِّزَاعِ إِلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾.

الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامٌ وَابْنُ إِمَامٍ، إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَابْنُ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّتِهَا، وَهُوَ أَبُو دَاوُدَ صَاحِبُ السُّنَنِ؛ لِذَلِكَ يَصْدُرُ فِيمَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِذَلِكَ يَبْدَأُ النَّظْمَ بِقَوْلِهِ:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ، وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ ... وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَهَذِهِ مِنْ مُمَيِّزَاتِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَنْطَلِقُونَ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمُ الْمَنْظُومَةِ وَالْمَنْثُورَةِ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَصَاحِبُ النَّظْمِ يَأْمُرُ بِالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللهِ،

وَاتِّبَاعِ الْهُدَىٰ كَمَا دَلَّتْ عَلَىٰ ذَلِكَ آيَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ، وَأَحَادِيثُ نبَوِيَّةٌ، وَآثَارٌ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ لَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْحَصْرِ، وَلِأَنَّ أَمْرًا مُهِمًّا لَا بُدَّ أَنْ نَلْتَفِتَ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّنَا إِذَا لَمْ نَأْخُذْ بِكِتَابِ رَبِّنَا، وَلَمْ نَتَّبِعْ سُنَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ فَمَهْمَا عَمِلْنَا مِنْ عَمَلٍ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْنَا، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

التَّمَسُّكُ وَالِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ لَا يَتِمُّ لِذَكَرٍ وَلَا أُنْثَىٰ حَتَّىٰ يَعْلَمَ دِينَ اللهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ دِينَ اللهِ إِلَّا إِذَا تَعَلَّمَ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ مَهْمَا رَأَىٰ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُتَمَسِّكٌ بِحَبْلِ اللهِ، فَهُوَ فَاقِدُ الصَّوَابِ، فَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَا يَقْبَلُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ مُكَلَّفٍ مِنْ عَالَمَيِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَمَلًا إِلَّا إِذَا اجْتَمَعَ فِيهِ شَرْطَانِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الصَّوَابُ.

وَالشَّرْطُ الثَّانِي: الْإِخْلَاصُ.

الصَّوَابُ مَعْنَاهُ: مُتَابَعَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

الشَّرْطُ الثَّانِي: الْإِخْلَاصُ؛ أَيِ: الْإِخْلَاصُ فِي الْعَمَلِ، وَهُوَ أَنْ يَبْتَغِيَ الْعَامِلُ مِنْ وَرَاءِ عَمَلِهِ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فَإِذَا اخْتَلَّ شَرْطٌ مِنْ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا يُقْبَلُ، الْجَاهِلُ فَاقِدُ الصَّوَابِ فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُهُ حَتَّىٰ يَتَعَلَّمَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَمَسَّكَ الْجَاهِلُ بِحَبْلِ اللهِ حَتَّىٰ يَكُونَ ذَا عِلْمٍ بِحَبْلِ اللهِ؛ فَالْعِلْمُ إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ لَهُ؛ لِذَا قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا مُخَاطِبًا نَبِيَّنَا ﷺ -وَأُمَّتُهُ تَبَعٌ لَهُ فِي الْخِطَابِ-: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد ١٩].

فَأَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَعْلَمَ أَوَّلًا ثُمَّ يَعْمَلَ، فَجَاءَ الْأَمْرُ بِالْعِلْمِ مُقَدَّمًا عَلَىٰ الْعَمَلِ، وَبِهِ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ مِنْ «صَحِيحِهِ»: «بَابٌ: الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ»، وَذَكَرَ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ [محمد: ١٩].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي أَوَّلِ آيَاتٍ أَنْزَلَهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَهُ فِيهَا بِالْعِلْمِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ، أَوَّلُ أَمْرٍ أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِ نَبِيِّهِ ﷺ هُوَ هَذَا الْفِعْلُ الْجَمِيلُ «اقْرَأْ» قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْعَمَلِيَّةِ أَوْ الِاعْتِقَادِيَّةِ، بَلْ أَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ؛ إِذْ قَالَ لَهُ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ صَدْرَ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١- ٧].

وَانطَلَقَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ لِإِنْذَارِ النَّاسِ، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَىٰ الْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ؛ الْبِشَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ الْمُتَّبِعِينَ شَرْعَ نَبِيِّهِمُ الْكَرِيمِ -عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ- بِأَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَفَوْقَ ذَلِكَ رِضَا اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَرُؤْيَتُهُ، وَالنِّذَارَةِ لِلْعُصَاةِ وَلِلْكَافِرِينَ الْمُعْرِضِينَ عَمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ مِمَّا فِيهِ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ الْمُبَارَكَةُ، أَلَا وَهُوَ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ عِلْمًا وَعَمَلًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ -كَمَا مَرَّ- فَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ هُوَ مَنْهَجُ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَمَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ نَسْأَلَهُ أَنْ يَسْلُكَ بِنَا سَبِيلَهُمْ فِي أَعْظَمِ سُورَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا، وَأَوْجَبَ قِرَاءَتَهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَوَاتِنَا فَرَائِضَ وَنَوَافِلَ أَلَا وَهِيَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١]؛ حَيْثُ خُتِمَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦- ٧] الْآيَاتِ.

فُسِّرَ هَذَا الْإِجْمَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فُسِّرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، **فَهَؤُلَاءِ الْأَصْنَافُ الْأَرْبَعَةُ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ:**

* النَّبِيُّونَ صَفْوَةُ الْخَلْقِ ﷺ.

* وَالصِّدِّيقُونَ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

* وَالشُّهَدَاءُ الَّذِينَ ثَبَتَتْ لَهُمُ الشَّهَادَةُ بِنُصُوصِ الشَّرْعِ مِمَّنْ قُتِلَ فِي مَعَارِكِ الْقِتَالِ مَعَ أَعْدَاءِ اللهِ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، وَمِمَّنْ كُتِبَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ وَإِنْ لَمْ يُقْتَلْ فِي الْمَعَارِكِ.

* وَالصَّالِحُونَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَىٰ الْخَاصِّ، وَهُمْ كُلُّ عَبْدٍ صَالِحٍ مِنْ عَالَمَيِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، وَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ صَالِحًا إِلَّا إِذَا جَمَعَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.

وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ فَقَدْ تَشَبَّهَ بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمُ الْيَهُودُ، الَّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ فِيهِ هُدًىٰ وَنُورٌ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَصُحُفِ مُوسَىٰ، فَغَيَّرُوا وَبَدَّلُوا وَحَرَّفُوا، وَاسْتَهْزَؤُوا، بَلْ قَتَلُوا الْمُرْسَلِينَ بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا، فَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ، وَمَسَخَ بَعْضَهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَهَذَا عَذَابٌ أَدْنَىٰ، وَالْعَذَابُ الْأَكْبَرُ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

إِذَنْ؛ مَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ فَقَدْ تَشَبَّهَ بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَهُمُ الْيَهُودُ، وَأَنْتَ تَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ رَكْعَاتِ الصَّلَاةِ أَلَّا يَجْعَلَكَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَلَا إِلَيْهِمْ بِسَبِيلٍ، وَمَنْ عَمِلَ مِنْ دُونِ عِلْمٍ بَلْ عَلَىٰ جَهْلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَدْ تَشَبَّهَ بِالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ تَرَكُوا الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ، وَاشْتَغَلُوا بِمَلَذَّاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَاتَّبَعُوا الْهَوَىٰ، وَصَارَتْ عِبَادَتُهُمْ ضَائِعَةً هَبَاءً مَنْثُورًا.

فَكُلُّ مَنْ عَبَدَ اللهَ بِجَهْلٍ، وَعَبَدَ اللهَ بِغَيْرِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ كَفَرَ بِآخِرِ رَسُولٍ وَأَعْظَمِ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا، وَكَتَبَ اللهُ أَنْ تَكُونَ رِسَالَتُهُ عَامَّةً شَامِلَةً، لَا يَسَعُ أَحَدًا الْخُرُوجُ عَنْهَا أَبَدًا؛ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَرَحِمَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْقَائِلَ: «مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَىٰ».

وَفِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

أَيْ: هُوَ مِنْهُمْ فِيمَا تَشَبَّهَ بِهِمْ فِيهِ؛ سَوَاءٌ فِي شِرْكٍ، أَوْ فِي بِدْعَةٍ مُضِلَّةٍ، أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَأَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِاتِّبَاعِ الْهُدَىٰ؛ لِذَلِكَ قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ: وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ.

أَمَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِاتِّبَاعِ الْهُدَىٰ، وَاتِّبَاعِ دِينِ الْحَقِّ.

الْهُدَىٰ: الْعِلْمُ النَّافِعُ.

دِينُ الْحَقِّ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ طَرِيقُ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ -كَمَا مَرَّ-.

لَقَدْ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ الْعِلْمَ إِلَىٰ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: عِلْمٌ مَمْدُوحٌ وَمُثَابٌ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ: وَهُوَ الْعِلْمُ بِشَرْعِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالْعَمَلُ بِهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَهَذَا الْعِلْمُ جَاءَتِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ، وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ حَامِلِيهِ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩].

الْجَوَابُ: لَا يَسْتَوُونَ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

فَالْعَالِمُ مُبْصِرٌ، وَالْجَاهِلُ بِمَنْزِلَةِ الْأَعْمَىٰ الَّذِي لَا يُبْصِرُ الطَّرِيقَ الْحِسِّيَّ، وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ الطَّرِيقَ الْمَعْنَوِيَّ الَّتِي تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَىٰ رِضَا اللهِ، وَدَارِ كَرَامَتِهِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: قِسْمٌ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ: هُوَ خَيْرٌ فِي ذَاتِهِ، وَمَمْدُوحٌ فِي ذَاتِهِ، وَشَرٌّ عَلَىٰ حَامِلِهِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِهِ، وَعَلَىٰ هَذَا دَلَّ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **«وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا**». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجه بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَالْمَفْهُومُ أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي لَا يَنْفَعُ يُسْتَعَاذُ بِاللهِ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ شَرٌّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ، وَهُوَ خَيْرٌ فِي ذَاتِهِ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: قِسْمٌ مَذْمُومٌ هُوَ وَأَهْلُهُ: وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ شَرٌّ مَحْضٌ؛ كَعِلْمِ السِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ، وَعِلْمِ الشَّعْوَذَةِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَالْعِلْمِ الَّذِي ادَّعَاهُ الْمُشْرِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَهَذِهِ الْعُلُومُ دَلَّ عَلَىٰ شَرِّهَا، وَشُؤْمِهَا كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا **فِي شَأْنِ السِّحْرِ:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَقَالَ تَعالَىٰ فِي عِلْمِ الْكُفَّارِ الَّذِي كَانُوا يَتطَاوَلُونَ بِهِ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

أَيْ: بِأَنَّ آبَاءَهُمْ كَانُوا عَلَىٰ حَقٍّ وَصَوَابٍ، وَأَنَّهُمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ طَرَائِقِهِمْ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ.

قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

فَقَوْلُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ...» مُنْتَزَعٌ مِنْ قَوْلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

إِذِ الْمُرَادُ بِالْهُدَىٰ: الْعِلْمُ النَّافِعُ، **وَدِينُ الْحَقِّ**: الْعَمَلُ الصَّالِحُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، أَقْوَالًا وَأَفْعَالًا.

فَمَصْدَرُ التَّلَقِّي عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، بِهِمَا يَأْخُذُونَ، وَعَنْهُمَا يَصْدُرُونَ، وَعَلَيْهِمَا يُعَوِّلُونَ، وَلَا يَحِيدُونَ عَنْهُمَا قِيدَ أُنْمُلَةٍ كَمَا قَالَ الْأَوْزَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَدُورُ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَيْثُ دَارَا»، وَلَا يُحْدِثُونَ شَيْئًا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وَقَوْلُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَمَسَّكْ بِكِتَابِ اللهِ، وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ».

«اتَّبِعِ الْهُدَىٰ»: الْزَمْ طَرِيقَ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ، فِيهِ حَثٌّ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ، وَإِبْطَالٌ لِقَوْلِ الطَّائِفَةِ الضَّالَّةِ الْمُضِلَّةِ الَّذِينَ يَتَسَمَّوْنَ بِالْقُرْآنِيِّينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ نَحْنُ لَا نَأْخُذُ إِلَّا بِالْقُرْآنِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ لَيْسَ بِآخِذٍ حَتَّىٰ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَ فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ بِالْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِهَا، وَلِذَا لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُسْتَمْسِكًا بِالْقُرْآنِ إِلَّا إِذَا أَخَذَ بِالسُّنَّةِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَعًا.

قَالَ تَعَالَىٰ آمِرًا أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وَقَدِ اسْتَظْهَرَ الْعُلَمَاءُ -وَمِنْهُمُ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «الرِّسَالَةِ»- أَنَّ الْحِكْمَةَ هَاهُنَا، وَفِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ: هِيَ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا وَاضِحٌ؛ ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

آيَاتُ اللهِ مَعْلُومَةٌ، مَا الَّذِي يُتْلَىٰ -أَيْضًا- وَيُذْكَرُ فِي أَبْيَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.. فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ؟!!

سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

«تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ»: فِيهِ تَحْدِيدٌ لِمَصْدَرِ التَّلَقِّي، لَمَّا حَدَّدَهُ حَذَّرَ مِنْ مُخَالَفَتِهِ فَقَالَ: «وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا»، وَهُوَ بِهَذَا السِّيَاقِ رَحِمَهُ اللَّهُ يُشِيرُ إِلَىٰ أَصْلٍ مُهِمٍّ هُوَ أَنَّ مَنْ تَخَلَّىٰ عَنْ حَبْلِ اللهِ، وَتَخَلَّىٰ عَنِ السُّنَّةِ فَهُوَ آخِذٌ بِسَبِيلِ بِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ؛ لِذَا عَرَّفَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْبِدْعَةَ بِمَا لَيْسَ بِسُنَّةٍ؛ فَإِنَّهُ مَهْمَا رُفِعَتْ سُنَّةٌ وُضِعَتْ بِدْعَةٌ.

فَالنَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا»: بِتَرْكِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ بِهَذَا يُشِيرُ إِلَىٰ الْهُوَّةِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي سَقَطَ فِيهَا الْمُبْتَدِعَةُ جَمِيعًا، وَهِيَ تَرْكُهُمْ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِلَّا لَوْ تَمَسَّكُوا بِهِمَا لَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ، وَلَمَا كَانُوا أَهْلَ أَهْوَاءٍ وَبِدْعَةٍ.

فَالْبِدْعِيُّ: هُوَ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَلَمْ يَتَلَقَّ عَنْهُمَا، وَلَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ مِنْهُمَا.

وَمَنْ نَظَرَ إِلَىٰ عَامَّةِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَجَدَ أَنَّ مَنْشَأَ ضَلَالِهِمْ عَدَمُ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ إِمَّا بِالِاعْتِمَادِ عَلَىٰ الْعُقُولِ وَالْآرَاءِ، أَوِ الْمَنَامَاتِ، أَوِ الْحِكَايَاتِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا جَعَلَهُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ مَصْدَرًا لَهُمْ فِي الِاسْتِدْلَالِ.

«وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ»: هَذِهِ نَتِيجَةُ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ.

وَالْفَلَاحُ: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ قِيلَ: لَا كَلِمَةَ فِي اللُّغَةِ أَجْمَعَ هِيَ أَجْمَعُ لِلْخَيْرَاتِ مِنْ كَلِمَةِ الْفَلَاحِ، وَالْفَلَاحُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالِابْتِعَادِ عَنِ الْبِدَعِ، وَمَنْ لَمْ يَتَمَسَّكْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَذَهَبَ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَصَادِرِ لَمْ يُفْلِحْ.

لِهَذَا جَاءَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا ارْتَدَىٰ أَحَدٌ بِالْكَلَامِ فَأَفْلَحَ».

وَعِنْدَمَا نَاظَرَ الشَّافِعِيُّ بِشْرًا فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَخَرَجَ بِشْرٌ، قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يُفْلِحُ».

وَهَذَا الْمَعْنَىٰ دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ كَمَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

وَقَوْلُهُ: «لَعَلَّكَ...»: لَعَلَّ هَاهُنَا لَيْسَتْ لِلتَّرَجِّي؛ لِأَنَّ مَنِ اعْتَصَمَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَفَلَاحُهُ مُتَحَقِّقٌ، إِلَّا إِنْ قُصِدَ فِعْلُ الْعَبْدِ بِتَحْقِيقِهِ لِهَذَا الْمَقَامِ، وَتَتْمِيمِهِ لِهَذَا الِاعْتِصَامِ.

فَنَصَحَ وَبَيَّنَ وَحَذَّرَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الَّذِي طَرَأَ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ مِنَ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ.

«فَلَا تَكُ بِدْعِيًّا...»؛ الْبِدْعِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ.

وَالْبِدْعَةُ: مَا أُحْدِثَ فِي الدِّينِ مِمَّا لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَاللهُ نَهَانَا عَنْ الِابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ حَذَّرَنَا مِنَ الِابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

فَالدِّينُ كَامِلٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ زِيَادَةٍ، وَلَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ نُقْصَانٌ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ حَذَّرَ -أَيْضًا- مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ**: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَحَذَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ فِيهِمْ: «**الْخَوَارِجُ هُمْ كِلَابُ النَّارِ**».

وَأَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِالْبُعْدِ عَنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

الْآثَارُ عَنِ السَّلَفِ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا.

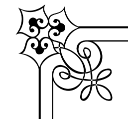
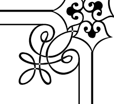
«لَعَلَّكَ تُفْلِحُ»: إِذَا اعْتَصَمْتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَابْتَعَدْتَ عَنِ الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا، فَأَبْشِرْ بِالْفَلَاحِ؛ فَإِنَّ مَنِ اعْتَصَمَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَفَلَاحُهُ مُتَحَقِّقٌ.

وَالْفَلَاحُ: الظَّفَرُ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا يُفْلِحُ الْإِنْسَانُ إِلَّا إِذَا تَمَسَّكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

«**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ** -وَهِيَ النَّشَاطُ الِانْدِفَاعُ فِي الْأُمُورِ-، **وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**».

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» -كَمَا مَرَّ-.

◉ ◉ ◉

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّانِيَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَعْرِيفُ الْبِدْعَةِ

لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَعْرِفَ الْبِدْعَةَ؛ لِنَحْذَرَهَا، كَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ الشِّرْكَ؛ حَتَّىٰ لَا نَقَعَ فِيهِ، وَحَتَّىٰ نُجَانِبَهُ -بِفَضْلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا-.

وَالْبِدْعَةُ فِي اللُّغَةِ: مَا أُحْدِثَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ؛ كَأَنْ تَقُولَ: هَذَا الشَّيْءُ بَدِيعٌ -يَعْنِي هُوَ جَدِيدٌ- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]؛ أَيْ: مُحْدِثُهُمَا بِغَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ يَعْنِي: مَا أَنَا بِأَوَّلِ رَسُولٍ، قَبْلِي رُسُلٌ كَثِيرُونَ، فَأَنَا لَسْتُ بِدْعًا؛ يَعْنِي: لَسْتُ جَدِيدًا لَمْ يَسْبِقْ مِثْلِي فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَكَيْفَ تُنْكِرُونَ عَلَيَّ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَقَبْلِي رُسُلٌ كَثِيرُونَ؟!!

فَالْبِدْعَةُ فِي اللُّغَةِ: مَا أُحْدِثَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ.

وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ: فَالْبِدْعَةُ مَا أُحْدِثَ فِي الدِّينِ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ، وَلَيْسَ لَهُ دَلِيلٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الْبِدْعَةُ: مَا أُحْدِثَ فِي دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا مِمَّا لَيْسَ لَهُ مُسْتَنَدٌ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ.

وَالشَّائِعُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ تَعْرِيفُ الشَّاطِبِيِّ فِي «الِاعْتِصَامِ» قَالَ: «الْبِدْعَةُ عِبَارَةٌ عَنْ: طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ، يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ-».

هَذَا تَعْرِيفُ الشَّاطِبِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ التَّعَارِيفِ، وَمِنْ أَحْسَنِهَا.

وَقَدْ قَيَّدَهَا بِثَلَاثَةِ قُيُودٍ كَمَا فِي التَّعْرِيفِ:

* **أَنَّهَا طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ:** كَابْتِدَاعِ صَلَوَاتٍ، أَوِ ابْتِدَاعِ أَدْعِيَةٍ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ.

خَرَجَ بِقَوْلِهِ طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ: مَا كَانَ طَرِيقَةً فِي الدُّنْيَا، كَالصِّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، هَذِهِ لَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهَذَا مُهِمٌّ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَيَقُولُونَ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ كُلَّ مُحْدَثٍ تَعَلَّقَ بِدِينٍ أَوْ دُنْيَا فَهُوَ بِدْعَةٌ، وَيَنْبَغِي أَنْ نُجَانِبَهُ، وَأَنْ نُحَارِبَهُ، فَيَقُولُونَ: مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا! وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

طَرِيقَةٌ فِي «الدِّينِ» مُخْتَرَعَةٌ.

هُمْ يَقُولُونَ لَنَا: أَنْتُمْ تَرْكَبُونَ الطَّائِرَاتِ، نَقُولُ: وَمَا فِي ذَلِكَ؟!

يَقُولُونَ هِيَ بِدْعَةٌ...! بِدْعَةٌ عِنْدَكُمْ؛ وَلِذَلِكَ تُفَجِّرُونَهَا! وَأَمَّا نَحْنُ فَهَذَا مِمَّا اسْتُحْدِثَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِمَا نَحْنُ فِيهِ.

طَرِيقَةٌ فِي «الدِّينِ» مُخْتَرَعَةٌ.

فَقَوْلُهُ: طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ: خَرَجَ بِهِ مَا كَانَ طَرِيقَةً فِي الدُّنْيَا، كَالصِّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ.

مُخْتَرَعَةٌ: يَعْنِي لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الشَّرِيعَةِ، كَإِحْدَاثِ الْمَوَالِدِ وَالْحَوْلِيَّاتِ وَنَحْوِهَا.

فَخَرَجَ بِذَلِكَ مَا لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ مِمَّا يُقَالُ لَهُ الْمَصَالِحُ الْمُرْسَلَةُ، كَجَمْعِ الْقُرْآنِ، وَتَدْوِينِ السُّنَّةِ، وَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ الشَّرْعِيَّةِ، وَتَصْنِيفِ الْعُلُومِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: هَذِهِ -أَيْضًا- لَمْ تَكُنْ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهِيَ بِدْعَةٌ، وَهِيَ مِنَ الدِّينِ!

فَيُقَالُ: لَا، هَذِهِ مِمَّا يُقَالُ لَهُ: الْمَصَالِحُ الْمُرْسَلَةُ.

وَالْمُشْكِلَةُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الْعِلْمِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، يَعْنِي لَا يَعْرِفُ لَا مَصْلَحَةً لَا مُرْسَلَةً وَلَا مُقَيَّدَةً، وَيَخْبِطُ خَبْطَ الْعَشْوَاءِ، بَلْ خَبْطَ الْعَمْيَاءِ، وَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ، وَيَعْتَرِضُ عَلَىٰ الْعُلَمَاءِ.

تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ: أَيْ تُمَاثِلُ الشَّرْعَ وَتُحَاكِيهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُضَاهِي الشَّرْعَ، فَلَا تُعَدُّ بِدْعَةً.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ قُيُودٍ فِي هَذَا التَّعْرِيفِ لِلشَّاطِبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الْأَوَّلُ: أَنَّهَا طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ.

الثَّانِي: تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ.

الثَّالِثُ: يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فَيَتَقَرَّرُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْبِدْعَةَ لَا أَصْلَ لَهَا فِي الشَّرْعِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَقَدْ قَرَّرْنَا فِي قَاعِدَةِ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ، أَنَّ الْبِدْعَةَ فِي الدِّينِ هِيَ: مَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ وَلَا اسْتِحْبَابٍ».

قَالَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ -كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ وَغَيْرِهِ-: «إِنَّ الْبِدْعَةَ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا!!».

الْمُبْتَدِعُ يَتَقَرَّبُ بِبِدْعَتِهِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا بِمَا ابْتَدَعَ، وَهَذَا مُهِمٌّ جِدًّا، حَتَّىٰ فِي تَعْرِيفِ الْبِدْعَةِ: أَنَّ الْمُبْتَدِعَ يَتَقَرَّبُ بِمَا ابْتَدَعَ لِلَّهِ - بِزَعْمِهِ - وَيَتَعَبَّدُ بِهِ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ.

قَوْلُهُمْ: «لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ» مُهِمٌّ جِدًّا وَقَيْدٌ ضَرُورِيٌّ؛ لِأَنَّهُ لَوْ تَعَبَّدَ بِشَرْعٍ مُخْتَرَعٍ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ لِرَسُولِ اللهِ لَكَفَرَ.

فَمِنْ رَحْمَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْمُبْتَدِعَةِ يَقُولُونَ: لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ -يَعْنِي هُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُعَانِدَ الشَّرْعَ-، وَلَكِنْ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِمَا ابْتَدَعَ وَاخْتَرَعَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّقَرُّبِ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ.

فَمِنْ رَحْمَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ -حَتَّىٰ بِأَهْلِ الْبِدْعَةِ- أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِهَذَا الْقَيْدِ يَقُولُونَ: لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَخْتَرِعُ شَرْعًا وَيُشَرِّعُ لِنَفْسِهِ شَرْعًا يَتَعَبَّدُ بِهِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُحَادَّةِ وَالْمُعَانَدَةِ لِرَسُولِ اللهِ؛ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا.

يَقُولُونَ: لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ.

هُنَاكَ قَوَاعِدُ فِي مَسْأَلَةِ الْبِدَعِ، وَعَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ السُّنِّيِّ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَتِهَا وَتَحْرِيرِهَا؛ مِنْهَا -مَثَلًا-: إِذَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ عِبَادَةً مِنَ الْعِبَادَاتِ، مَعَ كَوْنِ سَبَبِهَا قَائِمًا فِي عَهْدِهِ، وَعَدَمِ الْمَانِعِ مِنْ فِعْلِهَا، فَتَرْكُهَا سُنَّةٌ وَفِعْلُهَا بِدْعَةٌ.

إِذَا قَامَ الْمُقْتَضِي لِفِعْلِ الشَّيْءِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، ثُمَّ تَرَكَهُ الرَّسُولُ ﷺ فَتَرْكُهُ سُنَّةٌ، وَفِعْلُهُ بِدْعَةٌ.

مِثْلُ: تَرْكِ الْأَذَانِ، وَالْإِقَامَةِ، وَقَوْلِ: «الصَّلَاةَ جَامِعَةً» فِي الْعِيدِ.

الْمُقْتَضِي قَائِمٌ؛ لِأَنَّهُمْ يُصَلُّونَ لَا بِوَقْتٍ مُنْضَبِطٍ، إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ قَامُوا إِلَىٰ صَلَاةِ الْعِيدِ، وَلَيْسَ لِخُرُوجِهِ وَقْتٌ مُحَدَّدٌ كَمَا فِي سَائِرِ الصَّلَوَاتِ.

إِذَنْ؛ الْمُقْتَضِي قَائِمٌ، يُصَلُّونَ فِي الْخَلَاءِ، يَخْرُجُ النَّاسُ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ -لَا فِي الْمَسْجِدِ-، وَيَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَالْمُقْتَضِي لِلْأَذَانِ أَوِ الْإِقَامَةِ أَوْ قَوْلِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً قَائِمٌ، وَلَا مَانِعَ مَا الَّذِي يَمْنَعُ؟

يَا بِلَالُ! أَذِّنْ... أَقِمْ... قُلِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً.

يَا ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ... يَا أَبَا مَحْذُورَةَ....

لِأَيٍّ مِنَ الْمُؤَذِّنِينَ مُؤَذِّنَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَامَ الْمُقْتَضِي لِفِعْلِ الْفِعْلِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَكَهُ؛ فَالتَّرْكُ سُنَّةٌ وَالْفِعْلُ بِدْعَةٌ.

الْعِتَاقَةُ الْكُبْرَىٰ، وَالْعِتَاقَةُ الصُّغْرَىٰ.

إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ جَمَعُوا قَوْمًا، وَصَنَعُوا طَعَامًا، وَأَمَرُوا الْقَوْمَ أَنْ يَقْرَؤُوا سُورَةَ الْإِخْلَاصِ -يَقُولُونَ: الصَّمَدِيَّةَ- أَلْفَ مَرَّةٍ، وَأَنْ يَهَبُوا ثَوَابَ مَا قَرَؤُوا لِلْمُتَوَفَّىٰ، هَذِهِ عِتَاقَةٌ صُغْرَىٰ، أَوْ يَجْمَعُونَ مَا فَوْقَ هَذَا الْعَدَدِ وَيَقْرَؤونَ مَا فَوْقَ هَذَا الْعَدَدِ مِنْ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ بِالْعِتَاقَةِ الْكُبْرَىٰ.

النَّبِيُّ ﷺ قَامَ الْمُقْتَضِي لِهَذَا الْفِعْلِ فِي عَهْدِهِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَكَهُ.. لِمَ؟!!

لِأَنَّ عِتْقَ الرِّقَابِ هُوَ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ الْمُهَابُ.

النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا أَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِيُعْتِقَ بِهِ وَبِاتِّبَاعِهِ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ، فَعِتْقُ النَّاسِ مِنَ النِّيرَانِ أَجَلُّ مَقَاصِدِ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّتِي جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ.

إِذَنْ؛ الْمُقْتَضِي قَائِمٌ، عِتْقُ الرَّقَبَةِ مِنَ النَّارِ، هُمْ يَقُولُونَ: عِتْقُ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ بِالْعِتَاقَةِ الْكُبْرَىٰ أَوْ بِالْعِتَاقَةِ الصُّغْرَىٰ.

هَذَا أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي الشَّرْعِ، بَلْ مِنْ أَهَمِّ الْمَطْلُوبَاتِ فِيهِ، بَلْ عَلَىٰ رَأْسِ الْمَطْلُوبَاتِ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ أَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ.

فَالْمُقْتَضِي قَائِمٌ عَلَىٰ عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمَانِعُ مُنْتَفٍ، مَا الَّذِي كَانَ يَمْنَعُ أَنْ يَدْعُوَ الْعَشَرَةَ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ؛ لِيُعْتِقُوا بِقِرَاءَتِهِمْ لِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَنْ مَاتَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ.. مَا الَّذِي يَمْنَعُ؟!!

لَا مَانِعَ.

إِذَنْ؛ قَامَ الْمُقْتَضِي لِفِعْلِ الْفِعْلِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَكَهُ الرَّسُولُ ﷺ، فَتَرْكُهُ سُنَّةٌ وَفِعْلُهُ بِدْعَةٌ، وَهُوَ مَا يُقَالُ لَهُ: السُّنَّةُ التَّرْكِيَّةُ، فَكَمَا أَنَّ هُنَالِكَ فِي السُّنَنِ مَا هُوَ قَوْلِيٌّ.. مَا هُوَ فِعْلِيٌّ.. مَا هُوَ تَقْرِيرِيٌّ، هُنَاكَ مَا هُوَ تَرْكِيٌّ.. سُنَّةٌ تَرْكِيَّةٌ.

مَا قَامَ الْمُقْتَضِي لِفِعْلِهِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَكَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَلَمْ يَفْعَلْهُ؛ فَتَرْكُهُ سُنَّةٌ وَفِعْلُهُ بِدْعَةٌ، إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، صِرْتَ غُصَّةً فِي حُلُوقِ الْمُبْتَدِعَةِ.

كُلُّ مَا يَأْتُونَ بِهِ يُمْكِنُ أَنْ تُعَاكِسَهُمْ فِيهِ عَلَىٰ هَذِهِ السُّنَّةِ التَّرْكِيَّةِ ﷺ.

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: كُلُّ عِبَادَةٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ تَرَكَ فِعْلَهَا السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَإِنَّهَا تَكُونُ بِدْعَةً، إِذَا كَانَ الْمُقْتَضِي لَهَا قَائِمًا فِي عَهْدِهِمْ وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي السُّنَّةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ، كَالِاحْتِفَالِ بِمَوْلِدِ رَسُولِ اللهِ.. يَحْتَفِلُونَ بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ -وَلَا مَانِعَ- وَلَكِنْ تَرَكُوا ذَلِكَ، فَالتَّرْكُ سُنَّةٌ وَالْفِعْلُ بِدْعَةٌ.

كُلُّ تَقَرُّبٍ إِلَىٰ اللهِ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ مِنْ وَجْهٍ لَمْ يَعْتَبِرْهُ الشَّرْعُ فَهُوَ بِدْعَةٌ، يَعْنِي -مَثَلًا- مَنِ اتَّخَذَ لُبْسَ الصُّوفِ عِبَادَةً وَقُرْبَةً إِلَىٰ اللهِ؛ لِأَنَّ الشَّارِعَ لَمْ يَعْتَرِفْ بِهَذَا، الشَّارِعُ لَمْ يَعْتَبِرْهُ؛ يَعْنِي لَمْ يَرِدْ فِي الشَّرْعِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا أَنَّ

أَصْحَابَهُ تَقَرَّبُوا إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِلُبْسِ الصُّوفِ، وَأَمَّا أَنْ تَلْبَسَ الصُّوفَ لِلْبَرْدِ أَوْ مَا أَشْبَهَ فَهَذَا شَأْنُكَ، أَمَّا لِلتَّعَبُّدِ فَهَذِهِ بِدْعَةٌ.. لِلتَّعَبُّدِ فَهَذِهِ بِدْعَةٌ!

كُلُّ عِبَادَةٍ وَرَدَتْ فِي الشَّرْعِ عَلَىٰ صِفَةٍ مُقَيَّدَةٍ، فَتَغْيِيرُ هَذِهِ الصِّفَةِ بِدْعَةٌ؛ يَعْنِي مَنْ أَرَادَ -مَثَلًا- أَنْ يُقَدِّمَ الْأُضْحِيَةَ فِي أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ، أَوْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي غَيْرِ مَسْجِدٍ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ لَا تُصِيبُ فِيهِ الِاتِّبَاعَ إِلَّا إِذَا جِئْتَ فِيهِ بِسِتَّةِ أُمُورٍ:

الْجِنْسُ -جِنْسُ الْعَمَلِ- أَنْ يَكُونَ مَشْرُوعًا، وَالسَّبَبُ -سَبَبُ الْعَمَلِ- أَنْ يَكُونَ مَشْرُوعًا، وَكَمُّهُ، وَكَيْفُهُ، وَزَمَانُهُ، وَمَكَانُهُ.

السَّبَبُ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ مَشْرُوعًا، وَكَذَلِكَ جِنْسُ الْعَمَلِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَشْرُوعًا.

يَعْنِي لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ فِي الْأَضْحَىٰ بِدِيكٍ -مَثَلًا- هَذَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِ مَا يُضَحَّىٰ بِهِ.

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْجِنْسُ مَشْرُوعًا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ مَشْرُوعًا، كَالَّذِينَ يُحْيُونَ -مَثَلًا- لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ.

وَأَنْ يَكُونَ مُقَيَّدًا بِالْكَمِّ، يَعْنِي لَا تُصَلِّي الظُّهْرَ ثَمَانِ رَكْعَاتٍ عِنْدَ نَشَاطِكَ -مَثَلًا- أَوْ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْحَرِّ مِنْ غَيْرِ سَفَرٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ تُقَيِّدَ: الْجِنْسَ، وَالسَّبَبَ، وَالْكَمَّ -الْمِقْدَارَ-، وَالْكَيْفَ.

فَمَنْ سَجَدَ قَبْلَ الرُّكُوعِ فَصَلَاتُهُ بَاطِلَةٌ، لَا بُدَّ مِنَ الْإِتْيَانِ بِالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ.

يَعْنِي لَوْ قَالُوا -مَثَلًا- كَمَا قَالَ بَعْضُ الزَّائِغِينَ قَالُوا: أَشْهُرُ الْحَجِّ مُحْتَمِلَةٌ لِوُقُوعِ الْحَجِّ فِيهَا، فِي هُوجَةٍ وَقَعَتْ قَدِيمًا مِنْ سَنَوَاتٍ، قَالُوا: الزِّحَامُ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ يُمْكِنُ أَنْ نَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ، فَقِيلَ: كَيْفَ؟!!

قَالُوا: نُقَسِّمُ هَؤُلَاءِ الْحُجَّاجَ أَقْسَامًا، يَحُجُّونَ عَلَىٰ ثَلَاثِ دُفْعَاتٍ!! وَيَقَعُ هَذَا الْحَجُّ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ!! أَهُوَ شَرْطٌ أَنْ يَقِفُوا بِعَرَفَةَ فِي يَوْمِ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؟!!

فَلْيَقِفُوا بِعَرَفَةَ فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنْ أَشْهُرِ الْحَجِّ!!

لَا أَدْرِي لِمَاذَا لَمْ يَقُولُوا: فَلْيَقِفُوا -مَثَلًا- عَلَىٰ هَضْبَةٍ فِي صَحْرَاءِ سَيْنَاءَ، أَوْ فِي الصَّحْرَاءِ الْغَرْبِيَّةِ، بَدَلًا مِنَ الْمَشَقَّةِ؟!!

فَأَهْلُ الْغَرْبِ يَحُجُّونَ فِي الصَّحْرَاءِ الْغَرْبِيَّةِ، وَأَهْلُ الشَّمَالِ، وَأَهْلُ مِصْرَ يَحُجُّونَ فِي سَيْنَاءَ، وَيَرْتَاحُ النَّاسُ!!

لَا بُدَّ مِنَ: الزَّمَانِ، وَالْمَكَانِ، وَالْكَمِّ، وَالْكَيْفِ، وَالْجِنْسِ، وَالسَّبَبِ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ مُتَّبِعًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَالْبِدَعُ تُقَسَّمُ أَقْسَامًا بِاعْتِبَارَاتٍ: مِنْهَا بِدْعَةٌ مُكَفِّرَةٌ، وَمِنْهَا بِدْعَةٌ مُفَسِّقَةٌ.

وَالتَّقْسِيمُ مُهِمٌّ -أَيْضًا- فِي مَعْرِفَتِهِ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذَا، حَتَّىٰ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُدَافِعَ عَنْ دِينِ جَلَّ وَعَلَا.

الْبِدَعُ مِنْهَا مَا هُوَ اعْتِقَادِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَمَلِيٌّ، وَالَّذِي رَكَّزَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ فِي الْمُصَنَّفَاتِ -كَالرَّدِّ عَلَىٰ الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَبِشْرٍ، وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْمُعَطِّلَةِ وَغَيْرِهِمْ- إِنَّمَا كَانُوا يَرُدُّونَ عَلَىٰ الْبِدَعِ الِاعْتِقَادِيَّةِ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْبِدْعَتَيْنِ -الْبِدْعَةِ الِاعْتِقَادِيَّةِ وَالْبِدْعَةِ الْعَمَلِيَّةِ-، وَالْخُصُومَةُ إِنَّمَا دَبَّتْ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالَّذِينَ ابْتَدَعُوا الْبِدَعَ الِاعْتِقَادِيَّةَ.

الَّذِينَ أَتَوْا بِبَعْضِ الْبِدَعِ الْعَمَلِيَّةِ أَمْرُهَا قَرِيبٌ، وَهِيَ بِدَعٌ -أَيْضًا- وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، وَلَكِنْ لَمَّا ظَهَرَ الْجَهْمِيَّةُ، وَظَهَرَ الْمُعْتَزِلَةُ، وَجَاءَ الْمُؤَوِّلَةُ، وَظَهَرَ الْخَوَارِجُ، وَظَهَرَ فِي مُقَابِلِهِمُ: الْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ ظَهَرَ نُفَاةُ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُعَطِّلَةِ، فَظَهَرَ فِي مُقَابِلِهِمُ الْمُجَسِّمَةُ وَالْمُشَبِّهَةُ.

هَؤُلَاءِ جَمِيعًا كَانَتْ بِدَعُهُمْ بِدَعًا اعْتِقَادِيَّةً، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ هَذَا التَّقْسِيمَ، وَوَرَاءَهُ أَقْسَامٌ كَثِيرَةٌ لِلْبِدَعِ، حَتَّىٰ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَفْهَمَ مَا يَقُولُونَ، وَنَفْهَمَ كَلَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَيْضًا مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُعَاصِرِينَ عِنْدَمَا يَرُدُّونَ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ.

إِذَا عَرَفْنَا هَذِهِ الْأُمُورَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْبِدَعِ فَهِمْنَا كَلَامَ عُلَمَائِنَا وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ.

فَلَا تَكُ بِدْعِيًّا؛ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ!

لَا مَجَالَ لِلزِّيَادَاتِ وَالْإِضَافَاتِ وَالِاسْتِحْسَانَاتِ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ؛ أَيْ: فِي دِينِ اللهِ.

وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُ فِي تَقْسِيمِ الْبِدْعَةِ: بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَبِدْعَةٌ سَيِّئَةٌ.

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ تَقْسِيمَاتِ الْبِدْعَةِ، وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَبِدْعَةٌ سَيِّئَةٌ.

وَيَأْتُونَ بِالْبِدَعِ الَّتِي يُرِيدُونَ تَمْرِيرَهَا وَتَمْشِيَتَهَا، وَيَقُولُونَ: بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ.. هَذِهِ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَهَذَا عَجِيبٌ!!

فَرَدَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِكَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

قَالَ: «كُلُّ: عِنْدَ الْمَنَاطِقَةِ سُورٌ كُلِّيٌّ عَامٌّ، أَقْوَىٰ أَلْفَاظِ الْعُمُومِ عِنْدَ الْمَنَاطِقَةِ «كُلُّ»».

«**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» قَالَ: لَمْ يَسْتَثْنِ الرَّسُولُ شَيْئًا؛ يَعْنِي الرَّسُولُ ﷺ يَا مَنْ تَقُولُونَ بِالْبِدْعَةِ الْحَسَنَةِ لَمْ يَقُلْ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ إِلَّا بِدْعَةَ كَذَا، وَبِدْعَةَ كَذَا، وَبِدْعَةَ كَذَا» هَلْ قَالَ الرَّسُولُ ذَلِكَ ﷺ؟!! إِنَّمَا قَالَ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، فَكُلُّ الْبِدَعِ ضَلَالَاتٌ، هَذَا كَلَامُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَالَّذِي يَقُولُ: إِنَّ مِنَ الْبِدَعِ بِدْعَةً حَسَنَةً كَأَنَّهُ يُكَذِّبُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وَكَذَلِكَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

فَلَا تُوجَدُ أَبَدًا بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ فِي دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالَّذِي يُلَبِّسُونَ عَلَيْكَ بِهِ، كَمَا قُلْتُ لَكَ يُسَمَّىٰ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِالْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَضُمُّ شَيْئًا آخَرَ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ أُصُولِ الِاسْتِدْلَالِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

يَقُولُ: الِاسْتِحْسَانُ وَلَهُ قَوَاعِدُهُ الَّتِي قَعَّدَهَا الْأُصُولِيُّونَ، وَأَخَذَ بِهَا مَنْ أَخَذَ مِنْ عُلَمَائِنَا -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ-، وَنَجْتَهِدُ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ؛ حَتَّىٰ نُوَفَّقَ لِاتِّبَاعِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالسُّنَّةُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْكِتَابُ.. الْقُرْآنُ لَا يَسْتَغْنِي عَنِ السُّنَّةِ، وَإِلَّا فَلَوْ قُلْتَ: أَنَا لَا آخُذُ إِلَّا بِالْقُرْآنِ، فَقُلْنَا لَكَ: كَيْفَ تُصَلِّي؟!!

فَقُلْتَ: أُصَلِّي!

نَقُولُ لَكَ: كَيْفَ تُصَلِّي كَمَا يَقُولُ الْقُرْآنُ؟ الْقُرْآنُ يَقُولُ: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ! أَيْنَ كَيْفِيَّةُ الصَّلَاةِ فِي كِتَابِ اللهِ؟

آتُوا الزَّكَاةَ: أَيْنَ هِيَ الْأَنْصِبَاءُ؟

وَأَيْنَ هِيَ الْأَمْوَالُ الزَّكَوِيَّةُ؟

وَأَيْنَ الْمَصَارِفُ؟ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي بَيَّنَتْهَا السُّنَّةُ.

وَكَذَلِكَ ﴿**فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا**﴾ [المائدة: ٣٨]؛ الْيَدُ تَصْدُقُ عَلَىٰ الطَّرَفِ الْعُلْوِيِّ مِنْ مَفْصِلِ الْكَتِفِ إِلَىٰ أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ، هَلْ نَقْطَعُ مِنْ مَفْصِلِ الْكَتِفِ؟ أَمْ مِنَ الْكُوعِ؟ أَمْ مِنَ الرُّسْغِ؟ مَنِ الَّذِي يُبَيِّنُ لَنَا؟!!

يُبَيِّنُ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَالنَّبِيُّ ﷺ هَا هُنَا يُقَيِّدُ هَذَا الْمُطْلَقَ ﴿**فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا**﴾.

فَالسُّنَّةُ تُقَيِّدُ الْمُطْلَقَ، وَتُخَصِّصُ الْعَامَّ، وَتُبَيِّنُ الْمُجْمَلَ، وَتُفَسِّرُ الْمُشْكِلَ.

السُّنَّةُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْكِتَابُ، وَمِنْهَا أَحْكَامٌ جَاءَتْ مُسْتَقِلَّةً، لَمْ تَرِدْ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَمَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْأَخْذِ بِهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ**﴾ [الحشر: ٧].

فَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لَنَا أَحْكَامًا لَمْ تَأْتِ فِي الْكِتَابِ، أَصْلُهَا فِي الْكِتَابِ كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الرِّسَالَةِ»، وَلَكِنْ لَيْسَتْ هِيَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَأَحْكَامٌ وَافَقَتِ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ، وَأَحْكَامٌ وَضَّحَتْ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُجْمَلَةِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ الْفَلَاحَ فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي دَلَّكَ عَلَيْهَا النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

تَمَسَّكْ بِكِتَابِ اللهِ، وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ، وَتَجَنَّبِ الْبِدَعَ، ثَلَاثَةُ أُمُورٍ؛ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ.

فَإِذَا أَرَدْتَ الْفَلَاحَ فَخُذْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ: تَمَسَّكْ بِكِتَابِ اللهِ، وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ، وَتَجَنَّبِ الْبِدَعَ؛ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ.

وَلَعَلَّهُ رَحِمَهُ اللهُ أَتَىٰ بِـ(لَعَلَّ) -كَمَا مَرَّ- بِالنَّظَرِ إِلَىٰ الْعَامِلِ؛ حَتَّىٰ لَا يَغْتَرَّ بِعَمَلِهِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا اغْتَرَّ بِعَمَلِهِ، فَوَقَعَ فِيمَا هُوَ شَرٌّ عَلَيْهِ، مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الشُّرُورِ.

إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِعَمَلٍ تَعْمَلُهُ!! بَلْ عُدَّ مَا عَمِلْتَ مَرْدُودًا عَلَيْكَ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

الرَّجُلُ يُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَصُومُ وَيَفْعَلُ الْخَيْرَ، وَيَخْشَىٰ أَلَّا يَقْبَلَ اللهُ مِنْهُ!!

لَوْ قَبِلَ اللهُ مِنَّا سَجْدَةً لَنَجَوْنَا.

لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَجْزِمَ بِقَبُولِ شَيْءٍ مِنْ طَاعَاتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وَلَكِنْ عَلَىٰ رَجَاءِ الْقَبُولِ نَطْمَعُ فِي رَحْمَتِهِ، نَرْجُوهُ، وَنَأْمُلُ مِنْهُ الْخَيْرَ، وَهُوَ لَهُ أَهْلٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أَمَّا أَنَّ عَمَلًا يَسْتَحِقُّ؟ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَسْتَحِقُّ، وَلَوْ حَاقَقَنَا لَعَذَّبَنَا عَلَىٰ أَعْمَالِنَا الَّتِي نَرْتَضِيهَا لِرَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِيهَا مِنَ التَّقْصِيرِ مَا فِيهَا.

مِنْ أَعْظَمِ مَا يُمَيِّزُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ: اعْتِصَامُ أَهْلِهَا بِكِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَبِسُنَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَعَ إِيمَانِهِمْ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ -كِتَابِ اللهِ-، وَفِي السُّنَّةِ -سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

بَعْد أَنْ ذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ مَصَادِرَ التَّلَقِّي، بَدَأَ الْآنَ يَتَكَلَّمُ عَمَّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

«وَدِنْ»؛ أَيْ: تَعَبَّدْ وَاهْتَدِ بِكِتَابِ اللهِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، حَلِّلْ حَلَالَهُ، حَرِّمْ حَرَامَهُ، اتَّبِعْ مُحْكَمَهُ، آمِنْ بِمُتَشَابِهِهِ، فَمَتَىٰ فَعَلْت ذَلِكَ كُنْتَ مُؤْمِنًا مُسْلِمًا.

«وَالسُّنَنِ الَّتِي»؛ أَيْ: كَمَا دِنْتَ بِكِتَابِ اللهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ شَرْعًا، فَكَذَلِكَ دِنْ بِالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

السُّنَنُ: جَمْعُ سُنَّةٍ.

وَالسُّنَّةُ فِي اللُّغَةِ لَهَا مَعَانٍ مِنْهَا: الطَّرِيقَةُ.

الْمَقْصُودُ هُنَا: عَلَيْكَ بِطَرِيقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ أَوْ وَصْفٍ أَوِ اعْتِقَادٍ، كَمَا مَرَّ أَنَّ السُّنَّةَ فِي لِسَانِ رَسُولِ اللهِ تَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، لَا عَلَىٰ حَسَبِ الِاصْطِلَاحِ الْحَادِثِ.

فَإِذَا قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**» أَيْ عَلَيْكُمْ بِالْعَقِيدَةِ الَّتِي عَلَّمْتُكُمُوهَا، وَعَلَيْكُمْ بِالْعِبَادَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْمُعَامَلَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، وَعَلَيْكُمْ بِالدِّينِ الَّذِي جِئْتُ بِهِ.

«**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**».. وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ.

لَا شَكَّ أَنَّ مَنْ يَعْمَلْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَلْتَزِمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُ يَنْجُو وَيَرْبَحُ!

«دِنْ بِكِتَابِ اللهِ»؛ دِنْ: فِعْلُ أَمْرٍ مِنْ: دَانَ يَدِينُ دِينًا؛ أَقِمْ دِينَكَ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، آمِنْ وَأَطِعْ وَامْتَثِلْ، مَا جَاءَ فِيهِمَا؛ تَصْدِيقُ الْأَخْبَارِ، وَفِعْلُ الْأَوَامِرِ، وَتَرْكُ النَّوَاهِي، وَكَذَلِكَ عَلَيْكَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَلْيَكُنْ دَيْدَنُكَ الْأَخْذَ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاحْذَرْ أَنْ تُخَالِفَ السُّنَّةَ؛ فَإِنَّ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ ابْتَدَعَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُبَيِّنًا السُّنَّةَ، وَأَنَّهَا الطَّرِيقَةُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -كَمَا فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ»-: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

آيَاتُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَكِتَابُهُ الْمُنَزَّلُ يَتَعَلَّقُ بِهَا عِلْمٌ يُقَالُ لَهُ: (أَسْبَابُ النُّزُولِ)، وَأَسْبَابُ النُّزُولِ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ، فَأَكْثَرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُقْتَضٍ لِذَلِكَ مِمَّا وَقَعَ فِي حَيَاةِ الصَّحَابَةِ وَالْمُجْتَمَعِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَهُنَاكَ آيَاتٌ نَزَلَتْ بِأَسْبَابٍ كَمَا فِي قِصَّةِ الْأَنْصَارِيِّ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فِي سَقْيِ الْأَرْضِ، وَوَقَعَ النِّزَاعُ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَلِمَةً كَبِيرَةً لِلنَّبِيِّ

ﷺ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَوْلَهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

وَكَذَلِكَ فِي قِصَّةِ الْمُجَادِلَةِ.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ.

الْعُلَمَاءُ بَيَّنُوا أَسْبَابَ النُّزُولِ.

السُّنَّةُ فِي مُقَابِلِ الْقُرْآنِ لَهَا أَسْبَابُ وُرُودٍ، فَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْآيَاتِ يُقَالُ لَهُ: أَسْبَابُ النُّزُولِ، مَا يَتَعَلَّقُ بِالسُّنَّةِ يُقَالُ لَهُ: أَسْبَابُ الْوُرُودِ.

فَتَقَعُ وَقَائِعُ، وَتَحْدُثُ أَحْدَاثٌ، وَيَقْضِي فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيُبَيِّنُ كَالْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا؛ لِأَنَّ الْمُبْتَدِعَةَ وَأَهْلَ الضَّلَالِ يُرِيدُونَ تَوْظِيفَ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ -وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ»- لِتَمْشِيَةِ مَا يَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَةِ وَالْمُبْتَدَعَةِ، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؟ هَذِهِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ!!

فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا هُوَ سَبَبُ وُرُودِ الْحَدِيثِ؟

قَوْمٌ مِنْ مُضَرَ جَاءُوا مُجْتَابِي النِّمَارِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مُنَقَّطَةٌ قَدْ قَوَّرُوهَا مِنْ وَسَطِهَا، وَأَدْخَلُوا رُؤُوسَهُمْ مِمَّا أَحْدَثُوهُ فِيهَا، وَأَسْدَلُوهَا عَلَىٰ أَجْسَادِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ وَالْجُوعِ، وَمَا يُعَانُونَ مِنَ الشَّغَفِ وَالشِّدَّةِ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

النَّبِيُّ ﷺ هُوَ أَرْحَمُ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ ﷺ، فَرَحِمَهُمْ، وَظَهَرَ الْأَسَىٰ وَالْحُزْنُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَدَعَا الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم إِلَىٰ التَّصَدُّقِ، جَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ صُرَّةٌ قَدْ حَمَلَهَا

بِيَدَيْهِ أَوْ بِإِحْدَىٰ يَدَيْهِ، وَظَلَّ سَائِرًا حَتَّىٰ جَاءَ أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَجِزَتْ يَدُهُ عَنْ حَمْلِهَا، كَلَّتْ يَدُهُ، وَضَعُفَتْ عَضَلَاتُهُ عَنْ حَمْلِهَا مِنْ ثِقَلِهَا، فَوَقَعَتْ بَيْن يَدَيْ رَسُولِ اللهِ، فَتَهَلَّلَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ وَاسْتَبْشَرَ -وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَبْشَرَ وَفَرِحَ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ الشَّمْسُ، أَوْ كَمِثْلِهِ الشَّمْسُ ﷺ- فَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَاسْتَنَارَ، وَقَالَ الْحَدِيثَ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً**».

مَا هِيَ السُّنَّةُ الْحَسَنَةُ الْآنَ عَلَىٰ حَسَبِ هَذَا الْوُرُودِ؟

أَنَّ هَذَا الصَّحَابِيَّ فَتَحَ الْبَابَ فِي الصَّدَقَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالصَّدَقَةِ، وَجَاءَ الْقَوْمُ بَعْدَهُ مُتَتَابِعِينَ أَرْسَالًا يَتَصَدَّقُونَ، كُلٌّ عَلَىٰ قَدْرِ مَا يَسَّرَ اللهُ لَهُ، وَلَكِنْ مَنِ الَّذِي بَدَأَ؟

هُوَ.

هَلْ بَدَأَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ؟!!

الصَّدَقَةُ مَوْجُودَةٌ قَبْلَ أَنْ يَتَصَدَّقَ، وَالْحَضُّ عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَذْكُورٌ فِي مَحَالِّهِ قَبْلَ أَنْ يَتَصَدَّقَ، بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ هُوَ بِمَا جَاءَ، وَأَنْ يَسُنَّ السُّنَّةَ الْحَسَنَةَ الَّتِي قَالَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.. النَّبِيُّ قَبْلَهَا دَعَا إِلَىٰ الصَّدَقَةِ، فَبَادَرَ هُوَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَصَدَّقَ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**».

أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا مُقَارِبًا: النَّاسُ مَضَتْ عَلَيْهِمْ قُرُونٌ لَا يَعْرِفُونَ -مَثَلًا- الْعَقِيقَةَ، أَوْ يَعْرِفُونَهَا نَظَرِيًّا وَلَا يُطَبِّقُونَهَا عَمَلِيًّا، لَوْ أَنَّكَ فِي قَرْيَتِكَ، فِي حَيِّكَ، فِي بَلَدِكَ وُلِدَ لَكَ مَوْلُودٌ، فَعَقَقْتَ عَنْهُ، وَبَيَّنْتَ لِلنَّاسِ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي فَعَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَدَعَا إِلَيْهِ وَأَقَرَّهُ، بِجَمِيعِ صُوَرِ السُّنَّةِ فَفَعَلَهُ، وَدَعَا إِلَيْهِ وَأَقَرَّهُ ﷺ.. لَوْ أَنَّكَ بَدَأْتَ أَنْتَ، وَلَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً قَبْلُ، فَلَكَ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ؛ لِأَنَّكَ سَنَنْتَ سُنَّةً حَسَنَةً فِي الْمَكَانِ، وَلَكِنْ هَلِ ابْتَدَعْتَهَا؟ هَلْ جِئْتَ بِهَا مِنْ كِيسِكَ؟ أَمْ هِيَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ وَفِعْلِهِ وَتَقْرِيرِهِ؟

هِيَ مِنَ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ.

عُمَرُ رضي الله عنه نَظَرَ نَظَرًا آخَرَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، أَوْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ.

النَّبِيُّ ﷺ كَانَ -كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»- صَلَّىٰ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ فَصَلَّىٰ بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ كَثُرَ النَّاسُ، فِي الثَّالِثَةِ كَثُرَ النَّاسُ، فِي الرَّابِعَةِ فَاضَ الْمَسْجِدُ فَلَمْ يَخْرُجْ!!

فَصَلَّىٰ بِهِمْ ثَلَاثَ لَيَالٍ صَلَاةَ الْقِيَامِ فِي رَمَضَانَ، فِي الرَّابِعَةِ لَمْ يَخْرُجْ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: «**قَدْ عَلِمْتُ بِخُرُوجِكُمْ.. عَلِمْتُ بِكُمْ** -يَعْنِي أَنَا عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُصَلُّوا مَعِي قِيَامَ اللَّيْلِ مِنْ رَمَضَانَ-، **فَأَنَا لَمْ أَخْرُجْ إِلَيْكُمْ عَامِدًا؛ لِأَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ**».

فَخَشِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِهِمْ؛ يَعْنِي الْآنَ يُوَفِّقُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ لِصَلَاةِ قِيَامِ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ.

كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يُصَلُّونَ، لَوْ كَانَتْ فَرْضًا لَأَثِمَ مَنْ لَمْ يُصَلِّ، وَلَكِنْ سَنَّهَا لَنَا رَسُولُ اللهِ، فَامْتَنَعَ عَنِ الْخُرُوجِ لِلصَّلَاةِ؛ خَشْيَةَ أَنْ تُفْرَضَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ؛ رَحْمَةً بِهِمْ ﷺ، ثُمَّ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، كَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ سَنَتَيْنِ وَشَهْرَيْنِ وَأَيَّامًا، فَكَانَتْ قَصِيرَةً، ارْتَدَّ فِيهَا مَنِ ارْتَدَّ، وَمَنَعَ الزَّكَاةَ مَنْ مَنَعَ، وَأَرَادَ أَنْ يُبَاشِرَ الْفُتُوحَ، فَوَقَعَ فِي عَصْرِهِ فُتُوحٌ عَظِيمَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَانْشَغَلَ، وَانْشَغَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ بِالْجِهَادِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ إِحْيَاءِ هَذِهِ السُّنَّةِ فِي الْمَسَاجِدِ، الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ يَخْرُجُونَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ قُبُورَ الصَّحَابَةِ مُنْتَشِرَةٌ فِي كُلِّ بِلَادِ الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، خَرَجُوا مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِسُيُوفِهِمْ وَبِأَلْسِنَتِهِمْ وَحُجَّتِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُقِيمُ مُعَلِّمًا وَمُقْرِئًا وَمُهَذِّبًا وَدَاعِيًا إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّىٰ يُدْفَنَ عِنْدَ أَسْوَارِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَلَمْ يَجِدْ فُرْصَةً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَلَا مَنْ مَعَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْتُوا بِهَذِهِ السُّنَّةِ فِي الْمَسْجِدِ جَمَاعَةً كَمَا فَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ أَوَّلًا، ثُمَّ كَفَّ خَشْيَةَ الْفَرْضِيَّةِ.

جَاءَ عُمَرُ.. فِي صَدْرٍ مِنْ خِلَافَتِهِ انْشَغَلَ بِالْفُتُوحِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي عَهْدِهِ دَخَلَ الْمَسْجِدَ لَيْلَةً فَوَجَدَ النَّاسَ أَوْزَاعًا مُتَفَرِّقِينَ يُصَلُّونَ

-يُصَلِّي الرَّجُلُ مَعَ الرَّجُلِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ بِالرَّجُلَيْنِ فَيَقُومُونَ اللَّيْلَ فِي رَمَضَانَ- قَالَ: «أَرَىٰ لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ إِمَامٍ وَاحِدٍ لَكَانَ حَسَنًا».

فَجَمَعَهُمْ عَلَىٰ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ ذَلِكَ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أُبَيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ- قَالَ: نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ!!

فَالْمُبْتَدِعَةُ يَأْخُذُونَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ يَقُولُونَ: عُمَرُ قَالَ: نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ!!

هَذَا أُسْلُوبُ مَدْحٍ، إِذَنْ مِنَ الْبِدَعِ مَا هُوَ حَسَنٌ وَمَمْدُوحٌ!!

فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا الَّذِي مَدَحَهُ؟

هُوَ يَقُولُ نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ... مَاذَا يَقْصِدُ؟

هَذِهِ بِدْعَةٌ لُغَوِيَّةٌ.

لِيش؟

لِأَنَّ النَّبِيَّ امْتَنَعَ عَنْهَا حَتَّىٰ مَاتَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَأْتِ بِهَا أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَأْتِ بِهَا عُمَرُ صَدْرَ خِلَافَتِهِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا بَعْدَ انْقِطَاعٍ، فَلَمَّا جَاءَ بِهَا بَعْدَ انْقِطَاعٍ سَمَّاهَا بِدْعَةً؛ لِهَذَا الِانْقِطَاعِ الَّذِي وَقَعَ بَعْدَهَا مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ لَا مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ، لِأَنَّهَا كَيْفَ تَكُونُ بِدْعَةً شَرْعًا وَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي بَدَأَهَا؟!!

وَهُنَا تَأْتِي الْقَاعِدَةُ الَّتِي مَرَّتْ فِي السُّنَّةِ التَّرْكِيَّةِ.

إِذَا وُجِدَ الْمُقْتَضِي لِلشَّيْءِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَتَرْكُهُ سُنَّةٌ وَفِعْلُهُ بِدْعَةٌ.

طَبَّقَ هَذَا عَلَىٰ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وُجِدَ الْمُقْتَضِي لِلشَّيْءِ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَىٰ إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ فِي الْمَسْجِدِ.

الْمُقْتَضِي مَوْجُودٌ، وَلَكِنَّ الْمَانِعَ مَوْجُودٌ أَيْضًا، وَهُوَ خَشْيَةُ الْفَرْضِيَّةِ.

فَلَمَّا انْتَفَىٰ الْمَانِعُ بِمَوْتِ رَسُولِ اللهِ -لِأَنَّهُ لَا فَرْضَ بَعْدَ الرَّسُولِ-، فَلَمَّا انْتَفَىٰ الْمَانِعُ بِمَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ رَجَعَ عُمَرُ إِلَىٰ الْأَصْلِ.

فَهَلْ رَجَعَ إِلَىٰ السُّنَّةِ أَمْ رَجَعَ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ؟!!

رَجَعَ إِلَىٰ السُّنَّةِ.

وَلَكِنْ لِأَنَّ عُمَرَ.. عُمَرُ كَمَا النُّقَّادُ الْأَدَبِيُّونَ: أَكْبَرُ نَاقِدٍ أَدَبِيٍّ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ!

قَدْ تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا!!

كَانَ عُمَرُ مُمَيِّزًا بَيْنَ جَيِّدِ الشِّعْرِ وَرَدِيئِهِ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُمَيِّزًا لِحَسَنِ الْكَلَامِ مِنْ قَبِيحِهِ، وَكَلَامُهُ مَعَ وَلَدِ زُهَيْرٍ -كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ- بِشَأْنِ مَا كَانَ مِنْ مَمَادِحِ زُهَيْرٍ لِمَنْ مَدَحَهُ، قَالَ: مَاذَا أَعْطَوْا أَبَاكَ؟

فَقَالَ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: وَمَا صَنَعَ؟

قَالَ: فَنِيَ مَا أَعْطَوْهُ.

قَالَ: وَلَكِنَّ مَا أَعْطَاهُمْ أَبُوكَ لَا يَفْنَىٰ.

وَكَانَ يُقَدِّمُ زُهَيْرًا مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوْلِيَّاتِ -كَمَا تَعْلَمُونَ-، وَلَكِنْ لِأَنَّ عُمَرَ كَانَ حَكِيمًا مُتَرَيِّثًا، وَكَانَ يَحْتَرِمُ الْكَلَامَ الْجَادَّ الَّذِي لَا هَزْلَ فِيهِ وَلَا سَفَهَ، فَكَانَ يُقَدِّمُ زُهَيْرًا وَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُعَاظِلُ بَيْنَ الْكَلَامِ، وَهَذَا مُصْطَلَحٌ عِنْد النُّقَّادِ الْأَدَبِيِّينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ وَقَبْلَهُ، فَعُمَرُ ﵁ يَقُولُ بِسَلِيقَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ ﵁: «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ».

وَهُوَ يُكَلِّمُ أَقْوَامًا يَفْهَمُونَهُ، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ أَمَاكِنِهَا ... وَلَا عَلَيَّ أَلَّا يَفْهَمَ الْبَقَرُ

يَعْنِي إِذَا جَاءَ نَاسٌ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَفْهَمُونَ مَا ذَنْبِي أَنَا؟!!

يَعْنِي إِذَا كُنْتُ قُلْتُ كَلَامًا مُسْتَقِيمًا؛ ثُمَّ أَنْشَأَ اللهُ بِحِكْمَتِهِ أَقْوَامًا لَا يَفْهَمُونَ فَنَظَرُوا فِي الْكَلَامِ فَلَمْ يَفْهَمُوهُ، أَوْ حَمَلُوهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَحَامِلِهِ، وَنَزَّلُوهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَنَازِلِهِ مَا ذَنْبِي أَنَا؟!!

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ أَمَاكِنِهَا ... وَلَا عَلَيَّ أَلَّا يَفْهَمَ الْبَقَرُ

وَهَلْ يَفْهَمُ الْبَقَرُ؟!!

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

ﷺ.

أُصُولُ الِاسْتِدْلَالِ عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ مِنْهَا مَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ:

* **الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ**: هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقَعْ فِيهِ خِلَافٌ قَطُّ.

* **الْأَصْلُ الثَّالِثُ: الْإِجْمَاعُ**، وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ فِي الْقِصَّةِ الْمَشْهُورَةِ ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

وَكَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتِي عَلَىٰ ضَلَالَةٍ**».

الرَّابِعُ: الْقِيَاسُ، وَهُوَ إِلْحَاقُ الْفَرْعِ بِالْأَصْلِ فِي الْحُكْمِ لِعِلَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ بِقِيَاسِ الْعِلَّةِ.

قَالَ بِهِ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَنْكَرَهُ الظَّاهِرِيَّةُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي الْخِلَافِ الْمَشْهُورِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ.

فَالَّذِي عِنْدَنَا كَمَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ إِلَّا طَوَائِفُ شَاذَّةٌ كَالْقُرْآنِيِّينَ وَأَمْثَالِهِمْ وَهَؤُلَاءِ لَا يُذْكَرُونَ عِنْدَ الْخِلَافِ أَصْلًا؛ يَعْنِي عِنْدَ عَدِّ الْخِلَافِ هَؤُلَاءِ لَا يُذْكَرُونَ.

فَعِنْدَ جَمَاهِيرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ هُمَا -يَقُولُ الْعُلَمَاءُ-: هُمَا مَصْدَرُ التَّشْرِيعِ، بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: هُمَا مَصْدَرَا التَّشْرِيعِ، مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَنْ لَا يَجْعَلُهُمَا إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا فَيَقُولُ: هُمَا -يَعْنِي الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ- مَصْدَرُ التَّشْرِيعِ.

وَأَمَّا مَنْ دُونَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُلُّنَا رَادٌّ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ، كَمَا قَالَ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ.

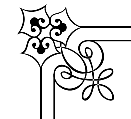
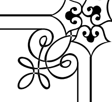
فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ الَّتِي سَاقَهَا إِلَيْكَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ -رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ-.

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

وَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَنَا جَمِيعًا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

◉◉◉



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْأَدِلَّةُ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَةِ الْكَلَامِ للهِ تَعَالَى

فَقَدْ قَالَ الْعَلَّامَةُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنْظُومَتِهِ الْحَائِيَّةِ:

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ ... فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

وَلَعَلَّ النَّاظِمَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَدَأَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ -صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا- قَبْلَ غَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ بِمُنَاسَبَةِ السِّيَاقِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ بَدَأَ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ بِذِكْرِ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ وُجُوبَ التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ بَدَأَ بِذِكْرِ أَبْيَاتٍ فِيهَا ذِكْرُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَالرَّدِّ عَلَى الَّذِينَ خَالَفُوا الْحَقَّ وَبَايَنُوهُ، وَجَانَبُوا مُعْتَقَدَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيهِ.

فَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِيهَا بَيَانٌ مُوجَزٌ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَفِيهَا رَدٌّ عَلَى أَصْنَافٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَهُمْ طَوَائِفُ عَدِيدَةٌ أَشَارَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى بَعْضِهِمْ، فَبَدَأَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِقَوْلِهِ:

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... .

الْخِطَابُ لِصَاحِبِ السُّنَّةِ، الْمُتَمَسِّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

«**قُلْ**» مُعْتَقِدًا مُؤْمِنًا بِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِ وَلَا مُتَرَدِّدٍ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ إِذَا أُطْلِقَ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ قَوْلَ الْقَلْبِ وَقَوْلَ اللِّسَانِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]؛ أَيْ: قُولُوا ذَلِكَ بِقُلُوبِكُمْ إِيمَانًا وَاعْتِقَادًا، وَبِأَلْسِنَتِكُمْ نُطْقًا وَتَلَفُّظًا.

فَبَيَّنَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَقَالَ: «**وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا**»: اعْتَقِدْ بِقَلْبِكَ نَاطِقًا بِلِسَانِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَقَدْ جَاءَتِ الْأَدِلَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ١٥].

مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ:

* قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالْقُرْآنُ مِنْ أَمْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْقُرْآنِ: أَمَخْلُوقٌ هُوَ؟

فَقَالَ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ فَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ؟! فَالْأَمْرُ كَلَامُهُ فَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَمْ يُفَرِّقْ. رَوَاهُ الْآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ»، وَالطَّبَرِيُّ فِي «السُّنَّةِ».

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ:

* قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

* وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ

ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَكَانَ لَهُ قَدْرٌ، وَكَانَتْ لَهُ عِنَايَةٌ، وَلَنَفَذَ كَنَفَاذِ الْمَخْلُوقِينَ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ:

* قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -نَقْلًا عَنِ الْخَطَّابِيِّ-: «كَانَ أَحْمَدُ يَسْتَدِلُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَيَحْتَجُّ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَسْتَعِيذُ بِمَخْلُوقٍ».

●●●

مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْوَاسِطِيَّةِ»: وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ، الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً لَا كَلَامُ غَيْرِهِ؛ فَقَوْلُهُ مِنْهُ بَدَأَ، أَيْ: أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ ابْتِدَاءً، وَلَمْ يَبْتَدِئْ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ إِنَّهُ بَدَأَ مِنْ جِبْرِيلَ أَوْ مِنَ اللَّوْحِ أَوْ مِنَ الْهَوَاءِ، إِنَّمَا بِدَايَتُهُ مِنَ اللهِ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ، وَبَلَّغَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَحْيًا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَلَّغَهُ لِلنَّاسِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢].

وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «وَإِلَيْهِ يَعُودُ»، أَيْ: يَعُودُ إِلَيْهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**وَلَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**».

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، وَهُوَ صَحِيحٌ، ذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»، وَالْوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» فِي مُسْنَدِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقِيلَ: يَعُودُ إِلَىٰ اللهِ وَصْفًا، أَيْ: أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِهِ أَحَدٌ سِوَىٰ اللهِ، فَيَكُونُ الْمُتَكَلِّمُ اللهَ، وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِهِ، وَقَدْ سَاقَ اللَّالَكَائِيُّ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ﷻ غَيْرُ مَخْلُوقٍ عَنْ خَمْسِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ نَفْسًا.

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: هَؤُلَاءِ خَمْسُمِئَةٍ وَخَمْسُونَ نَفْسًا أَوْ أَكْثَرُ مِنَ التَّابِعِينَ، وَأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمَرْضِيِّنَ، سِوَىٰ الصَّحَابَةِ الْخَيِّرِينَ عَلَىٰ اخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ، وَمُضِيِّ السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ، وَفِيهِمْ نَحْوٌ مِنْ مِائَةِ إِمَامٍ مِمَّنْ أَخَذَ النَّاسُ بِقَوْلِهِمْ، وَتَدَيَّنُوا بِمَذَاهِبِهِمْ، وَلَوِ اشْتَغَلْتُ بِنَقْلِ قَوْلِ الْمُحَدِّثِينَ لَبَلَغَتْ أَسْمَاؤُهُمْ أُلُوفًا كَثِيرَةً.

«**بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا**»: بِهَذَا الْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ الْحَقِّ مِنْ كَلَامِ اللهِ ﷻ دَانُوا وَاعْتَقَدُوا وَآمَنُوا، فَهَذِهِ هِيَ عَقِيدَةُ الْأَتْقِيَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَأَفْصَحُوا؛ أَيْ: صَرَّحُوا بِهَذَا.

فَمِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، أَنَّهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً تَكَلَّمَ اللهُ ﷻ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَوْحَاهُ إِلَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللهِ ﷻ، وَنَزَلَ بِهِ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَىٰ الْأُمَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ: تَكَلَّمَ بِهِ، وَنَزَلَ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: جِبْرِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالْوَحْيِ.

﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾: هَذَا خِطَابٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ تَلَقَّاهُ عَنْ جِبْرِيلَ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾: لُغَةُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَهِيَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]: يَعْنِي جِبْرِيلَ عليه السلام.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠]: وَهُوَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا،

﴿مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]: يَعْنِي جِبْرِيلَ عليه السلام، أَعْطَاهُ اللهُ قُوَّةً، وَأَعْطَاهُ اللهُ مَكَانَةً، وَقُرْبًا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا.

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ [التكوير: ٢١]: تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]: أَمِينٍ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ عز وجل.

هَذِهِ هِيَ أَوْصَافُ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَهُوَ أَمِينٌ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَزِيدُ فِيهِ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يُبَلِّغُهُ كَمَا تَحَمَّلَهُ عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ [التكوير: ٢٢]: يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]: كَمَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، نَفَىٰ عَنْهُ الْجُنُونَ.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ [التكوير: ٢٣]؛ أَيْ: رَأَىٰ جِبْرِيلَ عليه السلام عَلَىٰ صُورَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ، رَآهُ فَوْقَهُ بِبَطْحَاءِ مَكَّةَ.

﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] يَعْنِي: عَنَانَ السَّمَاءِ، رَآهُ رُؤْيَةَ عِيَانٍ.

ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؛ أَيْ: رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ.

فَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ رَأَىٰ جِبْرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً فِي مَكَّةَ، وَمَرَّةً فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ يَأْتِي إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ يَرَوْنَهُ رَجُلًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَتَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ.

فَهَذَا تَوْثِيقٌ لِسَنَدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَنَّهُ تَلَقَّتْهُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ جِبْرِيلَ، عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا، فَهُوَ كَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَأَمَّا إِضَافَتُهُ إِلَىٰ الْمَلَكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩].

وَأَمَّا إِضَافَتُهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، فَهِيَ إِضَافَةُ تَبْلِيغٍ؛ فَمُحَمَّدٌ ﷺ وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كِلَاهُمَا مُتَحَمِّلٌ وَمُبَلِّغٌ لِكَلَامِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالْكَلَامُ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ ثَلَاثَةٍ، فَاللهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَامُهُ، وَأَضَافَهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ، وَإِلَىٰ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ التَّبْلِيغِ فَحَسْبُ.

وَهُوَ كَلَامُ اللهِ ابْتِدَاءً، وَهُوَ كَلَامُ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ ﷺ تَبْلِيغًا عَنِ اللهِ ﷻ؛ لَا يَشُكُّ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ.

مُنَزَّلٌ غيرُ مَخْلُوقٍ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النساء: ١٠٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وَاللهُ تَعَالَىٰ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَلامُهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، فَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَلامُهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ.

أَمَّا الْأَشَاعِرَةُ: فَيَقُولُونَ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّ جِبْرِيلَ أَخَذَهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَنَزَلَ بِهِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَجِبْرِيلُ لَمْ يَأْخُذْهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ عَنِ اللهِ ﷻ، نَعَمْ، هُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]؛ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ بِلَا شَكٍّ، وَلَكِنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يَأْخُذْهُ عَنِ اللَّوْحِ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَيَنْبَغِي مَعْرِفَةُ هَذَا؛ لِأَنَّ هَذَا مَذْكُورٌ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِمُ الْعُلَمَاءُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ، وَمِنْهَا جَوَابُ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي فَتْوَاهُ الَّتِي سَمَّاهَا: «الْجَوَابُ الْوَاضِحُ الْمُسْتَقِيمُ فِي كَيْفِيَّةِ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»، رَدَّ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ وَأَبْطَلَهُ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ

وَسِيلَةٌ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ خَلَقَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَمَا تَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ، فَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ وَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ.

وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ كَمَا أَنَّهُ يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُدَبِّرُ وَيَشَاءُ وَيُرِيدُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ كَلَامًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ، يَتَكَلَّمُ مَتَىٰ شَاءَ، بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ، وَكَلَامُ رَبِّنَا قَدِيمُ النَّوْعِ حَادِثُ الْآحَادِ.

كَلَامُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا قَدِيمُ النَّوْعِ، حَادِثُ الْآحَادِ؛ بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ، يَتَكَلَّمُ بِالْقُرْآنِ وَقْتَ نُزُولِهِ، وَيُكَلِّمُ جِبْرِيلَ، وَكَلَّمَ مُوسَىٰ، وَكَلَّمَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَلَّمَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَتَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيُحَاسِبُ النَّاسَ، وَيُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ وَيُكَلِّمُونَهُ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ قَدِيمِ النَّوْعِ لَا بِدَايَةَ لَهُ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ، حَادِثِ الْآحَادِ.

وَسَائِرُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ كُلُّهَا كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْهَا الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُهَا، الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ مُهَيمِنًا عَلَيْهَا، فَهُوَ كَلَامُهُ جَلَّ وَعَلَا حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، مُنَزَّلٌ مِنْهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَيُصَرِّحُونَ بِهِ.

وَالْمُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَكٌّ فِي هَذَا الْمُعْتَقَدِ، وَإِنَّمَا لَمَّا ظَهَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، وَقَالُوا: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَكَذَلِكَ لَمَّا ظَهَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ، رَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَبَيَّنُوا أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ إِبْطَالًا لِقَوْلِهِمْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ لَا يَتَكَلَّمُ، وَالَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ

لَا يَكُونُ إِلَهًا، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مُحْتَجًّا عَلَىٰ أَبِيهِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]، فَالَّذِي لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ جَمَادٌ.

وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]. لَا يُكَلِّمُهُمْ؛ لِأَنَّهُ جَمَادٌ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي لَا يَتكَلَّمُ لَيْسَ بِإِلَهٍ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ [طه: ٨٨-٨٩]؛ أَيْ: لَا يُكَلِّمُهُمْ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَ«أَنْ» هَذِهِ لَيْسَتِ الْمَصْدَرِيَّةَ، بَلْ هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَالْأَصْلُ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ، وَلِذَلِكَ قَالُوا الْفِعْلَ مَرْفُوعًا بَعْدَهَا، وَعَلَيْهِ فَالَّذِي لَا يَتكَلَّمُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا لَا يَتكَلَّمُ.

وَالْحَاصِلُ:

أَنَّ الَّذِي لَا يَتكَلَّمُ لَا يَصْلُحُ لِلرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ نَاقِصٌ، كَيْفَ يَأْمُرُ؟! وَكَيْفَ يَنْهَىٰ؟! وَكَيْفَ يُدَبِّرُ؟! وَهُوَ لَا يَتكَلَّمُ هَذَا تَعْجِيزٌ لِلَّهِ عز وجل، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ [لقمان: ٢٧]. فَكَلِمَاتُ اللهِ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا، وَيَنْهَىٰ وَيُدَبِّرُ دَائِمًا وَأَبَدًا لَا تُحْصَىٰ، وَلَا تَكْتُبُهَا الْبِحَارُ، وَلَا أَقْلَامُ الدُّنْيَا جَمِيعًا.

وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقٌ، فَهَذَا فِيهِ وَصْفُ اللهِ بِالْعَجْزِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَىٰ، وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِكَلَامِ اللهِ مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ مِنْ أُصُولِ الْأَدِلَّةِ؛ فَإِذَا كَانَ لَيْسَ كَلَامَ اللهِ فَكَيْفَ يُسْتَدَلُّ بِهِ؟!

هَذِهِ دَسِيسَةٌ يَهُودِيَّةٌ؛ لِأَنَّ أَصْلَ مَذْهَبِ الْجَهْمِيَّةِ مَأْخُوذٌ عَنِ الْيَهُودِ، كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الرِّسَالَةِ الْحَمَوِيَّةِ» أَنَّهُ مَأْخُوذٌ عَنِ الْيَهُودِ، وَلَيْسَ هَذَا بِغَرِيبٍ عَلَىٰ الْيَهُودِ -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهِ- الَّذِينَ حَرَّفُوا كَلَامَ اللهِ وَبَدَّلُوهُ وَغَيَّرُوهُ! فَهَذِهِ دَسِيسَةٌ مِنَ الْيَهُودِ؛ لِيُبْطِلُوا الْقُرْآنَ الَّذِي بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، فَهَذَا مَذْهَبٌ خَبِيثٌ، لِهَذَا انْبَرَىٰ الْأَئِمَّةُ إِلَىٰ رَدِّهِ وَإِبْطَالِهِ، وَبَيَانِ أَنَّهُ زَيْفٌ مَدْسُوسٌ.

أَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مَسْأَلَةَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ لَا تَحْتَاجُ إِلَىٰ هَذَا الِاهْتِمَامِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُتَحَذْلِقِينَ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُعَاصِرِينَ، وَمِمَّنْ يَتَسَمَّىٰ بِالْعِلْمِ، فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَهَذَا تَهْوِينٌ مِنْ شَأْنِ مَسْأَلَةٍ خَطِيرَةٍ لَا يَنْبَغِي التَّسَاهُلُ فِيهَا، فَلَيْسَ هِيَ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ، وَهَذَا الْكَلَامُ تَسْفِيهٌ لِلْأَئِمَّةِ الَّذِينَ اهْتَمُّوا بِرَدِّهَا، وَعُذِّبَ مَنْ عُذِّبَ بِسَبَبِهَا كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي رَدِّهَا، ثُمَّ يَأْتِي مَنْ يَقُولُ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَافِهَةٌ، وَلَا تَتَحَمَّلُ كُلَّ هَذَا!!

فَهَذَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا لَا يَدْرِي شَيْئًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَجَاهِلًا مُبْطِلًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُرَدَّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: النَّاسُ أَحْرَارٌ، لَا تُحَجِّرُوا عَلَيْهِمْ حُرِّيَّةَ الْقَوْلِ، وَحُرِّيَّةَ

الْكَلِمَةِ، وَحُرِّيَّةَ الرَّأْيِ! يَعْنِي: لَا تَرُدُّوا الْبَاطِلَ، وَلَا تُبَيِّنُوا الْحَقَّ، كُلٌّ لَهُ كَلَامُهُ، وَكُلٌّ لَهُ قَوْلُهُ، فَعَلَىٰ هَذَا تَكُونُ الدُّنْيَا فَوْضَىٰ!

فَيَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لِهَذِهِ الدَّسَائِسِ، وَهَذِهِ الشُّرُورِ الَّتِي تُحَاكُ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَهُ أَنَّ مَسْأَلَةَ خَلْقِ الْقُرْآنِ إِنَّمَا كَانَتْ لَافِتَةً لِمَا وَرَاءَهَا مِنَ الْمُعْتَقَدِ الْخَبِيثِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، فَالْمَسْأَلَةُ لَمْ تَكُنْ مَقْصُورَةً عَلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَإِنَّمَا نَفَوْا عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَلَكِنَّ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ النِّزَاعُ وَانْتَشَرَ وَفَشَا، وَعُذِّبَ فِيهِ مَنْ عُذِّبَ، وَضُرِبَ فِيهِ مَنْ ضُرِبَ، وَسُجِنَ فِيهِ مَنْ سُجِنَ، وَقُتِلَ فِيهِ مَنْ قُتِلَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا هِيَ لَافِتَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ مَا وَرَاءَهَا مِنْ هَذَا الْمُعْتَقَدِ الْخَبِيثِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

«**وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ**»: هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ.

«**كَلَامُ مَلِيكِنَا**»: الْمَلِيكُ هُوَ الْمَلِكُ، وَاللهُ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ الْمَلِكُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الملك: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران: ٢٦]. فَاللهُ مَالِكُ الْمُلْكِ.

وَأَمَّا الْمُلُوكُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَإِنَّ مُلْكَهُمْ عَارِيَةٌ يُؤْتِيهَا اللهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، ثُمَّ

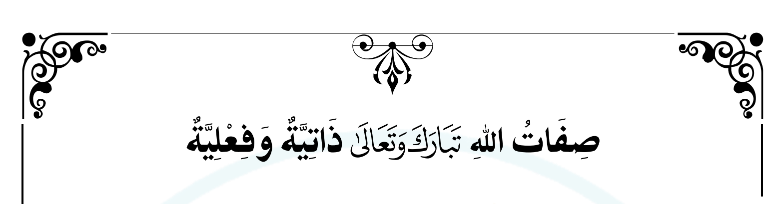
يَنْزِعُهَا مِنْهُمْ، وَيُعْطِيهَا لِلْآخَرِ فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّدَاوُلِ، أَمَّا الْمُلْكُ الثَّابِتُ الدَّائِمُ الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ فَهُوَ مُلْكُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَحِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقُولُ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فَلَا أَحَدَ يُجِيبُ، وَلَا أَحَدَ يَتَكَلَّمُ، فَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ دَعْوَىٰ لَقَالَ: الْمُلْكُ لِي، ثُمَّ يُجِيبُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَفْسَهُ فَيَقُولُ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. وَلَا أَحَدَ يُعَارِضُ فِي هَذَا، فَالْمُلْكُ لِلَّهِ ﷻ، وَإِنَّمَا يَهَبُ مَنْ يَشَاءُ شَيْئًا مِنَ الْمُلْكِ مُدَّةً مُحَدَّدَةً، ثُمَّ إِمَّا أَنْ يَمُوتَ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ الْمُلْكُ، وَيُنْزَعَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ.

قَوْلُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**بِذَلِكَ**»: أَيْ بِأَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

«**دَانَ الْأَتْقِيَاءُ**»: أَيِ اعْتَقَدَ الْأَتْقِيَاءُ مِنَ الْأَئِمَّةِ هَذَا الْقَوْلَ.

«**وَأَفْصَحُوا**»: أَظْهَرُوهُ لِلنَّاسِ، وَقَالُوا الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، لَمْ يَسْكُتُوا، وَيَقُولُوا هَذِهِ آرَاءٌ، وَلَمْ يَتْرُكُوا النَّاسَ يَقُولُونَ بِحُرِّيَّةِ الرَّأْيِ، وَحُرِّيَّةِ الْكَلِمَةِ، بَلْ أَفْصَحُوا غَايَةَ الْإِفْصَاحِ، وَنَاظَرُوا وَجَادَلُوا وَأَلَّفُوا وَكَتَبُوا فِي رَدِّ هَذَا الْقَوْلِ؛ لِخُطُورَتِهِ وَشَنَاعَتِهِ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ تَنَقُّصٍ لِلَّهِ ﷻ، فَلَا يَسَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ أَنْ يَسْكُتُوا عَنْ هَذَا الْقَوْلِ، أَوْ أَنْ يَتَسَاهَلُوا فِيهِ.

●●●



صِفَاتُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَاتِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ

صِفَاتُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَاتِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ.

الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِهَا دَائِمًا وَأَبَدًا.

الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي لَا تَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ، وَلَا تَنْفَكُّ عَنْهَا الذَّاتُ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ رَبُّنَا مَوْصُوفًا بِهَا أَزَلًا وَأَبَدًا.

وَالصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ: هِيَ الَّتِي تَتْبَعُ الْمَشِيئَةَ، فَإِذَا شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَعَلَهَا، وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَفْعَلْهَا.

فَصِفَاتُ الْفِعْلِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، كَنُزُولِ رَبِّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَمَجِيئِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ.

بَعْضُ صِفَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَكُونُ ذَاتِيَّةً بِاعْتِبَارٍ، وَتَكُونُ فِعْلِيَّةً بِاعْتِبَارٍ آخَرَ، فَتَكُونُ الصِّفَةُ ذَاتِيَّةً فِعْلِيَّةً، فَأَمَّا أَصْلُ الصِّفَةِ، فَإِنَّ الذَّاتَ مَوْصُوفَةٌ بِتِلْكَ الصِّفَةِ لَا تَنْفَكُّ عَنْهَا أَزَلًا وَأَبَدًا.

فَاللهُ مَوْصُوفٌ بِصِفَةِ الْكَلَامِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْوَحْيِ، أَوْ تَكَلَّمَ بِالْأَمْرِ فَهَذِهِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ، فَتَكُونُ فِعْلِيَّةً؛ لِأَنَّهَا عَلَىٰ حَسَبِ الْمَشِيئَةِ، وَأَمَّا عَلَىٰ

حَسَبِ وَصْفِ الذَّاتِ بِهَا فَهِيَ ذَاتِيَّةٌ، صِفَةُ الْكَلَامِ ذَاتِيَّةٌ بِاعْتِبَارٍ، وَفِعْلِيَّةٌ بِاعْتِبَارٍ آخَرَ، كَلَامُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدِيمُ النَّوْعِ حَادِثُ الْآحَادِ.

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

الْمَلِيكُ: مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ، وَثَبَتَ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]، وَفِي السُّنَّةِ: «**رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ**».

فَالْمَلِيكُ: بِمَعْنَىٰ الْمَلِكِ وَالْمَالِكِ، وَهُوَ مِنْ صِيَغِ الْمُبَالَغَةِ (فَعِيلٌ)، **قَالَ الْحَلِيمِيُّ**: «وَأَمَّا مُلْكُ الْبَارِي -عَزَّ اسْمُهُ- فَهُوَ الَّذِي لَا يُتَوَهَّمُ مُلْكٌ يُدَانِيهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَفُوقَهُ».

وَالْمَلِيكُ: هُوَ الْمَالِكُ، وَبِنَاءُ (فَعِيلٍ) لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْوَصْفِ، وَيَكُونُ الْمَلِيكُ بِمَعْنَىٰ الْمَلِكِ.

«**كَلَامُ مَلِيكِنَا**»: كَلَامُ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا، الْمَلِيكُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ، وَثَبَتَ بِالسُّنَّةِ.

فَالْبَيْتُ مَعْنَاهُ: مِنَ الْإِيمَانِ بِكِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مُنَزَّلٌ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، فَهَذَا مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ بَعْضِهَا.

وَالْقُرْآنُ صِفَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مِنْ صِفَاتِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، لَا يَدْخُلُ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ الْكَلَامَ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

«**وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا**»: تَحْذِيرٌ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ الطَّائِفَةِ الَّتِي تُسَمَّىٰ الْوَاقِفَةَ، وَعَقِيدَةُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ هِيَ قَوْلُهُمْ: «لَا نَقُولُ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، بَلْ يَجِبُ التَّوَقُّفُ فِيهِ».

وَهَذَا التَّوَقُّفُ الصَّادِرُ مِنْهُمْ دَلِيلٌ عَلَىٰ قِلَّةِ فَهْمِهِمْ، وَعَدَمِ الْعِنَايَةِ مِنْهُمْ بِهَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ بَابُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُمْ قَصَّرُوا، وَهُمْ غَيْرُ مَعْذُورِينَ؛ لِأَنَّ السَّلَفَ -رَحِمَهُمُ اللهُ- فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ أَقَامُوا الْحُجَجَ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ لَا سِيَّمَا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَمَا بَقِيَتْ حُجَّةٌ لِأَحَدٍ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا عَلِمْتَ فَإِنَّ الْوَاقِفَةَ مِنْ طَوَائِفِ الْبِدَعِ الْهَالِكَةِ؛ لِقَوْلِهِمْ: «لَا نَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ وَلَا نَقُولُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، وَقَدْ ذَمَّهُمُ السَّلَفُ، وَاعْتَبَرُوا قَوْلَهُمْ هَذَا قَوْلًا فَاسِدًا، فَهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ وَلَا شَكَّ.

«**وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا**»: تَقُولُ: لَا هُوَ مَخْلُوقٌ وَلَا هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَا أَتَوَقَّفُ فِي هَذَا.

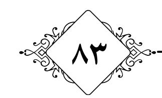
«**كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا**»: الْجَهْمُ: هُوَ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ -عَلَيْهِ مِنَ اللهِ مَا يَسْتَحِقُّ-.

«**وَأَسْجَحُوا**»، أَيْ: أَلْقَوْهُ رَقِيقًا. لِلْمُفْرَدَةِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ دَلَّ عَلَيْهَا اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ الشَّرِيفُ.

وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ ... فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «**وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ**»: هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ قَالُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ -كَمَا مَرَّ-، وَهُوَ رَدٌّ أَيْضًا عَلَىٰ الْأَشَاعِرَةِ وَالْكُلَّابِيَّةِ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا: كَلَامُ اللهِ مَعْنًىٰ مِنَ الْمَعَانِي، قَائِمٌ بِالنَّفْسِ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا عِبَارَةٌ أَوْ حِكَايَةٌ عَنْ ذَلِكُمُ الْمَعْنَىٰ الْقَائِمِ بِالنَّفْسِ، وَهَذَا مُعْتَقَدٌ فَاسِدٌ، وَقَوْلٌ بَاطِلٌ تَرُدُّهُ وَتُبَيِّنُ فَسَادَهُ وَبُطْلَانَهُ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا مَرَّ ذِكْرُ بَعْضِ ذَلِكَ.

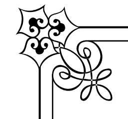
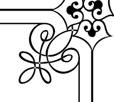
وَأَمَّا كَلَامُ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ -يَعْنِي السَّلَفَ الصَّالِحَ مِنَ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ مِنْهُمْ-، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَكَلَّمَ بِهِ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ وَحْيًا، وَبَلَّغَهُ جِبْرِيلُ مُحَمَّدًا -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كَلَامًا، وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ أُمَّتَهُ، فَأَخَذَتْهُ الْأَجْيَالُ اللَّاحِقُونَ عَنِ السَّابِقِينَ، فَقَدْ أَخَذَهُ التَّابِعُونَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَخَذَ عَنْهُمْ، وَهَكَذَا يَأْخُذُهُ الْجِيلُ اللَّاحِقُ عَنِ السَّابِقِ، وَذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ حِفْظِهِ الَّذِي تَكَفَّلَ اللهُ بِهِ، وَأَخْبَرَنَا بِذَلِكَ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ؛ إِذْ قَالَ -وَقَوْلُهُ الْحَقُّ-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].



«**وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا**»: هَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ أَمْرَيْنِ يَتَعَلَّقَانِ بِصِفَةِ الْكَلَامِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْكَلَامَ صِفَةُ اللهِ، فَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَلَيْسَ كَلَامَ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَإِضَافَتُهُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَىٰ الْمَوْصُوفِ، بِخِلَافِ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ قَالُوا: هُوَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَىٰ الْخَالِقِ.

●●●

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

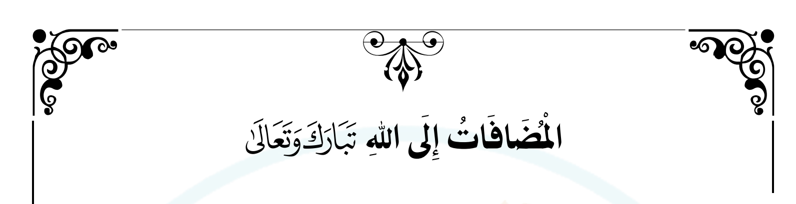
(الْمُحَاضَرَة الرَّابِعَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



الْمُضَافَاتُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

الْمُضَافَاتُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ:

* **مُضَافٌ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَىٰ الْمَوْصُوفِ:** وَهُوَ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، يَعْنِي -مَثَلًا- إِذَا قُلْتَ: سَمْعُ اللهِ، بَصَرُ اللهِ، كَلَامُ اللهِ، فَالسَّمْعُ لَا يَقُومُ بِذَاتِهِ، وَالْبَصَرُ لَا يَقُومُ بِذَاتِهِ، وَالْكَلَامُ لَا يَقُومُ بِذَاتِهِ.

فَإِذَنْ هَذِهِ الْإِضَافَةُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَىٰ الْمَوْصُوفِ، فَإِذَا قُلْتَ: سَمْعُ اللهِ، وَبَصَرُ اللهِ، وَقُدْرَةُ اللهِ، وَكَلَامُ اللهِ، وَعِلْمُ اللهِ، فَهَذَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَىٰ الْمَوْصُوفِ.

وَضَابِطُهُ: مَا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ وَصْفًا لَا يَقُومُ إِلَّا بِمَوْصُوفٍ لَا يَقُومُ وَحْدَهُ.

* **وَمُضَافٌ إِلَىٰ اللهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَىٰ الْخَالِقِ:** كَمَا تَقُولُ: عَبْدُ اللهِ، نَاقَةُ اللهِ، فَالنَّاقَةُ تَقُومُ بِنَفْسِهَا، وَعَبْدُ اللهِ يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

إِذَنْ هَذِهِ الْإِضَافَةُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَىٰ الْخَالِقِ؛ وَقَدْ تَكُونُ مِنْ أَجْلِ التَّشْرِيفِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: «بَيْتُ اللهِ»، فَهَذَا مِنْ بَابِ التَّشْرِيفِ.

ضَابِطُهُ: مَا إِذَا كَانَ الْمُضَافُ عَيْنًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ.

فَإِذَا أُضِيفَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا كَانَ عَيْنًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ فَهَذِهِ إِضَافَةُ الْمَخْلُوقِ إِلَىٰ الْخَالِقِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمُضَافُ وَصْفًا لَا يَقُومُ إِلَّا بِمَوْصُوفٍ، فَهَذَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَىٰ الْمَوْصُوفِ، وَهَكَذَا الشَّأْنُ فِيمَا يُقَالُ فِيهِ: «مِنَ اللهِ» قَدْ يَكُونُ مِنْهُ وَصْفًا، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُ خَلْقًا.

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

الْقَوْلُ: وَصْفٌ لِلرَّبِّ وَنَعْتٌ مِنْ نُعُوتِهِ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا: هُوَ مِنَ اللهِ خَلْقًا وَإِيجَادًا.

فِي هَذَا الْبَابِ ضَلَّ طَائِفَتَانِ:

الْمُعْتَزِلَةُ: حَيْثُ جَعَلُوا الْجَمِيعَ إِضَافَتَهُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ؛ لِيَصِلُوا إِلَىٰ مُبْتَغَاهُمْ، وَهُوَ الْقَوْلُ بِأَنَّ كَلَامَ اللهِ مَخْلُوقٌ.

وَأَمَّا غُلَاةُ الصُّوفِيَّةِ: فَجَعَلُوا الْجَمِيعَ إِضَافَتَهُ إِلَىٰ اللهِ إِضَافَةُ وَصْفٍ؛ لِيَصِلُوا إِلَىٰ مُبْتَغَاهُمْ وَهُوَ الْقَوْلُ بِالْحُلُولِ، وَوِحْدَةِ الْوُجُودِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَصِفُونَ!!

الْحَقُّ وَسَطٌ بَيْنَ هَذَيْنِ، **وَالْحَاصِلُ**: أَنَّ إِضَافَةَ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَىٰ الْمَوْصُوفِ، عِنْدَمَا يُقَالُ: «**كَلَامُ مَلِيكِنَا**»، فَهَذَا يَتَضَمَّنُ

الْأَصْلَ فِي الصِّفَاتِ، هُوَ أَنَّ مَا يُضَافُ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الصِّفَاتِ يَثْبُتُ لِلَّهِ عَلَىٰ وَجْهٍ يَلِيقُ بِهِ، وَهَذَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ: «**كَلَامُ مَلِيكِنَا**»، أَيْ: هِيَ صِفَةٌ لِلَّهِ تَلِيقُ بِهِ، وَلَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَاللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ الْكَمَالُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلِذَا **قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ**: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ كَلَامِ اللهِ، وَكَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ فَهُوَ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

الْقَاعِدَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْإِضَافَةَ تَقْتَضِي التَّخْصِيصَ.

فَعِنْدَمَا يُضَافُ الْكَلَامُ إِلَىٰ اللهِ فَإِنَّهُ يَخُصُّهُ، وَيَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَعِنْدَمَا يُضَافُ الْكَلَامُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ فَهُوَ يَخُصُّهُ، وَيَلِيقُ بِعَجْزِهِ وَنَقْصِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ اتِّفَاقِ الشَّيْئَيْنِ فِي الِاسْمِ أَنْ يَتَّفِقَا فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمُسَمَّىٰ، هَذَا بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ؟!

وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ عُذْرًا لِلَّذِينَ ضَلُّوا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ تَحَرَّوْا قَلِيلًا، وَأَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ قَلِيلًا، وَسَأَلُوا اللهَ الْهِدَايَةَ لَهُدُوا إِلَىٰ الْحَقِّ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الصِّفَةَ عَلَىٰ قَدْرِ الْمَوْصُوفِ، وَهَذَا يُمَيِّزُهُ النَّاسُ حَتَّىٰ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَمْ يَجْعَلُوا أَبَدًا الِاتِّفَاقَ فِي الِاسْمِ مَدْعَاةً لِلِاتِّفَاقِ فِي الذَّاتِ وَالْحَقِيقَةِ، فَعِنْدَمَا يَقُولُ قَائِلٌ: يَدُ النَّمْلَةِ، وَيَقُولُ: يَدُ الْجَمَلِ، وَيَقُولُ: يَدُ الْفِيلِ، وَيَقُولُ: يَدُ الْإِنْسَانِ، فَالْيَدُ عَلَىٰ حَسَبِ مَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ، فَلَيْسَتْ يَدُ النَّمْلَةِ كَيَدِ الْفِيلِ، وَلَا يَدُ الْإِنْسَانِ كَيَدِ الْجَمَلِ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ ذَلِكَ بِالْغَرِيزَةِ

اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ، وَجَعَلَهُ مَفْطُورًا عَلَيْهَا، حَتَّىٰ الْأَطْفَالُ فَإِنَّهُمْ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ يَدِ النَّمْلَةِ وَيَدِ الْفِيلِ.

أَمَّا هَؤُلَاءِ فَجَعَلُوا كُلَّ يَدٍ كَكُلِّ يَدٍ؛ لِذَلِكَ لَمَّا وَصَفَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَفْسَهُ بِأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ قَالُوا: لَا، لَا نُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، كَأَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنَ اللهِ!!

وَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ رَبَّنَا يَنْزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ**»، قَالُوا: لَا، لَا يَنْزِلُ، إِنَّمَا يَنْزِلُ الْمَخْلُوقُ، فَلَا نُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُ اللهِ، وَكَأَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ!!

مَعَ أَنَّ النُّزُولَ هَاهُنَا مُسْنَدٌ إِلَىٰ اللهِ، يَنْزِلُ رَبُّنَا وَرَبُّنَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَنُزُولُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُزُولٌ.

وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي كَلَامِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قَالُوا: لَا نُثْبِتُ لِلَّهِ كَلَامًا، وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ خَلَقَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ!!

فَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَفِيهِ رَدٌّ وَإِبْطَالٌ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَ اللهِ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي أَوْجَدَهَا اللهُ بِقُدْرَتِهِ.

فَبَيَّنَ النَّاظِمُ بُطْلَانَ هَذَا الْمُعْتَقَدِ بِقَوْلِهِ: «**غَيْرُ مَخْلُوقٍ**»، وَالْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ مُعْتَقَدُ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ.

الْجَهْمِيَّةُ يُصَرِّحُونَ بِهَذَا، وَيَقُولُونَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَالْكَلَامُ مَخْلُوقٌ وَلَا

يَقُولُونَ هُوَ كَلَامُ اللهِ؛ لِهَذَا حَاوَلَ شَيْخُهُمْ تَحْرِيفَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، مَاذَا يَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ؟

اللهُ تَعَالَىٰ أَثْبَتَ فِيهَا أَنَّهُ كَلَّمَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، وَأَتَىٰ بِالْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، فَمَاذَا قَالَ؟

ذَهَبَ إِلَىٰ نَصْبِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ؛ فِرَارًا مِنْ إِضَافَةِ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ: وَكَلَّمَ اللهَ!! مُوسَىٰ تَكْلِيمًا!!

وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَيُضِيفُونَ الْكَلَامَ إِلَىٰ اللهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَهُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَىٰ الْخَالِقِ، وَالْأَشَاعِرَةُ وَالْكُلَّابِيَّةُ يَقُولُونَ أَيْضًا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، لَكِنْ لَا يُصَرِّحُونَ بِذَلِكَ، يَقُولُونَ الْكَلَامُ نَوْعَانِ: كَلَامٌ نَفْسِيٌّ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَهَذَا يُضِيفُونَهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، الْكَلَامُ اللَّفْظِيُّ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَىٰ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ، وَالَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَهُوَ عِبَارَةٌ أَوْ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، وَلَيْسَ بِكَلَامِ اللهِ، بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ جُمْلَةِ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ. فَيَلْتَقُونَ مَعَ الْجَهْمِيَّةِ فِي هَذَا الْمُعْتَقَدِ.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَقَدْ دَانُوا -وَهُمُ الْأَتْقِيَاءُ حَقًّا وَصِدْقًا- دَانُوا بِهَذَا الْمُعْتَقَدِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، هَذَا مُعْتَقَدُهُمُ الَّذِي لَا يَحِيدُونَ عَنْهُ، وَالنُّقُولُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، كَمَا مَرَّ فِي النَّقْلِ عَنِ اللَّالَكَائِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، سَمَّىٰ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ نَفْسٍ وَخَمْسِينَ نَفْسًا مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْأَئِمَّةِ،

بَعْضُهُمْ يَرْوِي عَنْهُمْ ذَلِكَ بِالْإِسْنَادِ، كُلُّهُمْ يُقَرِّرُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَالنُّقُولُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

«**أَفْصَحُوا**» بِذَلِكَ وَأَبَانُوهُ، وَقَرَّرُوهُ فِي الْمَجَالِسِ وَوَضَّحُوهُ، وَانْتَصَرُوا لَهُ لَا سِيَّمَا عِنْدَمَا يُعْلِنُ أَهْلُ الْبَاطِلِ بَاطِلَهُمْ، وَيُصَرِّحُونَ بِضَلَالِهِمْ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَحْمِلُوا النَّاسَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَمْلًا.

لِهَذَا يُنْقَلُ عَنْ أَبِي حَامِدٍ الإِسْفَرَايِينِيِّ أَنَّهُ كَانَ كُلَّ جُمُعَةٍ يَقِفُ وَيَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، خِلَافًا لِقَوْلِ الْبَاقِلَّانِيِّ، وَذَلِكَ حَتَّىٰ لَا يَظُنَّ مَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا أَنَّنَا عَلَىٰ مُعْتَقَدِهِ. ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي عَصْرِهِ، وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي «شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الْأَصْفَهَانِيَّةِ».

وَهَذَا الْإِفْصَاحُ قَدْ مَضَىٰ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي تَآلِيفِهِمْ، فَمَا تَجِدُ كِتَابًا مُؤَلَّفًا فِي الِاعْتِقَادِ إِلَّا وَفِيهِ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ وَالْإِفْصَاحُ بِهِ، بَلْ أَفْرَدُوا فِي ذَلِكَ كُتُبًا وَمُصَنَّفَاتٍ.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ -كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ-: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَارِيخِيَّةٌ؛ يَعْنِي: وَقَعَ فِيهَا النِّزَاعُ وَالْخِلَافُ، وَدَارَ فِيهَا مَا دَارَ، ثُمَّ انْتَهَتْ!!

لَمْ تَنْتَهِ، وَشَيْءٌ آخَرُ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، وَمَا هُوَ مِنْهَا بِسَبَبٍ فِي أَهَمِّ وَأَعْظَمِ مَسَائِلِ الْوُجُودِ؛ لِأَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِصِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مَا الَّذِي يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَسْمَاءَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصِفَاتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟!

مَا الَّذِي يَعْلَمُهُ؟! وَمَا الَّذِي يَعْلَمُهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إِذَا كَانَ جَاهِلًا بِأَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ؟!

فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ يَنْفُونَ عَنِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا نَفْسَهُ -كَمَا مَرَّ- تُقَامُ الْحُجَّةُ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِأَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَتَكَلَّمُ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ كَالْعِجْلِ الَّذِي عَبَدَتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَا يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ قَوْلًا فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا؟! لَا يُكَلِّمُكُمْ، وَلَا يَسْمَعُكُمْ، وَلَا يُبْصِرُكُمْ مَعَ ذَلِكَ تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

فَمَسْأَلَةٌ تَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللهِ جَلَّوَعَلَا هِيَ أَعْظَمُ الْمَسَائِلِ قَطُّ، وَأَهَمُّ الْمَسَائِلِ قَاطِبَةً، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ؛ لِذَلِكَ لَا تَجِدُ الْأُمَّةَ تَخْرُجُ مِنْ كَبْوَةٍ إِلَّا لِتَقَعَ فِي كَبْوَةٍ، وَلَا تَجِدُ الْأُمَّةَ تَخْرُجُ مِنْ مَضِيقٍ إِلَّا لِتُحْشَرَ فِي مَضِيقٍ؛ لِأَنَّ هَذَا الْبَابَ هُوَ أَعْظَمُ أَبْوَابِ الِاعْتِقَادِ، لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ وَكَمَا مَرَّ فِي تَصْرِيحِ رَبِّنَا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أَنَّهُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ الْقَدَرِيَّ، وَالْأَمْرَ الشَّرْعِيَّ مُتَنَزِّلًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كُلُّ ذَلِكَ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَخَلْقُ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ، وَتَنَزُّلُ الْأَمْرِ الشَّرْعِيِّ، وَالْأَمْرِ الْقَدَرِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.. لِمَ؟!

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

هَذَا الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَهَذَا الْأَمْرُ مِنْ شَرْعٍ وَقَدَرٍ كُلُّهُ؛ لِتَعْلَمُوا صِفَاتِ رَبِّكُمْ، لِتَعْلَمُوا صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ وَالْجَلَالِ الَّتِي يَصِفُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَسَائِلِ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهَا صَارَتْ مَسْأَلَةً تَارِيخِيَّةً، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْغَلَ النَّاسَ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الَّتِي صَارَتْ أَثَرًا مِنْ بَعْدِ عَيْنٍ، هَذَا كَلَامٌ لَا يَقُولُهُ إِلَّا جَاهِلٌ، أَوْ دَسِيسَةٌ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الْمُعْتَقَدَ الْمُقَابِلَ يُقَرَّرُ تَقْرِيرًا، وَيُسْقَاهُ النَّاسُ سَقْيًا، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَعْتَقِدُوهُ، وَإِذَا خَالَفُوا رُمُوا بِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا، وَأَنَّهُمْ مُشَبِّهَةٌ وَمُجَسِّمَةٌ، مَعَ أَنَّ الَّذِي يُؤَوِّلُ الصِّفَاتِ هُوَ الَّذِي يُشَبِّهُ، لَا يُوجَدُ مُعَطِّلٌ أَوْ مُؤَوِّلٌ أَوْ مُنَزِّهٌ بِزَعْمِهِ إِلَّا وَهُوَ مُشَبِّهٌ أَوَّلًا؛ يَعْنِي: عِنْدَمَا يَسْمَعُ صِفَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، أَوْ فِي كَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ لَا يَأْخُذُهَا فِي إِطَارِ قَوْلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، لَا يَجْعَلُ الصِّفَةَ عَلَىٰ قَدْرِ الْمَوْصُوفِ، وَلَا يَجْعَلُ الصِّفَاتِ عَلَىٰ قَدْرِ الذَّوَاتِ، وَلَا يَجْعَلُ الْمُسْنَدَ إِلَىٰ مَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَأْتِي إِلَىٰ ذِهْنِهِ تَشْبِيهٌ، فَيُرِيدُ أَنْ يَفِرَّ مِنَ التَّشْبِيهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ وَقَعَ فِي التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ.

إِذَنْ: كُلُّ مُؤَوِّلٍ مُشَبِّهٌ.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَلَا مُؤَوِّلَةٌ وَلَا مُشَبِّهَةٌ، وَإِنَّمَا يُثْبِتُونَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ: تُنْسَبُ إِلَيْهِ فِرْقَةُ الْجَهْمِيَّةِ، وَكَانَ يَقُولُ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَاسْتَدَلَّ عَلَىٰ مَقَالَتِهِ بِشُبُهَاتٍ عَقْلِيَّةٍ، مُتَشَابِهَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَسَلَّطَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ الْأَمِيرَ سَلْمَ بْنَ أَحْوَزَ؛ فَقَتَلَهُ بِمَرْوٍ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكُلُّ مَنْ تَابَعَهُ أَوْ قَالَ بِمَقَالَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَتَتَلْمَذْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعَاصِرْهُ نُسِبَ إِلَيْهِ؛ فَالْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ عَلَىٰ جُمُوعِ الْمُعَطِّلَةِ الَّذِينَ عَطَّلُوا وَنَفَوْا صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُونَ عَنْهُمْ: جَهْمِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْجَهْمَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ مَقَالَةَ التَّعْطِيلِ، وَأَصَّلَ لَهَا.

سَبَقَ الْجَهْمَ فِي الذَّهَابِ إِلَىٰ تَعْطِيلِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ شَيْخُهُ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُؤَصِّلًا لِتِلْكَ الْبِدْعَةِ، وَلَا مُنَظِّرًا لَهَا، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ عُرِفَ عَنْهُ التَّنْظِيرُ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، وَقَدْ ذَكَرَ إِحْدَاهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيِّ.

فَبَعْدَ أَنْ حَذَّرَ الْإِمَامُ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ الْكُفَّارِ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَدَعَانَا إِلَىٰ الِاعْتِقَادِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ، وَمِنْ عِلْمِهِ حَذَّرَنَا أَيْضًا هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةَ الَّذِينَ اسْتَتَرُوا بِالْوَقْفِ؛ لِيُمَوِّهُوا عَلَىٰ النَّاسِ دِينَهُمْ، وَيُنْفِذُوا فِيهِمْ مُعْتَقَدَهُمْ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ جَهَّمَهُمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ، فَقَالَ فِيهِمْ: هُمْ شَرٌّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، اسْتَتَرُوا بِالْوَقْفِ.

وَالسَّبَبُ فِي تَجْهِيمِ الْوَاقِفَةِ -أَيْ: فِي وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ جَهْمِيَّةٌ-: أَنَّهُمْ لَمَّا شَكُّوا فِي الْقُرْآنِ: أَهُوَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ أَمْ مَخْلُوقٌ؟ تَوَقَّفُوا، وَالشَّكُّ فِي اللهِ كُفْرٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

يَسْأَلُ سَائِلٌ: نَحْنُ الْيَوْمَ نَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَنَقِفُ، هَلْ نَحْنُ بِهَذَا الْقَوْلِ جَهْمِيَّةٌ؟

وَالْجَوَابُ: لَا، وَيَزِيدُكَ بَيَانًا وَوُضُوحًا مَا ذَكَرَهُ حَنْبَلٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ؛ حَيْثُ قَالَ: «كُنَّا نُؤْمَرُ بِالسُّكُوتِ، وَنَتْرُكُ الْخَوْضَ فِي الْكَلَامِ وَفِي الْقُرْآنِ، فَلَمَّا دُعِينَا إِلَىٰ أَمْرٍ مَا كَانَ بَدَا لَنَا مِنْ أَنْ نَدْفَعَ ذَاكَ، وَنُبَيِّنَ فِي أَمْرِهِ مَا يَنْبَغِي.

قُلْتُ: فَمَنْ وَقَفَ، فَقَالَ: لَا أَقُولُ مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟

فَقَالَ: كَلَامُ سُوءٍ، وَذَا مَوْضِعُ السُّوءِ، وُقُوفُهُ كَيْفَ لَا يَعْلَمُ إِمَّا حَلَالًا وَإِمَّا حَرَامًا، إِمَّا هَكَذَا وَإِمَّا هَكَذَا، قَدْ نَزَّهَ اللهُ ﷻ الْقُرْآنَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ هَؤُلَاءِ إِلَىٰ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، فَاسْتَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ فَأَظْهَرُوا الْوَقْفَ».

هَذَا كَانَ فِي زَمَانِ الْفِتْنَةِ، أَمَّا فِي زَمَنِنَا، وَقَدْ مَنَّ اللهُ ﷻ بِنَشْرِ السُّنَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَانْدِحَارِ مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ بَيْنَ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ دَاعٍ إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّعْلِيمِ.

وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قِرَاءَتُهُ ... فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

يَعُودُ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُجَدَّدًا فِي النُّصْحِ مُنَبِّهًا وَمُحَذِّرًا كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ، وَاتِّبَاعَ أَسَالِيبِهِمُ الْمُلْتَوِيَةِ، فَلَمَّا كَانُوا فِي بَادِئِ الْأَمْرِ يُصَرِّحُونَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ مُضَافٌ إِلَىٰ اللهِ كَإِضَافَةِ النَّاقَةِ إِلَيْهِ، فَلَا فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ بَيْتِ اللهِ، وَكَلَامِ اللهِ فَكُلٌّ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْخَالِقِ.

وَقَدْ مَرَّتْ قَاعِدَةُ الْإِضَافَةِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إِذَا أُضِيفَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، فَهَذَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَىٰ الْمَوْصُوفِ، كَمَا تَقُولُ: كَلَامُ اللهِ، وَإِرَادَةُ اللهِ، وَقُدْرَةُ اللهِ، وَسَمْعُ اللهِ، وَبَصَرُ اللهِ، وَإِذَا أُضِيفَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا يَقُومُ بِذَاتِهِ فَهَذَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَىٰ الْخَالِقِ عَبْدُ اللهِ، بَيْتُ اللهِ، نَاقَةُ اللهِ.

لَمَّا أَنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ السُّنَّةِ، وَبَدَأَتْ شَمْسُ الْبِدْعَةِ فِي الْغُرُوبِ تَذَرَّعُوا بِالْقَوْلِ بِالْوَقْفِ، فَقَيَّضَ اللهُ لَهُمْ أَيْضًا مَنْ يَرُدُّ كَيْدَهُمْ فَكَادُوا مَكِيدَةً أُخْرَىٰ، وَهِيَ الْقَوْلُ بِاللَّفْظِ، فَعِنْدَنَا الْآنَ: قَوْلُهُمْ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَبِالْوَقْفِ فِي الْقُرْآنِ، وَبِالْقَوْلِ بِاللَّفْظِ فِي الْقُرْآنِ، هَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ، وَهِيَ مِنَ الْبِدَعِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ.

الْعُلَمَاءُ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَلْفُوظِ، وَالْقِرَاءَةِ وَالْمَقْرُوءِ، وَالتِّلَاوَةِ وَالْمَتْلُوِّ، وَالْكِتَابَةِ وَالْمَكْتُوبِ، وَالْحِفْظِ وَالْمَحْفُوظِ.

فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ، وَالْمَلْفُوظُ كَلَامُ اللهِ؛ وَالتِّلَاوَةُ الَّتِي هِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقَةٌ، وَالْمَتْلُوُّ كَلَامُ اللهِ؛ الْقِرَاءَةُ الَّتِي هِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقَةٌ، الْمَقْرُوءُ كَلَامُ اللهِ؛ الْكِتَابَةُ الَّتِي هِيَ حَرَكَةُ الْيَدِ مَخْلُوقَةٌ، الْحِبْرُ وَاللَّوْحُ وَالْوَرَقُ مَخْلُوقٌ، الْمَكْتُوبُ كَلَامُ اللهِ؛ الْحِفْظُ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ، الْمَحْفُوظُ كَلَامُ اللهِ.

ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ؛ لِأَنَّ الْعِبَارَةَ مُجْمَلَةٌ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ فِيهَا، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْإِشْكَالُ مِنَ الْمَصْدَرِ (اللَّفْظُ)، وَهُوَ مِنْ: لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظًا.

وَاللَّفْظُ: اسْمُ مَصْدَرٍ يُرَادُ بِهِ الْفِعْلُ أَوِ الْمَفْعُولُ، أَيْ لَفْظُ الْقَارِئِ أَوِ الْمَلْفُوظُ بِهِ، فَلَوْ قُلْتَ لِأَحَدٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: هَذِهِ لَفْظَةٌ خَطَأٌ، وَاللَّفْظَةُ الصَّحِيحَةُ كَذَا، فَأَنْتَ تُرِيدُ بِقَوْلِكَ (لَفْظَة) الْقُرْآنَ الْمَجِيدِ.

كَذَلِكَ لَوْ قُلْتَ لَهُ: أَنْتَ لَفْظُكَ خَطَأٌ، إِنَّمَا مَخْرَجُ التَّاءِ غَيْرُ مَخْرَجِ الضَّادِ، فَأَنْتَ تُرِيدُ لَفْظَهُ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُ بِلِسَانِهِ مَعَ أَسْنَانِهِ.

مِنْهُ اسْمُ الْمَصْدَرِ (الْقُرْآنُ) مِنْ: قَرَأَ يَقْرَأُ قُرْآنًا، اسْمُ الْمَصْدَرِ مِنْ قُرْآنٍ: الْقُرْآنُ، فَالْقُرْآنُ قَدْ يُرَادُ بِهِ الْمَفْعُولُ الْمَقْرُوءُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

وَقَدْ يُرَادُ بِهِ فِعْلُ الْعَبْدِ نَفْسِهِ الَّذِي هُوَ الْقِرَاءَةُ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

فَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَأَرَدَ بِهِ فِعْلَهُ فَهَذَا صَحِيحٌ.

وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَأَرَادَ بِهِ الْمَلْفُوظَ الْمَتْلُوَّ الْمَنْطُوقَ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ..

وَتُعْلَمُ هكَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِجْمَالِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ التَّفْصِيلِ مَا وَرَاءَهُ؛ لِأَنَّ الْمَعَارِكَ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، هَذِهِ الْمَعَارِكُ خَلَّفَتْ كَثِيرًا مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ، وَفِيهَا حَرَكَةُ الْعَقْلِ السُّنِّيِّ السَّلَفِيِّ الْعَرَبِيِّ، يَعْنِي الَّذِي صُبِغَ بِحَقِيقَةِ هَذِهِ اللُّغَةِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ إِذَا مَا نَظَرْتَ فِي شُبُهَاتِهِمْ وَجَدْتَ أَنَّهُمْ أُتُوا مِنْ قِبَلِ جَهْلِهِمْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، فَيَجْعَلُونَ الْجَعْلَ -مَثَلًا- خَلْقًا، قَوْلًا وَاحِدًا بِلَا مَثْنَوِيَّةٍ، وَيُنَاظِرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ!!

كَمَا فِي الْمُنَاظَرَاتِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ الْحَمِيدِ مِنَ الرُّؤْيَةِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ، فَإِذَا مَا رَجَعْتَ إِلَىٰ أَصْلِ الْفَسَادِ عِنْدَهُمْ وَجَدْتَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ الَّذِينَ لَمْ يَتَرَبَّوْا عَلَىٰ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ، وَإِنَّمَا تَعَلَّمُوا أُمُورًا، وَلَمْ يُرْزَقُوا ذَائِقَةَ اللُّغَةِ، فَأَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ مَعْلُومِهِمُ الْعَرَبِيِّ، وَكَانَ قَاصِرًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْكَبِيرَةِ، وَدَخَلُوا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ بِبَلَاءٍ عَظِيمٍ مَازَالَ أَثَرُهُ قَائِمًا إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ وَهِيَ مَا يَتَعَلَّقُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَالْوَقْفِ فِيهِ، وَالْقَوْلِ بِمَذْهَبِ اللَّفْظِيَّةِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ، هَذِهِ كُلُّهَا كَانَتْ مِنْ وَرَائِهَا مَآسٍ عَظِيمَةٌ فِي فَتْرَةٍ مِنَ الْفَتَرَاتِ.

الْمَأْمُونُ لَمَّا قَامَ بِتَرْجَمَةِ كُتُبِ الْفَلْسَفَةِ وَالْمَنْطِقِ أَدْخَلَ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ شَرًّا عَظِيمًا، وَكَانَ الْمَأْمُونُ مُعْتَزِلِيًّا، وَأَمَرَ بِأَنْ يُسَيَّرَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ

نُوحٍ، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَفِي الْخِطَابِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَىٰ وَالِيهِ؛ مِنْ أَجْلِ اسْتِقْدَامِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ إِلَيهِ حَيْثُ مَقَرُّهُ يَقُولُ: «وَأَرْسِلْ إِلَيَّ بِذَلِكَ الْجَاهِلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ»، دَعَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَبَّهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أَنْ لَا يَرَىٰ الْمَأْمُونَ، وَأَنْ لَا يَرَاهُ الْمَأْمُونُ، فَهَلَكَ الْمَأْمُونُ وَالْإِمَامُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَطْلَقَهُ الْوَالِي فَرَجَعَ.

جَاءَ الْمُعْتَصِمُ فَوَجَدَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ فِي يَدِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَكَانَ عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ، وَكَانَ أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَلَا مُشَارَكَةَ لَهُ فِي الْعِلْمِ، وَكَانَ لَا يَدْرِي حَقِيقَةَ الْمَسْأَلَةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ كَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ وَبِشْرٍ وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ، كَانَ عِنْدَهُ مَنْ يَؤُزُّهُ عَلَىٰ الْبَاطِلِ أَزًّا، جِيءَ بِالْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقِيلَ لَهُ -وَكَانَ صَائِمًا فِي رَمَضَانَ، وَأُوقِفَ فِي الشَّمْسِ، وَجُعِلَتْ يَدَاهُ فِي الْعُقَابَيْنِ وَشُدَّتَا- ثُمَّ قِيلَ لَهُ -وَالْمُعْتَصِمُ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ-: قُلْ أَدْنَىٰ قَوْلٍ أَجِدُ لَكَ فِيهِ فَرَجًا حَتَّىٰ أَحُلَّ قَيْدَكَ بِيَدِي، وَأَطَأَ عَقِبَكَ؛ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ائْتُونِي بِشَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، أَوْ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ تَدُورُ عَلَىٰ مِحْوَرٍ عَظِيمٍ، وَهُوَ تَبْدِيلُ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ خَنَعَ فَسَتُبَدَّلُ، وَسَتَقَعُ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ؛ لِذَلِكَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ كَأَبِي زُرْعَةَ، يَقُولُ لَهُ: لَقَدْ أَجَابَ فِي الْمِحْنَةِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَعَلَامَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ؟!!

فَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ فَانْظُرْ؛ فَخَرَجَ لِيَنْظُرَ، فَوَجَدَ طُلَّابَ الْعِلْمِ، وَأَهْلَ الْحَدِيثِ، وَأَهْلَ الْعِلْمِ يَنْتَظِرُونَ مَا يَقُولُهُ أَحْمَدُ مَعَهُمُ التُّرُوسُ وَالْقَرَاطِيسُ وَالْأَقْلَامُ وَالْمَحَابِرُ، يَنْتَظِرُونَ كَلَامَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ يَقُولُونَ: مَاذَا قَالَ أَحْمَدُ؟ يَعْنِي: هَلْ أَجَابَ فِي الْفِتْنَةِ أَوْ

فِي الْمِحْنَةِ، وَقَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَاللهُ تَعَالَىٰ لَا يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَّصِفُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، هَلْ أَجَابَ الْإِمَامُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكْتُبُوا.

فَدَخَلَ فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ: وَجَدْتُ النَّاسَ عَلَىٰ هَذِهِ الْهَيْئَةِ.

قَالَ: أَقْتُلُ نَفْسِي وَلَا أُضِلُّ هَؤُلَاءِ!

فَكَانَتْ مَسْأَلَةً عَظِيمَةً، ضُرِبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ضَرْبًا، يَقُولُ الطَّبِيبُ الَّذِي كَانَ يُعَالِجُهُ، وَكَانَ يَأْتِي بِالْمِسْبَارِ الْجِرَاحِيِّ فَيَضَعُهُ فِي الْجُرْحِ وَيَكُونُ عَمِيقًا، وَاللَّحْمُ قَدْ مَاتَ فَمَا يَزَالُ يَدُورُ بِمِسْبَارِهِ؛ لِيَجْعَلَ عَلَيْهِ اللَّحْمَ الْمَيِّتَ لِيُقَطِّعَهُ بِمِبْضَعِهِ، وَيَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ ضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ضُرِبَ مِثْلَ هَذَا الضَّرْبِ، لِمَاذَا يَفْعَلُ فِي نَفْسِهِ هَذَا؟

إِذَا كُنْتُمْ تَسْتَهِينُونَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا فَلِمَاذَا صَنَعَ فِي نَفْسِهِ هَذَا رَحِمَهُ اللَّهُ؟!!

ضُرِبَ حَتَّىٰ غَابَ عَنِ الْوَعْيِ، طُرِحَتْ عَلَيْهِ بَارِيَّةٌ -يَعْنِي: قِطْعَةٌ مِمَّا يُفْرَشُ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنَ السَّجَّادِ أَوْ غَيْرِهِ- وَدَاسَهُ الْجُنُودُ ذَهَابًا وَإِيَابًا بِالْخُطْوَةِ الْمُعْتَادَةِ، يَذْهَبُونَ وَيَرُوحُونَ وَيَجِيئُونَ عَلَىٰ جَسَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقَدْ أُغْشِيَ عَلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يُفْطِرْ، كَانَ صَائِمًا وَلَمْ يُفْطِرْ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَىٰ أَنْ يَقُولَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ائْتُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ؛ لِكَيْ أَقُولَ بِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَثَبَتَ الْإِمَامُ فِي الْمِحْنَةِ ثَبَاتًا عَظِيمًا، وَلَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ؛ الْبُوَيْطِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ حُمِلَ فِي قُيُودِهِ وَأَغْلَالِهِ، ثُمَّ جُعِلَ فِي سِجْنِهِ، فَكَانَ إِذَا مَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ

أَخَذَ يَحْجُلُ فِي قُيُودِهِ وَأَغْلَالِهِ وَحَدِيدِهِ حَتَّىٰ يَذْهَبَ إِلَىٰ بَابِ السِّجْنِ يَقُولُ: يَا رَبِّ اشْهَدْ عَلَيَّ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْجَمَاعَةِ. حَتَّىٰ مَاتَ فِي أَغْلَالِهِ وَقُيُودِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

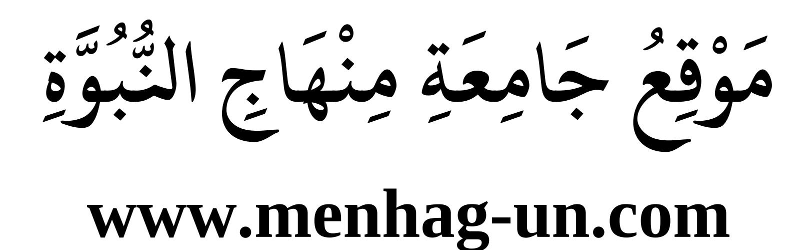
أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْخُزَاعِيُّ قَتَلَهُ الْوَاثِقُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: هَذَا الضَّالُّ الَّذِي عَلَىٰ عَقِيدَةٍ لَا نَعْلَمُهَا، وَالَّذِي يَدَّعِي أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الْوَاثِقُ عَلَىٰ ضِدِّهِ، وَيُقَرِّرُ عَكْسَهُ، وَيَأْمُرُ بِحَمْلِ رَأْسِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ؛ لِكَيْ تُعَلَّقَ عَلَىٰ ضَفَّةِ دِجْلَةَ، وَأَمَّا جَسَدُهُ فَعَلَىٰ الضَّفَّةِ الْأُخْرَىٰ، وَبَقِيَ الرَّأْسُ فِي مَوْضِعِهِ، وَالْجَسَدُ فِي مَوْضِعِهِ مُعَلَّقَيْنِ إِلَىٰ أَنْ جَاءَ الْمُتَوَكِّلُ نَاصِرُ السُّنَّةِ فَرَفَعَ الْمِحْنَةَ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُضَمَّ الرَّأْسُ إِلَىٰ الْجَسَدِ، ثُمَّ دُفِنَ جَسَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ مِنْ طَبَقَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ.

فَهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ لِمَ صَنَعُوا بِأَنْفُسِهِمْ هَذَا إِذَا كَانَتْ مَسْأَلَةً لَا قِيمَةَ لَهَا؟!

هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، فَتَعَلَّمُوا صِفَاتِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّهُ لَا نَجَاةَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَنْ يَقْدُرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِلَّا إِذَا عَرَفَهُ، وَلَنْ يَعْرِفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ إِلَّا بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَىٰ.

فَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا.

●●●



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

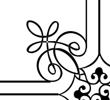
يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الخَامِسَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]




جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أَهْلُ السُّنَّةِ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ

فَمِمَّا اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي الِاعْتِقَادِ وَغَيْرِهِ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَالْأَقْطَارِ مِنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ.

وَلَوْ أَنَّكَ نَظَرْتَ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ الِاعْتِقَادِ الَّتِي حَرَّرَهَا عُلَمَاؤُنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فِي الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ، لَوَجَدْتَهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَأْخُذُونَ مِنْ مَنْبَعٍ وَاحِدٍ، وَيَصْدُرُونَ مِنْ بَابَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالَّذِي يَنْهَلُونَ مِنْهُ مَعِينُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَا اخْتِلَافَ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالزَّيْغِ، وَأَصْحَابُ الْمَذَاهِبِ الَّتِي جَانَبَتْ أَهْلَ السُّنَّةِ: فَكَلِمَاتُهُمْ مُضْطَرِبَةٌ، وَخِلَافَاتُهُمْ كَثِيرَةٌ، وَرُدُودُ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْمَسْأَلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ أُصُولِ الِاعْتِقَادِ لَا تَكَادُ تُحْصَىٰ، وَهَذِهِ مِنْ سِمَاتِهِمُ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصْدُرُوا مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَنْهَلُوا مِنْ مَعِينٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا حَكَّمُوا آرَاءَ الرِّجَالِ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ الْآرَاءِ وَالْأَفْكَارِ وَالْعُقُولِ، فَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ وَتَبَايَنَتْ طُرُقُهُمْ، وَأَمَّا عُلَمَاؤُنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يُقَرِّرُونَ الْوَاقِعَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ، وَنَطَقَتْ بِهِ السُّنَّةُ؛ فَأَنَّىٰ يَخْتَلِفُونَ؟

مَرَّ مَعَنَا بِفَضْلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا بَعْضُ أَبْيَاتٍ مِنَ الْمَنْظُومَةِ الْحَائِيَّةِ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِكِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنْزَلَهُ حَقِيقَةً، أَوْحَاهُ إِلَىٰ جِبْرِيلَ، وَنَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَبَلَّغَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ.

فَهُوَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مُنَزَّلٌ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَبَعْدَ الْعَلَّامَةِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ، جَاءَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَكَتَبُوا فِي الْعَقِيدَةِ وَنَظَمُوهَا أَيْضًا، وَمِنْ ذَلِكَ: الْمَنْظُومَةُ الْمَنْسُوبَةُ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، وَهِيَ اللَّامِيَّةُ:

وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ ... آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنْزَلُ

كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ؛ كَمَا قَالَ السَّابِقُ يَقُولُ اللَّاحِقُ، وَكَمَا يَقُولُ الْمُعَاصِرُ يَكْتُبُ الْمُعَاصِرُ؛ لِأَنَّ الْعَقِيدَةَ وَاحِدَةٌ لَا اخْتِلَافَ فِيهَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا كَتَبُوا وَحَرَّرُوا، وَسَطَرُوا وَنَظَرُوا، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ مَا قَالُوا، وَمَا صَنَّفُوا، وَمِنَ الرَّحْمَةِ -لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ- أَنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ فِي مُصَنَّفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْأُمَّهَاتِ الَّتِي صَنَّفَهَا عُلَمَاؤُنَا الْأَثْبَاتُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُمُورِ الِاعْتِقَادِ، ثُمَّ حَرَّرْتَهُ تَحْرِيرًا مُنْضَبِطًا لَاكْتَفَيْتَ بِهِ.

فَالْعَقِيدَةُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِنَّمَا يُنَوِّعُونَ عَلَىٰ حَسَبِ حَاجَةِ أَهْلِ الْعَصْرِ، وَعَلَىٰ حَسَبِ طَاقَاتِهِمْ؛ فَمَرَّةً يَنْظِمُونَ، وَمَرَّةً يَخْتَصِرُونَ، وَمَرَّةً يُسْهِبُونَ،

وَمَرَّةً يَشْرَحُونَ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ بَيَانِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَمُحَارَبَةِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ.

●●●

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنْزَلُ

أَعْتَقِدُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ مِنْ أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، فَاللهُ هُوَ الَّذِي قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ، وَنَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ بِذَلِكَ، تَكَلَّمَ اللهُ بِهِ حَقِيقَةً بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللهِ مَخْلُوقَةٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللهِ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ.

الْقُرْآنُ صِفَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَصِفَاتُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن

قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الفتح: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢].

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١].

﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣].

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ مِنْ كَلَامِ رَبِّنَا، وَكَذَلِكَ مِنْ كَلَامِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَعَلَىٰ هَذَا إِجْمَاعُ السَّلَفِ.

وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ ... آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنْزَلُ

الْكَرِيمُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ [الواقعة: ٧٧]. أَيْ عَظِيمُ الْمَنَافِعِ، كَثِيرُ الْخَيْرِ، غَزِيرُ الْعِلْمِ، فِيهِ مِنَ الْبَرَكَاتِ مَا يَعْجِزُ الْمُتَكَلِّمُ عَنْ إِحْصَائِهِ وَذِكْرِهِ.

وَمِنْ كَرَمِهِ: كَثُرَتْ أَسْمَاؤُهُ؛ فَمِنْهَا: الْقُرْآنُ، وَالْفُرْقَانُ، وَالضِّيَاءُ، وَالنُّورُ، وَالْهُدَىٰ، وَالشِّفَاءُ، وَالرَّحْمَةُ، وَالْعَطَاءُ، وَالْمَوْعِظَةُ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

• • •

إِعْمَالُ الْعَقْلِ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ

مُشْكِلَةُ الْمَشَاكِلِ أَنَّ أَقْوَامًا أَدْخَلُوا الْعَقْلَ فِيمَا لَا مَجَالَ لَهُ، وَالْأَصْلُ: أَنَّ الْعَقْلَ لَهُ مَجَالٌ يَعْمَلُ فِيهِ وَلَا يَتَخَطَّاهُ، كَالْبَصَرِ -مَثَلًا- فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْعَمَ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ بِنِعْمَةِ الْبَصَرِ وَجَعَلَهَا كَاشِفَةً لِلْمَرْئِيَّاتِ، وَلَهَا مَجَالٌ مَحْدُودٌ، فَالْإِنْسَانُ يَرَىٰ إِلَىٰ مَجَالٍ مُقَدَّرٍ عَلَىٰ حَسَبِ مَا آتَاهُ اللهُ مِنْ قُوَّةِ الْإِبْصَارِ.

لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ أَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَ الْمَجَالَ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ بَصَرُهُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَوَهَّمَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَخَيَّلَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِأُمُورٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا فِي الْوَاقِعِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ الْحَقِيقَةَ، وَإِنَّمَا يَتَوَهَّمُهَا تَوَهُّمًا.

الْعَقْلُ كَذَلِكَ.. الْعَقْلُ لَهُ مَجَالٌ مَحْدُودٌ يَعْمَلُ فِيهِ، إِذَا تَجَاوَزَهُ جَاءَ الْخَبْطُ وَالْخَلْطُ وَالتَّشْوِيشُ وَالتَّدْلِيسُ وَالْكَذِبُ، وَالْبُهْتَانُ وَالِافْتِرَاءُ وَمَا شِئْتَ.

وَلَكِنَّ الْعَقْلَ يَقِفُ عِنْدَ حَدِّهِ، فَأَقْوَامٌ لَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَعْمَلُوا الْعَقْلَ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ، الْإِنْسَانُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ إِلَّا إِذَا خَبَرَهُ؛ يَعْنِي عَايَنَهُ لَمَسَهُ شَمَّهُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَسَائِلِ الْإِدْرَاكِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ إِلَّا بِوَسِيلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ الْإِدْرَاكِ، أَوْ بِنَقْلٍ صَادِقٍ: أَنْ يَقُولَ لَهُ مَنْ هُوَ مُصَدَّقٌ وَثِقَةٌ عِنْدَهُ: الشَّيْءُ الْفُلَانِيُّ عَلَىٰ هَيْئَةِ كَذَا، وَبِصِفَةِ كَذَا، وَبِحَالِ كَذَا، فَهُوَ يُصَدِّقُهُ وَيَرْجِعُ فِي النِّهَايَةِ

إِلَىٰ مَا عَلِمَهُ مِمَّنْ أَخْبَرَهُ عَلَىٰ حَسَبِ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَوْ عَلِمَهُ، فَهَاتَانِ سَبِيلَانِ: إِمَّا أَنْ تَخْبُرَ أَنْتَ، وَإِمَّا أَنْ تُخْبَرَ مِنْ قِبَلِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ.

فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَتَوَفَّرْ لَكَ هَذَانِ الْأَمْرَانِ، فَأَنْتَ تَقِيسُ عَلَىٰ الْمَثِيلِ وَالنَّظِيرِ فَهَذِهِ سَبِيلٌ ثَالِثَةٌ، فَإِمَّا أَنْ تُخْبِرَ أَنْتَ لِتُعْلِمَ، وَإِمَّا أَنْ تُخْبَرَ أَنْتَ لِتَعْلَمَ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيسَ أَنْتَ عَلَىٰ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ وَالْمُسَاوِي وَالْمَثِيلِ لِتَعْلَمَ، فَأَمَّا رَابِعٌ فَلَا، هُوَ الْخَبْطُ وَالْخَلْطُ.

فَالْآنَ مَا أَخْبَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ عَنْ ذَاتِهِ، عَنْ صِفَاتِهِ، عَنْ أَسْمَائِهِ أَخْبَرَنَا بِهِ، نَعْلَمُهُ.

مَا أَخْبَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ عَنِ اللهِ ﷻ فِي ذَاتِهِ، فِي صِفَاتِهِ، فِي أَفْعَالِهِ فَإِنَّنَا نَعْلَمُهُ، نَحْنُ لَمْ نَخْبُرْ شَيْئًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّنَا لَا يُمْكِنُ أَنْ نَقِيسَ؛ لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَانْقَطَعَتْ عِنْدَنَا سُبُلُ الْإِدْرَاكِ وَالْمَعْرِفَةِ بِرَبِّنَا وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ابْتِدَاءً عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ حَتَّىٰ يُخْبِرَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، فَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ أَخْبَرَنَا بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ عَنْهُ فَهَذَا نَتَوَقَّفُ عِنْدَ حَدِّهِ.

الْعَقْلُ لَا يَدْخُلُ هَا هُنَا.

الْعَقْلُ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ اسْتِدْلَالًا كُلِّيًّا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَىٰ بَعْضِ الْأُمُورِ الْفَرْعِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ.

يَعْنِي الْعَقْلُ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَىٰ وُجُودِ خَالِقٍ لِهَذَا الْكَوْنِ، وَصَانِعٍ لَهُ،

وَلَكِنَّ الْعَقْلَ لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ أَنْ يُحَدِّدَ صِفَاتِ هَذَا الْخَالِقِ تَحْدِيدًا، وَلَا أَنْ يَعْلَمَ الْحِكْمَةَ الَّتِي مِنْ وَرَائِهَا خلَقَ هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي بُنِيَ عَلَىٰ الْحِكْمَةِ فِيمَا يُثْبِتُهُ الْعَقْلُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ نَظَرَ نَظَرًا عَقْلِيًّا لَاسْتَدَلَّ بِالصَّنْعَةِ عَلَىٰ الصَّانِعِ، وَالْأَصْلُ فِي الشَّرْعِ أَنْ تَسْتَدِلَّ بِالصَّانِعِ عَلَىٰ الصَّنْعَةِ، وَلَكِنْ مَعَ أَهْلِ الِاسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ نَسِيرُ.

لَوْ أَنَّهُم أَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ مُوجَدٌ مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ، وَلَا صَنْعَةٌ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ، وَلَا مَعْلُولٌ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ، وَلَا مُسَبَّبٌ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ.

فَهَذَا كُلُّهُ نُقِرُّهُ، نَعَمْ، لَا يُوجَدُ.

إِذَنْ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَالِكَ لِهَذَا الْكَوْنِ صَانِعٌ، وَوُجُوهُ الْحِكْمَةِ الْمُتَبَدِّيَةِ فِيهِ لَا تَخْفَىٰ عَلَىٰ نَاظِرٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلِيمًا، وَأَنْ يَكُونَ حَكِيمًا، وَأَنْ يَكُونَ مُرِيدًا لِتَنَوُّعِ أَصْنَافِ الْخَلْقِ، فَهَذَا نُقِرُّهُ أَيْضًا.

وَهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَىٰ بَعْضِ صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا يَقُولُونَ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا؛ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَ الْوُجُودَ، وَهُوَ فَاقِدُهُ!!

فَهُمْ يَسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ بِالْمَوْجُودَاتِ، وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ الْإِرَادَةِ -صِفَةِ الْإِرَادَةِ خَاصَّةً لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا أَيْضًا- بِمَا فِي الْوُجُودِ مِنْ تَنَوُّعِ أَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ هِيَ تَخْصِيصُ الْمُمْكِنِ بِبَعْضِ وُجُوهِ إِمْكَانِهِ، يَعْنِي الْمَخْلُوقُ يُمْكِنُ

أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا.

فَإِذَا وُجِدَ عَلَىٰ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ صِفَةٍ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا.

يَعْنِي الْإِنْسَانُ -مَثَلًا- يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرًا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أُنْثَىٰ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خُنْثَىٰ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خُنْثَىٰ مُشْكِلًا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِي خَلْقِهِ مَا لَا يُعَدُّ بِهِ مِنَ الْأَنَاسِيِّ أَصْلًا، فَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ وَسَائِلِ التَّنَوُّعِ فِي الْخَلْقِ تَحْتَاجُ إِلَىٰ اخْتِيَارٍ.

الْإِرَادَةُ أَنْ يُخَصِّصَ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هَذَا الْخَلْقَ بِكَذَا سَمَاءٌ.. أَرْضٌ.. جِبَالٌ.. بِحَارٌ.. أَنْهَارٌ.. حَشَرَاتٌ.. حَيَوَانَاتٌ.. نَبَاتَاتٌ.. أَسْمَاكٌ.. جِنٌّ.. إِنْسٌ.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، فَيُخَصِّصُ هَذَا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فِي الْوُجُودِ بِصُورَةٍ مِنْ صُوَرِهِ الْمُمْكِنَةِ، ثُمَّ إِذَا مَا خُصِّصَ كَانَتْ لَهُ صِفَتُهُ، فَتَجِدُ الْإِنْسَانَ -مَثَلًا- لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَطَابَقَ مِنْ أَفْرَادِهِ اثْنَانِ، لَا فِي الْأَنَامِلِ، وَلَا فِي بَصْمَةِ الصَّوْتِ، وَلَا فِي بَصْمَةِ الْعَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَعْلَمْهُ النَّاسُ بَعْدُ.

فَتَخْصِيصُ الْإِنْسَانِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ يَدُلُّ عَلَىٰ صِفَةِ الْإِرَادَةِ.

الَّذِينَ أَنْكَرُوا صِفَاتِ الرَّبِّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُنْكِرُوا صِفَةَ الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّ الْحُجَّةَ قَائِمَةٌ عَلَيْهِمْ، الْعَقْلُ يَدْمَغُهُمْ، وَهُمْ إِلَيْهِ يَفْزَعُونَ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِذَنْ أَنْتُمْ لَا بُدَّ أَنْ تُثْبِتُوا صِفَةَ الْإِرَادَةِ.

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، وَنُنْكِرُ سَائِرَ الصِّفَاتِ، فَلَا نُثْبِتُهَا لِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؛ لِأَنَّنَا إِذَا أَثْبَتْنَا الصِّفَةَ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ شَبَّهْنَاهُ بِخَلْقِهِ، يَعْنِي إِذَا قُلْنَا: اللهُ قَوِيٌّ فَشَبَّهْنَاهُ بِخَلْقِهِ فَمِنْ خَلْقِهِ مَنْ هُوَ قَوِيٌّ وَمَا هُوَ قَوِيٌّ، وَإِذَا قُلْنَا: عَلِيمٌ فَفِي الْبَشَرِ عَلِيمٌ، حَكِيمٌ فَفِي الْبَشَرِ حَكِيمٌ!

إِذَنْ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ؛ لِيَفِرُّوا مِنْ تَشْبِيهِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْمَخْلُوقَاتِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: أَنْتُمْ -إِذَنْ- شَبَّهْتُمْ عِنْدَمَا أَثْبَتُّمْ لِلَّهِ صِفَةَ الْإِرَادَةِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُنْكِرُوهَا، لَوْ أَنْكَرْتُمُوهَا لَمَا كُنْتُمْ مِنَ الْعُقَلَاءِ.

فَيَقُولُونَ: لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِهَا.

فَنَقُولُ لَهُمْ كَمَا قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنْ عُلَمَائِنَا: إِذَنْ أَنْتُمْ وَقَعْتُمْ فِي التَّشْبِيهِ أَيْضًا، كَمَا اتَّهَمْتُمْ بِهِ خُصُومَكُمْ.

فَيَقُولُونَ: كَيْفَ؟

نَقُولُ: لِأَنَّ اللهَ ﷻ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ أَثْبَتَ صِفَةَ الْإِرَادَةِ حَتَّىٰ لِلْجَمَادِ!

فَقَالَ عَنِ الْجِدَارِ: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ...﴾ [الكهف: ٧٧].

فَأَثْبَتَ الْإِرَادَةَ، وَأَثْبَتَ الْإِرَادَةَ لِلْإِنْسَانِ، فَأَثْبَتَ الْإِرَادَةَ لِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ؛ فَإِذَنْ أَنْتُمْ شَبَّهْتُمْ.

فَيَقُولُونَ: لَا لَمْ نُشَبِّهْ.

قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: كَيْفَ، وَأَنْتُمْ وَقَعْتُمْ فِيمَا اتَّهَمْتُمْ بِهِ خُصُومَكُمْ؟

قَالُوا: إِنَّمَا نُثْبِتُ لِلَّهِ صِفَةَ الْإِرَادَةِ لَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يُشْبِهُ إِرَادَةَ الْمَخْلُوقِينَ.

قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: حَسَنٌ!! نَحْنُ نُثْبِتُ لِلَّهِ سَائِرَ الصِّفَاتِ لَا عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقِينَ.

فَكَانَ مَاذَا؟

تَنَاقُضٌ عَقْلِيٌّ!!

الَّذِي أَوْقَعَ الْقَوْمَ فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ: أَنَّهُمْ أَدْخَلُوا الْعَقْلَ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ، نَحْنُ نَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ مَا أَخْبَرَنَا اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْأَمْرُ تَوْقِيفِيٌّ، لَا نَصِفُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِصِفَةٍ لَمْ يَصِفْ بِهَا نَفْسَهُ وَلَمْ يَصِفْهُ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ، وَلَا نُسَمِّي اللهَ ﷻ بِاسْمٍ لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ وَلَمْ يُسَمِّهِ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، بَلْ نَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ مَا ثَبَتَ.



عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

الْآيَاتُ الَّتِي تَكَلَّمَ اللهُ ﷻ فِيهَا عَنْ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كَثِيرَةٌ جِدًّا فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَالْآيَاتُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ: كَالطَّهَارَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ كَثِيرَةٌ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ وَالْجَهْلِ هَؤُلَاءِ جَعَلُوا آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَ الصِّفَاتِ نَاحِيَةً؛ قَالُوا: هَذِهِ لَا نَفْهَمُهَا، وَأَمَّا آيَاتُ الْأَحْكَامِ فَهُمْ يَفْهَمُونَهَا فَهْمًا دَقِيقًا، وَيَبْحَثُونَهَا بَحْثًا مُغْرِقًا، وَيَقُولُونَ: هَذِهِ نَفْهَمُهَا، وَهَذِهِ لَا نَفْهَمُهَا!

فَيُقَالُ: سُبْحَانَ اللهِ!!

مَا وَرَدَ مِنْ نُصُوصِ الصِّفَاتِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ لَا تَفْهَمُونَهُ، وَتَفْهَمُونَ أَحْكَامَهُ؟!

جَعَلَ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ مُغْلَقًا عَلَىٰ الْعُقُولِ، فَلَا يَفْهَمُهُ بَشَرٌ، وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ فَهُوَ مَفْهُومٌ؟!

ثُمَّ إِنَّكُمْ بِذَلِكَ تَتَّهِمُونَ الرَّسُولَ ﷺ تُهْمَةً شَنِيعَةً؛ لِأَنَّكُمْ تَتَّهِمُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ آيَاتِ الصِّفَاتِ، فَلَمْ يَفْهَمْ صِفَاتِ رَبِّهِ، وَلَمْ يُثْبِتْهَا لَهُ.

هَذَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ؟!

بَلْ هَذَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ؟!

وَأَيْضًا تَتَّهِمُونَ الصَّحَابَةَ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا الْكِتَابَ وَلَمْ يَفْهَمُوا السُّنَّةَ، وَظَلَّ هَذَا لَا يُعْلَنُ عَنْهُ حَتَّىٰ جِئْتُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُبْتَدِعَةُ، فَقَرَّرْتُمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَهَذِهِ الْأَحَادِيثَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ، وَهِيَ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَطُّ، وَمُتَعَلِّقَةٌ بِأَشْرَفِ مَوْجُودٍ، وَبِأَشْرَفِ مَوْضُوعٍ بِاللهِ وَبِصِفَاتِهِ، وَبِأَسْمَائِهِ!

يَقُولُونَ: هَذَا مُغْلَقٌ عَلَىٰ الْعَقْلِ لَا نَفْهَمُهُ.

حَتَّىٰ إِنَّهُ نَبَغَتْ مِنْهُمْ نَابِغَةٌ فَقَالُوا: مَا دُمْنَا لَا نَفْهَمُهُ، فَكَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَهُ؟

قَالُوا: نُفَوِّضُهُ.. نُفَوِّضُهُ مَعْنًىٰ وَمَبْنًىٰ، فَنَقُولُ: لَا نَفْهَمُ حَتَّىٰ النَّصَّ.

يَعْنِي إِذَا قِيلَ لَهُمْ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

اسْتَوَىٰ لَهَا مَعْنًىٰ.

يَقُولُونَ: لَا.. نُفَوِّضُ الْمَعْنَىٰ.

إِذَنْ، هَذَا كَلَامٌ أَعْجَمِيٌّ، لَيْسَ بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ، لَيْسَ لَهُ مَعْنًىٰ وُضِعَ فِي كِتَابٍ، أَوْ نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ ثُمَّ هُوَ فِي النِّهَايَةِ لَا يَفْهَمُهُ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ.

فَيُقَالُ: مَا الْحِكْمَةُ؟

قَالُوا شَيْئًا يُضْحِكُ الثَّكْلَىٰ؛ قَالُوا: إِنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ وُجُودِ هَذِهِ النُّصُوصِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَعَ أَنَّهَا غَيْرُ مَفْهُومَةٍ؛ حَتَّىٰ يَخْتَبِرَ اللهُ وَيَمْتَحِنَ

الْخَلْقَ فِي أَنَّهُمْ لَا يُعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ؛ إِذَا أَعْمَلُوهَا هَلَكُوا، إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَفْهَمُوا النُّصُوصَ عَلَىٰ حَسَبِ مَا نَزَلَتْ بِهِ مِنَ اللُّغَةِ؛ لِأَنَّ هَذَا يَكُونُ عَبَثًا يَتَنَزَّهُ اللهُ عَنْهُ، وَيَتَنَزَّهُ عَنْهُ كِتَابُهُ وَوَحْيُهُ، أَنْ يُقَالَ: أَنْزَلَ الْقُرْآنُ بِالْعَرَبِيَّةِ مُغْلَقًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِهِ، النَّاسُ لَنْ يَفْهَمُوهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَعْنًىٰ.

يَقُولُونَ: نُفَوِّضُ الْمَعْنَىٰ؛ مَعْنَاهُ عِنْدَ اللهِ، وَحَقِيقَتُهُ وَكَيْفِيَّتُهُ عِنْدَ اللهِ فَالْمَعْنَىٰ عِنْدَ اللهِ. إِذَنْ: هُوَ لَيْسَ لَهُ مَعْنًىٰ عِنْدَنَا، فَأَنْزَلَ عَلَيْنَا نُصُوصًا لَيْسَ لَهَا مَعْنًىٰ عِنْدَنَا!

مَا الْحِكْمَةُ؟

قَالُوا: لِيَخْتَبِرَنَا إِنْ جَعَلَ لَهَا مَعْنًىٰ هَلَكْنَا...!

هَذَا كَلَامٌ؟

هَذَا يَقُولُ بِهِ عَاقِلٌ، فَضْلًا عَنْ مُسْلِمٍ، فَضْلًا عَنْ مُنَزِّهٍ كَمَا يَدَّعُونَ وَيَتَّهِمُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ بِأَنَّهُمْ مُجَسِّمَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَهُ مَعْنًىٰ، وَلَكِنَّ الْكَيْفِيَّةَ مُفَوَّضَةٌ إِلَىٰ اللهِ؟!

وَهَذَا أَمْرٌ تَجْرِي عَلَيْهِ قَوَاعِدُ اللُّغَةِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، فِي كُلِّ لُغَةٍ.

لَهُ مَعْنًىٰ وَيُفْهَمُ الْمَعْنَىٰ مِنْ سِيَاقِهِ، فَإِذَا كَانَ الْمَوْصُوفُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الصِّفَةَ تَكُونُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَةٌ.

هَذَا هُوَ الْعَقْلُ إِلَيْهِ يَحْتَكِمُونَ.

إِذَا قِيلَ: يَدُ النَّمْلَةِ، وَيَدُ الْفِيلِ أَجُعِلَتِ الْيَدُ كَالْيَدِ؟

هَذِهِ يَدٌ وَهَذِهِ يَدٌ.

اللهُ عَجَّلَ تَكَلَّمَ عَنِ اسْتِوَاءٍ لِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَنَسَبَ الِاسْتِوَاءَ لِنَفْسِهِ صَرَاحَةً فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ جَلَّ وَعَلَا صَرِيحَةٍ أَنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ.

فَيُقَالُ: مَنِ الَّذِي اسْتَوَىٰ؟

اللهُ... اللهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

إِذَنِ اسْتِوَاؤُهُ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهِ، وَذَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ، فَاسْتِوَاؤُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ اسْتِوَاءٌ؛ هَذَا مُقْتَضَىٰ الْعَقْلِ، فَضْلًا عَنِ النَّقْلِ.

إِذَنِ الْمُشْكِلَةُ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، أَوْ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِيمَا لَا تُحْسِنُهُ، وَأَنْ تُعْمِلَ الْعَقْلَ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ، وَهَذَا مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الدِّينُ، بَلْ جَاءَ بِضِدِّهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللهُ- مُشَخِّصِينَ لِأَصْلِ الدَّاءِ، ثُمَّ وَصْفُ الدَّوَاءِ سَهْلٌ.

الْمُشْكِلَةُ فِي تَشْخِيصِ الدَّاءِ، لَا فِي وَصْفِ الدَّوَاءِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِذَا وُصِفَ لَهُمْ دَاءٌ قَالُوا: عِلَاجُهُ كَذَا وَكَذَا، وَلَيْسُوا أَصْلًا مِنَ الْمُشْتَغِلِينَ بِالصَّنْعَةِ، وَلَكِنَّ الْمُشْكِلَةَ فِي التَّشْخِيصِ، وَفِي الْوَصْفِ أَيْضًا لِلدَّوَاءِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَصِفُ الدَّوَاءَ وَهُوَ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالْمَجَالِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الصَّنْعَةِ هَذَا مُسِيءٌ، وَرُبَّمَا أَدَّىٰ إِلَىٰ قَتْلِ مَنْ يَصِفُ لَهُ مَا وَصَفَ.

الْمُهِمُّ أَنَّ الْعُلَمَاءَ -رَحِمَهُمُ اللهُ- كَانُوا وَاعِينَ شَخَّصُوا الْمَسْأَلَةَ مِنَ الْبِدَايَةِ، وَمَضَىٰ تَيَّارُهُمْ -رَحِمَهُمُ اللهُ- فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ مُتَجَدِّدًا فِي الْعَقَائِدِ بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ، وَالشَّرْحِ وَالِاخْتِصَارِ، بِالْإِسْهَابِ وَبِالْإِيجَازِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الْأَوَّلُ

أَنْقُلُهَا كَمَا وَرَدَتْ لَا يَسَعُنِي أَنْ أَرُدَّ.

وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَىٰ نُقَّالِهَا وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

يَعْنِي أَسِيرُ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَعَلَىٰ مُعْتَقَدِ الَّذِينَ نَقَلُوهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

إِذَنْ يُثْبِتُونَ مَا وَرَدَ بِهِ النَّصُّ، جَمِيعَ مَا وَرَدَتْ بِهِ النُّصُوصُ هُمْ يُثْبِتُونَهُ عَلَىٰ قَوَاعِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا: لَا يُثْبِتُونَ سَبْعَ صِفَاتٍ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاقِيَ، وَلَا يَتَنَاقَضُونَ.

فَالْقَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ؛ كَمَا مَرَّ فِي الْإِرَادَةِ أَنْتُمْ تُثْبِتُونَهَا وَتَقُولُونَ: إِرَادَةٌ لَيْسَتْ كَإِرَادَةِ الْمَخْلُوقِ.

فَنَقُولُ: سَمْعٌ لَا كَسَمْعِ الْمَخْلُوقِ، بَصَرٌ لَا كَبَصَرِ الْمَخْلُوقِ، نُزُولٌ لَا كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِ، اسْتِوَاءٌ لَا كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ.

⊙⊙⊙

مِنْ قَوَاعِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصِّفَاتِ

فَالْقَوْلُ فِي صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ.

هَذِهِ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الصِّفَاتِ قَرَّرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «التَّدْمُرِيَّةِ»

الْقَوْلُ فِي صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ.

وَالصِّفَاتُ عَلَىٰ قَدْرِ الذَّوَاتِ. قَاعِدَةٌ أُخْرَىٰ.

جَاءَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَّصِفٌ بِالْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا: حَقًّا عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا، لَا مَجَازَ فِيهَا كَمَا يَقُولُ الْمُبْتَدِعَةُ

كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الْأَوَّلُ: يُرِيدُ الصَّحَابَةَ، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَلَيْسَ فِي هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَفْوِيضٌ، التَّفْوِيضُ إِنَّمَا هُوَ لِلْكَيْفِيَّةِ؛ يَعْنِي عِنْدَمَا تَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَوَاتِرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فَأَنْتَ أَثْبَتَّ صِفَةَ النُّزُولِ لِلْبَارِي جَلَّ وَعَلَا،

وَلَكِنْ يَقُولُ: أَفْهَمُ النُّزُولَ كَمَا نَطَقَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَمْ يُلْغِزْ، لَمْ يَأْتِ بِلُغْزٍ وَلَا بِأَحَاجِيَّ، وَإِنَّمَا أَتَىٰ بِكَلَامٍ وَاضِحٍ.

يَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّكُمْ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَيُكَلِّمُ الْأُمَّةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.. لَا يُكَلِّمُ الصَّحَابَةَ وَحْدَهُمْ، وَلَا يُكَلِّمُ وَاحِدًا بِعَيْنِهِ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّكُمْ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَنَفْهَمُ النُّزُولَ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يُوصَفُ بِهِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا فَيَكُونُ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهِ، لَائِقًا بِذَاتِهِ، وَاللهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَنُزُولُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُزُولٌ، وَقِسْ عَلَىٰ هَذَا فِي سَائِرِ النَّظَائِرِ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ لِلَّذِي سَأَلَهُ عَنِ الِاسْتِوَاءِ قَالَ: الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ، -وَانْظُرْ إِلَىٰ صِيغَةِ السُّؤَالِ- قَالَ: كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟

فَاضْطَرَبَ مَالِكٌ جِدًّا، وَعَلَتْهُ الرُّحَضَاءُ، وَأَخَذَ يَرْتَعِدُ وَيَتَصَبَّبُ عَرَقًا، ثُمَّ قَالَ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ -الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ لُغَةً كَمَا خَاطَبَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ فِي الْقُرْآنِ، فَالِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ-، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ.

يَعْنِي عِنْدَمَا يُسْنَدُ الِاسْتِوَاءُ إِلَىٰ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا فَاسْتِوَاؤُهُ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهِ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ ذَاتِهِ، إِذَنْ نَحْنُ نَجْعَلُ اسْتِوَاءَهُ كَذَاتِهِ، نُثْبِتُ الذَّاتَ وَلَا نَعْلَمُهَا.. لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهَا، وَنُثْبِتُ الِاسْتِوَاءَ وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ، كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ.

الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ، وَهِيَ مِنْ قَوَاعِدِ التَّدْمُرِيَّةِ أَيْضًا حَاوِلْ أَنْ تَقْرَأَ (التَّدْمُرِيَّةَ)، أَوْ تَسْمَعَ شَرْحًا لَهَا؛ فِيهَا خَيْرٌ كَبِيرٌ.

فَأَيْضًا هُنَا عِنْدَمَا نَنْظُرُ فِي الْقَوْلِ فِي الصِّفَاتِ نَجِدُهُ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ.

يَعْنِي يُقَالُ لِلَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ: أَنْتُمْ تُثْبِتُونَ ذَاتَ الْبَارِي جَلَّوَعَلَا؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

لَوْ قَالُوا: لَا، فَلَيْسَ لَنَا مَعَهُمْ كَلَامٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَ إِلَهًا مَوْجُودًا، فَإِذَا قُلْنَا لَهُمْ يَا مُنْكِرِي الصِّفَاتِ، يَا مُؤَوِّلَةُ، يَا جَهَلَةُ هَلْ تُثْبِتُونَ الذَّاتَ؟

فَإِذَا قَالُوا: نَعَمْ مَضَيْنَا مَعَهُمْ فِي الْكَلَامِ.

إِذَا قَالُوا: لَا نُثْبِتُ الذَّاتَ. فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُمْ؛ هَؤُلَاءِ مُلْحِدُونَ، وَأَمَّا إِذَا أَثْبَتُوا الذَّاتَ؛ فَقَدْ شَبَّهْتُمْ -عَلَىٰ قَاعِدَتِكُمْ- يَقُولُونَ: كَيْفَ؟

فَنَقُولُ: أَنْتُمْ أَثْبَتُّمْ ذَاتًا لَهَا وُجُودٌ، وَالْمَخْلُوقَاتُ ذَوَاتٌ لَهَا وُجُودٌ، فَأَنْتُمْ شَبَّهْتُمُ الْبَارِيَ بِخَلْقِهِ يَقُولُونَ: لَا؛ ذَاتٌ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ.

نَقُولُ: وَصِفَاتٌ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَاتٌ!!

أَفِيقُوا!!

إِذَنْ: الْأَمْرُ قَرِيبٌ كَمَا تَرَىٰ يَفْهَمُهُ الرَّجُلُ الْعَامِّيُّ الَّذِي لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِالْعِلْمِ، وَلَمْ يَثْنِ رُكْبَتَيْهِ فِي مَجَالِسِ التَّعَلُّمِ، يَفْهَمُهُ كُلُّ صَاحِبِ عَقْلٍ مَهْمَا كَانَ عَقْلُهُ ضَعِيفًا.

الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ وَإِلَّا تَنَاقَضْتُمْ، تُثْبِتُونَ الذَّاتَ؟

يَقُولُونَ: نَعَمْ!

مَوْجُودَةٌ؟

يَقُولُونَ: مَوْجُودَةٌ!

نَقُولُ: شَبَّهْتُمْ -عَلَىٰ قَاعِدَتِكُمْ-؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ لَهَا ذَوَاتٌ مَوْجُودَةٌ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: اللهُ لَهُ ذَاتٌ مَوْجُودَةٌ، إِذَنْ: شَبَّهْتُمُ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ -عَلَىٰ قَاعِدَتِكُمْ-.

فَإِنْ قَالُوا: لَا، نُثْبِتُ ذَاتًا لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ.

نَقُولُ: وَنُثْبِتُ صِفَاتٍ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَاتٌ.

وَلَكِنَّ الْخَلَلَ دَخَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنَّكُمْ لَا ذَائِقَةَ عِنْدَكُمْ فِي اللُّغَةِ، وَلَا إِحْسَاسَ لَكُمْ بِهَا، الصِّفَاتُ عَلَىٰ قَدْرِ الذَّاتِ يَا قَوْمُ!

الصِّفَةُ عَلَىٰ قَدْرِ الْمَوْصُوفِ، لَيْسَتْ يَدُ النَّمْلَةِ كَيَدِ الْفِيلِ، وَهِيَ يَدٌ وَيَدٌ، وَلَكِنْ لَمَّا وُصِفَتِ النَّمْلَةُ بِيَدِهَا كَانَتِ الْيَدُ لَهَا عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهَا، وَلَمَّا وُصِفَ الْفِيلُ بِيَدِهِ كَانَتِ الْيَدُ لِلْفِيلِ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهِ.

مَا الْمُشْكِلُ؟

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا ... حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الْأَوَّلُ

وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَىٰ نُقَّالِهَا ... وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

أَرُدُّ تَبِعَاتِ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ إِلَىٰ الَّذِينَ نَقَلُوهَا لَنَا، وَهُمْ أَعْرَفُ بِمُرَادِ اللهِ وَمُرَادِ رَسُولِهِ ﷺ.

الْقَوْمُ لَا يُكَذِّبُونَ النَّاقِلِينَ، لَمْ يُكَذِّبُوا الصَّحَابَةَ فِي حَدِيثِ النُّزُولِ مَثَلًا، وَإِنَّمَا قَاعِدَتُهُمْ عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَ النُّصُوصِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالصِّفَاتِ: بِأَنَّهُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يُكَذِّبُوهَا كَذَّبُوهَا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا -نُصُوصٌ فِي الْقُرْآنِ.. نُصُوصٌ فِي السُّنَّةِ- لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا، وَإِلَّا لَمَا كَانُوا مَنْسُوبِينَ إِلَىٰ الْعِلْمِ أَصْلًا.

إِذَنْ: هُمْ يُثْبِتُونَهَا، فَمَاذَا يَصْنَعُونَ فِيمَا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوهُ وَلَا أَنْ يُزَيِّفُوهُ؟

يُؤَوِّلُونَهُ أَيْ: يُحَرِّفُونَهُ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: الَّذِي جَاءَنَا مَنْقُولًا عَنِ الطِّرَازِ الْأَوَّلِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ نَرُدُّ عُهْدَتَهُ إِلَىٰ نُقَّالِهِ عَلَىٰ حَسَبِ الْعِلْمِ وَقَوَاعِدِهِ، نَطَقَ بِهِ الصَّحَابَةُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَنَقَلُوهُ، فَإِذَنْ: نُثْبِتُ الْأَلْفَاظَ وَالْمَعَانِيَ اللَّيِّقَةَ بِاللهِ عَنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، وَعَنِ التَّكْيِيفِ.

.... **وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ**

كَمَا سَيَأْتِي..

هُمْ يَفِرُّونَ مِنْ شَيْءٍ وَقَعُوا فِيهِ، وَيَتَّهِمُونَ مَنْ لَمْ يَقَعْ فِيهِ بِأَنَّهُ وَقَعَ فِيهِ؛ يَعْنِي يَقُولُونَ: مُشَبِّهَةٌ؛ لِأَنَّنَا نُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ عَلَىٰ النَّحْوِ اللَّيِّقِ بِهِ، وَنَقُولُ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَصِفَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَاتٌ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ، هَذَا مَا نَقُولُ.

يَقُولُونَ: شَبَّهْتُمْ.. شَبَّهْنَا؛ لِأَنَّنَا أَثْبَتْنَا مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ؟

أَنْتُمْ مَاذَا صَنَعْتُمْ؟

قَالُوا: لَا.. أَوَّلْنَا؛ لِأَنَّنَا لَوْ أَثْبَتْنَا لَشَبَّهْنَا.

فَنَقُولُ: أَنْتُمْ شَبَّهْتُمْ أَوَّلًا، فَأَرَدْتُمْ أَنْ تَفِرُّوا مِنَ التَّشْبِيهِ فَحَرَّفْتُمْ.

لَمَّا سَمِعْتُمُ النَّصَّ ضَاقَتْ عُقُولُكُمْ عَنِ الْغَرِيزَةِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي كُلِّ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ، ضَاقَتْ عُقُولُكُمْ عَنِ الْفَهْمِ فَقُلْتُمْ: إِذَا أَثْبَتْنَا لِلَّهِ اسْتِوَاءً -مَثَلًا- فَقَدْ شَبَّهْنَا اللهَ بِخَلْقِهِ فَشَبَّهُوا، ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَفِرُّوا مِمَّا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ التَّشْبِيهِ فَقَالُوا: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنًى سِوَىٰ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ النَّصِّ.

لِمَاذَا تَصْرِفُ النَّصَّ عَنْ ظَاهِرِهِ بِلَا مُوجِبٍ؟

قَالُوا: لِأَنَّنَا لَوْ أَخَذْنَا النَّصَّ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ لَشَبَّهْنَا.

فَنَقُولُ لَهُمْ: قُلْتُمْ قَوْلَةً كَبِيرَةً جِدًّا، لَوْ أَنَّكُمْ تَفْهَمُونَ حَقِيقَتَهَا لَخَرَجْتُمْ.

أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ ظَوَاهِرَ النُّصُوصِ تَدُلُّ عَلَىٰ الْكُفْرِ هَذَا يَلْزَمُكُمْ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَفِرُّوا مِنْهُ.

أَنْتُمْ تَقُولُونَ: مَنْ أَثْبَتَ ظَوَاهِرَ النُّصُوصِ كَانَ مُمَثِّلًا.. مُشَبِّهًا فَيَكُونُ كَافِرًا.

فَنَقُولُ: ظَوَاهِرُ النُّصُوصِ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ تُؤَدِّي إِلَىٰ الْكُفْرِ؟ مَنْ أَثْبَتَهَا كَفَرَ.. كَيْفَ؟

تَنَاقُضٌ وَخَبْطٌ، وَإِهْمَالٌ لِلْعَقْلِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: ظَاهِرُ النَّصِّ أَنَّ اللهَ ﷻ فِي الِاسْتِوَاءِ، أَوْ فِي النُّزُولِ فِي الْكِتَابِ أَوْ فِي السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ اسْتَوَىٰ، أَوْ نَزَلَ، فَأَنْتُمْ عِنْدَمَا نَظَرْتُمْ فِي ظَاهِرِ النَّصِّ سِرْتُمْ عَلَىٰ الْقَاعِدَةِ الَّتِي تَقُولُونَ مِنْ أَنَّ ظَاهِرَ النَّصِّ إِذَا أُخِذَ عَلَىٰ حَالِهِ أَدَّىٰ إِلَىٰ الْكُفْرِ فَشَبَّهْتُمْ.. أَنْتُمْ شَبَّهْتُمْ.. أَنْتُمُ الْمُشَبِّهَةُ!

ثُمَّ وَقَعْتُمْ فِيمَا هُوَ أَسْوَأُ -أَيْضًا-؛ فَحَرَّفْتُمْ لَقَدْ حُزْتُمُ السَّوْأَتَيْنِ يَا قَوْمُ.

شَبَّهْتُمْ ثُمَّ أَرَدْتُمْ أَنْ تَفِرُّوا مِنَ التَّشْبِيهِ فَحَرَّفْتُمْ، وَلَمْ يَدْعُكُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ دَاعٍ، لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا مِنْ سُنَّةٍ، وَلَا مِنْ قَوْلِ نَبِيٍّ وَلَا صَاحِبٍ، وَلَا مِنْ إِرْشَادِ تَابِعِيٍّ وَلَا إِمَامٍ، لِمَاذَا؟

لِأَنَّكُمْ سِرْتُمْ وَرَاءَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَمْ تَتَوَقَّفُوا، وَلَمْ تَتَمَهَّلُوا وَلَمْ تَنْتَظِرُوا، وَلَمْ تُفَكِّرُوا؛ لِكَيْ تَأْخُذُوا الدِّينَ صَافِيًا مِنْ نَبْعِهِ، وَهُوَ مَا يَفْهَمُهُ الْمُسْلِمُونَ الْعَوَامُّ... الْعَوَامُّ!

***

الْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ فِي الصِّفَاتِ تُنْتِجُ عَمَلًا

الْعَامِّيُّ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي عَلَتْ بِهِ السُّنُونَ لَوْ جِئْتَهُ فِي يَوْمٍ فَقُلْتَ لَهُ: عَمَّاهُ! مَا مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؟

سَيَقُولُ لَكَ: يَا وَلَدِي! الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ.. فَقَدْ سَمِعْتُهَا مِنْ خَمْسِينَ.. سِتِّينَ.. سَبْعِينَ عَامًا... الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ.. مَاذَا تُرِيدُ؟

فَإِذَا قُلْتَ لَهُ: أَلَا يُؤَدِّي هَذَا إِلَىٰ التَّشْبِيهِ؟ وَأَنْ تُشَبِّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ؟ وَأَنَّكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَوَىٰ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَقَدْ جَعَلْتَهُ ذَاتًا وَقُلْتَ بِالْمُمَاسَّةِ، أَوْ بِالتَّحَيُّزِ فِي الْعَرْشِ، أَوْ أَثْبَتَّ لَهُ الْجِهَةَ فَتَكُونُ مُشِيرًا إِلَىٰ ذَاتٍ.

لَوْ قُلْتَ لَهُ ذَلِكَ، لَأَدَارَ عَلَىٰ الْأَبْعَدِ النَّعْلَ عَلَىٰ رَأْسِهِ!

لِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ هَذَا، وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الزَّيْغِ الَّذِي يُرِيدُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصُبَّهُ فِي أُذُنَيْهِ.. مَالَكَ وَمَالَهُ؟

عَلَىٰ حَسَبِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ الْخَلْقَ عَلَيْهَا... هَذَا الْعَامِّيُّ يَسْمَعُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ**».

فَلَا يَفْهَمُ مِنْهُ إِلَّا التَّنْزِيلَ، وَيُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَيَقُولُ: يَنْبَغِي عَلَيَّ فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ أَنْ أَجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ وَالْبُكَاءِ وَالتَّضَرُّعِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَجَّلَ لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَمَعَ ذَلِكَ يَنْزِلُ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ يُنَادِي: «**أَلَا هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؛ فَأَغْفِرَ لَهُ، أَلَا هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، أَلَا مِنْ طَالِبِ حَاجَةٍ؛ فَأَقْضِيَهَا لَهُ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ**».

يَقُولُ -الْعَامِّيُّ- يَقُولُ: لَا يَلِيقُ بِي أَبَدًا، وَأَنَا الضَّعِيفُ الْعَاجِزُ الْمُضْطَرِبُ الذَّلِيلُ أَنْ يَنْزِلَ الْعَزِيزُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا يُنَادِي فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَنَا غَافِلٌ أَوْ نَائِمٌ.

فَيُثْبِتُ عِنْدَهُ عَمَلًا عَلَىٰ اعْتِقَادٍ صَحِيحٍ، أَمَّا أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ وَتَقُولَ: النُّزُولُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عُلْوٍ إِلَىٰ سُفْلٍ، وَالنُّزُولُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذَاتٍ وَجِسْمٍ، وَالنُّزُولُ يَكُونُ لِلْمَخْلُوقَاتِ كَذَا..

فَإِذَنْ: فَقَدْ شَبَّهْتَ اللهَ بِخَلْقِهِ، أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟

هَلْ قَالَ هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

هَلْ قَالَهُ الصَّحَابَةُ؟ قَالَهُ التَّابِعُونَ؟ حَتَّىٰ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَئِمَّتِنَا هَلْ قَالُوهُ؟!

لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِيهِ إِلَّا رَدًّا، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِيهِ الْآنَ إِلَّا رَدًّا لِرَدِّ زَيْغٍ وَزَيْفٍ وَضَلَالٍ، وَإِلَّا مَا تَكَلَّمْنَا فِي هَذَا أَصْلًا.

لَمْ يَتَكَلَّمِ الْعُلَمَاءُ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ -أَعْنِي أَهْلَ السُّنَّةِ- إِلَّا لَمَّا تَكَلَّمَ الْمُبْتَدِعَةُ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ، وَالْعِلْمُ نُقْطَةٌ كَثَّرَهَا الْجَاهِلُونَ.

تَكَلَّمَ أَهْلُ الضَّلَالِ وَالْبِدْعَةِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ، فَرَدَّ أَهْلُ الْبِدْعَةِ عَلَىٰ رُدُودِ أَهْلِ الْحَقِّ، فَرَدَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَىٰ رُدُودِ أَهْلِ الْبِدَعِ، فَرَدَّ أَهْلُ الْبَاطِلِ

عَلَىٰ رُدُودِ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَىٰ رُدُودِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، فَاضْطُرَّ الْعُلَمَاءُ لِلتَّحْرِيرِ، وَالْكِتَابَةِ وَالْكَلَامِ وَالدِّفَاعِ عَنِ السُّنَّةِ، مَاذَا يَصْنَعُونَ؟

هَلْ يَصْمُتُونَ فِي تَيَّارِ الزَّيْفِ وَالزَّيْغِ وَالْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ يَعْلُو مَدُّهُ؟

يَتكَلَّمُونَ يُبَيِّنُونَ يُحَرِّرُونَ، وَالْكَلَامُ عِنْدَ السَّلَفِ كَانَ قَلِيلًا، وَالْعُقُولُ وَافِرَةٌ، وَالدِّينُ يَدْخُلُ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجًا، سَهْلٌ.. سَمْحٌ.. لَيْسَ فِيهِ تَعْقِيدٌ.. لَيْسَ فِيهِ الْتِوَاءٌ.. لَيْسَ فِيهِ غُمُوضٌ.

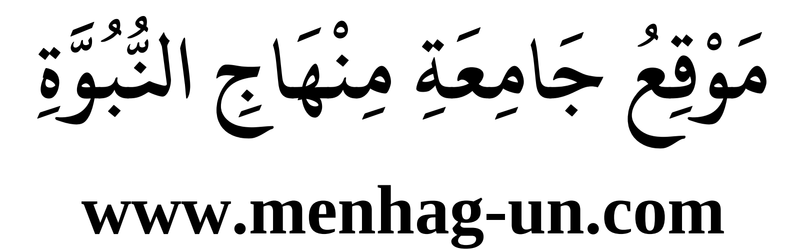
أَهْلُ السُّنَّةِ عِنْدَمَا يَعْرِضُونَ عَلَىٰ خَالِي الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ مِنْ مُقَدَّرَاتٍ سَابِقَةٍ.. مِنْ مُقَدَّرَاتِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ لَا يَبْدَءُونَ.

وَلَا يُعَرِّجُونَ عَلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، يَعْنِي لَا يَتكَلَّمُونَ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ، أَهْلُ السُّنَّةِ لَا يَشْغَلُونَ الْخَلْقَ بِأُمُورٍ لَا تَرِدُ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَىٰ بَالِهِمْ، وَإِنَّمَا يَأْتُونَ بِمُجْمَلِ الِاعْتِقَادِ، هَذَا مَا يَلْزَمُنَا إِزَاءَ أُمَّتِنَا -فِي الْمُجْمَلِ- أَنْ نُبَيِّنَ لَهُمْ مُجْمَلَ الِاعْتِقَادِ حَتَّىٰ إِذَا مَاتَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مَاتَ عَلَىٰ الِاعْتِقَادِ الصَّحِيحِ. مُجْمَلِ الِاعْتِقَادِ.

وَأَمَّا مَا فَوْقَ ذَلِكَ، وَمَا وَرَاءَهُ، وَمَا دُونَهُ إِنَّمَا يَتكَلَّمُونَ فِيهِ عَلَىٰ قَدْرِ الْحَاجَةِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ مُبْطِلٌ رَدُّوا عَلَيْهِ إِذَا أَذَاعَ أَذَاعُوا، مَاذَا يَصْنَعُونَ؟

وَلَكِنْ لَيْسَتِ الْعُهْدَةُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا، وَإِنَّمَا عَلَىٰ مَنْ يَتكَلَّمُ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

● ● ●



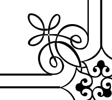
يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّادِسَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]





جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ فِي الصِّفَاتِ تُنْتِجُ عَمَلًا

قَالَ: كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَشَيْخُهُ رَبِيعَةُ وَهُوَ ثَابِتٌ عَنْهُمَا وَصَحِيحٌ، لَمَّا سَأَلَ بَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟ يَعْنِي الْكَيْفِيَّةَ، لَوْ قَالَ لِمَالِكٍ: مَا مَعْنَىٰ اسْتَوَىٰ؟ لَقَالَ لَهُ: الِاسْتِوَاءُ فِي اللُّغَةِ مَعْنَاهُ كَذَا وَكَذَا، وَكَذَا وَكَذَا، وَهِيَ الْمَعَانِي الْأَرْبَعُ لِكَلِمَةِ الِاسْتِوَاءِ فِي اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ.

لَقَالَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَنُفَوِّضُ عِلْمَهَا إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

لَوْ سَأَلَ عَنِ الْمَعْنَىٰ، وَلَكِنْ سَأَلَ الْمُبْتَدِعُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ، قَالَ: كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟

قَالَ لَهُ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، الِاسْتِوَاءُ: الْعُلُوُّ، الِارْتِفَاعُ، الصُّعُودُ، الِاسْتِقْرَارُ.

هَذَا مَعْنَىٰ الِاسْتِوَاءِ فِي اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَنَطَقَ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، قُمْ عَنِّي وَأَمَرَ بِهِ فَطُرِدَ.

السُّؤَالُ عَنْ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ لَا عَنِ الصِّفَةِ وَلَا مَعْنَاهَا، لَا بُدَّ أَنْ تَفْهَمَ الْمَعْنَىٰ،

وَإِلَّا فَأَنْتَ تُخَاطَبُ بِمَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ -عِنْدَكَ عَلَىٰ الْأَقَلِّ-، وَتَكُونُ الْحِكْمَةُ هَا هُنَا مُغَيَّبَةً، مَا الْحِكْمَةُ فِي أَنْ أُكَلَّفَ بِالْإِيمَانِ بِمَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ عِنْدِي؟

أَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ بِمُكَلَّفٍ أَنْ يُؤْمِنَ أَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ؟

مُكَلَّفٌ أَوْ غَيْرُ مُكَلَّفٍ؟

مُكَلَّفٌ.

مَنْ قَالَ: أَنَا غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ.

فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ صَرِيحَةً أَنَّ اللهَ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: أَنَا غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِالْإِيمَانِ بِهَذَا فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُ، أَمَّا إِذَا قَالَ: أَنَا مُكَلَّفٌ بِهِ نَقُولُ: لَا مَعْنَىٰ لَهُ.

هَذَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ؟

بَلْ كَيْفَ نَقُولُ لِلْعَالَمِ: دِينُنَا دِينُ الْعَقْلِ، دِينُ الْحِكْمَةِ، وَيَقُولُ: عِنْدَكُمْ فِي كِتَابِكُمْ نُصُوصُ الصِّفَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِرَبِّكُمْ وَلَيْسَ لَهَا مَعْنًىٰ؟

فِي أَشْرَفِ مَوْضِعٍ، وَأَعْظَمِ مَوْضُوعٍ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا بِاللهِ ﷻ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يَقُولُونَ: لَيْسَ لَهَا مَعْنًىٰ، فَلِمَاذَا أَنْزَلَهَا إِذَنْ؟

يَقُولُ: مِنْ أَجْلِ أَنْ يَخْتَبِرَكَ، لَوْ جَعَلْتَ لَهَا مَعْنًىٰ كَفَرْتَ.

دِينُ الرَّحْمَةِ.. نَقُولُ لِلنَّاسِ حِينَئِذٍ: هَذَا دِينُ الرَّحْمَةِ؟

وَهُوَ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نُؤْمِنَ بِأُمُورٍ لَا مَعْنَىٰ لَهَا؟

وَإِذَا أَثْبَتْنَا لَهَا مَعْنًىٰ عَلَىٰ حَسَبِ اللُّغَةِ الَّتِي أُنْزِلَ بِهَا هَذَا الْكَلَامُ عَلَىٰ حَسَبِ اللُّغَةِ، لَمْ نُبْعِدْ، وَلَمْ نَشْتَطَّ، وَلَا شَيْءَ، يَقُولُ: الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ.. يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يَقُولُ: إِنْ آمَنْتَ بِهَذَا عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ اللُّغَةُ كَفَرْتَ.

تَقُولُ: كَيْفَ؟ نُزُولٌ لِلَّهِ، فَهُوَ لِلَّهِ، كَمَا يَقُولُ: ذَاتُ اللهِ.. ذَاتٌ هِيَ اللهُ، فَذَاتُ اللهِ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ، نُزُولُ اللهِ نُزُولٌ لِلَّهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُزُولٌ، اسْتِوَاءٌ لِلَّهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ اسْتِوَاءٌ، وَقِسْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

فَكَانَ مَاذَا؟ نُؤْمِنُ بِمَا كَلَّفَنَا اللهُ بِهِ، وَهَذَا هُوَ حَقُّ الْإِيمَانِ.

فَأَمَّا إِذَا آمَنْتَ بِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الَّذِي آمَنَ بِهِ الرَّسُولُ، وَآمَنَ بِهِ الصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَشْكِلُوا قَطُّ فِيهِ -يَعْنِي لَمْ يَقُولُوا قَطُّ، وَهُمْ أَهْلُ اللُّغَةِ أَصْحَابُ السَّلِيقَةِ اللُّغَوِيَّةِ- لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ مِنْهُمْ لِرَسُولِ اللهِ: يَا رَسُولَ اللهِ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ قَضِيَّةِ النُّزُولِ هَذِهِ، فَأَنْتَ تَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا -يَعْنِي أَلَا يَكُونُ هَذَا فِيهِ انْتِقَاصٌ، حَاشَا لِلَّهِ، بِاللهِ ﷻ- قَالُوا ذَلِكَ لِلرَّسُولِ؟

عِنْدَهُمْ إِجْمَاعٌ سُكُوتِيٌّ، وَلَا صَاحِبَ وَرَدَ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ، وَلَا صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ، وَلَا حَسَنٍ لِذَاتِهِ وَلَا حَسَنٍ لِغَيْرِهِ، وَلَا ضَعِيفٍ، وَلَا مَوْضُوعٍ

مَكْذُوبٍ، لَمْ يَرِدْ أَبَدًا حَدِيثٌ -وَلَا مَكْذُوبٌ- أَنَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ اسْتَشْكَلَ فِي مَعْنَىٰ مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا.

الصَّحَابِيُّ الَّذِي قَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَ يَضْحَكُ رَبُّنَا؟!

كَانَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِثْبَاتِ لَا عَنِ الْكَيْفِيَّةِ.

قَالَ: أَوَ يَضْحَكُ رَبُّنَا؟!

إِذَنْ: هُوَ لَهُ عِلْمٌ بِمَعْنَىٰ الضَّحِكِ فَسَأَلَ هَلْ أُثْبِتُ هَذَا الْمَعْنَىٰ.. الْمَعْنَىٰ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ؟

لِأَنَّهُ يَقُولُ: رَبُّنَا.

رَبُّنَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

فَيَقُولُ: أَوَ يَضْحَكُ رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لَا نَعْدِمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا.

يُرِيدُ أَنْ يُثْبِتَ فَقَطْ.

لَا سَأَلَ عَنْ مَعْنَىٰ، وَلَا عَنْ كَيْفِيَّةٍ، وَلَا عَنْ شَيْءٍ.. الْمَعْنَىٰ مَكْشُوفٌ عِنْدَهُ مَعْلُومٌ.

وَلَا حَدِيثٍ مَوْضُوعٍ!!

فَالصَّحَابَةُ عِنْدَهُمْ مَا يُقَالُ لَهُ -احْفَظْ هَذَا الْمُصْطَلَحَ-: **الْإِجْمَاعُ السُّكُوتِيُّ**.

لِأَنَّهُمْ مَرَّتْ عَلَيْهِمُ النُّصُوصُ هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوهَا، يَعْنِي: مِنْ أَيْنَ جَاءَنَا آيَاتُ رَبِّنَا الَّتِي أَوْحَاهَا اللهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا؟

عَنِ الصَّحَابَةِ.. الصَّحَابَةُ أَخَذُوا عَنِ النَّبِيِّ.. وَالتَّابِعُونَ أَخَذُوا عَنِ الصَّحَابَةِ، وَتَابِعُو التَّابِعِينَ أَخَذُوا عَنِ التَّابِعِينَ، وَتَبَعُ الْأَتْبَاعِ أَخَذُوا عَنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَالْأَئِمَّةُ أَخَذُوا عَمَّنْ قَبْلَهُمْ، وَهَكَذَا فِي سِلْسِلَةٍ لِلتَّلَقِّي شَرِيفَةٍ تَنْتَهِي إِلَىٰ رَبِّ الْعِزَّةِ.. إِلَىٰ الصَّحَابَةِ.. إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ جِبْرِيلَ إِلَىٰ رَبِّ الْعِزَّةِ بِأَعْلَىٰ إِسْنَادٍ قَطُّ.

فَالْقُرْآنُ أَتَانَا عَنْ طَرِيقِ الصَّحَابَةِ، وَالْأَحَادِيثُ -أَيْضًا- مَنِ الَّذِي نَقَلَ الْأَحَادِيثَ؟

هَلْ هُنَاكَ فَجْوَةٌ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ لَمْ تُشْغَلْ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمْ تَمُرَّ عَلَيْهِمْ أَحَادِيثُ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوهَا، فَنَقَلُوا إِلَيْنَا الْآيَاتِ وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ، وَالْأَحَادِيثَ وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ، نَقَلُوا لَنَا ذَلِكَ.

وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَلَا فِي حَدِيثٍ مَكْذُوبٍ مَوْضُوعٍ أَنَّهُ اسْتَشْكَلَ فِي الْمَعْنَىٰ -وَهُمْ أَصْحَابُ اللُّغَةِ.. هُمْ أَصْحَابُ السَّلِيقَةِ اللُّغَوِيَّةِ- لَا قَالُوا مَرَّةً: كَيْفَ يَسْتَوِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَلَا كَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَلَا كَيْفَ يَضْحَكُ؟ وَلَا شَيْءَ.

وَالَّذِي سَأَلَ.. سَأَلَ عَنِ الْإِثْبَاتِ فَقَطْ: أَوَيَضْحَكُ رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: إِذَنْ لَا نَعْدِمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا، فَاسْتَبْشَرَ بِضَحِكِ اللهِ. وَهِيَ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لَمَّا سَمِعُوا وَنَقَلُوا: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، هَلْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ نُثْبِتُ هَذَا لِلَّهِ؟

لَمْ يَقُولُوا؛ لِأَنَّهُمْ أَعْقَلُ مِنْ هَذَا وَأَعْلَىٰ.

يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ: أَ نُثْبِتُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ؟ أَهُمْ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنَ اللهِ؟ وَهُوَ الَّذِي بَلَّغَ ﷺ أَ هُمْ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ؟

مَا هَذِهِ الْفَوْضَىٰ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا؟! مَا هَذَا الْهَرْجُ؟! مَا هَذَا السَّفَهُ؟! مَا هَذَا السُّخْفُ؟!



الْإِجْمَاعُ السُّكُوتِيُّ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى

الْإِجْمَاعُ السُّكُوتِيُّ: أَنَّهُمْ جَمِيعًا ﭬ مَرَّتْ عَلَيْهِمْ، وَنَقَلُوا نُصُوصَ الصِّفَاتِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا، وَالسَّلِيقَةُ اللُّغَوِيَّةُ عِنْدَهُمْ. إِذَنْ، هُمْ فَهِمُوا الْمَعَانِيَ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَمَّا لَا يَفْهَمُونَهُ.

عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فَسَّرَهَا تَفْسِيرًا، وَأَتَىٰ بِعِقَالٍ أَبْيَض وَعِقَالٍ أَسْوَدَ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ فِي هَذَا، وَيَنْظُرُ فِي هَذَا حَتَّىٰ طَلَعَ النَّهَارُ، فَكَفَّ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، قَبْلَ ذَلِكَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ.

فَلَمَّا نَقَلَ ذَلِكَ -أَوْ نُقِلَ- إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ صَحَّحَ فِي حُكْمٍ فِقْهِيٍّ، فَكَيْفَ بِذَاتِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؟! لَوْ وَقَعَ خَلَلٌ لَصُحِّحَ، لَوْ خِيفَ مِنَ اشْتِبَاهٍ لَبُيِّنَ الْأَمْرُ وَفُسِّرَ، وَلَكِنْ لَا اشْتِبَاهَ هُنَالِكَ عَلَىٰ حَسَبِ السَّلِيقَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَالْغَرِيزَةُ الْفِطْرِيَّةُ اللُّغَوِيَّةُ عِنْدَ كُلِّ نَاطِقٍ بِلُغَةٍ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ فِي جَمِيعِ الْأَجْيَالِ وَالْأَمْصَارِ وَالْأَعْصَارِ إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْض وَمَنْ عَلَيْهَا، فَمَا الْحَاجَةُ هُنَا إِلَىٰ الْبَيَانِ أَوِ التَّفْسِيرِ أَوِ التَّحْذِيرِ؟

هَذَا غَيْرُ وَارِدٍ، فَلَمَّا جَاءَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِنَا وَتُرْجِمَتِ الْعُلُومُ وَالْفَلْسَفَاتُ وَالْمَنْطِقُ وَغَيْرُ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ، أَمَّا عِنْدَنَا فِي الْأَصْلِ فَلَا شَيْءَ مِنْ هَذَا.

فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يُصَحِّحُ فِي الْأُمُورِ الدَّقِيقَةِ وَالصَّغِيرَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الِاعْتِقَادِ، عِنْدَمَا قَالَ الْقَائِلُ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ» لَمْ يَتْرُكْهَا.. لَا.

بَلْ إِنَّ الْخَطِيبَ الَّذِي قَامَ يَخْطُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَىٰ.

قَالَ: «**بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ**».

وَأَنْتَ تَعْرِفُ نَبِيَّكَ.. تَعْرِفُ رَحْمَتَهُ وَشَفَقَتَهُ وَحِلْمَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُجَبِّهُ أَحَدًا مَا يَكْرَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ مُسْتَحِقًّا لِذَلِكَ فَذَمَّهُ، هَذَا أُسْلُوبُ ذَمٍّ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، قَالَ: «**بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ**»، هَذِهِ صِيغَةٌ إِذَا رَجَعْتَ إِلَىٰ كَلَامِ الْبَلَاغِيِّينَ فِيهَا لَوَجَدْتَ فِيهَا شَدِيدًا مِنَ الذَّمِّ، وَجَدْتَ فِيهَا أَمْرًا شَدِيدًا مِنَ الذَّمِّ، «**بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ**»؛ لِأَنَّهُ قَالَ: وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَىٰ مَعَ أَنَّ التَّثْنِيَةَ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ لَهَا مَوَاضِعُ أُخْرَىٰ، وَلَكِنْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَانَ شَيْءٌ، فَذَمَّهُ هَكَذَا عَلَىٰ الْمَلَأِ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ مَا كَانَ يَتْرُكُ شَيْئًا يَقُولُ الْقَائِلُ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ.

قَالَ: «**جَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟!**».

هَذَا تَنْدِيدٌ فَهُوَ يُخَوِّفُهُ وَيُحَذِّرُهُ مِنْهُ، يَقُولُ: «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا**»؟

كَيْفَ؟

لِلْوَاوِ، ثُمَّ يُرْشِدُ بِاسْتِخْدَامِ (ثُمَّ) بَدَلًا مِنَ الْوَاوِ.

●●●

إِصْلَاحُ الْعَقِيدَةِ ضَرُورَةٌ مُلِحَّةٌ

الْأَمْرُ جِدٌّ لَا هَزْلَ فِيهِ، الْوَاحِدُ مِنَّا إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَسِّنَ دَخْلَهُ سَافَرَ إِلَىٰ أَقْصَىٰ الْبِلَادِ، وَتَغَرَّبَ وَتَرَكَ امْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَحَالَهُ وَمَالَهُ عَلَىٰ خَطْبٍ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُصَابَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا بِهِ فِي غِيَابِهِ، وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَمَا يَذْهَبُ وَيُفْنِي سَنَوَاتِ عُمُرِهِ وَشَبَابَهُ فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ وَجَمْعِهِ، يَرْجِعُ فَلَا يَجِدُ إِلَّا مَا يَبْكِي عَلَيْهِ دَمًا، لَا تَرَبَّىٰ ابْنٌ عَلَىٰ حَقٍّ، وَلَا صِينَ بَيْتٌ، وَلَا اسْتَقَامَتْ أُمُورٌ، وَيَأْتِي بِالْمَالِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي يَدِ مَنْ يُبَدِّدُهُ فِي سَفَاهَةٍ، فَمَاذَا صَنَعَ؟

وَهَذَا مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَالْجَنَّةُ لَا تُرِيدُ أَنْ تَبْذُلَ لِدُخُولِهَا وَتَحْصِيلِهَا أَيَّ مَشَقَّةٍ، هَذَا عَقْلٌ؟!

سِلْعَةُ اللهِ غَالِيَةٌ.. سِلْعَةُ اللهِ الْجَنَّةُ، الْإِنْسَانُ يَنبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ ﷻ فِيمَا يَطْلُبُ، وَأَنْ يَكُونَ مَوْضُوعِيًّا مَنْطِقِيًّا مُنْصِفًا، أَنْتَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ أَنْ تَرْتَقِيَ تُضَيِّعُ سَنَوَاتِ الْعُمُرِ، وَبِالْأَخَصِّ تُضَيِّعُ سَنَوَاتِ الشَّبَابِ حَتَّىٰ إِذَا مَا حَصَّلْتَ الْمَالَ، لَمْ تَجِدْ صِحَّةً تَسْمَحُ بِطَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ وَلَا شَهْوَةٍ، وَإِنَّمَا تُنْفِقُ مَا حَصَّلْتَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُدَاوِيَ جَسَدًا عَلِيلًا وَجِسْمًا مَرِيضًا، وَتَسُدَّ ثَغَرَاتٍ وَقَعَتْ فِي بَيْتٍ غَابَ عَنْهُ عَائِلُهُ، فَمَاذَا صَنَعْتَ؟

لَا شَيْءَ، أَمَّا الْجَنَّةُ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.. فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، يَقُولُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ**»، وَأَنْتَ تَقُولُ: مَا فِي هَذَا؟

أَيُّ شَيْءٍ!! لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ!!

أَنْتُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُعَقَّدُونَ مُتَزَمِّتُونَ مُتَشَدِّدُونَ، نَحْنُ الَّذِينَ قُلْنَا؟!

قَالَهُ رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قُلْنَا لَهُمْ ذَلِكَ قَالُوا: لَمْ يَقُلْهُ.

نَقُولُ: فِي الْبُخَارِيِّ.. فِي مُسْلِمٍ.

مَثَلًا يَقُولُونَ: وَمَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ؟

نَقُولُ: نَقَلَهُ الصَّحَابَةُ.

يَقُولُ: مَنِ الصَّحَابَةُ هَؤُلَاءِ؟

لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَطْعَنُوا فِي رَسُولِ اللهِ.

فَأَنْتَ تُرِيدُ الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ.

تُرِيدُ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِلَذَّةِ النَّظَرِ فِي وَجْهِ رَبِّكَ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا؟

اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.. نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا أَجْمَعِينَ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ بَذْلِ الْمَجْهُودِ، وَأَنْ تَتَعَلَّمَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَعْمَلَ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

نَحْنُ فِي مُجْتَمَعَاتٍ فِيهَا فَوْضَىٰ عِلْمِيَّةٌ كُلُّ مَنْ مَلَكَ لِسَانًا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يُكَلِّفُ نَفْسَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِعِلْمٍ، لَا يَتَوَرَّعُ أَحَدٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي شَيْءٍ حَتَّىٰ فِي ذَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَظَنُّوا أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَابًا مَفْتُوحًا يَلِجُهُ كُلُّ دَاخِلٍ، كُلُّ وَالِجٍ؛ فَأَتَوْا بِأَقْوَامٍ مِنْ أَهْلِ الْفَنِّ، مِنْ أَهْلِ الْغِنَاءِ، مِنْ أَهْلِ اللَّعِبِ، مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ، بَلْ أَتَوْا بِالْعَلْمَانِيِّينَ؛ لِيُعَلِّمُوا الْمُسْلِمِينَ دِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ!

وَالْعَوَامُّ مَسَاكِينُ، جَمَاهِيرُ أُمَّتِنَا جَمَاهِيرُ مِسْكِينَةٌ تَحْتَاجُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدَيْهَا، أَنَا أَحْتَرِمُ هَؤُلَاءِ الْعَوَامَّ فِي زَاوِيَةٍ مَا أَنَّهُمْ مَعَ قَسْوَةِ الْهَجْمَةِ فِي الْغَزْوَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْعَقَدِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ عَلَيْهِمْ مَازَالُوا إِلَىٰ الْيَوْمِ ثَابِتِينَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الثَّبَاتِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَخَرَجَتْ جَمَاهِيرُهَا عَنْ دِينِ رَبِّهَا، أَوْ عَمَّا يُحَاوَلُ أَنْ يُخْرَجَ عَنْهُ، وَلَكِنْ لِأَنَّهُ دِينُ اللهِ، وَاللهُ حَافِظُهُ وَرَاعِيهِ، فَمَا يَزَالُ الْعَوَامُّ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا مَعَ كَثْرَةِ الشُّبُهَاتِ صَبَاحَ مَسَاءَ.. طَعْنٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ.. فِي النَّبِيِّ.. فِي الصَّحَابَةِ.. فِي التَّابِعِينَ.. فِي الْعُلَمَاءِ.. فِي الْحَدِيثِ.. فِي السُّنَّةِ.. فِي كُلِّ شَيْءٍ!!

وَهَؤُلَاءِ مَسَاكِينُ، مَا ذَنْبُ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْلِسَ بَعْدَ نَهَارٍ طَوِيلٍ مِنَ الْكَدْحِ؛ لِكَيْ يُشَاهِدَ مَنْ فُرِضَ عَلَيْهِ لِيُضَلِّلَهُ؟

يُزِيغُهُ عَنِ الْحَقِّ وَعَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، يَجْعَلُهُ مُلْحِدًا كَافِرًا شَاكًّا؟

وَأَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ لَا يُرِيدُونَ الْمُسْلِمِينَ لَا نَصَارَىٰ وَلَا يَهُودًا، هُمْ يُرِيدُونَ الْمُسْلِمِينَ لَا نَصَارَىٰ وَلَا يَهُودًا وَلَا مُسْلِمِينَ، لَا بُدَّ أَنْ تَفْهَمَ هَدَفَهُمْ هُوَ: لَا يُرِيدُ الْمُسْلِمَ مُسْلِمًا، لَا يُرِيدُ الْمُسْلِمَ مُسْلِمًا؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا لَا يَقِفُ فِي وَجْهِهِ شَيْءٌ.

عَقِيدَتُهُ هِيَ الْعَقِيدَةُ.

ثَبَاتُهُ هُوَ الثَّبَاتُ.

دِينُهُ هُوَ دِينُهُ.

اعْتِقَادُهُ هُوَ اعْتِقَادُهُ.

وَأَمَّا إِذَا مَا زُحْزِحَ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ الثَّابِتِ فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ، اغْسِلْ يَدَيْكَ مِنْهُ، لَا أَقُولُ لَكَ: كَبِّرْ عَلَيْهِ أَرْبَعًا؛ لِأَنَّهُ زُحْزِحَ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَهُمْ يُرِيدُونَ الْمُسْلِمِينَ لَا مُسْلِمِينَ وَلَا نَصَارَىٰ وَلَا يَهُودًا، وَلَا أَيَّ شَيْءٍ، غُثَاءً لَيْسَتْ لَهُ قِيمَةٌ، لَا يَرْجِعُ لِقَاعِدَةٍ، وَلَا يُؤْمِنُ بِمَبْدَأٍ، وَلَا يَنْتَهِي بِقَلْبِهِ إِلَىٰ مُعْتَقَدٍ.

يُرِيدُهُمْ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، كَمَا حَذَّرَ مِنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا تَرَىٰ بَوَادِرَ ذَلِكَ فِي الْأُمَّةِ الْيَوْمَ، فَالْجَمَاهِيرُ هَمُّهَا فِي فَرْجٍ وَبَطْنٍ، فِي اقْتِنَاءٍ وَحِقْدٍ، وَلَا يَصْبِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرَىٰ نِعْمَةً أَنْعَمَ اللهُ بِهَا ﷻ عَلَىٰ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَا يَهْدَأُ، لَا يَقَرُّ لَهُ قَرَارٌ، الْحِقْدُ الْقُوَّةُ الدَّافِعَةُ الْيَوْمَ بَعْدَ الثَّوْرَةِ الْمَاسُونِيَّةِ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَىٰ جَمَاهِيرِ النَّاسِ.

النَّاسُ الْآنَ يَتَحَرَّكُونَ بِقُوَّةِ الْحِقْدِ، النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**».

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**».

هَذِهِ حُقُوقٌ أَحَقَّهَا اللهُ ﷻ لِأَخِيكَ، أَنْتَ لَا تَأْتِي بِهَا طَوْعًا وَنَفْلًا مِنْ عِنْدِكَ، هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ إِنْ قَصَّرْتَ فِيهِ عُوقِبْتَ، هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ كَمَا أَوْجَبَ عَلَيْكَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَالصِّيَامَ، أَوْجَبَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْحُقُوقَ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ، فَالَّذِي يَغْلِبُ الْيَوْمَ عَلَىٰ الْجَمَاهِيرِ الْمُسْلِمَةِ فِي الدُّوَلِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا الثَّوْرَاتُ الْمَاسُونِيَّةُ خَاصَّةً: قُوَّةُ الْحِقْدِ الَّتِي تُحَرِّكُ النَّاسَ الْآنَ.

احْذَرْ هَذَا؛ أَنْ يَتَسَلَّلَ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَىٰ قَلْبِكَ، وَأَنْ يَتَطَرَّقَ أَثَرٌ مِنْهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ، اتَّقِ اللهَ، وَاعْرِفْ حُقُوقَ إِخْوَانِكَ عَلَيْكَ، اتَّقِ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي أُمَّتِهِ، إِذَنْ هُمْ لَا يُرِيدُونَكُمْ مُسْلِمِينَ، وَإِنِ انْتَسَبْتُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا، لَكِنْ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ تَنْتَسِبُونَ؟

هِيَ هَيْئَةٌ ظَاهِرَةٌ؛ لِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا الْآنَ مِمَّنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ الْهَدْيِ الظَّاهِرِ مَا حَالُهُمْ؟

حَالُهُمْ أَنَّهُمْ عَوَامٌّ بِمَا عَلَيْهِ الْعَوَامُّ، يَعْنِي كُلٌّ دَخَلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الْهَدْيِ الظَّاهِرِ، وَأُمُورِ الْهِدَايَةِ الظَّاهِرَةِ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ بِيئَتِهِ، مِنْ تَرْبِيَتِهِ،

مِنْ قِلَّةِ أَصْلِهِ، مَا شِئْتَ، فَدَخَلُوا بِذَلِكَ، وَجَعَلُوا لَهُ صِبْغَةً مِنَ الْهَدْيِ الظَّاهِرِ، وَبَقُوا عَلَىٰ مَا بَقُوا عَلَيْهِ فِي حَقِيقَتِهِ، فَصَارَ الْأَمْرُ مِنَ السُّوءِ فِي غَايَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بَعِيدًا عَنِ الْهَدْيِ الظَّاهِرِ، فَيُنْكَرُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَهْتَدِ إِلَىٰ الْحَقِّ، يَا أَخِي اتَّقِ اللهَ!!

ابْعُدْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ!!

النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: كَذَا، بَلِ اللهُ ﷻ قَالَ: كَذَا، يَرْجِعُونَهُ إِلَىٰ شَيْءٍ، أَمَّا إِذَا أَخَذَ الْهَدْيَ الظَّاهِرَ فَإِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ يُرْجِعُونَهُ، هُمْ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ دِينَهُ، هُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا هُوَ عَلَيْهِ دَخَلَ كَحَالِهِ، وَالْإِسْلَامُ يُغَيِّرُ.

الصَّحَابَةُ الْكِبَارُ الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقْهُمْ أَحَدٌ بَعْدُ حَتَّىٰ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُمْ، هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَبَعْضُهُمْ يَئِدُ الْبَنَاتِ، وَيَشْرَبُونَ الْخُمُورَ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْكُفْرِ ذَنْبٌ، وَلَكِنْ مَاذَا حَدَثَ؟

تَغَيَّرُوا، الدِّينُ يُغَيِّرُكَ، تُرِيدُ أَنْتَ أَنْ تُغَيِّرَ الدِّينَ؟

يَعْنِي تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ الدِّينَ بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ؛ لِيَصِيرَ الدِّينُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، أَوْ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ، أَنْتَ تَعْكِسُ مُرَادَ اللهِ ﷻ الشَّرْعِيَّ!!

الْأَصْلُ: أَنَّ الدِّينَ يُغَيِّرُكَ، الصَّحَابَةُ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيَكْفُرُونَ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيَتَقَاتَلُونَ عَلَىٰ أَتْفَهِ شَيْءٍ، كَانُوا مِنَ الْعَرَبِ كَسَائِرِ الْعَرَبِ، هَدَاهُمُ اللهُ،

وَاخْتَارَهُمْ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَانُوا أَشْرَفَ النَّاسِ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ آدَمَ إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

أَشْرَفُ الْبَشَرِ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ، وَكَانُوا عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ الدِّينَ غَيَّرَهُمْ، الدِّينُ يُغَيِّرُكَ، أَنْتَ تَقُولُ: طَبْعِي هَكَذَا!

***

الدِّينُ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ

الدِّينُ يُغَيِّرُ طَبْعَكَ، بَلْ إِنَّ الدِّينَ يُغَيِّرُ الْغَرِيزَةَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ حَتَّىٰ بِطَعَامِكَ وَشَرَابِكَ يُقِيمُهَا عَلَىٰ الْجَادَّةِ، يَقُولُ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**كُنْتُ أُبْغِضُ الدُّبَّاءَ**» يَعْنِي: الْقَرْعَ؛ لَا أُطِيقُهُ لَا يَعِيبُهُ، فَالْإِنْسَانُ يُمْكِنُ أَنْ يُقْبِلَ عَلَىٰ طَعَامٍ يُحِبُّهُ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُدْبِرَ وَيُعْرِضَ عَنْ طَعَامٍ لَا يُحِبُّهُ لَا يَضُرُّهُ لَا فِي الشَّرْعِ، وَلَا فِي الْعُرْفِ بِشَرْطِ أَنْ لَا تَذُمَّهُ؛ لِأَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ طَعَامٌ لَمْ يَشْتَهِهِ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَا يَذُمُّهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ إِذَا طُلِبَ مِنْهُ أَنْ يَذُمَّهُ أَبَىٰ، كَمَا جُعِلَ الضَّبُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالُوا: حَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**لَا، وَلَكِنَّهُ طَعَامٌ لَمْ أَجِدْهُ بِدِيَارِ قَوْمِي، فَأَجِدُ نَفْسِي تَعَافُهُ**».

لَمْ أَعْتَدْ عَلَيْهِ فَلَا تُقْبِلُ نَفْسِي عَلَيْهِ، خَالِدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَخَالَتُهُ زَوْجُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتِ الضِّبَابُ قَدْ أُهْدِيَتْ مِنْ أَخَوَاتِهَا إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَعْرَضَ عَنْهُ سَأَلَ خَالِدٌ: حَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: لَا، وَذَكَرَ الْعِلَّةَ.. الْعِلَّةُ لَا تَتَعَلَّقُ لَا بِأَمْرٍ عَقَدِيٍّ، وَلَا شَرْعِيٍّ، وَلَا طِبِّيٍّ، وَلَكِنْ طَعَامٌ لَا أَجِدُهُ فِي دِيَارِ قَوْمِي، فَأَجِدُ نَفْسِي تَعَافُهُ.

لَا شَيْءَ فَاجْتَرَّهُ خَالِدٌ، فَأَكَلَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ!

شَيْءٌ لَا يَعِيبُ أَنَّكَ تُحِبُّ طَعَامًا، أَوْ لَا تُحِبُّهُ، وَلَكِنْ لَا تَذُمَّهُ، لَا تَنْفِرْ مِنْهُ.

يَقُولُ أَنَسٌ رضي الله عنه: «**كُنْتُ أُبْغِضُ الدُّبَّاءَ**»: أَكْرَهُهَا، أَمْقُتُهَا حَتَّىٰ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يَتَتَبَّعُهَا فِي جَوَانِبِ الْقَصْعَةِ، يُحِبُّهَا فَأَحْبَبْتُهَا، هَذَا أَمْرٌ تَغْيِيرُهُ كَالْمُسْتَحِيلِ تَحَوُّلٌ مِنْ كُرْهِ طَعَامٍ وَبُغْضِهِ إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ هَكَذَا، وَلَكِنْ عَلَىٰ حَسَبِ فِعْلِ الْحَبِيبِ، فَأَنَسٌ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ فِي جَوَانِبِ الْقَصْعَةِ يُحِبُّهَا أَحْبَبْتُهَا.

الْإِسْلَامُ يُغَيِّرُكَ حَتَّىٰ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي تَرَاهَا مُسْتَحِيلَةً، الرَّجُلُ الْأَعْرَابِيُّ الَّذِي جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقُدِّمَ إِلَيْهِ حِلَابٌ فَشَرِبَهُ، وَآخَرُ فَشَرِبَهُ حَتَّىٰ شَرِبَ سَبْعَةً.

الْحِلَابُ: الْإِنَاءُ الَّذِي تُحْلَبُ فِيهِ النَّاقَةُ، وَقَدْ يَكُونُ كَبِيرًا، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ حِلَابٌ قَدِ امْتَلَأَ لَبَنًا، فَشَرِبَهُ فَلَمَّا رَأَوْهُ لَمْ يَشْبَعْ، قَدَّمُوا لَهُ ثَانِيًا، وَثَالِثًا إِلَىٰ سَبْعَةٍ فَشَرِبَهَا جَمِيعًا، كَانَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ كَافِرًا، وَصَنَعَ مَا صَنَعَ فِي حَالِ كُفْرِهِ، بَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ، فَأَصْبَحَ مُسْلِمًا، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ حِلَابٌ فَشَرِبَهُ، وَقُدِّمَ إِلَيْهِ ثَانٍ فَلَمْ يُتِمَّهُ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ وَقَعَ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ فَمَا التَّفْسِيرُ؟

قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًىٰ وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**».

مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْأَمْعَاءِ؟!

وَمَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْأَمْعَاءِ؟!

عَلَاقَةٌ وَطِيدَةٌ هُوَ الْإِيمَانُ، الدِّينُ يُغَيِّرُكَ فَإِذَا اعْتَذَرْتَ بِأَنَّ طَبْعَكَ هَكَذَا، كَانَ هَذَا الْعُذْرُ أَقْبَحَ مِنَ الذَّنْبِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَنْ يُغَيِّرَكَ الدِّينُ، أَنْتَ تَقُولُ: أَنَا غَضُوبٌ، أَنَا لَا أَتَحَمَّلُ، مَنْ قَالَ لِي كَلِمَةً رُبَّمَا قُمْتُ ثَائِرًا فَقَتَلْتُهُ، مَا شَاءَ اللهُ هَذَا دِينُكَ؟

هَذَا مَا يَحْكُمُكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهَدْيِ الرَّسُولِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ؟

مَاذَا أَفَادَكَ الدِّينُ إِذَنْ؟

إِذَا قِيلَ لَكَ: هَذَا الْأَمْرُ لَا يَجُوزُ بِدَلِيلِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَأَنْتَ تَقُولُ: أَفْعَلُهُ.

تَفْعَلُهُ غَلَبَةَ نَفْسٍ قَدْ يَقَعُ شَهْوَةً لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ صَدِّهَا قَدْ يَقَعُ، وَمِنْ وَرَاءِهَا الْمَتَابُ وَالِاسْتِغْفَارُ وَالْبُكَاءُ، أَمَا أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ عُذْرِكَ، وَأَنَّكَ تَقُولُ: لَا أَسْتَطِيعُ.

كَيْفَ لَا تَسْتَطِيعُ؟!

وَمَاذَا صَنَعَ فِيكَ الدِّينُ؟!

الدِّينُ قَانُونُ اللهِ الَّذِي يَضْبِطُ الْإِنْسَانَ فِي جَمِيعِ حَرَكَةِ حَيَاتِهِ، وَفِي سُكُونِهِ، الدِّينُ يَضْبِطُ حَرَكَتَكَ حَتَّىٰ وَأَنْتَ نَائِمٌ، إِذَا نِمْتَ تَنَامُ عَلَىٰ جَنْبِكَ الْأَيْمَنِ مُتَوَضِّئًا، وَتَضَعُ كَفَّكَ الْيُمْنَىٰ تَحْتَ خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، وَتَأْتِي بِالْأَذْكَارِ، وَيَكُونُ مَا يَكُونُ مِنَ الذِّكْرِ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ فَتَنَامُ عَلَىٰ ذِكْرٍ، فَإِذَا مَا تَعَارَّ الْمَرْءُ بِاللَّيْلِ، وَقَلِقَ وَانْتَبَهَ لَهُ

ذِكْرُهُ عِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ، فَإِذَا نَامَ نَامَ مُجدِّدًا عَلَىٰ ذِكْرٍ، وَإِذَا قَامَ يَقُومُ عَلَىٰ الِاسْتِذْكَارِ، وَإِذَا مَا قَامَ مِنْ مَنَامِهِ لَا يَضَعُ يَدَيْهِ فِي الْإِنَاءِ الَّذِي يَتَوَضَّأُ مِنْهُ، أَوْ يَشْرَبُ مِنْه؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدَاهُ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَا يَنَامُ عَلَىٰ بَطْنِهِ؛ فَإِنَّهَا نَوْمَةُ الشَّيْطَانِ.

مَحْكُومَةٌ أُمُورُنَا كُلُّهَا حَتَّىٰ فِيمَا تَرَاهُ فِي نَوْمِكَ حَكَمَهُ، مَا تَرَاهُ فِي نَوْمِكَ حَكَمَهُ رَبُّكَ، الرُّؤْيَا لَهَا قَانُونٌ شَرْعِيٌّ.

حَتَّىٰ هَذِهِ؟

نَعَمْ، يَعْنِي أَنْتَ تَرَىٰ الرُّؤْيَا تتكَلَّمُ بِهَا هَكَذَا؟ لَا تُمَيِّزُ بَيْنَ أَقْسَامِ الرُّؤْيَا الثَّلَاثَةِ أَنَّهَا مِنَ اللهِ، أَوْ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، أَوْ حُلْمٌ مِنَ الشَّيْطَانِ؟ كُلُّهُ عِنْدَكَ سَوَاءٌ؟ كُلُّهُ يُتَكَلَّمُ بِهِ؟ أَوْ كُلُّهُ يُكتَمُ؟ كُلُّهُ يُخَافُ مِنْهُ؟ كُلُّهُ لَا يَلْقَىٰ رَدَّ فِعْلٍ شَرْعِيًّا؟

لَا هُنَاكَ تَقْسِيمٌ حَتَّىٰ فِيمَا تَرَاهُ فِي نَوْمِكَ، مَحْكُومٌ بِدِينِ رَبِّكَ.

الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ كَمَا يَظُنُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، فَإِنَّهُمْ يَفْهَمُونَ، وَلَكِنَّ الْجَمَاهِيرَ الْمُسْلِمَةَ لَمْ تُعَلَّمْ تَعْلِيمًا صَحِيحًا دِينَ اللهِ الَّذِي بُنِيَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ وَالاتِّبَاعِ، عَلَىٰ كَلِمَتَيْنِ، أَمْرٌ يَسِيرٌ وَقَرِيبٌ.

تَرَىٰ فِي مَنَامِكَ مِنْ تَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ: تَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِكَ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ إِلَىٰ جَنْبِكَ الْآخَرِ، وَتَتْفُلُ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَتَسْتَعِيذُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَا تُحَدِّثُ بِهَا أَحَدًا؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّكَ.

انْتَهَىٰ الْأَمْرُ، لَا فَزَعَ وَلَا قَلَقَ، وَلَا تَوَقُّعَ لِشَرٍّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَلَا شَيْءَ انْتَهَىٰ الْأَمْرُ؛ «**فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّكَ**» قَوْلُ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ.

رَأَيْتَ خَيْرًا: عَلَىٰ الضِّدِّ وَحَدِّثْ بِهَا مَنْ أَحْبَبْتَ، وَحَدِّثْ بِهَا مَنْ أَحْبَبْتَ؛ لِأَنَّ مَنْ أَبْغَضْتَ لَوْ حَدَّثْتَهُ بِالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ قَلَبَهَا عَلَيْكَ، يَعْنِي تَقُولُ لَهُ: رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْبُشْرَيَاتِ، يَتَصَنَّعُ الْبُكَاءَ؛ لِأَنَّهُ يُبْغِضُكَ، وَيُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَ الْحُزْنَ عَلَىٰ قَلْبِكَ، وَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

تَقُولُ: مَاذَا حَدَثَ؟ يَقُولُ: هَذِهِ رُؤْيَا سَيِّئَةٌ؛ سَيُصِيبُكَ وَيُصِيبُكَ.

وَهِيَ رُؤْيَا حَسَنَةٌ، فَيَقُولُ: لَا تُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ إِلَّا مَنْ تُحِبُّ.

وَأَمَّا حَدِيثُ النَّفْسِ: فَأَنْتَ تُمَيِّزُهُ، يَعْنِي تَكُونُ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ فِي حَيَاتِكَ، وَقَبْلَ مَنَامِكَ فَتَرَىٰ شَيْئًا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ، هَذَا مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ لَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، انْظُرْ كَيْفَ أَرَاحَكَ!!

حَتَّىٰ فِيمَا تَرَاهُ فِي مَنَامِكَ، يَا قَوْمِ إِنَّهُ دِينُ اللهِ؛ أَنْزَلَهُ اللهُ هِدَايَةً لِلْعَلَمِينَ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَنَا وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُنَا، وَهُوَ جَلَّوَعَلَا الَّذِي يُعَلِّمُنَا صَلَاحَنَا وَمَا فِيهِ نَجَاتُنَا.

تَعَلَّمُوهُ، تَعَلَّمُوهُ تَعَلُّمًا صَحِيحًا، دَعُوكُمْ مِنَ الْمُشَوِّشِينَ الْمُهَرِّجِينَ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِغَيْرِ (قَالَ اللهُ.. قَالَ رَسُولُهُ.. قَالَ الصَّحَابَةُ).

فَهَؤُلَاءِ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ، وَهُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي

كِتَابِهِ الْمَجِيدِ؛ كَالْكَلْبِ ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَالِمِ السُّوءِ قَالَ: «عُلَمَاءُ السُّوءِ يَقْعُدُ لِلنَّاسِ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ بِأَقْوَالِهِمْ، وَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْجَنَّةِ بِأَفْعَالِهِمْ، كَالْحَجَرِ فِي مَجْرَىٰ الْمَاءِ لَا هُوَ الَّذِي يَشْرَبُ فَيَنْتَفِعُ، وَلَا هُوَ الَّذِي يَتَنَحَّىٰ حَتَّىٰ يَمُرَّ الْمَاءُ لِيَنْتَفِعَ الزَّرْعُ وَالنَّاسُ».

فَعَالِمُ السُّوءِ كَالْحَجَرِ فِي مَجْرَىٰ الْمَاءِ، «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ؛ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»، لَا تُلْقِ بِأُذُنِكَ إِلَىٰ كُلِّ قَائِلٍ.. إِلَىٰ كُلِّ نَاعِقٍ يُضِلُّونَكَ.. يَحْرِفُونَكَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَطَالِبْنِي بِالدَّلِيلِ، يَعْنِي أَنْتَ تَقُولُ: أُلْقِي بِأُذُنِي إِلَىٰ كُلِّ قَائِلٍ وَنَاعِقٍ فَيُضِلُّنِي عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذَا؟

أَقُولُ لَكَ مِنْ كَلَامِ اللهِ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]. كَلَامُ رَبِّكَ، وَهُوَ يَقُولُ لَكَ نَصًّا: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ﴾ يَعْنِي: أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ضُلَّالٌ مُضِلُّونَ، وَهُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الضَّالِّ وَالْمُضِلِّ؛ الْمُضِلُّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ضَالًّا، وَأَمَّا الضَّالُّ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ضَالًّا فِي نَفْسِهِ غَيْرَ مُضِلٍّ لِغَيْرِهِ، فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ضَالٌّ مُضِلٌّ بِنَصِّ الْقُرْآنِ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦].

«إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ؛ فَانْظُرُوا عَنْ مَنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ» هَذَا كَلَامُ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مُقَدِّمَةِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا اسْتَظْهَرْتُهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ.

«إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ؛ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»، إِنْ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا فَدِينُكَ وَآخِرَتُكَ أَهْوَنُ عِنْدَكَ وَأَرْخَصُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

مَثَلًا مِنْ جَسَدِكَ، فَالْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَمْرَضُ يَسْأَلُ عَنِ الطَّبِيبِ الْحَاذِقِ، وَيَتَفَرَّسُ فِي الطَّبِيبِ الَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ، يَعْنِي يَسْأَلُهُ وَرُبَّمَا اخْتَبَرَ طَبِيبَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ يَعْنِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَرَضِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ عَلَىٰ جَسَدِهِ إِلَّا مَنْ يَرْتَضِيهِ هَذَا فِي جَسَدِهِ، وَرُبَّمَا فِي عِلَّةٍ قَرِيبَةٍ.. أَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.

فَإِذَا تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِالْجَسَدِ وَهُوَ فَانٍ، بَلْ رُبَّمَا إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ انْتَقَلَ مِنْ زَاوِيَةِ الدَّارِ إِلَىٰ جَنَّةِ الْخُلْدِ وَنِعْمَ الْقَرَارُ.

لَا شَيْءَ.

وَأَمَّا الدِّينُ فَيَسْأَلُ أَيَّ أَحَدٍ، وَأَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَآسٍ وَقَعَتْ، وَتَقَعُ، وَسَتَقَعُ إِلَىٰ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا.

رَجُلٌ عَقَدَ عَلَىٰ امْرَأَةٍ ثُمَّ طَلَّقَهَا طَلَاقًا صَحِيحًا لَمْ يُوَثَّقْ، وَلَكِنْ أَتَىٰ بِالصِّيغَةِ وَالشُّرُوطِ، فَصَارَتْ مُطَلَّقَةً مِنْهُ قَبْلَ الدُّخُولِ، هَذِهِ لَا عِدَّةَ لَهَا، يَعْنِي يُمْكِنُ أَنْ تُزَوَّجَ فِي مَجْلِسِ التَّطْلِيقِ، الْمَرْأَةُ الَّتِي عُقِدَ عَلَيْهَا وَلَمْ يُدْخَلْ بِهَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْتَىٰ بِالْمَأْذُونِ؛ لِيُطَلِّقَهَا وَيُزَوِّجَهَا لِآخَرَ فِي نَفْسِ الْمَجْلِسِ لَا عِدَّةَ لَهَا.

فَإِذَا أَرَادَ مَنْ طَلَّقَهَا أَنْ يُرَاجِعَهَا مَاذَا يَصْنَعُ؟ لَا بُدَّ مِنْ عَقْدٍ وَمَهْرٍ جَدِيدَيْنِ؛ لِأَنَّهَا بَانَتْ مِنْهُ بِمُجَرَّدِ الطَّلَاقِ، وَهَذَا أَيْضًا يَقَعُ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ عَلَىٰ الْمُطَلَّقَةِ

الرَّجْعِيَّةِ. يُطَلِّقُهَا، وَتَذْهَبُ إِلَىٰ بَيْتِ أَبِيهَا، وَتَبْقَىٰ سَنَةً فَإِذَا ذَهَبَ لِيُرْجِعَهَا أَرْجَعَهَا مِنْ غَيْرِ عَقْدٍ وَلَا مَهْرٍ مَعَ أَنَّهَا بَانَتْ مِنْهُ، لَمْ تَصِرْ مُطَلَّقَةً رَجْعِيَّةً هِيَ بَانَتْ مِنْهُ، وَلَهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ أَنْ تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ، فَإِذَا أَرَادَ هُوَ أَنْ يُرَاجِعَهَا لَا يُرَاجِعُهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ هَكَذَا.

أُمُورٌ كَثِيرَةٌ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا: أَوْلَادُ زِنًا، وَلَا أَحَدَ يُبَالِي؛ لِمَاذَا يُسْأَلُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ؟

يَسْأَلُ عَنْ زَرْعٍ وَقَلْعٍ وَمَالٍ وَثِيَابٍ، وَفُلَانٌ اشْتَرَىٰ، وَفُلَانٌ بَاعَ!!

مَا لَكَ؟!

الْتَفِتْ لِنَفْسِكَ.

اتَّقِ اللهَ رَبَّكَ، فَالْمُطَلَّقَةُ قَبْلَ الدُّخُولِ يُطَلِّقُهَا زَوْجُهَا، وَيَذْهَبُ إِلَىٰ جَاهِلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَيَسْأَلُ هَذَا الْجَاهِلَ: طَلَّقَ امْرَأَتَهُ قَبْلَ الدُّخُولِ، وَيُرِيدُ أَنْ يُرَاجِعَهَا.

يَقُولُ لَهُ: أَعْطِنِي خَمْسَةَ جُنَيْهَاتٍ، فَيَأْخُذُهَا، فَيَجْعَلُهَا فِي حَافِظَتِهِ، ثُمَّ يَشْتُمُهُ! لَا بُدَّ عِنْدَ إِرْجَاعِ الْمُطَلَّقَةِ طَلَاقًا رَجْعِيًّا مِنَ الشَّتْمِ يَشْتُمُهُ وَرُبَّمَا ضَرَبَهُ، وَالنَّاسُ يَسْتَمْلِحُونَ خَاصَّةً أَهْلَ الْمَرْأَةِ زِدْ يَا سَيِّدَنَا الشَّيْخُ.. خُذِ النَّعْلِ، وَاضْرِبِ الرَّأْسَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ فِيهِ!! ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: اذْهَبْ فَأَرْجِعْ زَوْجَتَكَ!!

عَقَدَ لَهُ؟

لَا.

طَالَبَهُ بِمَهْرٍ؟

لَا.

كَيْفَ يُرْجِعُهَا لَهُ، وَهِيَ أَجْنَبِيَّةٌ عَنْهُ؟

بِأَيِّ صُورَةٍ؟

لَا يَحِلُّ، وَيَحْيَا مَعَهَا رُبَّمَا سِتِّينَ عَامًا، خَمْسِينَ عَامًا، وَيُنْجِبُ مِنْهَا الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ، وَيَعِيشُونَ فِي تَبَاتٍ وَنَبَاتٍ، وَكُلُّهُ سِفَاحٌ فِي سِفَاحٍ!!

أَيْشٍ هَذَا؟

أَلَا تَسْأَلُونَ عَنْ دِينِكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ؟

أَمْرٌ جِدٌّ لَا هَزْلَ فِيهِ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ فِيكُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَكُمْ، وَأَعْتَذِرُ مِنَ اللهِ ﷻ؛ لِأَنِّي خَرَجْتُ عَنِ الْمَوْضُوعِ، وَلَمْ أَخْرُجْ فِي الْحَقِيقَةِ، هَذَا عِنْدِي أَهَمُّ بِكَثِيرٍ جِدًّا مِنَ الْأُمُورِ؛ هَذا ضَبْطٌ لِلنَّفْسِ الْمُسْلِمَةِ، عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ.

هَذَا هُوَ الْأَصْلُ إِذَا اسْتَقَامَ هَذَا اسْتَقَامَتْ جَمِيعُ الْأُمُورِ بَعْدُ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمْ فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الِانْحِرَافَ يَبْدَأُ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ جِدًّا، وَمَعَ الْوَقْتِ يَصِيرُ شَيْئًا كَبِيرًا جِدًّا، وَالْمِثَالُ كَمَا كُنْتُ أَقُولُ: لَوْ أَنَّكَ وَقَفْتَ الْآنَ مُتَّجِهًا إِلَىٰ قِبْلَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الصَّلَاةِ فَانْحَرَفَ الْإِنْسَانُ عَنْ عَيْنِ الْكَعْبَةِ لَوْ كَانَ فِي الْحَرَمِ عِنْدَ عَيْنِ الْكَعْبَةِ، أَمَّا

هُنَا فِي الْجِهَةِ، وَجِهَتُنَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ فَقِبْلَةُ أَهْلِ مِصرَ الْجَنُوبُ الشَّرْقِيُّ، مَسْأَلَةُ يَمِينٍ قَلِيلٍ، يَسَارٍ قَلِيلٍ وَكَذَا، هَذَا كُلُّهُ يَعْنِي لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَهُ، اسْتِخْدَامُ الْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ، وَأَنَّ هَذِهِ عَيْنُ الْكَعْبَةِ، لِمَاذَا تُطَالِبُ النَّاسَ بِمَا لَا يَلْزَمُهُمْ؟

إِنَّمَا الْقَصْدُ إِلَىٰ عَيْنِ الْكَعْبَةِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ عِنْدَمَا تَكُونُ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَأَمَامَكَ الْكَعْبَةُ إِيَّاكَ أَنْ تَنْحَرِفَ عَنْهَا، وَيَصْدُقُ عَلَيْهَا الْمِثَالُ الْآنَ: لَوْ أَنَّكَ فَقَدْتَ هَذَا تَدْرِيجِيًّا تَقِفُ وَانْحَرَفْتَ عَنِ الْأَصْلِ عَنِ الْخَطِّ الَّذِي يَصِلُ بَيْنَ مَا بَيْنَ الْقَدَمَيْنِ، وَذَاتِ كَعْبَةِ رَبِّكَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ انْحَرَفْتَ عَنْهَا دَرَجَةً مِنَ الْمَنْقَلَةِ -كَمَا يَقُولُونَ- دَرَجَةً وَاحِدَةً، صَارَ عِنْدَكَ خَطٌّ آخَرُ، امْدُدْ هَذَا الْخَطَّ، كُلَّمَا مَدَدْتَهُ بَعُدَتِ الْمَسَافَةُ بَيْنَ نِهَايَتِهِ، وَمَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ الْخَطُّ الْوَاصِلُ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ صَحِيحٌ أَوْ خَطَأٌ؟

صَحِيحٌ، كَذَلِكَ الِانْحِرَافُ فِي الْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْعَقَدِيَّةِ يَبْدَأُ يَسِيرًا، ثُمَّ يَزْدَادُ مَعَ الْوَقْتِ.

فَاحْرِصْ عَلَىٰ صِحَّةِ الْبِدَايَةِ؛ أَهَمُّ شَيْءٍ صِحَّةُ الْبِدَايَةِ «أُوتِينَا الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ»، وُضِعُوا عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَانْطَلَقُوا، وَالْغَايَةُ وَاحِدَةٌ، أَمَّا أَنْ تَعْوَجَّ بِكَ السُّبُلُ، فَهَذَا شَيْءٌ خَطِيرٌ.

وَعِنْدَنَا مَا هُوَ أَوْضَحُ مِنَ الْمِثَالِ الْمَضْرُوبِ حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ أَحْمَدَ فِي الْمُسْنَدِ، وَعِنْدَ غَيْرِهِ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**بَيْنَا**

رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ، إِذْ خَطَّ خَطًّا مُسْتَقِيمًا -خَطٌّ مُسْتَقِيمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَصِلُ إِلَيْهِ يَبْدَأُ مِنْ عِنْدِهِ، خَطَّ خَطًّا مُسْتَقِيمًا- وَجَعَلَ عَلَىٰ جَانِبَيْ هَذَا الْخَطِّ خُطُوطًا قَصِيرَةً تَعَامَدَتْ عَلَىٰ هَذَا الْخَطِّ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ، وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وَقَرَأَ الْآيَةَ.

إِذَنْ: سَبِيلُ اللهِ وَاحِدٌ لَا يَتَعَدَّدُ، الْحَقُّ وَاحِدٌ لَا يَتَعَدَّدُ، لَيْسَ هُنَاكَ حَقَّانِ، الْحَقُّ وَاحِدٌ، الْبَاطِلُ مُتَعَدِّدٌ، هَذَا سَبِيلُ اللهِ.. سَبِيلُ اللهِ وَاحِدٌ.. قَالَ اللهُ.. قَالَ رَسُولُهُ..

قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ بِالتَّمْوِيهِ	....
مَا الْعِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً	**بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ قَوْلِ فَقِيهِ**

الْحَقُّ فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ فِي الْكِتَابِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَفِي السُّنَّةِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْأَمْرُ قَرِيبٌ لَيْسَ فِيهِ مَشَقَّةٌ، لَيْسَ فِيهِ صُعُوبَةٌ لَيْسَ فِيهِ عَنَتٌ؛ لِأَنَّ اللهَ كَلَّفَنَا وَمَا دَامَ كَلَّفَنَا، فَإِنَّ اللهَ لَا يُكَلِّفُ إِلَّا بِمَا يُسْتَطَاعُ، لَا يُكَلِّفُ اللهُ ﷻ إِلَّا بِمَا يُسْتَطَاعُ، يَعْنِي مَا دَامَ كَلَّفَكَ فَلَا بُدَّ أَنَّ مَا كَلَّفَكَ بِهِ هُوَ فِي مَقْدُورِكَ، وَهُوَ مُيَسَّرٌ لَكَ، وَأَنْتَ مُيَسَّرٌ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَقْدُورِكَ لِأَمْرٍ عَارِضٍ أَتَتْكَ الرُّخَصُ، وَأَمَّا الْأَصْلُ فَهُوَ فِي مَقْدُورِكَ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَيُكَلِّفُكَ بِمَا تَسْتَطِيعُ.

اللهُ لَا يُكَلِّفُنَا بِمَا لَا نَسْتَطِيعُ، فَكَلَّفَنَا بِالْإِيمَانِ، فَالْإِيمَانُ مُسْتَطَاعٌ مُيَسَّرٌ سَهْلٌ، وَلَكِنْ هِدَايَةٌ عَامَّةٌ، وَهِدَايَةٌ خَاصَّةٌ، هِدَايَةٌ عَامَّةٌ يَدُلُّكَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيُحَذِّرُكَ مِنَ الطُّرُقِ الْمُعْوَجَّةِ، وَيُبَيِّنُ لَكَ.

وَيَقُولُ: أَنْتَ بِالْخِيَارِ؛ لِأَنَّكَ مُكَلَّفٌ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِكَ، أَنَّكَ لَسْتَ كَالْمَلَائِكَةِ، لَا تَعْصِي اللهَ مَا أَمَرَكَ، وَلَا كَالشَّيَاطِينِ، لَا تُطِيعُ اللهَ مَا أَمَرَكَ، وَلَكِنْ أَنْتَ بَيْنَ هَاتَيْنِ، وَأَعْطَيْتُكَ مَشِيئَةً تَحْتَ مَشِيئَتِي.

فَيَقُولُ لَكَ: هَذِهِ هِدَايَةٌ عَامَّةٌ وَأَنَا أَعْلَمُ اخْتِيَارَكَ، وَلَكِنِّي لَا أُكَلِّفُكَ بِمَا أَعْلَمُ قَبْلَ أَنْ تَفْعَلَ.

فَلَا يُحَاسِبُنَا عَلَىٰ سَابِقِ عِلْمِهِ فِينَا -مِنْ رَحْمَتِهِ-، وَلَكِنْ حَتَّىٰ نَفْعَلَهَا، فَتَكُونَ الْمَسْؤُولِيَّةُ -حِينَئِذٍ- وَاقِعَةً عَلَىٰ أُمَّهَاتِ رُءُوسِنَا.

أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ، وَاخْتَرْتُمْ وَشِئْتُمْ، وَأَنَا شِئْتُ مَا شِئْتُمْ، وَالْمَشِيئَةُ لِي مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُؤْتِيكَ الْهِدَايَةَ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا إِخْلَالٌ، وَلَا تَقْصِيرٌ قَطُّ، وَلَا حُجَّةَ لِلْبَشَرِ عَلَىٰ اللهِ فِي مَسْأَلَةِ الْبَيَانِ، أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ وَوَضَّحَ الْمَنْهَجَ وَأَقَامَ السَّبِيلَ وَبَيَّنَ الصِّرَاطَ، وَجَعَلَ النَّفْسَ مُسْتَعِدَّةً لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَتَرَكَكَ لِاخْتِيَارِكَ.. اخْتَرْتَ الْحَقَّ وَالْهُدَىٰ وَالرَّشَادَ تَأْتِكَ الْهِدَايَةُ الْخَاصَّةُ؛ لِذَلِكَ تَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْهَمْ هَذِهِ حَقَّ الْفَهْمِ يُشْكِلُ

عَلَيْكَ الْمَوْضِعُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فَأَثْبَتَ لَهُمْ جِهَادًا فِيهِ، فِي دِينِهِ جِهَادٌ، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا.. قَالَ: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فَيَقُولُ الْإِنْسَانُ: سُبْحَانَ اللهِ!! مِنْ أَيْنَ جَاهَدُوا فِي اللهِ.. فِي ذَاتِ اللهِ.. فِي دِينِ اللهِ؟

ثُمَّ يَقُولُ: لَنَهْدِيَنَّهُمْ.. لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.

وَهَذَا الِاهْتِدَاءُ، وَهَذَا الْجِهَادُ أَلَمْ يَكُنْ بِاهْتِدَاءٍ؟

كَيْفَ جَاهَدُوا وَهُمْ غَيْرُ مُهْتَدِينَ؟

هِدَايَةٌ عَامَّةٌ.

فَلَمَّا اسْتَجَابُوا، وَامْتَثَلُوا وَأَطَاعُوا جَاءَتْهُمُ الْهِدَايَةُ الْخَاصَّةُ، وَكَانَ الْمَثَلُ عَلَيْهَا مَضْرُوبًا.

يَعْنِي إِذَا نَزَلْتَ بَلَدًا تَنْزِلُهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَقْصِدُ أَحَدًا أَوْ مَكَانًا، فَلَقِيتَ رَجُلًا مَسْئُولًا فِي الشُّرْطَةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا فَقُلْتَ: هَذَا مَأْمُونٌ عَلَىٰ السُّؤَالِ، فَذَهَبْتَ لَهُ وَقُلْتَ لَهُ: مَعِي هَذَا الْعُنْوَانُ.. أُرِيدُ أَنْ أَصِلَ إِلَىٰ فُلَانٍ، أَوْ إِلَىٰ مَوْضِعِ كَذَا.

فَقَالَ لَكَ: خُذْ فِي هَذَا السَّمْتِ، ثُمَّ مِلْ يَمِينًا فَيَسَارًا، فَيَسَارًا فَيَمِينًا سَتَجِدُ الْمَوْضِعَ، وَمَعَ التَّعْقِيدِ فِي الْوَصْفِ، وَصُعُوبَتِهِ فِي التَّنْفِيذِ؛ لِأَنَّكَ فِي بَلَدٍ غَرِيبٍ، تَقُولُ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، وَبَارَكَ اللهُ فِيكَ، لَقَدْ سَخَّرَكَ اللهُ ﷻ لِي رَحْمَةً

بِي، وَمَا كُنْتُ مَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ لَوْ لَمْ أَلْقَكَ وَوَجْهَكَ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ، فَقَبِلْتَ مَا قَالَ مِنَ الْإِرْشَادِ الَّذِي أَرْشَدَكَ إِلَيْهِ، تَلَقَّيْتَهُ وَقَبِلْتَهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ، فَيَقُولُ: وَاللهِ إِنَّكَ لَحَسَنُ الْخُلُقِ، وَلَآخُذَنَّ بِيَدِكَ أَوْ أُرْسِلُ مَعَكَ مَنْ يُوَصِّلُكَ فَإِنَّ فِي الطَّرِيقِ مَا يُخَافُ.

هَذِه هِدَايَةٌ خَاصَّةٌ، لَمْ تَكُنْ مَبْذُولَةً قَبْلَ أَنْ تَقْبَلَ أَنْتَ الْهِدَايَةَ الْعَامَّةَ، فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ، وَأَنْ يَسْأَلَ اللهَ الْهِدَايَةَ هِدَايَةَ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالضَّمِيرِ لِتَسْتَقِرَّ.

نَحْنُ فِي مُجْتَمَعٍ -بَلْ فِي عَالَمٍ- مَائِجٍ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ وَالْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ، كُلُّ مُنْصِفٍ مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ عِلْمٍ وَحَالٍ وَعَمَلٍ يَقُولُ: أُحَاوِلُ أَنْ تَكُونَ صَالِحًا مُصْلِحًا، أُحَاوِلُ أَنْ أَكُونَ إِنْسَانًا -إِنْسَانًا- كَمَا أَرَادَ اللهُ لَا أَسْتَطِيعُ!! أَفْشَلُ!!

دَائِمًا أَفْشَلُ؛ لِأَنِّي أُرِيدُ الْمُثُلَ، وَأَنْقَطِعُ دُونَ الْمُثُلِ، فَمَهْمَا حَاوَلْتُ أُقْطَعُ دُونَ الْوُصُولِ، الضَّغْطُ شَدِيدٌ، الْهُمُومُ كَثِيرَةٌ، الِاضْطِرَابَاتُ، وَالتَّمَوُّجَاتُ، فِي أُمُورِ الِاعْتِقَادِ بَيْنَ الْخَلْقِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَبَيْنَ الْعَوَامِّ الْمَسَاكِينِ الْمُتَلَقِّينَ الْقَابِلِينَ، تَوَارُدُ الْأَفْكَارِ، تَزَاحُمُ الصُّوَرِ، كَثْرَةُ الْأَحْدَاثِ يُنْسِي بَعْضُهَا بَعْضًا، اضْطِرَابٌ وَقَلَقٌ، هُمُومٌ وَأَحْزَانٌ، وَفَشَلٌ مُتَلَاحِقٌ، مَاذَا نَصْنَعُ؟

نُلْقِي حُمُولَنَا عَلَىٰ بَابِ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ رَبِّنَا.

أَنْتَ وَحْدَكَ مَنْ يَأْخُذُ بِأَيْدِينَا، مَنْ يَهْدِي قُلُوبَنَا، مَنْ يُقِرُّ أَرْوَاحَنَا، فَقُلُوبُنَا غَيْرُ مُسْتَقِرَّةٍ، أَرْوَاحُنَا هَائِمَةٌ، عُقُولُنَا مُضْطَرِبَةٌ، أَفْكَارُنَا مُشَوَّشَةٌ، أَبْدَانُنَا عَلِيلَةٌ، أَحْوَالُنَا مَهْزُومَةٌ، هُمُومُنَا كَثِيرَةٌ، مَاذَا نَصْنَعُ؟

لَيْسَ لَنَا سِوَاكَ.

خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، أَخْذَ الْكِرَامِ عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ لَا تُذِقْنَا طَعْمَ أَنْفُسِنَا.

اللَّهُمَّ لَا تُذِقْنَا طَعْمَ أَنْفُسِنَا.

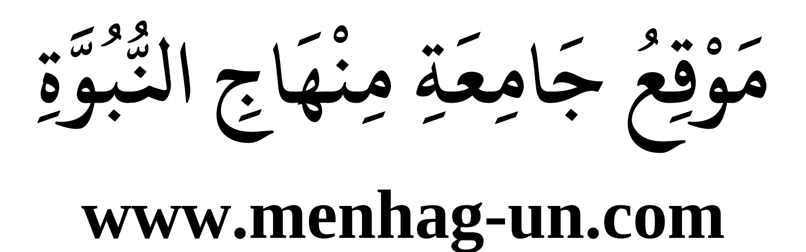
اللَّهُمَّ لَا تُذِقْنَا طَعْمَ أَنْفُسِنَا.

اشْغَلْنَا بِكَ عَنَّا... اشْغَلْنَا بِكَ عَنَّا... اشْغَلْنَا بِكَ عَنَّا.... اشْغَلْنَا بِكَ عَنَّا....

اشْغَلْنَا بِكَ عَنْ جَمِيعِ مَنْ وَمَا سِوَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَأَحْسِنْ خِتَامَنَا؛ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ، وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

● ● ●



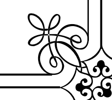
يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّابِعَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]




جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيَانُ مَعْنَى التَّجَلِّي

فَقَدْ قَالَ الْعَلَّامَةُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنْظُومَتِهِ الْحَائِيَّةِ:

وَقُلْ: يَتَجَلَّىٰ اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً   كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَىٰ، وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

«يَتَجَلَّىٰ اللهُ»: التَّجَلِّي مَعْنَاهُ: الظُّهُورُ لِلْعِيَانِ، وَتَجَلِّي الرَّبِّ سُبْحَانَهُ: ظُهُورُهُ لِلْعِيَانِ، فَتَرَاهُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَةً لَا لَبْسَ فِيهَا.

«جَهْرَةً» عِيَانًا غَيْرَ مُسْتَتِرٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ذَاكِرًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

«كَمَا الْبَدْرُ»: الْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَالْمُرَادُ: تَشْبِيهُ رُؤْيَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ بِرُؤْيَتِهِمْ لِلْبَدْرِ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، فَهُوَ تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ.

انْتَقَلَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَىٰ الْقُرْآنِ، وَصِفَةِ الْقُرْآنِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا إِلَىٰ الْكَلَامِ عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْأَبْصَارِ عِيَانًا.

وَقُلْ يَا عَبْدَ اللهِ مُعْتَقِدًا مِنْ قَلْبِكَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُرَىٰ بِالْأَبْصَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، كَمَا تَرَىٰ الْقَمَرَ كَالْبَدْرِ فِي السَّمَاءِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، بَلْ رُؤْيَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَوْضَحُ مِنْ ذَلِكَ.

وَرُؤْيَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هِيَ النَّعِيمُ الْأَكْبَرُ؛ فَأَفْضَلُ مَا فِي الْجَنَّةِ رُؤْيَةُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَنْ يَنَالَ هَذِهِ الْكَرَامَةَ وَالْمِنَّةَ إِلَّا الْمُحْسِنُونَ الَّذِينَ صَدَقُوا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

• • •



أَدِلَّةُ ثُبُوتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَقَدْ ثَبَتَتْ رُؤْيَةُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥- ١٦]. فَلَمَّا حُجِبَ الْكُفَّارُ دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ تَعَالَىٰ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الزِّيَادَةَ هُنَا بِرُؤْيَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَمِنَ السُّنَّةِ: مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **«أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»**.

وَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» -أَيْضًا- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»**.

وَكَذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**».

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ: فَقَدْ قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللهَ بِهِ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَهُوَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَهُ عَلَىٰ مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

وَقَالَ الدَّارِمِيُّ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ: «فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا، وَأَكْثَرُ مِنْهَا قَدْ رُوِيَتْ فِي الرُّؤْيَةِ، وَعَلَىٰ تَصْدِيقِهَا وَالْإِيمَانِ بِهَا أَدْرَكْنَا أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْبَصَرِ مِنْ مَشَايِخِنَا، وَلَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَرْوُنَهَا، وَيُؤْمِنُونَ بِهَا وَلَا يَسْتَنْكِرُونَهَا، وَلَا يُنْكِرُونَهَا، وَمَنْ أَنْكَرَهَا مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ نَسَبُوهُ إِلَىٰ الضَّلَالِ، بَلْ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ رَجَائِهِمْ، وَأَجْزَلِ ثَوَابِ اللهِ فِي أَنْفُسِهِمُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ خَالِقِهِمْ حَتَّىٰ مَا يَعْدِلُونَ بِهِ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ».

قَوْلُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ: «يَتَجَلَّىٰ اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً»: كَمَا رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: فَتُدْعَىٰ الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْتَظِرُونَ؟ أَوْ مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ يَضْحَكُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَتَشْبِيهُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ رُؤْيَةَ اللهِ بِرُؤْيَةِ الْقَمَرِ مُرادُهُ سُهُولَةُ الرُّؤْيَةِ وَوُضُوحُهَا، وَلَيْسَ تَشْبِيهَ الْقَمَرِ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَشْبِيهَ الْمِثْلِ بِالْمِثْلِ، مِثَالُهُ مَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»؛ فَلَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وُجُوهُهُمْ كَحِجَارَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ أَنَّ وُجُوهَهُمْ مُضِيئَةٌ كَالْقَمَرِ.

التَّشْبِيهُ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَيْسَ بِتَشْبِيهِ الْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ.

الْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ حَقًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَحْشَرِ، وَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَيَرَوْنَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْمَحْشَرِ، ثُمَّ لَا يَرَوْنَهُ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي اللَّامِيَّةِ:

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ ... وَإِلَىٰ السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ: هَلْ هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً، أَوْ هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَجَمِيعِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ؟

ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَىٰ أَنَّ الرُّؤْيَةَ عَامَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ، وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ؛ تَدُلُّ عَلَيْهِ عُمُومُ أَدِلَّةِ اللِّقَاءِ.

وَذَهَبَ طَائِفَةٌ إِلَىٰ أَنَّ الرُّؤْيَةَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الْإِيمَانَ فِي الدُّنْيَا كَالْمُنَافِقِينَ.

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ أَنَّ الرُّؤْيَةَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.

وَكُلُّهَا أَقْوَالٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ لَا يُبَدَّعُ الْمُخَالِفُ فِيهَا، وَلَكِنْ يُبَدَّعُ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَةَ أَصْلًا.

الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَمِنْهَا مَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِجْمَاعُ أَهْلِ السُّنَّةِ مُنْعَقِدٌ عَلَىٰ رُؤْيَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآخِرَةِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]؛ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا، أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟**

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»، وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: «**ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:** ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]».

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» **لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ**: «**لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**». وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ لَا الْمَرْئِيَّ بِالْمَرْئِيِّ، وَبِهَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ اسْتَدَلَّ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُرَىٰ فِي الْعُلُوِّ، خِلَافًا لِلْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ يُرَىٰ لَا فِي جِهَةٍ، وَهَذَا غَايَةُ التَّنَاقُضِ؛ فَإِنَّ الْمَرْئِيَّ لَا بُدَّ أَنْ يُرَىٰ فِي الْعُلُوِّ أَوْ فِي السُّفْلِ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنِ السُّفْلِ.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣]؛ لَمَّا عُدِّيَ النَّظَرُ بِـ(إِلَىٰ) دَلَّ عَلَىٰ النَّظَرِ الْحَقِيقِيِّ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**دَلَّ عَلَىٰ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ**»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

إِذَنِ؛ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَنْ مَسْأَلَةِ رُؤْيَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: هَلِ الْخَلْقُ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَىٰ أَوْ لَا يَرَوْنَهُ؟

الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ: كُلُّهُمْ يَنْفُونَ الرُّؤْيَةَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ لَا يُرَىٰ. يَقُولُونَ: لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ لِلْأَجْسَامِ! وَيَقُولُونَ: اللهُ غَيْرُ جِسْمٍ؛ فَهُوَ لَا يُرَىٰ. فَيَنْفُونَ الرُّؤْيَةَ بَتَاتًا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

هُنَاكَ قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ يُرَىٰ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَهَذَا قَوْلُ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ -وَهُوَ الْقَوْلُ الْحَقُّ-: أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ، يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ رَوَىٰ أَحَادِيثَ الرُّؤْيَةِ نَحْوُ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا، وَمَنْ أَحَاطَ بِتِلْكَ الْأَحَادِيثِ مَعْرِفَةً، قَطَعَ بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَهَا، وَالْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الدَّالَّةُ عَلَىٰ الرُّؤْيَةِ مُتَوَاتِرَةٌ، رَوَاهَا أَصْحَابُ الصِّحَاحِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: يُرَىٰ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْآخِرَةِ، يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللهَ لَا يُرَىٰ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَتَهُ تَعَالَىٰ، وَلَمَّا طَلَبَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُؤْيَةَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الدُّنْيَا قَالَ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فَالْجَبَلُ الصُّلْبُ صَارَ تُرَابًا مَدْكُوكًا مِنْ عَظَمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمْ يَتَحَمَّلْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُؤْيَةَ الْمُتَجَلَّىٰ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُ رُؤْيَةَ الْمُتَجَلِّي؟ وَكَيْفَ يُطِيقُ الْآدَمِيُّ رُؤْيَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

هَذَا فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللهَ يُعْطِي أَهْلَ الْجَنَّةِ قُوَّةً يَسْتَطِيعُونَ بِهَا أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ إِكْرَامًا لَهُمْ، لَمَّا آمَنُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَرَوْهُ أَكْرَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَتَجَلَّىٰ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ لِيَتَلَذَّذُوا بِرُؤْيَتِهِ، كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ.

فَأُمُورُ الْآخِرَةِ لَيْسَتْ كَأُمُورِ الدُّنْيَا؛ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا إِذَا تَعَرَّضَ لِلشَّمْسِ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ أُصِيبَ بِالْمَرَضِ، وَرُبَّمَا هَلَكَ.

فِي الْآخِرَةِ تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الرُّءُوسِ بِمِقْدَارِ مِيلٍ، قِيلَ: هُوَ الْمِقْدَارُ الْمُقَدَّرُ بِالْمِيلِ الْجِرَاحِيِّ، أَوْ بِمَا يُؤْخَذُ بِهِ الْكُحْلُ مِنَ الْمَكْحُلَةِ؛ لِيُجْعَلَ فِي الْأَعْيُنِ، فَهَذَا هُوَ الْمِيلُ، أَوِ الْمِسْبَارُ الْجِرَاحِيُّ، أَوْ هُوَ الْمِيلُ الْمَسَافِيُّ وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ.

فَالشَّمْسُ تَدْنُو مِنَ الرُّءُوسِ، وَلَا يَنْصَهِرُ النَّاسُ وَلَا يَحْتَرِقُونَ، وَيَتَحَمَّلُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ قَانُونَ الْآخِرَةِ لَا كَقَانُونِ الدُّنْيَا، فَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَةَ اللهِ، وَلَوْ كَانَ الْكَلِيمَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْقَانُونَ يَخْتَلِفُ؛ فَيَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرَوُا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِكْرَامًا لَهُمْ.

أَمَّا الْكُفَّارُ فَلَمَّا لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ فِي الدُّنْيَا حَجَبَهُمُ اللهُ عَنْ رُؤْيَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

فَإِذَا كَانَ الْكُفَّارُ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهَذَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُحْجَبُونَ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ، وَإِلَّا مَا كَانَتْ هُنَاكَ فَائِدَةٌ فِي ذِكْرِ حَجْبِ الْكُفَّارِ عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ الْكُفَّارُ وَالْمُؤْمِنُونَ سَوَاءً فِي الْآخِرَةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ وَأَكْرَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَتَجَلَّىٰ لَهُمْ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ فَيَرَوْنَهُ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، وَلَا يَتَضَامُّونَ -يَعْنِي: لَا يَتَزَاحَمُونَ لِرُؤْيَتِهِ- بَلْ يَرَوْنَهُ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، وَلَا يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ جَلَّ وَعَلَا

كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ هَذَا مُهِمٌّ.

هَذِهِ الْعِبَارَةُ مُهِمَّةٌ: تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، لَا الْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ، كَمَا صَحَّتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ؛ لِذَلِكَ قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ فِي الْمَنْظُومَةِ مُقَرِّرًا عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ:

وَقُلْ يَتَجَلَّىٰ اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً ... كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَىٰ، وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شَبَهٌ تَعَالَىٰ الْمُسَبَّحُ

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

فَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ قَرَّرَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي رُؤْيَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ كَمَا مَرَّ، وَلَا يُنْكِرُ الرُّؤْيَةَ إِلَّا الْجَهْمِيَّةُ الضُّلَّالُ وَمَنْ تَأَثَّرَ بِهِمْ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَةَ اللهِ حَرِيٌّ أَنْ يُحْرَمَ مِنْهَا.

وَقُلْ: يَتَجَلَّىٰ: قُل: الْخِطَابُ مُوَجَّهٌ لِصَاحِبِ السُّنَّةِ، وَمَنْ يُرِيدُ اتِّبَاعَ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلُزُومَ أَمْرِهِ، وَاقْتِفَاءَ أَثَرِهِ، أَمَّا صَاحِبُ الْهَوَىٰ وَالزَّيْغِ وَالْآرَاءِ وَالْمَنْطِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقِيمُ لِلسُّنَّةِ وَزْنًا، وَلَا يَرْفَعُ بِهَا رَأْسًا، وَلَا يَعْبَأُ بِهَا أَصْلًا.

قُلْ يَا صَاحِبَ السُّنَّةِ غَيْرَ مُتَرَدِّدٍ وَلَا شَاكٍّ: يَتَجَلَّىٰ...

التَّجَلِّي: الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ، أَيْ: يَظْهَرُ اللهُ لِلْخَلْقِ، وَالْمُرَادُ بِالْخَلْقِ: الْمُؤْمِنُونَ؛ فَهُمُ الَّذِينَ يُنْعِمُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرُؤْيَتِهِ، وَيُكْرِمُهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، بَلْ إِنَّ رُؤْيَتَهُمْ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا أَجَلُّ مَقَاصِدِهِمْ، وَأَعْظَمُ غَايَتِهِمْ وَأَهْدَافِهِمْ، وَمِنْ دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ**» كَمَا فِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ مَرَّ، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَمَّا الْكُفَّارُ فَلَا يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَىٰ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. فَلَمَّا حُجِبَ الْكُفَّارُ عَنْ رُؤْيَتِهِ تَعَالَىٰ -كَنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُقُوبَةِ- مَكَّنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا، وَهِيَ أَجَلُّ هِبَةٍ وَأَعْظَمُ عَطِيَّةٍ جَهْرَةً عِيَانًا جِهَارًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ مَا يَحْجُبُهُمْ عَنْهُ.

كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَىٰ، الْبَدْرُ: الْقَمَرُ لَيْلَةَ الرَّابِعَ عَشَرَ عِنْدَمَا يَمْتَلِئُ نُورًا، وَعِنْدَمَا لَا يَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَحَابٌ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ جَمِيعًا، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ تَضَامٍّ، وَلَا تَزَاحُمٍ لِرُؤْيَتِهِ شَأْنَ الْأَشْيَاءِ الدَّقِيقَةِ الْخَفِيَّةِ، كَذَلِكَ لَا يَتَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، وَلَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ ضَرَرٌ فِي رُؤْيَتِهِ فَلَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، كُلُّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ أَنَّ الرُّؤْيَةَ تَكُونُ حَقِيقِيَّةً وَبِيُسْرٍ وَسُهُولَةٍ وَوُضُوحٍ.

فَإِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَرَاهُمَا النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ رُؤْيَةً حَقِيقَةً دُونَ عَنَتٍ أَوْ مَشَقَّةٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ -كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ-: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ**».

الْكَافُ: لِلتَّشْبِيهِ لَكِنْ لَيْسَ لِتَشْبِيهِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ بِالْقَمَرِ أَوِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا التَّشْبِيهُ هُنَا لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ؛ لِأَنَّ الْكَافَ دَخَلَتْ عَلَىٰ الرُّؤْيَةِ وَهِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ، فَالتَّشْبِيهُ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، وَلَيْسَ لِلْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ، كَمَا أَنَّ رُؤْيَةَ الْقَمَرِ تَكُونُ لِلنَّاسِ حَقِيقِيَّةً عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، فَكَذَلِكَ رُؤْيَةُ اللهِ تَكُونُ حَقِيقِيَّةً عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، فَالْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ.

كَمَا: وَ(مَا) زَائِدَةٌ أَيْ: كَالْبَدْرِ.

وَرَبُّكَ أَوْضَحُ: الْقَمَرُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَعَ ذَلِكَ يَرَاهُ النَّاسُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عِيَانًا بِدُونِ ضَيْمٍ وَضَرَرٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَكَيْفَ بِالرَّبِّ الْخَالِقِ تَعَالَىٰ؟! فَإِنَّهُ أَوْضَحُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، سَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِأَبْصَارِهِمْ عِيَانًا عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ.

وَرَبُّكَ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُ بِهَذَا النَّظْمِ، وَهُوَ رَبُّ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ رَبَّاهُمْ بِنِعَمِهِ، لَا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ، وَلَا خَالِقَ لَهُمْ غَيْرُهُ.

وَرُبُوبِيَّتُهُ تَعَالَىٰ لِخَلْقِهِ نَوْعَانِ: عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ.

فَأَمَّا الْعَامَّةُ: فَبِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِنْعَامِ وَالصِّحَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ عَامَّةٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

وَأَمَّا الرُّبُوبِيَّةُ الْخَاصَّةُ: فَهِيَ التَّرْبِيَةُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ وَالطَّاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِلْعِبَادَةِ، وَهَذِهِ مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَىٰ الْمُسَبَّحُ

هَذَا الْبَيْتُ ذَكَرَهُ النَّاظِمُ بَعْدَ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِيُبَيِّنَ بِهِ أَنَّ إِثْبَاتَ الرُّؤْيَةِ حَقِيقَةٌ لَا يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَ اللهِ بِالْمَوْلُودِ أَوْ بِالْوَلَدِ، وَلَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ عَلَىٰ وَجْهٍ يَلِيقُ بِاللهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ، وَالْإِضَافَةُ تَقْتَضِي التَّخْصِيصَ؛ فَالصِّفَةُ الَّتِي تُضَافُ إِلَىٰ اللهِ لَيْسَتْ كَالصِّفَةِ الَّتِي تُضَافُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ، فَعِنْدَمَا تُضَافُ الصِّفَةُ إِلَىٰ اللهِ فَإِنَّهَا تَلِيقُ بِكَمَالِ اللهِ، وَإِذَا أُضِيفَتْ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّهَا تَلِيقُ بِضَعْفِ الْمَخْلُوقِ وَنَقْصِهِ وَعَجْزِهِ، وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ مَقَالَةَ التَّعْطِيلِ أَسَاسُهَا التَّمْثِيلُ.

فَالْمُعَطِّلُ بَلَغَ دَرَجَةَ التَّعْطِيلِ لَمَّا مَثَّلَ أَوَّلًا، فَلَمْ يَفْهَمْ مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي أُضِيفَتْ إِلَىٰ اللهِ إِلَّا عَيْنَ الصِّفَةِ الَّتِي يَعْلَمُهَا مِنَ الْمَخْلُوقِ، فَكُلُّ مُعَطِّلٍ سَائِرٌ تَحْتَ هَذَا الْوَهْمِ الْفَاسِدِ كَمَا قَالَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ يَصِفُ الْمُتَكَلِّمِينَ: «أُنَاسٌ مَضَوْا تَحْتَ التَّوَهُّمِ؛ يَظُنُّونَ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ وَرَاءَهُمْ». هَذَا ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ عَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي حَيَّانَ يَعْنِي وَجَّهَ الْخِطَابَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ هَذَا الْقَوْلَ عَنْهُ: وَأَنْتَ حَامِلُ لِوَائِهِمْ!

يَقُولُونَ: لَوْ أَثْبَتْنَا رُؤْيَةَ اللهِ حَقِيقَةً لَأَثْبَتْنَا لَهُ الْجِسْمِيَّةَ، وَلَشَبَّهْنَاهُ بِالْمَخْلُوقِ الْحَادِثِ؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ لَا تَقَعُ إِلَّا عَلَىٰ ذِي جِسْمٍ هَذَا قِيَاسٌ فَاسِدٌ؛ حَيْثُ قَاسُوا اللهَ بِالْمَخْلُوقِ.

لِهَذَا قَالَ السَّلَفُ: لَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ.

فَالنَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ جَاءَ بِهَذَا الْبَيْتِ؛ لِيُزِيلَ التَّوَهُّمَ الَّذِي قَدْ يَأْتِي، وَهَذَا التَّوَهُّمُ جَاءَ بِهِ الْجَهْمِيَّةُ، وَأَمَّا قَبْلَهُمْ فَلَا وَهْمَ؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ مُنَزِّهُونَ، هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ لَا مِنْ عَقْلٍ وَلَا مِنْ فِكْرٍ، وَلَا مِنْ شَرْعٍ وَلَا نَقْلٍ.

يَعْنِي لَمَّا نَفَوْا صِفَةَ الْكَلَامِ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعِلَّةٍ عَجِيبَةٍ، قَالُوا: لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِلِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ وَحَنْجَرَةٍ وَأَسْنَانٍ، فَيُقَالُ: سُبْحَانَ اللهِ!! هَلْ تُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ؟

فَإِذَا قَالُوا: نَعَمْ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ.

نَقُولُ لَهُمْ: فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الْأَرْضَ سَتَتَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، فَهَلْ سَيَجْعَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْأَرْضِ فَمًا وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَحَنْجَرَةً وَأَسْنَانًا؟

سَتَتَكَلَّمُ الْأَرْضُ.

إِذَا قَالُوا: سَتَتَكَلَّمُ كَلَامًا غَيْرَ حَقِيقِيٍّ يَعْنِي تَدُلُّ بِهَيْئَتِهَا عَنْ مَا وَقَعَ فِيهَا فَيُقَالُ: هَذَا مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ بِهِ؟ هِيَ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، سَتَتَكَلَّمُ، سَتَتَحَدَّثُ!

بَلْ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا سَتَنْطِقُ أَبْشَارُكُمْ أَفْخَاذُكُمْ وَأَذْرُعُكُمْ وَسَائِرُ أَعْضَائِكُمْ؛ سَيَخْتِمُ اللهُ عَلَى الْأَفْوَاهِ، وَتَنْطِقُ الْأَعْضَاءُ، هَلْ إِذَا شَهِدَ الْفَخِذُ يُنْشِئُ اللهُ فِيهِ فَمًا وَأَسْنَانًا وَشَفَتَيْنِ وَحَنْجَرَةً وَلِسَانًا؟ أَوْ سَيَنْطِقُ؟

سَيُنْطِقُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ حَقِيقِيٍّ.

فَهَذِهِ جَمَادَاتٌ غَيْرُ نَاطِقَةٍ كَالْأَرْضِ، هَذِهِ أَعْضَاؤُكُمْ تَشْهَدُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكَلَامٍ يُسْمَعُ، وَقَدْ خُتِمَ عَلَىٰ أَفْوَاهِكُمْ، ثُمَّ يُزَالُ الْخَتْمُ عَنْهَا، وَيَحْمِلُ الْوَاحِدُ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَعْضَائِهِ الَّتِي شَهِدَتْ عَلَيْهِ، يَقُولُ: وَيْحَكُنَّ عَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ!

فَتَقُولُ الْأَعْضَاءُ: أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ.

فَهَذِهِ تَنْطِقُ مِنْ غَيْرِ لِسَانٍ وَلَا فَمٍ وَلَا أَسْنَانٍ وَلَا شَفَتَيْنِ.

فَإِذَا قَالُوا: إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ أَشْبَهَ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ....

هُرَاءٌ.. مَزَّقُوا الْأُمَّةَ، وَشَتَّتُوا صُفُوفَهَا، وَأَفْسَدُوا الْعَقِيدَةَ، وَقَبْلَ هَذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْوَهْمِ، كَمَا يَتَكَلَّمُونَ عَنِ الرُّؤْيَةِ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ وَالْآيَاتِ أَثْبَتَتْ ذَلِكَ «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ» يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ شَيْئًا مَعَ الْحَدِيثِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَعَ ذَلِكَ يَذْهَبُونَ إِلَىٰ التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ، وَقَبْلَهُمُ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَالتَّابِعُونَ حَتَّىٰ ظَهَرَتْ وَنَجَمَتْ أَمْثَالُ هَذِهِ الْبِدَعِ.

اللهُ ﷻ يُرَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقِيقَةً بِالْأَبْصَارِ لَيْسَ بِمَوْلُودٍ، وَلَيْسَ بِوَالِدٍ أَيْ: لَمْ يَتَفَرَّعْ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَتَفَرَّعْ عَنْهُ غَيْرُهُ، وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص ٣- ٤].

وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ أَيْ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ، -وَالشِّبْهُ هُوَ الْمَثِيلُ وَالنَّظِيرُ- اللهُ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مَثِيلَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص ٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

فَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ لَا يَقْتَضِي التَّمْثِيلَ؛ فَإِنَّ التَّمْثِيلَ أَمْرٌ آخَرُ سِوَىٰ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: «الْمُشَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ يَدٌ كَيَدِي، وَسَمْعٌ كَسَمْعِي، وَاللهُ يَقُولُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

فَالَّذِي يُثْبِتُ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ لَيْسَ بِمُشَبِّهٍ، وَإِنَّمَا الْمُشَبِّهُ الَّذِي يُشَبِّهُ صِفَاتِ اللهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ مُطْبِقُونَ عَلَىٰ ذَمِّ هَؤُلَاءِ الْمُشَبِّهَةِ، وَأَنَّ مَقَالَتَهُمْ مَقَالَةُ كُفْرٍ وَضَلَالٍ.

وَالْمُعَطِّلَةُ يَرْمُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالتَّشْبِيهِ؛ إِمَّا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مَقَالَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَوْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ أَغْرَاضٍ سَيِّئَةٍ وَقُصُودٍ فَاسِدَةٍ.

تَعَالَىٰ أَيْ: عَنِ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ ارْتَفَعَ قَدْرُهُ، وَجَلَّ شَأْنُهُ، وَتَعَاظَمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَبِيهٌ أَوْ نَظِيرٌ، فَهُوَ يُنَزِّهُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ.

وَالتَّعَالِي: مِنَ الْعُلُوِّ وَهُوَ الرِّفْعَةُ، وَهُوَ ثَابِتٌ لِلَّهِ أَي: الْعُلُوّ ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرًا، فَلَهُ عُلُوُّ الذَّاتِ، وَلَهُ عُلُوُّ الْقَدْرِ وَلَهُ عُلُوُّ الْقَهْرِ، لَهُ عُلُوُّ الذَّاتِ وَلَهُ عُلُوُّ الصِّفَاتِ.

تَعَالَىٰ الْمُسَبَّحُ: الْمُنَزَّهُ؛ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ فِي اللُّغَةِ التَّنْزِيهُ، وَهَذَا التَّسْبِيحُ عِبَادَةٌ مُقَرِّبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ؛ وَرَدَ الْأَمْرُ بِهَا فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، بَلْ جَاءَ التَّرْغِيبُ وَالْحَثُّ عَلَىٰ الْإِكْثَارِ مِنَ التَّسْبِيحِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَرُتِّبَ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِهِ الْأُجُورُ الْعَظِيمَةُ، وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ، **وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالتَّسْبِيحُ كَلَامٌ حَبِيبٌ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ كَمَا **فِي الْحَدِيثِ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»**.

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ».

وَتَسْبِيحُ اللهِ ﷻ يَكُونُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، الْمُعَطِّلَةُ يَفْهَمُونَ مِنَ التَّسْبِيحِ تَنْزِيهَ اللهِ عَنِ الصِّفَاتِ؛ وَلِذَا يَقُولُونَ: سُبْحَانَ الْمُنَزَّهِ عَنِ الصِّفَاتِ!!

بَلْ بَعْضُهُمْ يَقُولُ مِنَ الْقَبْرِيَّةِ.. الصُّوفِيَّةِ يَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَانَا مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ!!

فَيَجْعَلُونَ التَّوْحِيدَ أَوْحَالًا!!

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: انْظُرُوا إِلَىٰ تَسْبِيحِ الْجَهْمِيَّةِ كَيْفَ أَدَّىٰ بِهِمْ إِلَىٰ التَّعْطِيلِ، فَهَذَا التَّسْبِيحُ أَدَّىٰ بِهِمْ إِلَىٰ هَذَا الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ.

لَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُسَبِّحَ اللهَ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، وَإِنَّمَا يَجِبُ تَسْبِيحُ اللهِ عَمَّا جَاءَ بِهِ أَعْدَاءُ الْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ يُخَالِفُونَ الْمُرْسَلِينَ؛ لِذَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

يُرِيدُ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ الَّذِينَ وَصَفُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَا لَا يَلِيقُ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨١]، نَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ التَّشْبِيهَ وَالتَّعْطِيلَ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ فِي حَقِّ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِسَلَامَتِهِ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ يُبَيِّنُ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَفِي الْجَنَّةِ، فَيَأْتِي بِالْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالنَّاسُ فِي الرُّؤْيَةِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: طَرَفَانِ وَوَسَطٌ، كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ ذَلِكَ.

الطَّرَفُ الْأَوَّلُ: غَلَوْ فِي نَفْيِ الرُّؤْيَةِ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ غَلَوْ فِي النَّفْيِ، فَاعْتَقَدُوا وَأَعْلَنُوا أَنَّ اللهَ لَا يُرَىٰ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ بِالنُّصُوصِ وَمَعَانِيهَا الصَّحِيحَةِ، وَهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِعُمُومَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَا تَصْلُحُ لَهُمْ دَلِيلًا كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. فَيَقُولُونَ: هَذَا نَفْيٌ لِلرُّؤْيَةِ، وَهَذَا خَطَأٌ، بَلْ فِيهِ إِثْبَاتُ الرُّؤْيَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: لَا

تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، قَالُوا: تُدْرِكُ بِمَعْنَىٰ تَرَىٰ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْآيَةِ عِنْدَهُمْ: لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ، وَهَذَا تَفْسِيرٌ بَاطِلٌ.

التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ مَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَنْ غَيْرِهِ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أَيْ: لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ؛ فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، بَلْ هُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وَقَالَ: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، أَيْ: عِلْمًا وَقُدْرَةً، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ الْإِحَاطَةِ فِي الرُّؤْيَةِ نَفْيُ الرُّؤْيَةِ، بَلِ الرُّؤْيَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ثَابِتَةٌ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَنْتَ تَقُولُ: أَنَا أَرَىٰ السَّمَاءَ، وَلَا أُدْرِكُ السَّمَاءَ، يَعْنِي أَنْتَ لَا تُحِيطُ بِالسَّمَاءِ بَصَرًا وَلَا عِلْمًا، فَتَنْفِي الْإِدْرَاكَ لِلسَّمَاءِ؛ وَنَفْيُ الْإِدْرَاكِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الرُّؤْيَةِ، فَأَنْتَ تَرَىٰ السَّمَاءَ، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُ السَّمَاءَ، وَسَتَرَىٰ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِبَصَرِكَ، تَرَاهُ بِبَصَرِكَ وَلَا يُدْرِكُهُ بَصَرُكَ.

يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ.

الطَّرَفُ الثَّانِي: غَلَوْ فِي الْإِثْبَاتِ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ كَغُلَاةِ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ زُعَمَاءَهُمْ يَرَوْنَ اللهَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَكَذَبُوا إِذْ لَمْ يَسْتَنِدُوا إِلَىٰ بُرْهَانٍ، بَلْ إِلَىٰ التَّخَرُّصِ وَالْهَذَيَانِ.

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْغُلَاةِ فِي نَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وَالْغُلَاةِ فِي إِثْبَاتِهَا عَلَىٰ الْفَهْمِ الَّذِي مَرَّ، أَثْبَتُوا رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَفِي الْجَنَّةِ، وَنَفَوْا رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَرُؤْيَةَ غَيْرِهِمْ عَنِ اللهِ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، كَمَا مَرَّ فِي طَلَبِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ.

فَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي دَارِ النَّعِيمِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مَنَازِلِهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ نَعِيمِهِمْ، وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا لَا مِنَ الرُّسُلِ، وَلَا مَنْ هُوَ دُونَهُمْ، وَجَمِيعُ الْكَافِرِينَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَلْ هُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْهُ بِأَدِلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ لِأَهْلِ السُّنَّةِ أَقْوَالًا فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا يُبَدَّعُ مَنْ قَالَ بِأَحَدِ الْأَقْوَالِ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُبَدَّعُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُرَىٰ أَصْلًا، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

الْمُنَافِقُونَ نِفَاقًا اعْتِقَادِيًّا فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، تَحْتَ الْكَافِرِينَ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَىٰ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَيَتَهَيَّئُونَ لِلسُّجُودِ كَمَا يَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ، فَتَعُودُ ظُهُورُهُمْ طَبَقًا وَاحِدًا لَا يَقْدِرُونَ كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢- ٤٣].

فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِأَبْصَارِهِمْ؛ لِذَلِكَ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ الْبَيْتَ الَّذِي بَعْدَ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ فَقَالَ:

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَىٰ الْمُسَبَّحُ

وَالْإِنْسَانُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْإِتْيَانِ بِصَلَاةِ الْغَدَاةِ وَصَلَاةِ الْعَشِيِّ، وَأَنْ يَسْعَىٰ إِلَيْهِمَا مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَهُمَا بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي بِكُمْ إِلَىٰ هَذَا النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ.

اللهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

الْحُسْنَىٰ: الْجَنَّةُ.

الزِّيَادَةُ هُنَا: النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ، كَمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِي الْجَنَّةِ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ وَهُوَ رُؤْيَةُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] مِنَ النَّضْرَةِ وَهِيَ الْبَهْجَةُ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] بِأَبْصَارِهَا، النَّظَرُ إِذَا عُدِّيَ بِـ(إِلَىٰ) فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالْبَصَرِ، وَإِذَا عُدِّيَ النَّظَرُ بِنَفْسِهِ (يَنْظُرُونَ) فَمَعْنَاهُ: التَّوَقُّفُ وَالِانْتِظَارُ، وَإِذَا عُدِّيَ بِـ(فِي) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ. وَهَذَا مِنْ عَبْقَرِيَّةِ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَبْقَرِيَّةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ بِهَا كِتَابَهُ، وَنَطَقَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ بَيَانَهُ وَخِطَابَهُ.

التَّعَدِّي وَاللُّزُومُ، وَاسْتِعْمَالُ حُرُوفِ الْجَرِّ مَعَ الْأَفْعَالِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَسْمَاءِ أَيْضًا.

النَّظَرُ إِنْ عُدِّيَ بِنَفْسِهِ فَمَعْنَاهُ: الِانْتِظَارُ، وَإِنْ عُدِّيَ بِـ(فِي) فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ، وَإِنْ عُدِّيَ بِـ(إِلَىٰ) فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالْأَبْصَارِ.

هَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ: إِضَافَةُ النَّظَرِ إِلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، وَتَعْدِيَتُهُ بِـ(إِلَىٰ) الصَّرِيحَةِ فِي نَظَرِ الْعَيْنِ، وَإِخْلَاءُ الْكَلَامِ مِنْ أَيِّ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ خِلَافِ حَقِيقَتِهِ وَمَوْضُوعِهِ صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَرَادَ بِذَلِكَ نَظَرَ الْعَيْنِ الَّتِي فِي الْوَجْهِ إِلَىٰ الرَّبِّ -جَلَّ جَلَالُهُ-.

الْآيَةُ الَّتِي مَعَنَا مُعَدَّاةٌ بِـ(إِلَىٰ): ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، فَهَذَا مُعَايَنَةٌ بِالْأَبْصَارِ.

وَكَمَا مَرَّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، الْإِدْرَاكُ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ أَنْتَ تَرَىٰ الشَّمْسَ وَتُبْصِرُهَا وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُهَا، يَعْنِي لَا تُحِيطُ بِهَا، فَلَا تُحِيطُ بِالْمَرْئِيِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَإِنَّمَا تَرَاهُ.

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُونَهُ، لَا يُدْرِكُونَ عَظَمَتَهُ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، وَأَنْتَ تَرَىٰ الشَّمْسَ وَلَكِنْ لَا تُحِيطُ بِجُرْمِهَا وَحُدُودِهَا، وَهَذَا فِي الْمَخْلُوقِ فَكَيْفَ بِالْخَالِقِ الْعَظِيمِ؟

فَنَفْيُ الْإِدْرَاكِ سِوَىٰ نَفْيِ الرُّؤْيَةِ، بَلْ قَالُوا: إِنَّ نَفْيَ الْإِدْرَاكِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يُرَىٰ، وَلَكِنَّهُ لَا يُدْرَكُ يَعْنِي لَا يُحَاطُ بِهِ ﷻ، فَلَمَّا نَفَىٰ الْإِدْرَاكَ أَثْبَتَ الرُّؤْيَةَ؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْإِدْرَاكِ يَدُلُّ عَلَىٰ الرُّؤْيَةِ، يَدُلُّ عَلَىٰ الْإِبْصَارِ، وَلَكِنْ يَنْفِي الْإِحَاطَةَ، وَكَذَلِكَ

قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لَيْسَ مَعْنَاهُ النَّفْيَ الْمُؤَبَّدَ، بَلْ ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا؛ بِدَلِيلِ أَنَّ الرُّؤْيَةَ ثَبَتَتْ فِي الْآخِرَةِ.

أَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ كَلِمَةَ (لَنْ) لَيْسَتْ لِلنَّفْيِ الْمُؤَبَّدِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلنَّفْيِ الْمُؤَقَّتِ.

ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ جعلَهَا لِنَفْيِ التَّأْبِيدِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلنَّفْيِ مُؤَبَّدًا أَوْ مُؤَقَّتًا عَلَىٰ حَسَبِ السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ.

قَوْلُ النَّاظِمِ:

يَتَجَلَّىٰ: يَظْهَرُ، ثُمَّ أَتَىٰ بِمَعْنَىٰ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَىٰ أَيْ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فِي تَمَامِ الْقَمَرِ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْكُمْ رُؤْيَةُ الْقَمَرِ، وَلَا تَشْتَبِهُ، وَلَا يَظْلِمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَتَضَامُّ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ مِنْ أَجْلِ رُؤْيَتِهِ، وَلَكِنْ تَرَوْنَهُ جَمِيعًا رُؤْيَةً وَاضِحَةً، فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ.

وَعقَّبَ بِالْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ؛ مِنْ أَجْلِ تَنْزِيهِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْ كُلِّ مَا يُتَوَهَّمُ، وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ أَيْ: لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ يُطْلِقُونَ التَّشْبِيهَ، وَيُرِيدُونَ التَّمْثِيلَ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْمُشَابَهَةَ غَيْرُ الْمُمَاثَلَةِ، الْمُمَاثَلَةُ تَقْتَضِي التَّسَاوِيَ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لِذَلِكَ نَفَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ نَفْسِهِ مُمَاثَلَةَ خَلْقِهِ، وَلَمْ يَنْفِ مُشَابَهَتَهُمْ بِهِ تَعَالَىٰ، وَإِنَّمَا أَتَىٰ بِمَا هُوَ دَاخِلٌ فِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ التَّشْبِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

الْعَلَاقَةُ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ عَلَاقَةُ عُمُومٍ وَخُصُوصٍ كُلُّ تَمْثِيلٍ تَشْبِيهٌ، وَلَيْسَ كُلُّ تَشْبِيهٍ تَمْثِيلًا.

الْمُشَابَهَةُ الْمَنْفِيَّةُ فِي حَقِّ اللهِ سِوَىٰ الْمُشَابَهَةِ الْمُثْبَتَةِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.

مَا مَعْنَىٰ هَذَا الْكَلَامِ؟

هُنَاكَ مَا يُقَالُ لَهُ أَصْلُ الصِّفَةِ، يَعْنِي: اللهُ ﷻ مَوْصُوفٌ بِالْعِلْمِ، وَوُصِفَ بَعْضُ خَلْقِهِ بِالْعِلْمِ، وَمَوْصُوفٌ تَعَالَىٰ بِالْحِلْمِ وَوُصِفَ بَعْضُ خَلْقِهِ بِالْحِلْمِ، اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَوْصُوفٌ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ، وَمِنْ خَلْقِهِ الْأَحْيَاءُ، فَالْحَيَاةُ صِفَةٌ، أَصْلُ الصِّفَةِ تَكُونُ وَاحِدَةً فِي الْأَذْهَانِ، وَأَمَّا إِذَا مَا كَانَتْ فِي الْأَعْيَانِ فَإِنَّهَا تَكُونُ لِكُلِّ عَيْنٍ عَلَىٰ حَسَبِهَا؛ يَعْنِي: السَّمْعُ أَنْتَ تَفْهَمُهُ، وَلِذَلِكَ عِنْدَمَا يُقَالُ: وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَأَنْتَ تَفْهَمُ السَّمْعَ عَلَىٰ أَصْلِ الصِّفَةِ.

تَعْلَمُ مَعْنَىٰ السَّمْعِ، وَتَعْلَمُ مَعْنَىٰ الْبَصَرِ مُطْلَقًا مُجَرَّدًا فَيُقَالُ لَهُ: أَصْلُ الصِّفَةِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَكُونُ السَّمْعُ لِلَّهِ يَكُونُ عَلَىٰ قَدْرِ اللهِ، وَعِنْدَمَا يَكُونُ السَّمْعُ لِلْآدَمِيِّ يَكُونُ عَلَىٰ قَدْرِ الْآدَمِيِّ.

وَكَذَلِكَ صِفَةُ الْوُجُودِ: فَاللهُ تَعَالَىٰ مَوْجُودٌ لَهُ صِفَةُ الْوُجُودِ، وَالْمَوْجُودَاتُ الْمَخْلُوقَاتُ أَيْضًا لَهَا صِفَةُ الْوُجُودِ، فَأَصْلُ الْوُجُودِ وَاحِدٌ عِنْدَ التَّجْرِيدِ فِي الْأَذْهَانِ، وَإِنَّمَا عِنْدَ الْوُجُودِ فِي الْأَعْيَانِ يَكُونُ لِكُلِّ عَيْنٍ مَا يَخْتَصُّ بِهَا.

●●●



نَفْيُ الْوَلَدِ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ

فَالْوُجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهِ، وَالْوُجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهِ، فَنَفَىٰ رَحِمَهُٱللَّهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ الْوَلَدَ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَلَـيْسَ بِمَوْلُـدٍ، وَلَـيْسَ بِوَالِـدٍ ....

فَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْغَنِيُّ، وَمِنْ تَمَامِ غِنَاهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ الْوَلَدِ، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

فَالَّذِي يَتَمَنَّىٰ الْوَلَدَ لِيَحْمِلَ اسْمَهُ، وَيَتَفَاخَرَ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ، هُوَ فَقِيرٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ٦٨]. فَالْغِنَىٰ الْمُطْلَقُ لِلَّهِ، وَالْغَنِيُّ الْمُطْلَقُ هُوَ اللهُ، وَمِنْ تَمَامِ غِنَاهُ تَفَرُّدُهُ جَلَّوَعَلَا، وَوِتْرِيَّتُهُ إِنَّهُ الْوِتْرُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ.

نِسْبَةُ الْوَلَدِ إِلَيْهِ نَقْصٌ، نَقْصٌ فِي كَمَالِ غِنَاهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢].

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: **«قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،**

فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا».

فَهَذَا شَتْمٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، اللهُ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذَا، عَنِ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ، قَالَ: وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ.

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ   وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَىٰ الْمُسَبَّحُ

***

الْقُرْآنُ مِنْ حَيْثُ الْمَقَاصِدُ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ

الْقُرْآنُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مِنْ حَيْثُ الْمَقَاصِدُ:

إِمَّا التَّوْحِيدُ: وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ.

وَإِمَّا أَوَامِرُ وَنَوَاهٍ: هِيَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ.

وَإِمَّا أَخْبَارٌ عَنِ الرُّسُلِ وَالْأُمَمِ، والْماضِي وَالْمُسْتَقْبلِ، وَعَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ خَلُصَتْ لِلْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَهِيَ فِي التَّوْحِيدِ؛ لِذَلِكَ صَارَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي الْفَضْلِ؛ لِأَنَّهَا اخْتَصَّتْ بِتَوْحِيدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهَذَا وَجْهُ تَسْمِيَتِهَا بِسُورَةِ (الْإِخْلَاصِ).

وَفِيهَا نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ: نَفْيُ النَّقَائِصِ عَنِ اللهِ، وَإِثْبَاتُ الْكَمَالَاتِ لِلَّهِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: هَذَا إِثْبَاتٌ، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: هَذَا إِثْبَاتٌ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١- ٤]: هَذَا نَفْيٌ، فَنَفَىٰ عَنْهُ النَّقْصَ، وَأَثْبَتَ لَهُ الْكَمَالَ.

قَوْلُهُ: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: يَعْنِي هُوَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

فَهُوَ وَاحِدٌ فِي أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ، قَوْلُهُ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: الَّذِي تَصْمُدُ لَهُ الْخَلَائِقُ، وَتَطْلُبُ مِنْهُ حَوَائِجَهَا، وَالصَّمَدُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، ثُمَّ نَفَىٰ فَقَالَ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: يَعْنِي لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، مُنَزَّهٌ عَنِ الْوَلَدِ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الَّذِينَ أَثْبَتُوا الْوَلَدَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا كَالَّذِينَ قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَالَّذِينَ قَالُوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، وَالَّذِينَ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ -أَيْضًا- الَّذِينَ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَهَذَا نَفْيٌ لِلشَّرِيكِ وَالشَّبِيهِ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ شَبِيهٌ لِوَالِدِهِ وَشَرِيكٌ لَهُ، وَالْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْحَاجَةِ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ الْكُفُوُ هُوَ: الشَّبِيهُ وَالْمَثِيلُ؛ فَاللهُ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مَثِيلَ لَهُ، لَا أَحَدَ يُكَافِئُهُ، أَوْ يُسَاوِيهِ أَوْ يُشَابِهُهُ، أَوْ يُمَاثِلُهُ أَبَدًا، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أَيْ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا يُسَاوِيهِ سُبْحَانَهُ.

وَيُسَامِيهِ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ مَعْنَاهُ: لَا يَتَسَمَّىٰ أَحَدٌ بِاسْمِهِ كَالْمَلِكِ وَالْعَزِيزِ.

فَقَوْلُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ....

مَأْخُوذٌ مِنْ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، وَفِيهَا إِثْبَاتُ الْأَحَدِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَنَفْيُ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ، وَنَفْيُ الْمُشَابَهَةِ وَالْمِثْلِيَّةِ لَهُ جَلَّ وَعَلَا، فَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا	**بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ**
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ	**فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ**

الْجَهْمِيُّ: الْأَلَفُ وَاللَّامُ هَاهُنَا لِلْجِنْسِ لَا لِلْعَهْدِ، يُرِيدُ كُلَّ مُعَطِّلٍ لِلصِّفَاتِ، فَلَفْظُ الْجَهْمِيِّ صَارَ يُطْلَقُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ نَفَىٰ الصِّفَاتِ كُلَّهَا أَوْ بَعْضَهَا كَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْكُلَّابِيَّةِ وَالْأَشَاعِرَةِ، وَالْمَاتُورِيدِيَّةِ إِلَىٰ آخِرِ هَذِهِ الْفِرَقِ.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا: (هَذَا) إِشَارَةٌ لِلْقَرِيبِ، يَقْصِدُ بِهِ كُلَّ مَا مَرَّ مِنْ مَبَاحِثِ الِاعْتِقَادِ مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْكَلَامِ وَالرُّؤْيَةِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: مَسْأَلَةُ الرُّؤْيَةِ.

وَعِنْدَنَا: عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

بِمِصْدَاقِ أَيْ: بِمُوَافَقَةِ وَمُوَاطَئَةِ. يُصَدِّقُهُ، وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثٌ مُصَرِّحٌ.

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ:

جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيُّ، الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْلَمَ بَعْدَ نُزُولِ سُورَةِ (الْمَائِدَةِ)، وَرَوَىٰ حَدِيثَ الْمَسْحِ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ.

وَالْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ جَرِيرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِيهِ -وَلَا تَضَامُّونَ فِيهِ-**» الْحَدِيثَ.

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ: أَيْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ قُلْ مُعْتَقِدًا بِمَا تَقُولُ مِثْلَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ.

فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ أَيْ: فِي مَسْأَلَةِ الرُّؤْيَةِ، فَالْحَدِيثُ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْبَيَانِ، فَقُلْ مِثْلَمَا قَالَ نَبِيُّكَ؛ فَهُوَ أَعْرَفُ بِرَبِّهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ مُعْتَقِدًا ذَلِكَ كُنْتَ مِنَ النَّاجِحِينَ الْفَائِزِينَ.

●●●

إِنْكَارُ الْجَهْمِيَّةِ لِرُؤْيَةِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ

فَأَرَادَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يُوقِفَنَا عَلَىٰ مَقَالَةِ الْمُخَالِفِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الرُّؤْيَةِ؛ فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ بِجَمِيعِ طَوَائِفِهَا تُنْكِرُ رُؤْيَةَ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ لِشُبُهَاتٍ عَقْلِيَّةٍ، وَلِسُوءِ فَهْمِهِمْ لِآيَاتِ كِتَابِ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُتَشَابِهَةِ.

فَكُلُّ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَةَ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ: (قَدْ) عِنْدَمَا تَدْخُلُ عَلَىٰ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فَإِنَّ لَهَا أَحْوَالًا عَلَىٰ حَسَبِ السِّيَاقِ: أَحْيَانًا تَكُونُ (قَدْ) إِذَا دَخَلَتْ عَلَىٰ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ لِلتَّقْلِيلِ، وَأَحْيَانًا لِلتَّكْثِيرِ، وَأَحْيَانًا لِلتَّحْقِيقِ وَالتَّأْكِيدِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، فَالْمُرَادُ فِي اسْتِخْدَامِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ التَّحْقِيقُ وَالتَّأْكِيدُ.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ فَيَقُولُ: حَقِيقَةُ مَقَالَةِ الْجَهْمِيَّةِ إِنْكَارُ حَقِيقَةِ رُؤْيَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِذَلِكَ يَقُولُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَةَ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَالْجَهْمِيُّ الَّذِي يَتَأَثَّرُ بِالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ هُوَ شَيْخُ الطَّرِيقَةِ وَأُسْتَاذُ الْقَوْمِ.

يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا يَعْنِي: رُؤْيَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا نَحْنُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَعِنْدَنَا حَدِيثٌ بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا، وَهُوَ حَدِيثٌ مُصَرِّحٌ بِمَا قُلْنَاهُ، وَهُوَ ثَابِتٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

الْحَدِيثُ فِي الرُّؤْيَةِ مُصَحَّحٌ مِنْ قِبَلِ الْأَئِمَّةِ، بَلْ هُوَ مُتَوَاتِرٌ نَصَّ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَصَحِّ الْأَحَادِيثِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ الْمُتَلَقَّاةِ بِالْقَبُولِ، الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِالْحَدِيثِ وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ».

وَمُصَرِّحٌ بِإِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَلَمْ يَبْقَ لِمُبْطِلٍ مُتَعَلَّقٌ.

ذَكَرَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدِيثَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَدَعَاكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ السُّنِّيُّ إِلَىٰ أَنْ تَقُولَ مِثْلَ مَا قَالَ النَّبِيُّ، وَهَلْ يَسَعُكَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ بِمِثْلِ مَا قَالَ نَبِيُّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

.... فَقُلْ مِثْلَ مَا قد قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

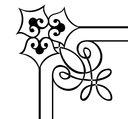
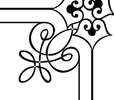
إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ جَانَبْتَ النَّجَاحَ، وَقَارَفْتَ الطَّلَاحَ -نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ-.

الْأَدِلَّةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَثِيرَةٌ جِدًّا، مِنْهَا حَدِيثُ جَرِيرٍ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمِنْهَا سِوَاهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي بَلَغَتْ رُتْبَةَ التَّوَاتُرِ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِيمَا مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَأَمَّا الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الرُّؤْيَةَ فَهُمُ الْجَهْمِيَّةُ، وَكُلُّ مَنْ قَالَ بِقَوْلِ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ فِي مَسْأَلَةِ الصِّفَاتِ، أَوْ قَارَبَهُ أَوْ شَابَهَهُ فَهُوَ جَهْمِيٌّ؛ لِذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ مَنْ نَفَىٰ الرُّؤْيَةَ فَهُوَ جَهْمِيٌّ».

يَعْنِي لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ أُصُولُ الْجَهْمِ كَامِلَةً، وَلَكِنْ بِمُجَرَّدِ نَفْيِ رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْآخِرَةِ يَكُونُ جَهْمِيًّا.

●●●

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّامِنَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

إِثْبَاتُ صِفَةِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى

لَمَّا فَرَغَ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ مَبْحَثِ رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَرَعَ فِي إِثْبَاتِ صِفَةٍ أُخْرَىٰ دَلَّتْ عَلَيْهَا نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهِيَ صِفَةُ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ:

وَقَـدْ يُنْكِـرُ الْجَهْمِـيُّ أَيْضًـا يَمِينَـهُ ... وَكِلْتَـا يَدَيْـهِ بِالْفَوَاضِـلِ تَـنْفَحُ

يُنْكِرُ: مِنْ نُكْرٍ، وَهُوَ عَدَمُ الْعِرْفَانِ، قَالَ الرَّاغِبُ: أَصْلُهُ أَنْ يَرِدَ عَلَىٰ الْقَلْبِ مَا لَا يَتَصَوَّرُهُ، وَهَذَا ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود: ٧٠].

نُكْرُ الْجَهْمِيِّ لِلْحَقِّ جَهْلٌ وَاسْتِكْبَارٌ، وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ أَيْ: يَمِينَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، اللهُ تَعَالَىٰ يُوصَفُ بِالْيَدَيْنِ وَبِالْيَمِينِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَكِلْتَا يَدَيْهِ: أَيْ: يَدَي الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا كَمَا أَخْبَرَنَا فِي كِتَابِهِ أَنَّ لَهُ يَدَيْنِ قَالَ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ: وَالْفَوَاضِلُ: جَمْعُ فَاضِلٍ، وَهُوَ الشَّيْءُ الطَّيِّبُ الْكَرِيمُ.

تَنْفَحُ: مِنَ النَّفْحِ، قَالَ الرَّاغِبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالنَّفْحُ بِالْمُهْمَلَةِ قَدْ يُرَادُ بِهِ عَطَاءُ الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ». وَقَيَّدَ النَّفْحَ هَاهُنَا بِالْفَوَاضِلِ فَهِيَ نَفَحَاتُ خَيْرٍ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ-.

فَمِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَصْدِيقُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَصْدِيقُ نَبِيِّهِ ﷺ فِي الْأَخْبَارِ وَطَاعَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَاعَةُ نَبِيِّهِ ﷺ فِي الْأَوَامِرِ، فَهَذِهِ أَهَمُّ سِمَاتِ وَصِفَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ، فَكُلُّ خَبَرٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ صِدْقٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ حَقٌّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥]. صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَحْكَامِ.

وَأَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ لَهُ يَدًا وَيَدَيْنِ، وَأَيْدِي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠]، فَأَثْبَتَ هُنَا أَنَّ لَهُ يَدًا وَاحِدَةً، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [يس: ٧١].

فَأَثْبَتَ هُنَا أَيْدِيًا كَثِيرَةً، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، فَأَثْبَتَ يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ فَقَطْ.

أَهْلُ الْعِلْمِ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ يَدَيْنِ، لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُمَا، وَلَسْنَا مُطَالَبِينَ بِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّتِهِمَا، وَأَنَّ قَوْلَهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَىٰ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾، هَذَا مَحْمُولٌ عَلَىٰ أَنَّهَا مُضَافَةٌ، فَتُفِيدُ الْجَمْعَ.

وَأَنَّ قَوْلَهُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ إِنَّ لَهُ أَيْدِيًا كَثِيرَةً مَحْمُولٌ عَلَىٰ التَّعْظِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي غَيْرِ آيَةٍ (إِنَّا)، وَيُرِيدُ نَفْسَهُ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ.

وَوَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ نَفْسَهُ بِالْيَدَيْنِ فِي مَوْطِنِ الْإِكْرَامِ وَالتَّمَدُّحِ، وَلَوْ كَانَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ لَذَكَرَهُ ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّ لَهُ يُمْنَىٰ، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَوَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ -وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِرَبِّهِ- أَنَّ لَهُ يَدَيْنِ كِلْتَاهُمَا يَمِينٌ؛ رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. فَحَمِدَ اللهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللهُ، يَا آدَمُ اذْهَبْ إِلَىٰ أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ إِلَىٰ مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُهُ، فَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ اللهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ**» الْحَدِيثَ، وَهُوَ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ، وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَهُ يَدَانِ لَا كَأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ، وَأَمَّا الْجَهْمِيُّ فَيُنْكِرُ ذَلِكَ وَيُؤَوِّلُهُ؛ لِأَنَّهُ ثَابِتٌ فِي الْكِتَابِ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، فَيَقُولُ الْجَهْمِيُّ: الْمُرَادُ بِالْيَدِ النِّعْمَةُ، وَلَا يُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ.

فَيُقَالُ لَهُ: مَا الْمُرَادُ بِقَوْلِكَ: النِّعْمَةُ أَوِ الْقُدْرَةُ؟

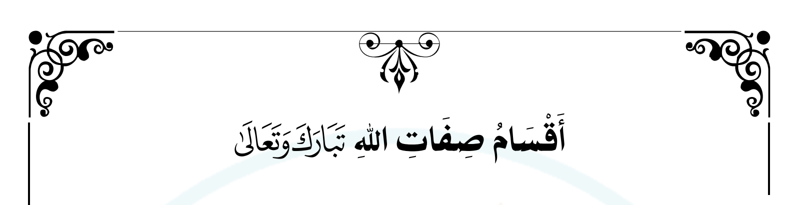
﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، هَلْ تُثْبِتُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُدْرَتَيْنِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾؟

فَإِذَا قَالَ: إِنَّ الْيَدَ هُنَا هِيَ الْقُدْرَةُ.

فَيُقَالُ: هَلْ تُثْبِتُ لِلَّهِ تَعَالَى قُدْرَتَيْنِ اللهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾؟

وَأَنْتَ تَقُولُ: بَلْ قُدْرَتَاهُ!





أَقْسَامُ صِفَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

صِفَاتُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ أَقْسَامٍ:

إِلَىٰ صِفَاتٍ ذَاتِيَّةٍ: وَالضَّابِطُ فِي مَعْرِفَةِ الصِّفَةِ الذَّاتِيَّةِ أَنَّهَا لَا تَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ، وَلَا تَنْفَكُّ عَنْهَا الذَّاتُ كَالْيَدَيْنِ، وَالْبَصَرِ، وَالسَّمْعِ، وَالْوَجْهِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: صِفَاتٌ فِعْلِيَّةٌ، وَهَذِهِ رَاجِعَةٌ إِلَىٰ مَشِيئَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنْ شَاءَ فَعَلَهَا، وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَفْعَلْهَا كَالنُّزُولِ، وَالِاسْتِوَاءِ، وَالضَّحِكِ، وَالْمَجِيءِ، وَالْإِتْيَانِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: صِفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ فِعْلِيَّةٌ كَصِفَةِ الْكَلَامِ؛ فَهِيَ ذَاتِيَّةٌ بِاعْتِبَارِ أَصْلِ الصِّفَةِ، وَفِعْلِيَّةٌ بِاعْتِبَارِ آحَادِ الْكَلَامِ.

وَالصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ نَوْعَانِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: فِعْلِيَّةٌ مُتَعَدِّيَةٌ كَالرَّحْمَةِ.

وَفِعْلِيَّةٌ غَيْرُ مُتَعَدِّيَةٍ: كَالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ.

⁂

الْفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ

مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ؟

الْجَوَابُ: الذَّاتِيَّةُ: لَا تَنْفَكُّ عَنِ اللهِ عَجَّلَ فَهِيَ لَازِمَةٌ لِذَاتِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا.

وَأَمَّا الْفِعْلِيَّةُ: فَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَشِيئَتِهِ تَعَالَىٰ.

الَّذِي ذَكَرَهُ النَّاظِمُ هُنَا هُوَ إِنْكَارُ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا صِفَةَ الْيَدِ لِلَّهِ عَجَّلَ فَقَالَ: وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ، وَ(قَدْ) لِلتَّحْقِيقِ كَمَا مَرَّ.

فَمَعْنَىٰ الْبَيْتِ: أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كَمَا أَنْكَرُوا رُؤْيَةَ اللهِ فَهُمْ يُنْكِرُونَ إِثْبَاتَ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ صَرِيحٌ فِي إِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ عَجَّلَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي إِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]؟

يَقُولُونَ: الْيَدُ الْقُدْرَةُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ذِكْرُ الْيَدَيْنِ هُنَا جَاءَ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ، فَهَلْ تُثْبِتُونَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ قُدْرَتَيْنِ؟

لَوْ قَالُوا بِذَلِكَ لَتَنَاقَضُوا.

وَالصَّوَابُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَنْ نُثْبِتَ الْيَدَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ بِأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ.

هَلْ يُقَالُ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ يَدًا أُخْرَىٰ وَهِيَ الشِّمَالُ، أَوْ لَا يُقَالُ بِذَلِكَ؟

فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عِنْدَ مُسْلِمٍ إِثْبَاتُ الشِّمَالِ لِلَّهِ ﷻ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْأَحَادِيثِ لَمْ تَأْتِ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ، وَإِنَّمَا جَاءَ فِيهَا «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»؛ وَلِذَلِكَ حَكَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَىٰ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ الشِّمَالِ بِالشُّذُوذِ، وَلَكِنْ رَجَّحَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» أَنَّ الْيَدَ الْأُخْرَىٰ لَيْسَتْ كَالشِّمَالِ فِي يَدِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّ شِمَالَ الْمَخْلُوقِ نَاقِصَةٌ عَنِ الْيُمْنَىٰ، بَيْنَمَا اللهُ ﷻ يَدَاهُ سَوَاءٌ فِي الْكَمَالِ.

هَذِهِ الصِّفَةُ -وَهِيَ صِفَةُ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَرَدَتْ بِهَا نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَأَمَّا نُصُوصُ الْكِتَابِ: فَقَدْ مَرَّ بَعْضُهَا: ﴿**تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الملك: ١]. ﴿**يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿**وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ**﴾ [الزمر: ٦٧].

وَفِي السُّنَّةِ: كَذَلِكَ «**يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**» كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ لِآدَمَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَاجَّ آدَمُ مُوسَىٰ قَالَ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ**». **الْحَدِيثَ، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ**».

وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَصْفُ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بِصِفَةِ الْيَدَيْنِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَصِفُ رَبَّهُ بِمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَخْبَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ؛ وَإِنَّنَا لَا يُمْكِنُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ يَدًا إِلَّا بِالْإِخْبَارِ، نَحْنُ يُمْكِنُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَوْصُوفٌ بِكَمَالَاتٍ فَنُثْبِتُهَا عَقْلًا، فَاللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ صِفَةُ الْإِرَادَةِ، صِفَةُ الْعِلْمِ، صِفَةُ الْحِكْمَةِ، الْعَقْلُ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَىٰ هَذِهِ الصِّفَاتِ، أَمَّا الصِّفَاتُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِذَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَعْلَمَهَا إِلَّا بِإِخْبَارٍ مِنَ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ عَمَّا أَخْبَرَهُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بِهِ فَذَكَرَ لَنَا، وَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا هُوَ أَنْ نُصَدِّقَ مَا جَاءَنَا عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ، وَأَلَّا نُعْمِلَ عُقُولَنَا فِيهِ، وَإِنَّمَا نَقُولُ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَتَكُونُ صِفَتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهِ، وَذَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ فَصِفَتُهُ لَيْسَ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِينَ.

رَدَّ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ شُبُهَاتِ الْمُنْكِرِينَ لِصِفَةِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا كَمَا فِي «مُخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ» -لَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ- هَذِهِ بَعْضُ تِلْكَ الْوُجُوهِ:

قَالَ: الْأَصْلُ فِي الْكَلَامِ الْحَقِيقَةُ فَدَعْوَىٰ الْمَجَازِ مُخَالِفٌ لِلْأَصْلِ.

ثَانِيًا: أَنَّ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْكَارِ خِلَافُ الظَّاهِرِ فَقَدِ اتَّفَقَ الْأَصْلُ وَالظَّاهِرُ عَلَىٰ بُطْلَانِ هَذِهِ الدَّعْوَىٰ.

ثالثًا: أَنَّ اقْتِرَاضَ لَفْظِهَا فِي مَوَارِدِ الِاسْتِعْمَالِ مَعَ تَنَوُّعِ ذَلِكَ، وَتَعْرِيفِ الِاسْتِعْمَالِ يَمْنَعُ الْمَجَازَ.

أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

لَوْ كَانَ مَجَازًا فِي الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ لَمْ يُسْتَعْمَلْ مِنْهُ لَفْظُ الْيَمِينِ، وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ** ﷻ، **وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**».

فَلَا يُقَالُ: هَذِهِ يَدُ النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ، وَقَوْلُهُ: «**يَقْبِضُ اللهُ سَمَاوَاتِهِ بِيَدِهِ، وَالْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَىٰ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ**»، فَهُنَا هَزٌّ وَقَبْضٌ وَذِكْرٌ لِلْيَدَيْنِ.

وَلَمَّا أَخْبَرَ ﷺ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ جَعَلَ يَقْبِضُ يَدَيْهِ وَيَبْسُطُهُمَا؛ تَحْقِيقًا لِلصِّفَةِ لَا تَشْبِيهًا لَهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ سَمَاوَاتِهِ بِيَدَيْهِ، وَالْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَىٰ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ**»، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبِضُ يَدَيْهِ وَيَبْسُطُهُمَا؛ تَحْقِيقًا لِلصِّفَةِ لَا تَشْبِيهًا لَهَا.

رَابِعًا: أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَجَازِ لَا يُسْتَعْمَلُ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ، لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُفْرَدًا أَوْ مَجْمُوعًا كَمَا تَقُولُ: لَهُ عِنْدِي يَدٌ يَجْزِيهِ اللهُ بِهَا، وَلَهُ عِنْدِي أَيَادٍ يَجْزِيهِ اللهُ بِهَا، وَمَا جَاءَ لَفْظُ التَّثْنِيَةِ لَمْ يُعْرَفِ اسْتِعْمَالُهُ قَطُّ إِلَّا فِي الْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ.

خَامِسًا: لَيْسَ فِي الْمَعْهُودِ أَنْ يُطْلِقَ اللهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مَعْنَىٰ الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ، بَلْ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ الشَّامِلِ لِجَمِيعِ الْحَقِيقَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]. وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ النِّعَمَ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، وَأَمَّا أَنْ يَقُولَ: خَلَقْتُكَ بِقُدْرَتَيْنِ أَوْ بِنِعْمَتَيْنِ فَهَذَا لَمْ يَقَعْ فِي كَلَامِهِ تَعَالَىٰ، وَلَا فِي كَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ.

سَادِسًا: أَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الْقُدْرَةَ.

وَأَنَّهُ يُبْطِلُ تَخْصِيصَ آدَمَ، يَعْنِي إِذَا كَانَ اللهُ ﷻ قَدْ قَالَ لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وَهُوَ يُرِيدُ أَيْ بِقُدْرَتِي فَإِنَّ إِبْلِيسَ يَقُولُ: وَأَنَا مَخْلُوقٌ بِقُدْرَتِكَ، أَنْتَ خَلَقْتَنِي بِقُدْرَتِكَ، بَلْ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ خَلَقْتَهَا بِقُدْرَتِكَ فَلِمَ تَخُصُّهُ؟ مَا وَجْهُ تَخْصِيصِ آدَمَ؟ إِذَا كَانَتِ الْيَدُ هَاهُنَا هِيَ الْقُدْرَةَ، فَالْكُلُّ مَخْلُوقٌ بِقُدْرَتِهِ، فَإِبْلِيسُ وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ مَخْلُوقٌ بِقُدْرَةِ اللهِ ﷻ، فَهَذَا يُبْطِلُ تَخْصِيصَ آدَمَ فَيَكُونُ الْكَلَامُ لَغْوًا ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، يَقُولُ: وَأَنْتَ خَلَقْتَنِي بِقُدْرَتِكَ إِذَا كَانَتِ الْيَدُ هِيَ الْقُدْرَةَ.

سَابِعًا: هَذَا التَّرْتِيبُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يَأْبَىٰ حَمْلَ الْكَلَامِ عَلَىٰ الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ نَسَبَ الْخَلْقَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، ثُمَّ عَدَّىٰ الْفِعْلَ إِلَىٰ الْيَدِ، ثُمَّ ثَنَّاهَا، ثُمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهَا (الْبَاءَ) الَّتِي تَدْخُلُ عَلَىٰ قَوْلِهِ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ، وَمِثْلُ هَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ لَا يَحْتَمِلُ الْمَجَازَ بِوَجْهٍ.

إِلَىٰ أَنْ قَالَ: وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ الْمُثْبِتُونَ لِلصِّفَاتِ وَالنَّافُونَ لَهَا عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ قُدْرَتَانِ، فَبَطَلَ مَا قُلْتُمْ، أَيْ: بَطَلَ مَا قُلْتُمْ أَيُّهَا الْمُبْتَدِعَةُ فَقِفُوا عِنْدَ حَدِّكُمْ.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

وَقَدْ مَرَّ أَنَّ (قَدْ) لِلتَّحْقِيقِ، كَمَا فِي قَوْلِ مُقِيمِ الصَّلَاةِ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ**﴾ [آل عمران: ١٨١] فَقَدْ تَأْتِي لِلتَّحْقِيقِ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، لَيْسَتْ لِلتَّقْلِيلِ بَلْ هِيَ لِلتَّحْقِيقِ، يُنْكِرُ يَمِينَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَمَا أَنْكَرَ رُؤْيَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَمَا أَنْكَرَ كَلَامَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَما مَرَّ حَالُ هَؤُلَاءِ الْمُعَطِّلَةِ الْمُحَرِّفَةِ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا تَأْتِيهِمُ النُّصُوصُ الَّتِي تُثْبِتُ لِلَّهِ مَا يُثْبِتُهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُكَذِّبُوهُ رَدُّوهُ.

هُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ مَعَ الْقُرْآنِ شَيْئًا فَيَذْهَبُونَ إِلَىٰ السُّنَّةِ، مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُكَذِّبُوهُ، أَنْ يَرُدُّوهُ رَدُّوهُ وَكَذَّبُوهُ، وَمَا لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهُ، فَهُمْ يُحَرِّفُونَهُ كَمَا فِي هَذَا النَّصِّ؛ لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ قَوْلِ رَبِّنَا: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فَيَقُولُونَ: لِمَا خَلَقْتُ بِنِعْمَتَيَّ، لِمَا خَلَقتُ بِقُدْرَتَيَّ، وَهَذَا بَاطِلٌ مِنَ الْقَوْلِ وَزُورٌ!

الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَدْعُوكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ إِلَىٰ أَنْ تُسَلِّمَ لِرَبِّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ أَنْ تُسَلِّمَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمَثِّلَةِ الَّذِينَ يُنَزِّهُونَ بِالتَّعْطِيلِ، وَبِنَفْيِ صِفَاتِ الْكَمَالِ عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُمَثِّلُونَ أَوَّلًا، ثُمَّ يُرِيدُونَ التَّنْزِيهَ فَيُحَرِّفُونَ وَيُعَطِّلُونَ -كَمَا مَرَّ- وَكُلُّ

مُعطِّلٍ مُمَثِّلٌ، فَكُلُّ مَنْ عَطَّلَ صِفَةً وَأَوَّلَهَا وَحَرَّفَهَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ فِي التَّمْثِيلِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَكْذِبُونَ حَتَّىٰ عَلَىٰ أَهْلِ الْعَقْلِ لَا عَلَىٰ أَهْلِ النَّقْلِ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، مُتَابِعِينَ شَيَاطِينَهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ مُمَثِّلَةٌ، وَهُمُ الَّذِينَ مَثَّلُوا أَوَّلًا ثُمَّ حَرَّفُوا ثَانِيًا، فَكَانُوا كَالَّذِي يَحْتَمِي مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَلَمْ يَقَعْ فِي خَوَاطِرِهِمْ شَيْءٌ يَسُوءُ تِجَاهَ صِفَاتِ رَبِّهِمْ.

وَقَالُوا: إِنَّ كُلَّ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا، فَصِفَتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَلَا يَذْهَبُ خَلَدُنَا وَلَا ذِهْنُنَا إِلَىٰ شَيْءٍ يَنْفِي كَمَالَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَمَا فَعَلْتُمْ أَنْتُمْ، ثُمَّ أَرَدْتُمْ أَنْ تَفْزَعُوا إِلَىٰ التَّنْزِيهِ، فَحَرَّفْتُمْ مَا وَرَدَ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَمَا وَرَدَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ فِي حَدِيثِهِ.

لَا تَعَارُضَ -كَمَا مَرَّ- بَيْنَ مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ صِفَةِ الْيَدِ بِالْإِفْرَادِ، وَالْأَيْدِي بِالْجَمْعِ، وَكَذَلِكَ مَا وَرَدَ بِالتَّثْنِيَةِ، وَالثَّابِتُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ التَّثْنِيَةُ فَلَا يُعَارِضُ ثُبُوتَ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ أَنَّ الْيَدَ قَدْ جَاءَتْ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، وَكَذَلِكَ جَاءَتْ مُفْرَدَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]؛ لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ تَتَّسِعُ لِلْإِخْبَارِ عَنِ الْمُثَنَّىٰ بِالْجَمْعِ وَبِالْمُفْرَدِ، وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وَالْكَلَامُ عَنْ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، وَهُمَا اثْنَتَانِ، وَاللهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ

قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]. الْقُلُوبُ جَمْعٌ، وَلَهُمَا قَلْبَانِ اثْنَانِ، وَمَعَ ذَلِكَ وَرَدَتِ الصِّيغَةُ بِالْجَمْعِ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].

ومَا زَالَ الْعَرَبُ يَقُولُونَ: رَأَيْتُكَ بِعَيْنِي، وَسَمِعْتُكَ بِأُذُنِي، وَالْمُرَادُ: بِعَيْنَيَّ وَبِأُذُنَيَّ، فَلَا تَعَارُضَ أَبَدًا بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ، وَمِثْلُهُ تَمَامٌ لِقَوْلٍ فِي الْعَيْنِ فَالْأَمْرُ قَرِيبٌ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي كَلَامِ الْعُلَمَاءِ مِنْ سَلَفِكَ الصَّالِحِينَ؛ فَكُلُّ هَذِهِ الْإِشْكَالَاتِ وَالشُّبُهَاتِ الَّتِي يُرَدِّدُهَا النَّاسُ الْيَوْمَ فِيمَا يَخُصُّ السُّنَّةَ، وَفِيمَا يَخُصُّ الْقُرْآنَ، وَفِيمَا يَخُصُّ النَّبِيَّ ﷺ هَذِهِ كُلُّهَا قِيلَتْ مِنْ قَبْلُ.

إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّعَالِيكِ الَّذِينَ يَمْلَئُونَ الشَّاشَاتِ بِالْكَلَامِ الْفَارِغِ، وَمَا يَهْرِفُونَ فِيهِ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ، وَيَنْطِقُونَ كُفْرًا، إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الْعَقْلِ -حَتَّىٰ-!

مَا الَّذِي يَصْنَعُونَ؟

هُمْ يَتَقَمَّمُونَ؛ كُلُّ الشُّبُهَاتِ قَدِيمَةٌ، وَالرَّدُّ عَلَيْهَا قَدِيمٌ فِي مُصَنَّفَاتٍ لِأَهْلِ السُّنَّةِ.

إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا جَاءَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِحَدِيثٍ، وَقَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ مُشْكِلٌ، فَالْعُلَمَاءُ كَتَبُوا فِي الْمُشْكِلِ، فِي مُشْكِلِ الْآثَارِ، عِنْدَكَ كِتَابٌ مِنْ مُجَلَّدَاتٍ كَثِيرَةٍ لِلْخَطَّابِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَ(تَأْوِيلُ مُشْكِلِ الْحَدِيثِ) لِابْنِ قُتَيْبَةَ قَبْلَهُ.

تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِي كُتُبٍ بِرَأْسِهَا، وَتَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ عَنِ الْمُشْكِلِ الَّذِي أَثَارَهُ مَنْ أَثَارَهُ، إِمَّا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعِلْمِ، وَإِمَّا مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَالزَّيْفِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَسْتَشْكِلُ الرَّجُلُ مَا لَا يَفْهَمُهُ.

الْعُلَمَاءُ كَتَبُوا كُتُبًا بِرَأْسِهَا، مُصَنَّفَاتٍ، وَآخَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَتَبُوا ذَلِكَ مَنْثُورًا فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ وَمُصَنَّفَاتِهِمْ وَرَدُّوا، فَكُلُّ شُبْهَةٍ الْآنَ هِيَ شُبْهَةٌ قَدِيمَةٌ عَفَا عَلَيْهَا الزَّمَنُ وَانْدَثَرَتْ، وَلَكِنْ جَاءَ مُبْطِلٌ، جَاءَ جَاحِدٌ، جَاءَ فَسْلٌ، فَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهَا مِنْ قَبْرِهَا، فَمَا زَالَ يَحْفُرُ عَنْ رُمَّتِهَا حَتَّىٰ أَخْرَجَهَا.

الْجَدِيدُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبْطِلِينَ الَّذِينَ يُرَدِّدُونَ شُبُهَاتِ الْمُبْطِلِينَ الْقُدَامَىٰ زَادُوا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنَّ الْأَمْرَ صَارَ مَعْرُوضًا عَلَىٰ عُمُومِ الْأُمَّةِ، كَانَ هَذَا قَدِيمًا مَحْصُورًا بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، بَيْنَ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ وَالَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ، فَكَانَ الْأَمْرُ مُصَوَّرًا فِي طَائِفَةٍ بِعَيْنِهَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَعَامَلَ مَعَ أَمْثَالِ هَذِهِ الْخُرُوقَاتِ الَّتِي أَتَىٰ بِهَا هَؤُلَاءِ، أَمَّا الْيَوْمَ فَعَوَامُّ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاهِيرُهُمْ يَسْمَعُونَ هَذَا الْكَلَامَ، مَا شَأْنُهُمْ بِهِ؟

لِمَاذَا يُقَالُ لَهُمْ هَذَا الْكَلَامُ؟

يَعْنِي: لِمَاذَا يُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ الْبُخَارِيَّ وَمُسْلِمًا فِيهِمَا كَذَا وَكَذَا مِنْ أُصُولِ الصَّنْعَةِ، وَإِنَّ فُلَانًا، وَإِنَّ عِلَّانًا مِنَ الرُّوَاةِ، وَقَالَ فِي فُلَانٍ: كَذَا. هَذَا إِنَّمَا يُنَاقَشُ عَلَىٰ مُسْتَوَاهُ بَيْنَ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ!

وَأَمَّا أَنْ تَعْرِضَ مِثْلَ هَذَا عَلَىٰ رَجُلٍ لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ، فَهَذَا مَحْضُ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَالْأَخْذُ عَلَىٰ أَيْدِي هَؤُلَاءِ مِنْ قِبَلِ وُلَاةِ الْأُمُورِ حَتْمٌ وَاجِبٌ.

لَا بُدَّ مِنْ قَطْعِ هَذِهِ الْأَلْسِنَةِ، وَيُقَالُ لَهُمُ: اذْهَبُوا إِلَىٰ الْمَجَامِعِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُخْتَصَّةِ، وَاعْرِضُوا مَا عِنْدَكُمْ، نَاقِشُوهُمْ.. حَاوِرُوهُمُ.. افْتِنُوهُمْ -إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ-، أَمَّا أَنْ تَعْرِضُوا هَذَا عَلَىٰ جَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ فَهَذَا لَا يَجُوزُ، هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْجَرَ عَلَيْهِ كَمَا يُحْجَرُ عَلَىٰ الْأَمْرَاضِ بَلْ أَشَدُّ؛ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ دَاءٌ شَدِيدُ الْإِعْدَاءِ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُحْجَرَ عَلَىٰ مَنْ أُصِيبَ بِهِ، بَلْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ الطَّاعُونِ: «**إِذَا وَقَعَ بِبَلَدٍ وَأَنْتُمْ فِيهِ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهُ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي بَلَدٍ فَلَا تَدْخُلُوهُ**». هَذِهِ قَاعِدَةٌ فِي الْحَجْرِ الصِّحِّيِّ؛ لِتَوْسِيعِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْإِصَابَةِ وَالتَّعَرُّضِ لَهَا، مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَهَذَا مَا قَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَمَا أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ الشَّامِ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا الطَّاعُونُ، وَاخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ هَلْ نَذْهَبُ أَوْ نَعُودُ؟

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَا أَرَىٰ لَكَ أَنْ تَذْهَبَ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ!! -يَعْنِي لَجَعَلْتُهُ نَكَالًا- أَرَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا -أَوْ وَادِيًا- لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا مُخْصِبَةٌ، وَالْأُخْرَىٰ مُجْدِبَةٌ أَلَا تَرَىٰ أَنَّ الَّذِي رَعَىٰ الْمُخْصِبَةَ رَعَاهَا بِقَدَرٍ، وَأَنَّ الَّذِي رَعَىٰ الْمُجْدِبَةَ رَعَاهَا بِقَدَرٍ؟!

فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا، فَقَالَ: عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا وَقَعَ هَذَا الطَّاعُونُ -أَوِ الدَّاءُ- بِبَلَدٍ وَأَنْتُمْ فِيهِ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهُ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي بَلَدٍ فَلَا تَدْخُلُوهُ**»، فَرَجَعَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حَجْرٌ صِحِّيٌّ عَلَىٰ مَنْ يُصِيبُ الْأَبْدَانَ، فَكَيْفَ بِالَّذِي يُصِيبُ الْعَقَائِدَ؟ يُصِيبُ الْقُلُوبَ؟! هَذَا شَيْءٌ كَبِيرٌ!!

وَبَعْضُ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ جَلَسَ يَوْمًا يَبْكِي فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟

فَقِيلَ: سُئِلَ الْيَوْمَ رَجُلٌ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأَجَابَ!

فَهَذِهِ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُهَيِّئَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْرِهِمْ رَشَدًا.

فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَىٰ مَا قَالَ عُلَمَاؤُكَ.. الَّذِينَ هُمْ عُلَمَاؤُكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ بِفَضْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَدُلُّونَكَ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَيُرْشِدُونَكَ إِلَىٰ سَوَاءِ السَّبِيلِ.



إِثْبَاتُ صِفَةِ النُّزُولِ لِلَّهِ تَعَالَى

لَمَّا فَرَغَ مِنْ ذِكْرِ صِفَةِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا شَرَعَ فِي ذِكْرِ صِفَةٍ أُخْرَىٰ مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا، وَهِيَ صِفَةُ النُّزُولِ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقُـلْ يَنْـزِلُ الْجَبَّـارُ فِـي كُـلِّ لَيْلَـةٍ ... بِـلَا كَيْـفَ جَـلَّ الْوَاحِـدُ الْمُتَمَـدِّحُ

اعْتَقِدْ أَيُّهَا السُّنِّيُّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الْعَظِيمَةِ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، وَهِيَ صِفَةُ النُّزُولِ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ اللهَ يَنزِلُ نُزُولًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**». الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ كَمَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا.

أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْبِطُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ سُؤْلَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ**». حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ: «**إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّىٰ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ نَزَلَ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ**».

الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، وَالْأَدِلَّةُ مُتَوَاتِرَةٌ عَلَىٰ نُزُولِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وَقُـلْ يَنْـزِلُ الْجَبَّـارُ ....

الْجَبَّارُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ جَلَّوَعَلَا ﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الحشر: ٢٣].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّأُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الْجَبَّارُ: الَّذِي أَجْبَرَ الْخَلْقَ وَقَهَرَهُمْ عَلَىٰ مَا أَرَادَ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: الْجَبَّارُ الَّذِي جَبَرَ خَلْقَهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الْجَبَّارُ الْمُصْلِحُ مِنْ أُمُورِ خَلْقِهِ، الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ.

وَقُلْ: يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلَا كَيْفٍ: يَعْتَقِدُ أَنَّ صِفَاتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَيْسَتْ عَلَىٰ كَيْفِيَّةٍ يَعْلَمُهَا أَوْ يُسْئَلُ عَنْهَا بِالْكَيْفِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (بِلَا كَيْفَ) أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَنْفُونَ الْكَيْفِيَّةَ مُطْلَقًا؛ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَيْفِيَّةٌ مَا، لَكِنَّ الْمُرَادَ: أَنَّهُمْ يَنْفُونَ عِلْمَهُمْ بِالْكَيْفِ؛ إِذْ لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا اللهُ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ لَا يُكَيِّفُونَ يَعْنِي: لَا يَقُولُونَ صِفَةُ النُّزُولِ عَلَىٰ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ، أَوْ صِفَةُ الْيَدِ هَكَذَا، أَوْ صِفَةُ الْوَجْهِ هَكَذَا، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ثَابِتٌ، وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَكَذَلِكَ الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، قَالَ: وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا، وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ.

يَقُولُ: جَلَّ الْوَاحِدُ: جَلَّ: أَيْ: عَظُمَ قَدْرُهُ عَنِ التَّكْيِيفِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

الْوَاحِدُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**».

الْمُتَمَدِّحُ: صِفَةٌ لِلْوَاحِدِ، مَعْنَاهَا أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَمْدَحُهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيُمَجِّدُونَهُ، وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ -سُبْحَانَهُ-، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الْحَدِيثُ الَّذِي وَرَدَ حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ.

أَهْلُ السُّنَّةِ يَكْذِبُ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبِدْعَةِ مِنْ قَدِيمٍ، عِنْدَكَ -مَثَلًا- فِي رِحْلَةِ ابْنِ بَطُّوطَةَ، زَعَمُوا أَنَّهُ قَدِمَ دِمَشْقَ، وَرَأَىٰ وَسَمِعَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَخْطُبُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ مِنْ عَلَىٰ عَرْشِهِ كَمَا أَنْزِلُ عَنْ مِنْبَرِي هَذَا، وَصَدَّقَ

ذَلِكَ كُلُّ مُبْغِضٍ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، وَلِشَيْخِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً رَحِمَهُ اللهُ، مَعَ أَنَّ التَّحْقِيقَ التَّارِيخِيَّ يَقْضِي بِأَنَّ ابْنَ بَطُّوطَةَ إِنَّمَا دَخَلَ دِمَشْقَ وَابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي سِجْنِ الْقَلْعَةِ، يَعْنِي أَثْبَتَ تَأْرِيخَ الدُّخُولِ ابْنُ بَطُّوطَةَ نَفْسُهُ قَالَ: دَخَلْتُ دِمَشْقَ فِي يَوْمِ كَذَا، مِنْ شَهْرِ كَذَا، سَنَةَ كَذَا، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ دَخَلَ السِّجْنَ، أَوْ أُدْخِلَ السِّجْنَ فِي الْقَلْعَةِ بِدِمَشْقَ مِنْ يَوْمِ كَذَا، وَخَرَجَ مِنْهُ إِلَىٰ قَبْرِهِ فِي يَوْمِ كَذَا، فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّىٰ مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ فَأَيْنَ سَمِعَهُ ابْنُ بَطُّوطَةَ؟ وَأَيْنَ رَآهُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ الْفَارِغَ الَّذِي كَذَبَهُ عَلَيْهِ؟

لَعَلَّ ابْنَ بَطُّوطَةَ كَانَ نَائِمًا فِي لَيْلَةِ صَيْفٍ، وَانْحَسَرَ عَنْهُ ثَوْبُهُ، مَا أَكْثَرَ الْكَذِبَ!!

لَا يُحَارِبُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَّا بِالْكَذِبِ وَالِافْتِرَاءِ، لَا يُقَاوِمُونَ الْأَدِلَّةَ فِي كُلِّ عَصْرٍ، فَتَرَىٰ الرَّجُلَ يَعْكُفُ عَلَىٰ حَاسُوبِهِ يَكْذِبُ وَيَفْتَرِي، وَيَخْتَلِقُ الْكَذِبَ وَالِافْتِرَاءَ، ثُمَّ يُصَدِّرُ ذَلِكَ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ، وَهُوَ فِي مَكَانِهِ، وَهِيَ مِحْنَةٌ كَبِيرَةٌ يُنَجِّي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا أَهْلَ الْخَيْرِ، وَأَهْلَ السُّنَّةِ، لَكِنْ مَا الَّذِي يَكْذِبُونَهُ وَيَفْتَرُونَهُ؟ مَحْضُ الْبُهْتَانِ.

يَبْهَتُونَ النَّاسَ، قُولُوا مَا قَالُوا، وَافْهَمُوهُ!

أَنْتُمْ لَا تَلْتَفِتُونَ حَتَّىٰ عِنْدَ وُرُودِ الْخَطَأِ مِنَ الْمُخْطِئِ إِلَىٰ أُصُولِ الرَّدِّ، لَا تَفْهَمُونَ هَذَا أَنْتُمْ تُرِيدُونَ الْفَضْحَ لَا النُّصْحَ هَؤُلَاءِ -فَضَحَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ- لَا يُرِيدُونَ نُصْحًا، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ فَضْحًا -عَامَلَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِعَدْلِهِ- شَتَّتُوا الْأُمَّةَ

وَمَزَّقُوهَا، لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً، كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ وَزُورٌ وَبُهْتَانٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**».

لَا يَلْتَفِتُونَ حَتَّىٰ عِنْدَ وُجُودِ مَا يَسُوءُ إِلَىٰ مَا هُوَ مَشْرُوعٌ مِنَ النُّصْحِ وَالتَّوَسُّلِ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ تَوْصِيلِهِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، لَا، هَؤُلَاءِ لَا وَرَعَ وَلَا خُلُقَ وَلَا مُرُوءَةَ وَلَا أَصْلَ كَمَا قُلْتُ لَكَ.

كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الْعِلْمَ دَخَلُوا الدِّينَ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ: (قِلَّةُ أَصْلٍ، سُوءُ تَرْبِيَةٍ، أَكْثَرُهُمْ مِنْ تَرْبِيَةِ الْحَوَارِي، وَمِنْ تَرْبِيَةِ النِّسَاءِ، وَمِنْ تَرْبِيَةِ الْفَسَقَةِ الْمُجْرِمِينَ)، فَلَمَّا دَخَلُوا الدِّينَ دَخَلُوا بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ لَا يَعِيبُهُمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ لَوْ خَرَجُوا مِنْهُ؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ الْكِبَارَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ كَانُوا مِنَ الْكَفَرَةِ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا لَمْ يَضُرَّهُمْ؛ بَلْ إِنَّهُ يَنْقُضُ عُرَىٰ الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ، فَكَانَ هَذَا يَزِيدُهُمْ شَرَفًا وَفَضْلًا لَوْ أَنَّهُمُ انْخَلَعُوا مِنْهُ، أَمَّا أَنْ يَدْخُلُوا بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ، وَسُوءِ التَّرْبِيَةِ، وَقِلَّةِ الْأَصْلِ، فَمَا هَؤُلَاءِ إِلَّا أَعْدَاءٌ لِدِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَلَا يُحَارِبُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَّا بِالِافْتِرَاءِ وَالْبُهْتَانِ، يَتَكَلَّمُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَعَادَةِ الْمُنَافِقِينَ السَّابِقِينَ بِلَا فَرْقٍ، مَازَالُوا يُحَارِبُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِكُلِّ وَصْفٍ شَنِيعٍ: مَجْنُونٌ.. شَاعِرٌ.. كَاهِنٌ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، سَارِقٌ، أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا، يَأْخُذُ بِالسَّرِقَاتِ الْعِلْمِيَّةِ ﷺ.

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَوَصَلُوا إِلَىٰ غَايَةٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا مَنْ لَا مُرُوءَةَ عِنْدَهُ، وَلَا خُلُقَ وَلَا وَرَعَ وَلَا دِينَ.

اتَّهَمُوا فِي الْعِرْضِ، وَجَاءُوا بِالْإِفْكِ الْمُفْتَرَىٰ، حَتَّىٰ هَذَا لَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَهْلُ السُّنَّةِ.

شَيْءٌ عَجِيبٌ!!

لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، كَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ. وَكَأَنَّ النُّصُوصَ لَا تَشْمَلُهُمْ، فَلَا يُحَارِبُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَّا بِمِثْلِ هَذَا الِافْتِرَاءِ، كَابْنِ بَطُّوطَةَ الَّذِي يَقُولُ: رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ، وَلَا رَأَىٰ وَلَا سَمِعَ؛ وَخَطَّ بِيَدِهِ وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ ﷻ لِفَضْحِ كَذِبِهِ أَنَّهُ دَخَلَ فِي يَوْمِ كَذَا فِي شَهْرِ كَذَا فِي سَنَةِ كَذَا إِلَىٰ دِمَشْقَ، وَذَهَبَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَوَجَدَ فِيهِ شَيْخَ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ يَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّنَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا أَنْزِلُ عَنْ مِنْبَرِي هَذَا، وَيَسْتَوِي عَلَىٰ عَرْشِهِ كَمَا أَجْلِسُ عَلَىٰ مِنْبَرِي هَذَا.

افْتِرَاءٌ!!

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ كَانَ مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْقَلْعَةِ، فَلَمْ يَرَهُ وَلَمْ يَسْمَعْهُ.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقُلْ: يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ	**بِلَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ**
إِلَىٰ طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ	**فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ**
يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا	**وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ**
رَوَىٰ ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ	**أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا**

هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي إِثْبَاتِ نُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ مَذْهَبُهُمْ فِي النُّزُولِ هُوَ مَذْهَبُهُمْ فِي بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ، فَكُلُّ صِفَةٍ لِلَّهِ ثَبَتَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُمِرُّهَا أَهْلُ السُّنَّةِ كَمَا جَاءَتْ، وَيُثْبِتُونَهَا لِلَّهِ كَمَا أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهَا لَهُ رَسُولُهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ مُعْتَرِضًا عَلَىٰ قَوْلِهِ بِأَنْ يَقُولَ بَعْدَ إِثْبَاتِ الصِّفَةِ لِلَّهِ: هَذَا لَا يَلِيقُ بِكَ يَا اللهُ، أَوْ بَعْدَ إِثْبَاتِ الرَّسُولِ ﷺ لِلصِّفَةِ يَقُولُ: هَذَا لَا يَلِيقُ بِاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَيَنْفِي عَنِ اللهِ الصِّفَاتِ؛ تَنْزِيهًا لِلَّهِ عَنْ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَكَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنَ اللهِ، وَأَعْلَمُ بِاللهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ -تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ-، وَسُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ.

لِذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: لَا بُدَّ مِنْ أُصُولٍ ثَلَاثَةٍ لِمَنْ أَرَادَ الِاشْتِغَالَ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُقِرَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنَ اللهِ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

الْأَصْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنْ خَلْقِ اللهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللهِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٤].

الثَّالِثُ مِنَ الْأُصُولِ: أَنَّ اللهَ -بِالنِّسْبَةِ لَنَا- غَيْبٌ لَمْ نَرَهُ، فَلَا مَجَالَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَخُوضَ فِيمَا هُوَ غَائِبٌ عَنْهُ مِنْ وَصْفٍ إِلَّا بِوَحْيٍ.

فَالطَّرِيقَةُ الْحَقَّةُ فِي بَابِ الصِّفَاتِ: أَنْ نَصِفَ اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، لَا نَتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، كَمَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَدُورُ مَعَ السُّنَّةِ حَيْثُ دَارَتْ»، أَيْ: نَفْيًا وَإِثْبَاتًا.

مَنْ تَقَرَّرَتْ فِي قَلْبِهِ هَذِهِ الْأُصُولُ امْتَنَعَ أَنْ يَخُوضَ فِي الصِّفَاتِ بِمَا لَا يَعْلَمُ، وَعَلِمَ فَسَادَ مَذْهَبِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِآرَائِهِمْ وَعُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

النُّزُولُ وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَحَدِيثُهُ مُتَوَاتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ رَوَاهُ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ صَحَابِيًّا، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا غَيْرَ مَرَّةٍ، وَهُوَ ﷺ أَفْصَحُ النَّاسِ، وَأَبْلَغُهُمْ، وَأَنْصَحُهُمْ، وَقَدْ بَلَّغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ تَمَامَ الْبَلَاغِ، وَبَيَّنَهُ أَحْسَنَ الْبَيَانِ، وَأَوْضَحَهُ، وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللهِ تَنْزِيهًا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا لَهُ، فَقَالَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ: يَنْزِلُ رَبُّنَا.

وَإِثْبَاتُهُ لِرَبِّهِ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا يَتَنَافَىٰ مَعَ تَنْزِيهِهِ لَهُ سُبْحَانَهُ، فَمَاذَا يَقُولُ الْمُعَطِّلُونَ الْمُعْتَرِضُونَ عَلَىٰ قَوْلِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْمُتَقَدِّمُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ؟

الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَئِمَّةُ السَّلَفِ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا لَا يَلِيقُ بِاللهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَوَّلُوا هَذِهِ الصِّفَةَ، وَقَالُوا: لَا تَلِيقُ بِاللهِ، وَهِيَ لَيْسَتْ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا فَهُمُ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ، وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُمْ فَيَقُولُونَ: اللهُ لَا

يَنزِلُ؛ لِأَنَّا لَوْ أَثبَتنَا لِلَّهِ النُّزُولَ لَأَثْبَتْنَا لَهُ الْحَرَكَةَ وَالْمَكَانَ، وَهَكَذَا يَنفُونَ عَنِ اللهِ صِفَةَ النُّزُولِ، وَهَذِهِ التَّعْلِيلَاتُ الْعَقْلِيَّةُ لَهَا مَنْشَأٌ فَاسِدٌ فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ انبَثَقَ مِنْهُ إِنْكَارُهُمْ لِلصِّفَاتِ، وَهُوَ قِيَاسُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، فَهُمُ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ وَيُمَثِّلُونَ، يَفْهَمُونَ الصِّفَةَ الَّتِي تُضَافُ إِلَىٰ الْخَالِقِ كَمَا يَفْهَمُونَ الصِّفَةَ الَّتِي تُضَافُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ، فَقَالُوا: لَوْ أَثبَتنَا لِلَّهِ النُّزُولَ لَأَثْبَتْنَا لَهُ الْحَرَكَةَ وَالانْتِقَالَ وَالْمَكَانَ، مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَوَادِثِ، وَالنَّتِيجَةُ إِذَنْ: نَفْيُ الصِّفَةِ عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَتْ تَعلِيلَاتُكُمْ هَذِهِ صَحِيحَةً فَلِمَاذَا يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ فِي غَيرِ مَجْلِسٍ: «**يَنزِلُ رَبُّنَا**»؟

يُجِيبُ هَؤُلَاءِ بِقَوْلِهِمُ: النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَقْصِدْ بِقَوْلِهِ هَذَا نُزُولَ اللهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ نُزُولَ الْمَلَكِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَىٰ الْأَلْغَازِ، وَالْإِلْغَازِ وَالتَّعْمِيَةِ مِنْهُ إِلَىٰ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، وَإِذَا كَانَ كَلَامُ هَؤُلَاءِ حَقًّا كَانَ اللَّازِمُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: يَنْزِلُ مَلَكٌ، يَنزِلُ مَلَكُ رَبِّنَا -صَرَاحَةً- لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ وَلَا مَرَّةً، فَهُوَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّنَا، لَوْ كَانَ كَلَامُهُمْ حَقًّا لَقَالَ -وَلَوْ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ-: يَنزِلُ مَلَكُ رَبِّنَا.

هَلْ يُحْمَلُ الْمُطْلَقُ عَلَىٰ الْمُقَيَّدِ حَتَّىٰ يُحمَلَ الْمُطْلَقُ عَلَىٰ الْمُقَيَّدِ؟ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ.

فَقَوْلُهُمْ هَذَا -بِلَا شَكٍّ- فِيهِ طَعْنٌ فِي عِلْمِ رَسُولِ اللهِ، وَفَصَاحَةِ رَسُولِ اللهِ، بَلْ فِي نُصْحِ رَسُولِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ: هَذَا الَّذِي تَقُولُونَهُ هَلْ عَلِمَهُ النَّبِيُّ أَمْ لَمْ يَعْلَمْهُ؟

يَعْنِي يَقُولُ: يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ جَلَّوَعَلَا يَعْلَمُ هَذَا، وَيَقُولُ يَنْزِلُ رَبُّنَا، فَهَلْ عَلِمَ أَمْ لَمْ يَعْلَمْ؟

فَقَالُوا: لَمْ يَعْلَمْ، وَعَلِمْنَاهُ دُونَ رَسُولِ اللهِ، فَهُوَ تَجْهِيلٌ لِرَسُولِ اللهِ.

وَإِنْ قَالُوا: هَذَا أَمْرٌ عَلِمَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

يُقَالُ لَهُمْ: هَلْ هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ الْإِفْصَاحِ عَنْهُ، وَقَادِرٌ عَلَىٰ بَيَانِهِ لِلْأُمَّةِ بِوُضُوحٍ أَمْ لَيْسَ بِقَادِرٍ؟

إِنْ قَالُوا: لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ الْإِفْصَاحِ، وَأَفْصَحَ عَنْهُ الْجَهْمِيَّةُ فَهَذَا طَعْنٌ فِي فَصَاحَةِ النَّبِيِّ وَبَيَانِهِ.

وَإِنْ قَالُوا: قَادِرٌ عَلَىٰ الْإِفْصَاحِ.

يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا فِيهِ طَعْنٌ فِي نُصْحِهِ؛ لِأَنَّهُ عَالِمٌ قَادِرٌ، وَمَعَ ذَلِك لَمْ يُفْصِحْ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ وَلَا مَرَّةً: يَنْزِلُ مَلَكُ رَبِّنَا.

إِنْ قَالُوا: هُوَ نَصَحَ الْأُمَّةَ وَبَيَّنَ.

قِيلَ لَهُمْ: أَعْطُونَا وَلَوْ حَدِيثًا وَاحِدًا قَالَ فِيهِ: يَنْزِلُ مَلَكُ رَبِّنَا.

فَهَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ يُمْكِنُ أَنْ تُقَالَ فِي شَأْنِ مَنْ يَنْفِي أَيَّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَالْحَدِيثُ نَفْسُهُ يَرُدُّ التَّأْوِيلَ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ يَنْزِلُ رَبُّنَا مُسَاوِيًا لِقَوْلِهِمْ: يَنْزِلُ مَلَكٌ، أَوْ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ.

لِمَاذَا؟

لِأَنَّ الْحَدِيثَ فِيهِ فَيَقُولُ: «**أَلَا هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ أَلَا هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟**»، فَهَلِ الْمَلَكُ يَقُولُ: أَلَا هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟

هَلِ الْمَلَكُ يَقُولُ: أَلَا هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟

أَلَا هَلْ مِنْ مُذْنِبٍ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟

الْمَلَكُ يَقُولُ هَذَا؟!!

فَإِنْ قَالُوا: تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ.

فَيُقَالُ: وَمَا شَأْنُ نُزُولِ الرَّحْمَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟ اللهُ ﷻ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ: أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَا كَيْفٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا.

مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟

هَلِ الْمَلَكُ يَقُولُ هَذَا؟!

مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟

هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟

هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟

هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟

يَقُولُونَ: يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

هَلِ الْمَلَكُ يَقُولُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟

مَنْ يَسْأَلُنِي؟

مَنْ يَتُوبُ إِلَيَّ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟

فَهَذَا كُلُّهُ كَلَامٌ لَا يُقْبَلُ، وَلَيْسَتْ لَهُ قِيمَةٌ.

يَنْزِلُ الْجَبَّارُ.. الْجَبَّارُ الَّذِي يَجْبُرُ عِبَادَهُ الْمُنْكَسِرِينَ.

الْجَبَّارُ الَّذِي تَجْرِي أَحْكَامُهُ الْقَدَرِيَّةُ عَلَىٰ عِبَادِهِ دُونَ أَنْ يَمْتَنِعُوا مِنْهَا، فَأَحْكَامُهُ الْقَدَرِيَّةُ لَا رَادَّ لَهَا، وَلَا مُعَقِّبَ عَلَيْهَا.

الْجَبَّارُ: مِنْ مَعَانِيهِ اللُّغَوِيَّةِ: الْعَالِي الْمُرْتَفِعُ.

يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ، لَا نَدْرِي عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّزُولِ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ يُبَاهِي بِعِبَادِهِ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: «**انْظُرُوا إِلَىٰ عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**».

جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ إِلَىٰ طَبَقِ الدُّنْيَا: الطِّبَاقُ فِي الشَّيْءِ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الْآخَرِ تَارَةً، وَفِيمَا يُوَافِقُ غَيْرَهُ تَارَةً أُخْرَىٰ.

مِنَ الْأَوَّلِ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ [الملك: ٣]. بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

مِنَ الثَّانِي: قَوْلُ الْمُحَدِّثِينَ: «فُلَانٌ مِنْ طَبَقَةِ فُلَانٍ» أَيْ: مُوَافِقٌ لَهُ فِي الْعُمُرِ أَوِ الْعَصْرِ.

وَطَبَقُ الدُّنْيَا: دَرَجَتُهَا فِي الطِّبَاقِ السَّبْعِ.

يَمُنُّ إِلَىٰ طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ، يَمُنُّ مَنًّا، الْمِنَّةُ: النِّعْمَةُ الثَّقِيلَةُ.

وَيُقَالُ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ مِنْ فُلَانٍ عَلَىٰ فُلَانٍ إِذَا أَثْقَلَهُ بِالنِّعْمَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالْقَوْلِ، وَذَلِكَ مُسْتَقْبَحٌ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا عِنْدَ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، وَلِقُبْحِ ذَلِكَ قِيلَ: الْمِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ يَعْنِي أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ، هَذَا بِالْقَوْلِ وَهُوَ مُسْتَقْبَحٌ.

الْمَنَّانُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «**دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَجُلٌ قَدْ صَلَّىٰ، وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**».

فَتُفْرَجُ: الْفُرْجَةُ الشَّقُّ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، أَيْ: مَا لَهَا مِنْ شُقُوقٍ وَفُتُوقٍ، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]: أَيِ: انْشَقَّتْ، وَالْفَرَجُ إِكْشَافُ الْغَمِّ، يُقَالُ: فَرَّجَ اللهُ عَنْكَ.

يَقُولُ: الْقَائِلُ اللهُ عَجَّلَ، وَالْقَوْلُ كَلَامٌ، وَاللهُ عَجَّلَ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ وَقْتَمَا شَاءَ كَيْفَمَا شَاءَ.

أَلَا: أَدَاةٌ تُفِيدُ التَّنْبِيهَ وَالتَّأْكِيدَ.

مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا: أَلَا هَلْ سَائِلٌ لِلْمَغْفِرَةِ يَلْقَ غَافِرًا؟

وَالْمَغْفِرَةُ: أَنْ يَصُونَ اللهُ الْعَبْدَ مِنْ أَنْ يَمَسَّهُ الْعَذَابُ.

الِاسْتِغْفَارُ: طَلَبُ ذَلِكَ بِالْمَقَالِ وَالْفَعَالِ.

يَلْقَ غَافِرًا: الْغَافِرُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ الْمُقَيَّدَةِ، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

وَمُسْتَمْنِحٌ: الْمِنْحَةُ: الْعَطِيَّةُ.

الِاسْتِمْنَاحُ: طَلَبُ الْمِنْحَةِ، أَوْ طَلَبُ الْعَطِيَّةِ.

اسْتَمْنَحَهُ: طَلَبَ مِنْحَةً.

وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا: الْخَيْرُ عَامٌّ، وَالرِّزْقُ خَاصٌّ.

وَأَفْرَدَ الْمُصَنِّفُ النَّاظِمُ الرِّزْقَ؛ لِأَهَمِّيَّتِهِ، وَلِشِدَّةِ جَزَعِ الْعَبْدِ مِنْ نَقْصِهِ، وَالْإِنْسَانُ أَجَلُهُ مُعَلَّقٌ بِرِزْقِهِ، فَمَتَىٰ انْقَطَعَ الرِّزْقُ انْقَضَىٰ الْأَجَلُ.

يُقَالُ: فُلَانٌ حَيٌّ يُرْزَقُ، فَمَا دَامَ حَيًّا فَهُوَ مَرْزُوقٌ.

لَمْ يَقُلْ: فُلَانٌ حَيٌّ لَا يُرْزَقُ؛ لِأَنَّ الرِّزْقَ مُعَلَّقٌ بِهِ الْأَجَلُ، فَمَتَىٰ انْقَطَعَ الرِّزْقُ انْقَطَعَ الْأَجَلُ، وَاللهُ هُوَ الرَّزَّاقُ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ.

فَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَمِنْ أَفْعَالِهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ **يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، وَيُنَادِي وَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟** إِلَىٰ أَنْ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ، وَيَطْلُعَ الْفَجْرُ عَلَىٰ وَفْقِ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ رَبِّنَا، وَفِي سُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ.

أَحَادِيثُ النُّزُولِ مُتَوَاتِرَةٌ.

صَنَّفَ الْإِمَامُ الدَّارَقُطْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صِفَةِ النُّزُولِ مُصَنَّفًا حَدِيثِيًّا، رَوَىٰ فِيهِ عَنْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ صَحَابِيًّا، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ ثُبُوتِ صِفَةِ النُّزُولِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَمَا وَرَدَ عَنِ الرَّسُولِ.

قَالَ الدَّارِمِيُّ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ: «فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ قَدْ جَاءَتْ كُلُّهَا، وَأَكْثَرُ مِنْهَا، فِي نُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ، وَعَلَىٰ تَصْدِيقِهَا وَالْإِيمَانِ بِهَا أَدْرَكْنَا أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْبَصَرِ مِنْ مَشَايِخِنَا، لَا يُنْكِرُهَا مِنْهُمْ وَاحِدٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ رِوَايَتِهَا».

وَقَالَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي (شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَوْ عَقِيدَةِ السَّلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ): «وَيُثْبِتُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ نُزُولَ الرَّبِّ تَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ

السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ لَهُ بِنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، بَلْ يُثْبِتُونَ مَا أَثْبَتَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيَنْتَهُونَ فِيهِ إِلَيْهِ، وَيُمِرُّونَ الْخَبَرَ الصَّحِيحَ الْوَارِدَ بِذِكْرِهِ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ».

إِلَىٰ طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يِلْقَ غَافِرًا وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

عَلَىٰ مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

⊙ ⊙ ⊙

وَقْفَةٌ مَعَ النَّفْسِ

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُوَفَّقُ لِلْخَيْرِ؛ حِكْمَةً مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَيَنْشَغِلُ بِأُمُورِ الدُّنْيَا انْشِغَالًا مُسْتَغْرِقًا بِعُمْرِهِ، لَا يَتَوَقَّفُ لِالْتِقَاطِ أَنْفَاسِهِ، يَقُولُ: أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ.. أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَيَّ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ مِنْهُ مَا هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَيَّ، إِذَا لَمْ تَعْلَمْهُ أَثِمْتَ، وَحُوسِبْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَفْرُوضٌ عَلَيْكَ عِلْمُهُ كَفَرْضِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ.

كُلُّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكَ الطَّهَارَةَ وَالصَّلَاةَ، فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تتعَلَّمَ كَيْفَ تَتَطَهَّرُ مِنَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ وَمِنَ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ، وَكَيْفَ تُصَلِّي، وَأَنْ تُؤَدِّيَ الْوَاجِبَ عَلَيْكَ؛ لِأَنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

كَذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الِاعْتِقَادِ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ أُصُولَ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ السِّتَّةَ مَفْرُوضٌ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِهَا، مَفْرُوضٌ عَلَيْكَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، مَفْرُوضٌ عَلَيْكَ حَتَّىٰ تَكُونَ مُؤْمِنًا أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ آخِرِ مَا هُوَ مَفْرُوضٌ عَلَيْكَ.

كَيْفَ تُؤْمِنُ؟

يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ مَعْنَىٰ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِرَسُولِ اللهِ، بَلْ بِرُسُلِ اللهِ، وَكُتُبِ اللهِ، كَيْفَ تُؤْمِنُ؟

مَا مَعْنَىٰ أَنْ تَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللهِ؟

هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لَمْ يَتَعَلَّمْ كَيْفَ يَكُونُ مُؤْمِنًا أَنْ يُجِيبَ؟!

نَقُولُ لَهُ: كَيْفَ تَكُونُ مُؤْمِنًا بِاللهِ؟

يَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ بِاللهِ.

غَايَةُ مَا هُنَالِكَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِوُجُودِ اللهِ.

يَقُولُ: أَنَا أُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ، مَاذَا تُرِيدُ وَرَاءَ ذَلِكَ؟

هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ؟

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ، وَالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَعْلَمُ أَنَّ مِنْ إِيمَانِهِ بِالْكُتُبِ مُجْمَلًا أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا بِالْقُرْآنِ عَلَىٰ وَجْهٍ خَاصٍّ، وَمِنْهُ أَنْ يَتَدَبَّرَهُ، وَأَنْ يَفْهَمَهُ، وَأَنْ يَعْمَلَ بِهِ.

هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ وَإِلَّا مَا كَانَ مُؤْمِنًا بِهِ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ جُمْلَةً وَبِنَبِيِّنَا خَاصَّةً ﷺ.

فَيَجِبُ عَلَيْكَ فِي أُمُورِ الْإِيمَانِ أَنْ تَتَعَلَّمَ أُصُولَ الْإِيمَانِ.

كَيْفَ تكُونُ مُؤْمِنًا؟ حَتَّىٰ لَا تَصِيرَ إِلَىٰ فِرْقَةٍ مِنَ الْفِرَقِ الْمُنْحَرِفَةِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، أَوْ حَتَّىٰ لَا يَسْتَلِبَكَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ وَالضَّلَالِ عَنْ فِطْرَتِكَ الَّتِي فَطَرَكَ اللهُ عَلَيْهَا مِنَ الِاسْتِقَامَةِ إِلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الزَّيْغِ.

تَعَلَّمْ.. تَوَقَّفْ.. تَوَقَّفْ قَلِيلًا.. تَعَلَّمْ مُجْمَلَ الْإِيمَانِ، يَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، إِذَا عَرَضَتْ شُبْهَةٌ لَا بُدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ، وَكَذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِبَادَاتِ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ الصَّلَاةَ، وَفَرَضَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ تُصَلِّي.

قَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، مَعَ أَنَّهُ يُصَلِّي فِي أَشْرَفِ الْأَمْكِنَةِ، وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَكِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ قَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّةً حَتَّىٰ عَلَّمَهُ قَالَ: لَا أُحْسِنُ إِلَّا مَا رَأَيْتَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ عَلِّمْنِي**». فَعَلَّمَهُ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

مَفْرُوضٌ عَلَيْكَ أَنْ تُصَلِّيَ.

مَنِ الَّذِي عَلَّمَكَ الصَّلَاةَ؟

عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْأَلَ نَفْسَهُ: مَنِ الَّذِي عَلَّمَكَ الصَّلَاةَ؟

أَبُوكَ؟

أُمُّكَ؟

مُعَلِّمُكَ؟

الْأَجْيَالُ الْحَدِيثَةُ تَحْتَاجُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مُعَلِّمُوهَا!

مَنِ الَّذِي عَلَّمَكَ؟

مَنِ الَّذِي عَلَّمَكَ كَيْفَ تَتَطَهَّرُ؟

لَمْ تَجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْ عَالِمٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَتَعَلَّمَ، وَلَمْ تَسْأَلْ، وَلَمْ تَقْرَأْ، وَإِذَا قَرَأْتَ لَمْ تَفْهَمْ، وَإِذَا فَهِمْتَ لَمْ تُنَزِّلِ الْفَهْمَ عَلَىٰ الْوَاقِعِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقَوَاطِعِ.

يَا أَخِي تَوَقَّفْ!! سَلْ نَفْسَكَ.. رَاجِعْهَا.. أَنْصِفْهَا، أَنْصِفْ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِكَ، اتَّقِ اللهَ رَبَّكَ؛ حَتَّىٰ لَا تُورِدَهَا الْمَوَارِدَ، حَتَّىٰ لَا تَجُرَّهَا إِلَىٰ الْعَطَبِ وَالْمَهَالِكِ، وَتَأَمَّلْ فِي مَاضِيكَ، الْأُمُورُ الَّتِي تَعَلَّمْتَهَا فِيمَا يَخُصُّ الدِّينَ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَا؟

أُمُورُ الِاعْتِقَادِ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَا؟

هُمْ رَبَّوْكَ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

كَيْفَ؟

مَاذَا يُرِيدُونَ بِأَنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟

أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ جِدًّا يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا بِكَلَامٍ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَكُونُ!

خُرَافَاتٌ وَأَوْهَامٌ وَأَسَاطِيرُ، حَتَّىٰ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَآلِ الْبَيْتِ.

كَيْفَ تُنَقِّي مَعْلُومَكَ مِنْ هَذَا الْغَبَشِ؟

وَكَيْفَ تُحَرِّرُهُ مِنْ هَذَا الْكَدَرِ؟

بِالتَّصْفِيَةِ.. بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الْأُصُولِ، هَذَا ثَابِتٌ عَلَىٰ الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ، هَذَا غَيْرُ ثَابِتٍ فَلْنُنَحِّهِ؛ حَتَّىٰ يَخْلُصَ لَنَا مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا، تَصْفِيَةٌ وَنَتَرَبَّىٰ عَلَىٰ هَذَا الْمُصَفَّىٰ.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ بِمَعْرِفَتِهِ، وَبِتَعَلُّمِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ بِعِلْمِهِ، مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ، هُنَاكَ فَرْضُ عَيْنٍ مِنَ الْعِلْمِ إِذَا لَمْ تَأْتِ بِهِ أَثِمْتَ وَحُوسِبْتَ، وَإِذَا مَا وَقَعَ مُرَتَّبًا عَلَيْهِ مَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ.

«**ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»: كَثِيرٌ جِدًّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُصَلُّونَ وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ، وَيَشْهَدُونَ الْجَمَاعَاتِ، وَلَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ يَتَطَهَّرُونَ، وَلَا كَيْفَ يُصَلُّونَ!

كَثِيرٌ جِدًّا مِنْ هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّمُوا.

هُمْ مُحِبُّونَ لِلصَّلَاةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدُوا مَنْ يُعَلِّمُهُمْ، أَوْ هُمْ قَصَّرُوا فِي التَّعَلُّمِ، فَأَكْثَرُهُمْ يُصَلِّي، وَلَمْ يُصَلِّ!

يَعْنِي عِنْدَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَعْظُمٍ**».

الْجَبْهَةِ، وَالْأَنْفِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ، أَوْ أَصَابِعِ الْقَدَمَيْنِ.

بَعْضُ النَّاسِ يُصَلِّي هُوَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَيُصَلِّي، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّىٰ سَجَدَ عَلَىٰ جَبْهَتِهِ، وَرَفَعَ أَنْفَهُ فَلَا يَمَسُّ الْأَرْضَ!

كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَخْرُجُ لَهُمْ مَا يُقَالُ لَهُ: عَلَامَةُ الصَّلَاةِ فِي وَسَطِ رَأْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يُبْعِدُ أَنْفَهُ عَنْ مُبَاشَرَةِ الْأَرْضِ، هَذَا لَمْ يَسْجُدْ «**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَعْظُمٍ**»، هَذَا سَجَدَ عَلَىٰ سِتَّةِ أَعْظُمٍ.

هَلْ هَذَا سَجَدَ؟

السُّجُودُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، لَمْ يَأْتِ بِرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، مَا حُكْمُ هَذَا؟

وَبَعْضُهُمْ -وَتَرَىٰ هَذَا كَثِيرًا فَاشِيًا فِي الْمَسَاجِدِ- إِذَا سَجَدَ رَفَعَ قَدَمَيْهِ، وَرُبَّمَا لَعَّبَهُمَا، وَالْأَصْلُ أَنْ يَسْجُدَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، وَمِنْ هَذِهِ السَّبْعَةِ الْأَعْظُمِ قَدَمَاهُ، لَا تَمَسُّ قَدَمَاهُ الْأَرْضَ!

أَلَا تَرَوْنَ هَذَا فِي الْمَسَاجِدِ؟

نَحْنُ نَرَاهُ.. أَنَا أَرَاهُ، وَكَثِيرٌ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ يَرَوْنَهُ، هَذَا فَاشٍ، هَذَا سَجَدَ؟!

هَذَا صَلَّىٰ؟!

الطُّمَأْنِينَةُ هَذِهِ مِنَ الْأَرْكَانِ فِي الصَّلَاةِ لَا بُدَّ أَنْ تَطْمَئِنَّ حَتَّىٰ يَعُودَ كُلُّ عَظْمٍ إِلَىٰ مَوْضِعِهِ.

أَكْثَرُ النَّاسِ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ.. يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ، حَتَّىٰ رُبَّمَا تَكِلُّ عَنْ مُرَاقَبَتِهِ بِبَصَرِكَ مِنْ سُرْعَتِهِ، أَلَا تَرَوْنَ هَذَا؟!

وَبَعْضُهُمْ إِذَا قَامَ مِنَ السُّجُودِ لَا يَقُومُ؛ يَعْنِي لَا يَقُومُ مِنَ السُّجُودِ؛ لِيَعُودَ إِلَىٰ هَيْئَةِ الْجُلُوسِ، وَقَدْ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَاطْمَأَنَّ جَالِسًا، قَالَ: «**ثُمَّ ارْفَعْ مِنَ السُّجُودِ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا**».

هُوَ لَا يَتَكَلَّفُ الْقِيَامَ يَعْنِي رُبَّمَا ظَلَّتْ يَدَاهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَيَقُومُ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، وَإِذَا كَانَ حَتَّىٰ فِي الْجَمَاعَةِ يَنْتَظِرُ حَتَّىٰ يَسْجُدَ الْإِمَامُ السَّجْدَةَ الثَّانِيَةَ، مَعَ أَنَّهُ لَنْ يُوَفِّرَ الْوَقْتَ، يَعْنِي هُوَ سَيَظَلُّ هَكَذَا حَتَّىٰ يَقُومَ الْإِمَامُ!!

لَا تَدْرِي لِمَ يَفْعَلُ هَذَا؟!

يَعْنِي: أَنَا أَفْهَمُ أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُتَعَجِّلٌ فَيُرِيدُ أَنْ يُوَفِّرَ الْوَقْتَ، وَرَاءَهُ مَا يَشْغَلُهُ، وَلَكِنْ هَذَا مَرْبُوطٌ بِإِمَامِهِ، فَسَوَاءٌ قَامَ فَقَعَدَ مُسْتَوِيًا فِي قُعُودِهِ مُطْمَئِنًّا أَمْ صَنَعَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ الْقَرْعَاءَ فَهُوَ سَيَظَلُّ وَرَاءَ الْإِمَامِ!

كَانَ بَعْضُ زُمَلَائِنَا قَدِيمًا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ يَقُولُ عِنْدَمَا نُرِيدُ أَنْ نَنْزِلَ لِلصَّلَاةِ؛ يَقُولُ: نُرِيدُ أَنْ نَنْزِلَ مُبَكِّرِينَ؛ لِنَعُودَ مُبَكِّرِينَ! أَنَا أَفْهَمُ أَنْ نَنْزِلَ مُبَكِّرِينَ، أَمَّا أَنْ نَعُودَ مُبَكِّرِينَ فَمَا ارْتِبَاطُ هَذَا فِي التَّبْكِيرِ فِي النُّزُولِ؟

نَزَلْنَا مُبَكِّرِينَ مُتَأَخِّرِينَ سَنَرْجِعُ بَعْدَ الصَّلَاةِ -بِفَضْلِ اللهِ-!!

هَكَذَا النَّاسُ أَحْيَانًا يُلْغُونَ عُقُولَهُمْ، فَإِذَا وَقَعَ إِلْغَاءُ الْعَقْلِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الْآخِرَةِ كَانَ مُهْلِكًا.

تَوَقَّفْ!!

ارْحَمْ نَفْسَكَ يَا أَخِي!!

ارْحَمْ نَفْسَكَ!!

لَوْ أَنَّكَ وَفَّرْتَ قَلِيلًا مِنْ وَقْتِ الطَّعَامِ، فَأَنْفَقْتَهُ فِي الْعِلْمِ مَعَ تَيْسِيرِ الْيَوْمِ فِي مَسَائِلِ الطَّلَبِ، النَّاسُ الْآنَ يَأْكُلُونَ وَيَسْمَعُونَ، يَعْنِي يُمْكِنُ أَنْ يَسْمَعَ الْعِلْمَ وَهُوَ يَأْكُلُ.

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي مَسْأَلَةِ الْأَكْلِ هَذِهِ يَأْمُرُ أُخْتَهُ، وَكَانَتْ تَقُومُ عَلَىٰ شَأْنِهِ أَنْ تَفُتَّ لَهُ الْخُبْزَ فَتًّا، ثُمَّ يَسْتَفُّهُ اسْتِفَافًا، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا؟

قَالَ: حَسَبْتُ مَا بَيْنَ فَتِّهِ وَاسْتِفَافِهِ، وَبَيْنَ تَنَاوُلِهِ وَمَضْغِهِ، فَوَجَدْتُهُ كَذَا تَسْبِيحَةً؛ لِأَنَّ الِاسْتِفَافَ لَا يَأْخُذُ وَقْتًا، يُرِيدُ أَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ.

لَيْسَ هُوَ مَوْطِنَ تَلَذُّذٍ، وَتَنَعُّمٍ، وَتَطْوِيلٍ، وَتَشْوِيقٍ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَصْنَعُهُ النَّاسُ، هُوَ يَقُولُ: أَنَا حَسَبْتُ الْفَرْقَ الزَّمَنِيَّ بين الِاسْتِفَافِ مَعَ الْفَتِّ، وَبَيْنَ التَّنَاوُلِ مَعَ الْمَضْغِ فَوَجَدْتُهُ كَذَا تَسْبِيحَةً، أَنَا أَضِنُّ بِهَذِهِ التَّسْبِيحَاتِ.

كَانُوا حَرِيصِينَ عَلَىٰ الْوَقْتِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَصِفَةٌ قَبِيحَةٌ فَاشِيَةٌ فِي طُلَّابِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ لَا يَحْرِصُونَ عَلَىٰ الْوَقْتِ، الْوَقْتُ عِنْدَهُمْ لَيْسَتْ لَهُ قِيمَةٌ.

يُرِيدُونَ أَنْ يَقْتُلُوا الْوَقْتَ.

تَقْتُلُ الْوَقْتَ؟

هُوَ رَأْسُ مَالِكَ.. هُوَ عُمْرُكَ، عُمْرُكَ رَأْسُ مَالِكَ.

عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ كَانَ سَائِرًا فَاسْتَوْقَفَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَك، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُهُ، وَيَعْرِفُ فِيمَا سَيُحَدِّثُهُ، فَقَالَ: أَمْسِكِ الشَّمْسَ!

يَعْنِي اجْعَلْ وَقْتِي الَّذِي أُحَدِّثُكَ فِيهِ لَيْسَ مِنْ عُمْرِي، اجْعَلْهُ لَا يَضِيعُ عَلَيَّ، وَأَنَا أُحَدِّثُكَ، قَالَ: أَمْسِكِ الشَّمْسَ كَانُوا يَضِنُّونَ بِالثَّوَانِي؛ لِأَنَّهَا تَنْحِتُ مِنْ عُمْرِكَ!!

عُمْرُكَ مَحْدُودٌ بَدْءًا وَمُنْتَهًىٰ.

سَتَعِيشُ كَذَا.

إِذَنْ: هَذَا مَحْدُودٌ، عُمْرُكَ لَنْ يُزَادَ فِيهِ، وَلَنْ يُنْقَصَ مِنْهُ، مَحْدُودٌ إِذَنْ: كُلُّ ثَانِيَةٍ تَأْخُذُ مِنَ الْمِقْدَارِ الْمَحْدُودِ.

عُمْرُكَ مِئَةُ عَامٍ، مَرَّتْ ثَانِيَةٌ، مِئَةٌ إِلَّا ثَانِيَةً، دَقِيقَةٌ، مِئَةٌ إِلَّا دَقِيقَةً، عَامٌ، مِئَةٌ إِلَّا عَامًا، فَمَا يَزَالُ التَّنَاقُصُ حَتَّىٰ يَفْنَىٰ؛ لِأَنَّهُ مَحْدُودٌ، هُوَ نِهَائِيٌّ لَيْسَ بِلَا نِهَائِيٍّ، وَمَا دَامَ نِهَائِيًّا فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ مَهْمَا طَالَ.

فَكُلُّ مَا أَخَذْتَهُ مِنَ الْعُمْرِ فَهُوَ مَحْسُوبٌ مِنْ عُمْرِكَ نَقْصٌ مِنْهُ، وَتَأْتِي كُلُّ دَقِيقَةٍ.. كُلُّ سَاعَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَخِزَانَةٍ انْظُرُوا مَا فِيهَا؟

فَإِذَا وَجَدْتَ الْخِزَانَةَ قَدْ عُمِّرَتْ بِالْخَيْرِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ، وَإِذَا عُمِّرَتْ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ، إِذَا وَجَدْتَهَا فَارِغَةً تَنْدَمُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْأَصْلِ أَنْ تَجْعَلَ فِيهَا مَا يَنْفَعُكَ، لِأَنَّ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، لَوْ رَجَحَتْ

حَسَنَاتُهُمْ عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَوْ بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَكُونُوا عَلَىٰ الْأَعْرَافِ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

صَحِيحٌ أَنَّهُمْ سَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بَعْدُ.

وَلَكِنْ هُمْ عَلَىٰ الْأَعْرَافِ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ بَيْنَ الْخَلْقِ، مَا الَّذِي جَعَلَهُمْ عَلَىٰ الْأَعْرَافِ؟

اسْتِوَاءُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ.

يَعْنِي لَوْ أَنَّكَ إِذَا اسْتَوَتْ حَسَنَاتُكَ وَسَيِّئَاتُكَ قُلْتَ مَرَّةً فِي الطَّرِيقِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ لِمُسْلِمٍ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، وَإِنَّمَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَدْءًا.

حَسَنَةٌ.. حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ يَبْخَلُ بِهَا عَلَيْكَ أَبُوكَ وَأُمُّكَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَصَاحِبُكَ، حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ الِابْنُ الَّذِي تُمْضِي عُمْرَكَ فِي حِيَازَةِ الدُّنْيَا لَهُ يَفِرُّ مِنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْتَ تُرِيدُ حَسَنَةً وَاحِدَةً تَقُولُ: يَا بُنَيَّ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: يَا أَبَتِ إِنِّي أَخْشَىٰ الْيَوْمَ مِمَّا مِنْهُ تَخْشَىٰ، وَيَفِرُّ مِنْكَ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤- ٣٦].

فَوَلَدُكَ يَفِرُّ مِنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْتَ تَفِرُّ مِنْهُ أَيْضًا كَمَا تَفِرُّ مِنْ أَبِيكَ، أَنْتَ كَوَلَدٍ تَفِرُّ مِنْ أَبِيكَ، وَأَنْتَ كَوَالِدٍ تَفِرُّ مِنِ ابْنِكَ؛ كُلٌّ يُشْغَلُ بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ حَسَنَةٍ.

أُمُّكَ الَّتِي تَدْخُلُ النَّارَ لِأَجْلِكَ فِي الدُّنْيَا تَفِرُّ مِنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَجْلِ حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَأَنْتَ أَيْضًا تَفِرُّ مِنْهَا، وَأَنْتَ تَتَمَدَّحُ فِي الدُّنْيَا بِمَحَبَّتِهَا وَبِبِرِّهَا وَأَنَّكَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا، شِعْرٌ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَجْلِ حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ لَا تُرِيهَا وَجْهَكَ، تَفِرُّ مِنْهَا ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ تَفِرُّ مِنْ أُمِّكَ، وَتَفِرُّ مِنْ أَبِيكَ، وَتَفِرُّ مِنْ صَاحِبِكَ، وَتَفِرُّ مِنْ أَخِيكَ؛ ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

يَا أَخِي الْأَمْرُ بَيْنَ يَدَيْكَ الْآنَ يَعْنِي: لِمَاذَا تَنْتَظِرُ حَتَّىٰ تَفِرَّ أَوْ يُفَرَّ مِنْكَ؟ اجْتَهِدْ!

أَهْلُ النَّارِ يَطْلُبُونَ الْعَوْدَةَ إِذَا دَخَلُوهَا، وَيُؤْبَىٰ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعُودُوا، وَيَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُرْجِعَهُمْ إِلَىٰ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْمَلُوا صَالِحًا، وَاللهُ ﷻ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ أَرْجَعَهُمْ مَا عَمِلُوا صَالِحًا، وَلَكِنَّ الْوَقْفَةَ هُنَا مَعَ طَلَبِهِمُ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْمَلُوا صَالِحًا.. أَنْ يُعَادُوا إِلَىٰ الدُّنْيَا؛ لِيَعْمَلُوا صَالِحًا.

هُمْ فِي الدُّنْيَا فَلِمَاذَا يَنْتَظِرُونَ حَتَّىٰ يَدْخُلُوا النَّارَ، ثُمَّ يَطْلُبُونَ بَعْدَ ذَلِكَ الْخُرُوجَ مِنْهَا؛ لِيَعْمَلُوا صَالِحًا، وَلَنْ يَخْرُجُوا، وَلَنْ يُعَادُوا إِلَىٰ الدُّنْيَا؟

فَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا، لِمَ تُضَيِّعُ وَقْتَكَ؟

لَنْ يَنْفَعَكَ أَحَدٌ، كَثِيرٌ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ هَمُّهُمْ فِي قَتْلِ الْوَقْتِ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ، حَتَّىٰ رَأَىٰ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَخًا لَهُ يَتْلُو كِتَابَ اللهِ يَذْكُرُ رَبَّهُ يَتَفَكَّرُ فِيمَا صَنَعَ، يَتَأَمَّلُ فِي

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْمُتَ، وَأَنْ يَسْكُتَ، وَإِنَّمَا يَجْتَهِدُ فِي أَنْ يَشْغَلَهُ حَتَّىٰ وَلَوْ بِنِيَّةٍ غَيْرِ سَيِّئَةٍ، وَلَكِنْ هُوَ لَا يَصْبِرُ عَلَىٰ السُّكُوتِ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَسْتَطِيعُ الصَّمْتَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ؛ لِأَنَّ الصَّمْتَ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ.

جَرِّبْ.. جَرِّبْ أَلَّا تَتَكَلَّمَ تَسْتَطِيعُ؟ لَا تَسْتَطِيعُ، سَتَفْشَلُ مِنْ أَوَّلِ لَحْظَةٍ لَا بُدَّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فُلَانٌ فَعَلَ وَفُلَانٌ قَالَ وَفُلَانٌ.. يَا أَخِي اسْكُتْ!!

اشْغَلْ نَفْسَكَ بِالْخَيْرِ لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ؟

أَنْتَ لَا تَتَكَلَّمُ فِي حَقٍّ، حَتَّىٰ لَوْ تَكَلَّمْتَ فِي الْمُبَاحِ، أَنْتَ تُضَيِّعُ الْأَوْقَاتَ.. اتَّقِ اللهَ!!

نَمْ!

رَوَىٰ ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ... أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

حَدِيثُ النُّزُولِ مُتَوَاتِرٌ، لَا خِلَافَ فِيهِ، فَالَّذِينَ يُنْكِرُونَهُ يُنْكِرُونَ الْمَقْطُوعَ بِثُبُوتِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، هَؤُلَاءِ يَرُدُّونَ الْأَحَادِيثَ الْمُتَوَاتِرَةَ إِنِ اسْتَطَاعُوا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا فَإِنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ، وَلِذَلِكَ كَانَ دَقِيقًا رَحِمَهُ اللهُ فِي التَّعْبِيرِ..

أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا.

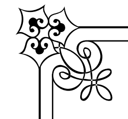
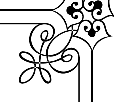
فَهُمْ يُكَذِّبُونَ، وَأَمَّا الْإِثْبَاتُ فَإِذَا مَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا مَعَهُ حِيلَةً فَإِنَّهُمْ حِينَئِذٍ يُحَرِّفُونَ وَيُؤَوِّلُونَ، وَيُعَطِّلُونَ..

أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا.

نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا، وَأَنْ يَجْعَلَ لَيْلَتَنَا هَذِهِ بِدَايَةَ انْطِلَاقٍ لِلْعَمَلِ بِمَرَاضِيهِ، وَمَحَطَّةَ نِهَايَةٍ لِلْعَمَلِ بِمَا يُغْضِبُهُ وَيُسْخِطُهُ، وَأَنْ يُغَيِّرَنَا فِيهَا لِلْأَصْلَحِ، وَأَنْ يُخَلِّصَنَا فِيهَا مِنْ جَمِيعِ صِفَاتِ النَّقْصِ وَالرَّذَائِلِ وَمَا يَضُرُّنَا فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَنْ يُعِيدَ فِيهَا صِيَاغَةَ قُلُوبِنَا عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَخَشْيَتِهِ، وَأَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا وَأَرْوَاحَنَا وَنُفُوسَنَا مِنَ الْآفَاتِ، وَمِنَ النَّقَائِصِ، وَمِنَ الرَّذَائِلِ، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا وَأَنْ يُفَهِّمَنَا، وَأَنْ يَحْفَظَنَا، وَأَنْ يَكْلَأَنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الْمُعَلِّمِينَ جَمِيعًا، وَأَنْ يَنْشُرَ عَنَّا وَأَنْ يُبَلِّغَ عَنَّا، وَأَنْ يَكْفِيَنَا شَرَّ جَمِيعِ ذِي شَرٍّ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا إِلَىٰ سُبُلِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنَّا فَهُوَ الْعَفُوُّ الْكَرِيمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

◉ ◉ ◉

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة التَّاسِعَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ: حُبُّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

فَعَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَقِيدَةٌ ثَابِتَةٌ لَا تَتَغَيَّرُ، وَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ مِنْهَا.

فَهِيَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، وَالْعُلَمَاءُ عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ، وَكَرِّ الدُّهُورِ إِنَّمَا يُقَرِّرُونَ مَا قَرَّرَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الِاعْتِقَادِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبُ ... وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ

وَهَذَا يَجْمَعُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الصَّحَابَةِ وَآلِ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبُ؛ أَيْ أَنَّ طَرِيقَتِي وَمَذْهَبِي حُبُّ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَلَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الْأَنْصَارِ**».

أَيْ: عَلَامَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ؛ أَيْ: عَلَامَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الْأَنْصَارِ.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ بِرِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا -يَعْنِي: أَبَا هُرَيْرَةَ- وَأُمَّهُ إِلَىٰ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ**».

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّ، وَبَرَأَ النَّسَمَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ أَلَّا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ».

وَكَذَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِحُبِّهِمْ، وَبِالدُّعَاءِ لَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ -بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ-:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فَالْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ لَا يَغِلُّ، وَلَا يُبْغِضُ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ خِيرَةُ الْخَلْقِ.

«إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ دِينِهِ، فَمَا رَأَىٰ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ».

هَكَذَا يَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَمَا عِنْدَ أَحْمَدَ فِي «الْمُسْنَدِ».

وَالصَّحَابَةُ أَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي يُبْغِضُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ لَهُ فِي الْفَيْءِ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ كَافِرٌ.

فَمِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ: حُبُّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَالصَّحَابَةُ يَتَفَاضَلُونَ فَأَفْضَلُهُمْ عَلَىٰ الْإِجْمَالِ: أَهْلُ بَدْرٍ، ثُمَّ آلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، ثُمَّ مَنْ آمَنَ قَبْلَ الْفَتْحِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الحديد: ١٠].

وَكَذَلِكَ الْمُهَاجِرُونَ جُمْلَةً أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَمِنْ أَفْرَادِ الْأَنْصَارِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ أَفْرَادِ الْمُهَاجِرِينَ.

وَالْعَشَرَةُ الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ كُلُّهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.

وَقَدْ بُشِّرَ بِالْجَنَّةِ -أَيْضًا-: ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ وَهُوَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَهُوَ أَنْصَارِيٌّ، وَالْغُمَيْصَاءُ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ.

●●●

النَّاسُ فِي الصَّحَابَةِ وَآلِ الْبَيْتِ طَرَفَانِ وَوَسَطٌ

النَّاسُ فِي الصَّحَابَةِ طَرَفَانِ وَوَسَطٌ، أَمَّا الطَّرَفُ الْأَوَّلُ فَهُمُ الرَّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَهُمْ وَيَسُبُّونَهُمْ وَيَتَنَقَّصُونَهُمْ ﵃.

الطَّرَفُ الْآخَرُ: قَوْمٌ يَقُولُونَ هُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ، وَطَائِفَةٌ تَرْفَعُهُمْ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِمْ؛ فَيَدْعُونَهُمْ، وَيَذْبَحُونَ لَهُمْ، وَهُمُ الْقَبْرِيَّةُ الصُّوفِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ

وَالْوَسَطُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَرَفُوا لَهُمْ قَدْرَهُمْ، وَمَنْزِلَتَهُمْ، وَاسْتَغْفَرُوا لَهُمْ، وَكَفُّوا عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.

وَفِي آلِ الْبَيْتِ تَجِدُ التَّنَوُّعَ نَفْسَهُ: قَوْمٌ غَلَوْا فِيهِمْ وَهُمُ الرَّافِضَةُ وَالْبَاطِنِيَّةُ، وَقَوْمٌ وَقَعُوا فِيهِمْ وَهُمُ النَّوَاصِبُ، وَقَوْمٌ يُحِبُّونَهُمُ الْحُبَّ الشَّرْعِيَّ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

الْكَلَامُ فِي الصَّحَابَةِ لَهُ ذُيُولٌ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَقِيدَتِنَا -أَهْلَ السُّنَّةِ- فَيَطُولُ الْكَلَامُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِمَحَبَّتِنَا لَهُمْ، وَلِجَمَالِ سِيرَتِهِمْ، وَلِلِاسْتِفَادَةِ مِمَّا كَانَ يَحْصُلُ مِنْهُمْ مِنْ حُسْنِ الِاتِّبَاعِ، وَحُسْنِ الِاعْتِقَادِ، وَالْمُبَادَرَةِ وَالْمُسَابَقَةِ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ وَالتَّضْحِيَاتِ الَّتِي بَذَلُوهَا مِنْ أَجْلِ دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَمَنْ تَنَقَّصَهُمْ فَهُوَ النَّاقِصُ، وَمَنْ سَبَّهُمْ فَهُوَ الْمَسْبُوبُ، وَمَنْ لَعَنَهُمْ فَهُوَ الْمَلْعُونُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَوَدَّةُ قُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ: أَيْ: أَتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَحَبَّةِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّالِحِينَ.

فَأَرَادَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذَا أَنْ يُبَيِّنَ مَذْهَبَهُ الْحَقَّ فِي هَذَا الْبَابِ، كَمَا أَنَّهُ يُحِبُّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُحِبُّ آلَ الْبَيْتِ الصَّالِحِينَ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الرَّوَافِضِ؛ لِأَنَّ الرَّوَافِضَ عِنْدَهُمْ لَا وَلَاءَ إِلَّا بِبَرَاءٍ؛ لَا يَصْلُحُ أَنْ تُحِبَّ إِلَّا عَلَىٰ الْبَرَاءَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، لَا وَلَاءَ إِلَّا بِبَرَاءٍ عِنْدَ الرَّوَافِضِ -عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ مَا يَسْتَحِقُّونَ-.

فَعِنْدَهُمْ لَا يَصْلُحُ أَنْ تُحِبَّ عَلِيًّا إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِذَا أَحْبَبْتَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَنْتَ مُتَبَرِّئٌ مِنْ عَلِيٍّ.

وَهَذِهِ مُقَدِّمَةٌ فَاسِدَةٌ أَنْتَجَتْ نَتِيجَةً أَفْسَدَ، بَلْ يَجُوزُ وَيَجِبُ أَنْ نُحِبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فَنُحِبُّ آلَ الْبَيْتِ، وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنُوَالِي أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنُوَالِي الصَّالِحِينَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ، هَكَذَا اعْتِقَادُنَا.

وَأَمَّا الرَّوَافِضُ -عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ مَا يَسْتَحِقُّونَ- فَإِنَّهُمْ يُبْغِضُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَلْعَنُونَهُمْ، وَيُكَفِّرُونَهُمْ؛ بِزَعْمِ أَنَّهُ لَا وَلَاءَ إِلَّا بِبَرَاءٍ؛ يَعْنِي: لَا يَصْلُحُ أَنْ

تُحِبَّ عَلِيًّا وَآلَ الْبَيْتِ إِلَّا إِذَا تبرَّأْتَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم إِلَّا مَنِ اسْتَثْنَوْا، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ: التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ يَكُونُ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

التَّوَسُّلُ بِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ؛ يَدُلُّ عَلَيْهِ: حَدِيثُ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَىٰ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي. قَالَ: **إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ؟** قَالَ: فَادْعُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ؛ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّي فِي حَاجَتِي لِتَقْضِىٰ لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**». وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

فَالتَّوَسُّلُ يَكُونُ بِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَيَكُونُ التَّوَسُّلُ -أَيْضًا- بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كَمَا فِي حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ أَصْحَابِ الْغَارِ، كَمَا رَوَىٰ ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ:

«خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ؛ لِيَمْشُوا فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ. قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ. فَقَالَ أَحَدُهُمُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَىٰ، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلِبُ، فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتُبِسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا

نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأَبِي وَدَأَبَهُمَا حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ. قَالَ: فَفَرَّجَ عَنْهُمْ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا؛ حَتَّىٰ تُعْطِيَهَا مِئَةَ دِينَارٍ. فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّىٰ جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً. قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ قَالَ: فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَىٰ ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّىٰ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَعْطِنِي حَقِّي. فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا؛ فَإِنَّهَا لَكَ. فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا. فَكَشَفَ عَنْهُمْ».

فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الثَّلَاثَةَ إِنَّمَا تَوَسَّلُوا إِلَىٰ اللهِ بِأَعْمَالٍ عَمِلُوهَا وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ فِيهَا.

فَالْأَوَّلُ: تَوَسَّلَ بِبِرِّهِ أَبَوَيْهِ، وَالثَّانِي: تَوَسَّلَ بِعَفَافِهِ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَالْحَرَامِ، وَالثَّالِثُ: تَوَسَّلَ بِتَوَقِّيهِ مِنَ الْحَرَامِ وَوَرَعِهِ وَتَنَزُّهِهِ عَنْ مُوَاقَعَتِهِ، وَاسْتَجَابَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم، قَالَ ﷺ: «فَكَشَفَ عَنْهُمْ».

فَالْإِنْسَانُ إِذَا حَلَّتْ بِهِ ضَائِقَةٌ فَلْيَنْظُرْ عَمَلًا صَالِحًا عَمِلَهُ، وَاجْتَهَدَ فِي الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ فِيهِ، فَيَتَوَسَّلَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ.

وَأَيْضًا التَّوَسُّلُ بِحُبِّ الصَّالِحِينَ.

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ ... لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَة

وَأَكْرَهُ مَنْ بِضَاعَتِهِ الْمَعَاصِي ... وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَة

وَمِنَ التَّوَسُّلِ أَيْضًا الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ ﷻ: التَّوَسُّلُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أَمَّا التَّوَسُّلُ بِذَوَاتِ الصَّالِحِينَ كَأَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ نَبِيِّكَ. فَهَذَا تَوَسُّلٌ مُبْتَدَعٌ، فَإِذَا اقْتَرَنَ بِهِ دُعَاؤُهُمْ وَالذَّبْحُ لَهُمْ فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، كَمَا يَفْعَلُهُ غُلَاةُ الصُّوفِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالرَّوَافِضِ.

⊛⊛⊛

تَفَاضُلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالصُّحْبَةُ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ فِي دَاخِلِهَا دَرَجَاتٌ.

وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ أَفْضَلُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَلِيهِ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَتَفَاضُلُهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ خِلَافَتِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ ... عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

فَذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِاعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَفَاضُلِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ.

أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الرَّاوِي: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً؟ يَعْنِي: تَكُونُ أَرْبَعَةَ قُرُونٍ، وَيُسَمُّونَهَا الْقُرُونَ الْمُفَضَّلَةَ لِهَذَا الْحَدِيثِ.

خَيْرُ هَذِهِ الْقُرُونِ: قَرْنُ الصَّحَابَةِ ﵃؛ فَالصَّحَابَةُ مَدَحَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ كَمَا قَالَ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

فَأَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ، وَمَدَحَهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

بَلْ هَذَا الْأُسْلُوبُ أُسْلُوبُ قَصْرٍ، فَحَصَرَ الصِّدْقَ فِيهِمْ؛ لِتَحَقُّقِهِ فِيهِمْ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِهِمْ، وَمَكَانَتِهِمْ عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلَا.

ثُمَّ يَأْتِي وَاحِدٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ الْمَلَاحِدَةِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الْإِسْلَامَ، وَهُوَ يَتَهَجَّمُ عَلَىٰ الصَّحَابَةِ وَيَذُمُّهُمْ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

فَهَذَا مُكَذِّبٌ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الْأَنْصَارِ ﵃: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وَهَذَا ثَنَاءٌ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ، وَمَدْحٌ لَهُمْ، وَذِكْرٌ لِصِفَاتِهِمُ الْحَمِيدَةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَثْبَتَ لَهُمُ الْفَلَاحَ فَقَالَ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَقَاهُمْ شُحَّ أَنْفُسِهِمْ؛ فَصَارُوا يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.

خَصَاصَةٌ: أَيْ: جُوعٌ.

فَهُمْ يُؤْثِرُونَ حَاجَةَ إِخْوَانِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَاجَةٌ، وَلَمَّا هَاجَرَ إِلَيْهِمْ إِخْوَانُهُمْ وَاسَوْهُمْ وَفَتَحُوا لَهُمْ صُدُورَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ، وَأَشْرَكُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَفِي بُيُوتِهِمْ رضي الله عنهم وَأَرْضَاهُمْ.

ثُمَّ قَالَ فِي الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ مِنْ بَعْدِ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وَهَذَا فِيهِ بَيَانُ أَنَّ الْوَاجِبَ نَحْوَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم الدُّعَاءُ لَهُمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ، وَالِاعْتِرَافُ بِسَبْقِهِمْ بِالْإِيمَانِ، وَسُؤَالُ اللهِ أَنْ يُنَزِّهَ قُلُوبَنَا مِنَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ عَلَيْهِمْ وَالْبُغْضِ لَهُمْ، فَهَذَا فِيهِ ثَنَاءٌ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَبَيَانُ مَا يَجِبُ لَهُمْ عَلَىٰ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْفَقَ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَتَصَدَّقَ بِهِ كُلِّه، مَا بَلَغَ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِثْلَ صَدَقَةِ الصَّحَابِيِّ بِالْمُدِّ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ نِصْفِ الْمُدِّ.

فَجَبَلُ الذَّهَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ لَا يُعَادِلُ الْمُدَّ مِنَ الطَّعَامِ مِنْهُمْ؛ وَذَلِكَ لِفَضْلِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ، لِأَنَّ مِنْ أَسْبَابِ مُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ شَرَفَ الْعَامِلِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

ثُمَّ هُمْ رضي الله عنهم يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدَّمَهُمْ فِي الذِّكْرِ، وَلِأَنَّهُمْ تَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر: ٨].

ثُمَّ أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهم، ثُمَّ بَقِيَّةُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ الَّذِينَ شَهِدُوا غَزْوَةَ بَدْرٍ، ثُمَّ أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَخْبَرَ أَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي وَاحِدٌ مِنَ الْفَسَقَةِ الْفَجَرَةِ وَيَذُمُّ الصَّحَابَةَ!!

قَبَّحَ اللهُ أَهْلَ السُّوءِ وَالضَّلَالِ!!

ثُمَّ الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْفَتْحِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وَكُلًّا يَعْنِي: الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ الْفَتْحِ، وَالَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْفَتْحِ.

وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ أَيِ: الْجَنَّةَ؛ فَالصَّحَابَةُ لَا يَلْحَقُهُمْ أَحَدٌ فِي الْفَضْلِ مَهْمَا عَمِلَ، وَلَكِنْ حَسْبُهُ أَنْ يُحِبَّهُمْ وَيَقْتَدِيَ بِهِمْ، وَيُثْنِيَ عَلَيْهِمْ، وَأَلَّا يَتَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَأَلَّا يَتَلَمَّسَ أَخْطَاءَهُمْ، وَلَا يَخُوضَ فِيمَا حَصَلَ بَيْنَهُمْ بِسَبَبِ الْفِتْنَةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ، وَجَرَّأَ عَلَيْهِمُ الْأَشْرَارَ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ.

فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَخُوضَ فِي شَأْنِ الصَّحَابَةِ إِلَّا بِالثَّنَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَالتَّرَحُّمِ عَلَيْهِمْ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَمَحَبَّتِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ يُحِبُّهُمْ، وَلِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يُحِبُّهُمْ؛ فَنَحْنُ نُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ اللهُ، وَنُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مِنْ أَيْنَ وَصَلَ إِلَيْنَا؟!

الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، أَلَيْسَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا جَمِيعُ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ عَنْ طَرِيقِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

فَهُمُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمُ الَّذِينَ بَلَّغُوا الدِّينَ لَمَّا تَحَمَّلُوهُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَبَلَّغُوهُ لَنَا بِأَمَانَةٍ.

كُلُّ حَدِيثٍ تَجِدُ فِيهِ عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ عَنْ صَحَابِيٍّ؛ فَهُمُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَبْلِيغِ الدِّينِ، وَهُمُ الَّذِينَ حَفِظُوا لَنَا السُّنَّةَ، وَحَفِظُوا لَنَا الْقُرْآنَ، وَبَلَّغُوهُ لَنَا، ثُمَّ مَنْ هُمُ الَّذِينَ نَشَرُوا الْإِسْلَامَ بِجِهَادِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ؟

أَلَيْسُوا هُمْ صَحَابَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

إِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْمُثَقَّفِينَ وَمِنَ الضَّالِّينَ يُسِيئُونَ الظَّنَّ بِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَيَرْمُونَهُ بِكُلِّ نَقِيصَةٍ، وَذَلِكَ لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِلِّ عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَنَّهُ لَنْ يُوجَدَ فِي مِصْرَ، وَلَا يُوجَدُ مِنْ أَيَّامِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ لَهَا، لَمْ يُوجَدْ وَلَنْ يُوجَدَ فِي مِصْرَ مَنْ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا وَفِي مِيزَانِ حَسَنَاتِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِثْلُ ثَوَابِهَا؛ فَهُوَ الَّذِي فَتَحَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَبِجُنْدِهِ مِصْرَ حَتَّىٰ دَخَلَتْ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ!

ثُمَّ يَأْتِي مَنْ يَأْتِي بَعْدُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَنَقَّصَ مِنْهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الزَّائِغِينَ يَكْتُبُونَ مَا يُسَمَّىٰ بِالْمُسَلْسَلَاتِ، أَوْ يَصْنَعُونَ الْأَفْلَامَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُشَوِّهُوا صُورَةَ هَذَا الْفَاتِحِ الْعَظِيمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمَا أَرَادُوا بِذَلِكَ إِلَّا تَشْوِيهَ صُورَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ أَنَّ الصَّحَابَةَ هُمُ الَّذِينَ قَمَعُوا الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعْتَدِينَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هُمُ الَّذِينَ ثَبَّتَ اللهُ بِهِمْ أَرْكَانَ الدِّينِ لَمَّا أَرَادَ أَهْلُ الشَّرِّ اسْتِغْلَالَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَرَادُوا التَّشْكِيكَ فِي الدِّينِ، وَارْتَدَّ بَعْضُ النَّاسِ وَانْصَرَفُوا عَنْهُ، فَثَبَّتَ اللهُ تَعَالَىٰ الدِّينَ بِصَحَابَةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ بِقِيَادَةِ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَ الْمُصَنِّفِينَ فِي الْعَقَائِدِ يَذْكُرُونَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي أُصُولِ الِاعْتِقَادِ هُوَ الرَّدُّ عَلَىٰ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ الْمُعَادِيَةِ لِلْإِسْلَامِ، الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تَطْعَنَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تَجِدْ طَرِيقًا أَقْرَبَ مِنَ الطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ حَمَلُوا هَذَا الدِّينَ، وَبَلَّغُوهُ لِلْأُمَّةِ، فَإِذَا طَعَنُوا فِي الصَّحَابَةِ، وَهُمُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي تَبْلِيغِ الدِّينِ فَقَدْ طَعَنُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم؛ لِأَنَّ الَّذِينَ نَقَلُوهُ لَا يُحْتَجُّ بِهِمْ، هَذَا قَصْدُهُمْ.

وَالْمُعَادُونَ لِلصَّحَابَةِ ثَلَاثُ طَوَائِفَ: الرَّافِضَةُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالنَّاصِبَةُ.

وَأَخْبَثُهُمُ الرَّافِضَةُ.

أَمَّا الْخَوَارِجُ: فَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَىٰ هَذَا التَّشَدُّدِ وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ قَصْدُهُمُ الطَّعْنَ فِي الْإِسْلَامِ، فَهُمْ فَعَلُوا هَذَا مِنْ غُلُوٍّ وَتَطَرُّفٍ وَتَشَدُّدٍ، وَلَمْ يَعْمَلُوهُ طَعْنًا فِي الدِّينِ بَلْ إِنَّ هَذَا بِزَعْمِهِمْ مِنْ حُبِّهِمْ لِلدِّينِ وَحِرْصِهِمْ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا النَّوَاصِبُ: فَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَىٰ سَبِّ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أُمُورٌ سِيَاسِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ الطَّعْنَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه لِأَمْرٍ سِيَاسِيٍّ فَحَسْبُ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِمَامَةَ، لَمْ يَكُنْ قَصْدُهُمُ الطَّعْنَ فِي الدِّينِ.

أَمَّا الرَّوَافِضُ -قَبَّحَهُمُ اللهُ-: فَقَصْدُهُمُ الطَّعْنُ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا ذَمُّوا الصَّحَابَةَ وَطَعَنُوا فِيهِمْ لَمْ يَبْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَاسِطَةٌ، وَالدِّينُ مَا جَاءَنَا إِلَّا عَنِ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ فِي نَظَرِ الرَّافِضَةِ لَا يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِمْ، فَهَذَا طَعْنٌ فِي الدِّينِ وَهَذَا قَصْدُهُمْ.

الصَّحَابَةُ ﭫ فَضَائِلُهُمْ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَىٰ، وَهُمْ يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَشْتَرِكُونَ فِي فَضْلِ الصُّحْبَةِ، وَلَا يُشَارِكُهُمْ فِي هَذَا الْفَضْلِ أَحَدٌ، وَلَا يَلْحَقُ بِهِمْ أَحَدٌ، لَكِنْ هُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَتَفَاضَلُونَ، بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ.

فَإِذَا ذُكِرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ فَلَيْسَ مَعْنَىٰ هَذَا أَنَّنَا نَتَنَقَّصُ الْمَفْضُولَ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَنْتَقِصَ الْمَفْضُولَ؛ فَهُوَ صَحَابِيٌّ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ.

قَالَ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

الَّذِي سَمَّاهُمُ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسِيرُونَ عَلَىٰ سُنَّتِهِ ﷺ، وَيَبُثُّونَهَا، وَيَنْشُرُونَهَا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالسُّلْطَةِ وَالْوِلَايَةِ.

وَأَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَهَذَا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَاخْتَلَفُوا فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ ﭭ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، فَقَوْمٌ فَضَّلُوا عُثْمَانَ، وَقَوْمٌ فَضَّلُوا عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا فِي التَّفْضِيلِ.

أَمَّا فِي الْخِلَافَةِ: فَالْأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ لِعُمَرَ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ، ثُمَّ لِعَلِيٍّ ﭫ، هَذَا تَرْتِيبُ الْخِلَافَةِ بِالْإِجْمَاعِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْوَاسِطِيَّةِ: «وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ».

فَيُوجَدُ فَرْقٌ بَيْنَ مَسْأَلَةِ التَّفْضِيلِ، وَمَسْأَلَةِ الْخِلَافَةِ، فَفِي مَسْأَلَةِ التَّفْضِيلِ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّ الْأَفْضَلَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَاخْتَلَفُوا فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ عُثْمَانَ أَفْضَلُ؛ لَكِنْ نَظَرًا لِوُجُودِ الْخِلَافِ يُذْكَرُ الْخِلَافُ، وَإِلَّا فَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَصَحَّ أَنَّ عُثْمَانَ أَفْضَلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ بِدَلِيلِ أَنَّ أَصْحَابَ الشُّورَىٰ قَدَّمُوا فِي الْخِلَافَةِ عُثْمَانَ عَلَىٰ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَمَسْأَلَةُ التَّفْضِيلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَمْرُهَا سَهْلٌ، لَكِنَّ الطَّعْنَ فِي الْخِلَافَةِ ضَلَالٌ؛ لِأَنَّ الرَّافِضَةَ يَقُولُونَ: الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ عَلِيٌّ، وَهُوَ الْوَصِيُّ!

فَيَقُولُونَ: إِنَّ الصَّحَابَةَ ظَلَمُوهُ، وَاغْتَصَبُوا الْخِلَافَةَ، وَيَلْعَنُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَيُسَمُّونَهُمَا صَنَمَيْ قُرَيْشٍ؛ فَهَذَا لَا شَكَّ ضَلَالٌ وَكُفْرٌ، وَمُخَالَفَةٌ لِلْإِجْمَاعِ، فَالْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.





مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ، وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢].

فَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَقْسَمَ أَلَّا يُعْطِيَ مِسْطَحَ بْنَ أُثَاثَةَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، وَكَانَ قَرِيبًا لَهُ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْخَدَعَ بِالَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي الْإِفْكِ وَصَدَّقَهُمْ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ، غَضِبَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، وَأَقْسَمَ أَلَّا يُعْطِيَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَلَا يَأْتَلِ: يَعْنِي: لَا يَحْرِمْ.

أُولُو الْفَضْلِ: فَوَصَفَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنَّهُ مِنْ أُولِي الْفَضْلِ.

وَفِي آيَةٍ أُخْرَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠].

وَالِاثْنَانِ: هُمَا رَسُولُ اللهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا بِالْإِجْمَاعِ.

﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾: فَأَثْبَتَ لَهُ صُحْبَتَهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فَأَبُو بَكْرٍ هُوَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ كَمَا نَطَقَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَهُوَ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ؛ وَذَلِكَ لِسَابِقَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَمُنَاصَرَتِهِ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَلِمُلَازَمَتِهِ لَهُ.

وَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ اخْتِيَارِ أَبِي بَكْرٍ، وَلَمَّا ارْتَدَّ مَنِ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ، فَالَّذِي ثَبَتَ فِي وُجُوهِهِمْ وَقَاتَلَهُمْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ، حَتَّىٰ ثَبَّتَ اللهُ بِهِ هَذَا الدِّينَ، وَقَمَعَ بِهِ أَهْلَ الرِّدَّةِ، وَفَضَائِلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

وَيُلَقَّبُ بِالصِّدِّيقِ، وَدَرَجَةُ الصِّدِّيقِينَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

الصِّدِّيقُ: هُوَ كَثِيرُ الصِّدْقِ، الْمُبَالِغُ فِي الصِّدْقِ.

قَالَ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «**لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ؛ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**».

❁ ❁ ❁



مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

ثُمَّ مِنْ بَعْدِ الصِّدِّيقِ: عُمَرُ الْفَارُوقُ، وَسُمِّيَ بِالْفَارُوقِ وَلُقِّبَ بِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ لَمَّا أَسْلَمَ بَعْدَ حَمْزَةَ اعْتَزَّ الْإِسْلَامُ بِهِمَا، وَقَبْلَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُسْتَضْعَفِينَ، وَمُخْتَفِينَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجُوا مَعَهُمَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَكَانَ لَا أَحَدَ يَقْرَبُهُمْ، وَمَعَهُمْ حَمْزَةُ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حِينَئِذٍ أَعَزَّ اللهُ الْإِسْلَامَ بِهِمَا.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

فَأَعَزَّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ بِالْفَارُوقِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**».

وَعُمَرُ الْفَارُوقُ فَرَّقَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَهُوَ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي، وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَزِيرَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَيِ: الْمُسْتَشَارَانِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْوَزِيرُ هُوَ الْمُؤَازِرُ وَالْمُؤَيِّدُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان:٣٥].

يُؤَازِرُهُ؛ لِأَنَّ مُوسَىٰ دَعَا رَبَّهُ عَجَّلَ فَقَالَ: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ [طه: ٣٢- ٢٩].

هَذَا هُوَ الْوَزِيرُ الَّذِي يُشَارِكُ فِي الرَّأْيِ، وَيُؤَازِرُ وَلِيَّ الْأَمْرِ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِالنُّصْحِ، فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ هُمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا أَنَّ هَارُونَ وَزِيرُ مُوسَىٰ عليه السلام.

● ● ●



مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَقَوْلُ النَّظِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ: الثَّالِثُ فِي الْفَضْلِ هُوَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ، هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَأَنْفَقَ الْأَمْوَالَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاشْتَرَىٰ بِئْرَ رُومَةَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَحْفِرُ هَذَا الْبِئْرَ، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوْقَفَهَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ بِكَامِلِهِ مِنْ مَالِهِ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّىٰ الْخِلَافَةَ بَعْدَ عُمَرَ بِإِجْمَاعِ أَصْحَابِ الشُّورَىٰ الَّذِينَ عَهِدَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَايَعُوهُ وَبَايَعَهُ الْمُسْلِمُونَ.

وَعُثْمَانُ -أَيْضًا- زَوْجُ بِنْتَيِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رُقَيَّةَ، وَأُمِّ كُلْثُومٍ؛ وَلِذَلِكَ يُسَمَّىٰ بِذِي النُّورَيْنِ؛ لِأَنَّهُ تَزَوَّجَ بِنْتَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَمَّا أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ مَكَّةَ يُفَاوِضُ الْمُشْرِكِينَ، وَأُشِيعَ أَنَّهُ قُتِلَ بَايَعَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**وَهَذِهِ لِعُثْمَانَ**»، كَمَا فِي قِصَّةِ الْمُبَايَعَةِ الَّتِي رَوَاهَا الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ وَهُوَ غَيْرُ حَاضِرٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي مَكَّةَ مُفَاوِضًا، وَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا لِعُثْمَانَ مِنْ يَدِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَايَعَ بِيَدِهِ عَنْ عُثْمَانَ قَالَ: «**وَهَذِهِ لِعُثْمَانَ**»،

وَعُثْمَانُ هُوَ الَّذِي كَتَبَ الْمُصْحَفَ الْإِمَامَ الْمُسَمَّىٰ بِمُصْحَفِ عُثْمَانَ، بِالرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَصَاحِفُ الْيَوْمَ.

فَفَضَائِلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَىٰ.

●●●



مِنْ فَضَائِلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وَقَوْلُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

ثُمَّ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ فِي الْفَضْلِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، الَّذِي قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هَذَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ لَمَّا خَلَّفَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ شَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّفَ، وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَصْحَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْجِهَادِ، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَقْنَعَهُ، وَقَالَ لَهُ: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ**»؛ لِأَنَّ مُوسَىٰ لَمَّا ذَهَبَ إِلَىٰ مَوْعِدِ رَبِّهِ اسْتَخْلَفَ هَارُونَ، وَقَالَ لَهُ: «اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي»، فَاسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ لَا أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا تَقُولُهُ الرَّافِضَةُ.

فَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا ذَهَبَ إِلَىٰ تَبُوكَ مِثْلَمَا فَعَلَ مُوسَىٰ مَعَ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمَّا ذَهَبَ لِمِيعَادِ رَبِّهِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

فَهَذَا مِنْ فَضَائِلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي قَاتَلَ الْخَوَارِجَ، وَقَضَىٰ عَلَىٰ فِتْنَتِهِمْ وَأَرَاحَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ، وَتَحَقَّقَتْ فِيهِ بُشْرَىٰ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَتْلِهِمْ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ، فَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ الْأَحْرَارِ: عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْعَبِيدِ: بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَزَوْجُ ابْنَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ، وَأَبُو الْحَسَنَيْنِ؛ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَهُ فَضَائِلُ عَظِيمَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَلَهُ فَضَائِلُ عَظِيمَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، فَاسْتَشْرَفَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ؛ كُلٌّ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهَذَا مِنْ فَضَائِلِهِ الْعَظِيمَةِ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ الْجَمِيعِ-.

هَذِهِ الْمَعَانِي نَظَمَهَا النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ ... عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

الْوَزِيرَانِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قِدْمًا أَيْ: قَدِيمًا، قِدْمًا مِنَ الْمُقَدِّمَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ.

فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَوَّلُ الصَّحَابَةِ حُبًّا وَمَكَانَةً وَرِفْعَةً.

أَرْجَحُ أَيْ: عَلَىٰ الرَّاجِحِ.

ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ: يُشِيرُ إِلَىٰ مَسْأَلَةِ التَّفَاضُلِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ: الْبَرِيَّةُ: الْخَلْقُ.

.... خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

أَيِ: الْخَيْرُ مَعَهُ أَيْنَمَا كَانَ بِحُبِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، وَبِحُبِّهِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا كَمَا مَرَّ فِي الْحَدِيثِ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ؛ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَأَعْطَاهَا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ خَيْرٌ، وَيَسْعَىٰ فِي الْخَيْرِ، وَيُمْضِي اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ الْخَيْرَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ-.

●●●

عَقِيدَةُ السَّلَفِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

فَالنَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، انْتَقَلَ إِلَىٰ بَيَانِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- فِي الصَّحَابَةِ: فَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ -غَيْرَ أَنْجَاسِهَا وَأَرْجَاسِهَا الشِّيعَةِ الرَّوَافِضِ- عَلَىٰ تَفْضِيلِ الصَّحَابَةِ جَمِيعًا، وَالتَّرَضِّي عَلَيْهِمْ، وَعَدَمِ ذِكْرِهِمْ إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَغَضِّ الطَّرْفِ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمْ فَهُمْ بَشَرٌ، وَقَدْ زَكَّاهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ-، وَزَكَّاهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَىٰ مَا سَبَقَ مِنْ فَضْلِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ أَفْضَلَهُمْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِ أُصُولِ السُّنَّةِ»: «وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ كَمَا قَدَّمَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَصْحَابُ الشُّورَىٰ الْخَمْسَةُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدٌ، وَطَلْحَةُ، كُلُّهُمْ أَهْلٌ لِلْخِلَافَةِ، وَكُلُّهُمْ إِمَامٌ، وَنَذْهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: «كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، عُثْمَانُ، ثُمَّ نَسْكُتُ»، ثُمَّ مِنْ بَعْدُ أَصْحَابُ الشُّورَىٰ أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ

أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَدْرِ الْهِجْرَةِ وَالسَّابِقَةِ أَوَّلًا فَأَوَّلُ، ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ، كُلُّ مَنْ صَحِبَهُ سَنَةً أَوْ شَهْرًا أَوْ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً، وَرَآهُ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ لَهُ الصُّحْبَةُ عَلَىٰ قَدْرِ مَا صَحِبَهُ، وَعَلَىٰ قَدْرِ مَا كَانَتْ سَابِقَتُهُ مَعَهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَأَدْنَاهُمْ صُحْبَةً أَفْضَلُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْهُ، وَلَوْ لَقُوا اللهَ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوا مِنْهُ أَفْضَلُ لِصُحْبَتِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَلَوْ كُلَّ أَعْمَالِ الْخَيْرِ.

هَذِهِ عَقِيدَتُنَا -أَهْلَ السُّنَّةِ- كَمَا يُقَرِّرُهَا إِمَامُنَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ -أَدْنَىٰ صُحْبَةٍ- رَآهُ، فَأَدْنَاهُمْ صُحْبَةً أَفْضَلُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْهُ، وَلَوْ لَقُوا اللهَ -تَعَالَىٰ- بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوا مِنْهُ أَفْضَلُ بِصُحْبَتِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَلَوْ عَمِلُوا كُلَّ أَعْمَالِ الْخَيْرِ».

فَاعْرِفُوا لِلصَّحَابَةِ قَدْرَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لَا تَسْتَهِينُوا بِهَذَا الْمَقَامِ الشَّرِيفِ مَقَامِ الصُّحْبَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

سُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ وَصْفِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَكَىٰ وَقَالَ: «ظَهَرَتْ مِنْهُمْ عَلَامَاتُ الْخَيْرِ بِالسِّيمَاءِ وَالسَّمْتِ، وَالْهَدْيِ وَالصِّدْقِ، وَخُشُونَةُ مَلَابِسِهِمْ بِالِاقْتِصَادِ، وَمَمْشَاهُمْ بِالتَّوَاضُعِ، وَمَنْطِقُهُمْ بِالْعَمَلِ، وَمَطْعَمُهُمْ وَمَشْرَبُهُمْ بِالطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْقِ، وَخُضُوعُهُمْ بِالطَّاعَةِ لِرَبِّهِمْ -تَعَالَىٰ-، وَاسْتِقَادَتُهُمْ لِلْحَقِّ فِيمَا

أَحَبُّوا وَكَرِهُوا، وَبِإِعْطَائِهِمُ الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ظَمِئَتْ هَوَاجِرُهِمْ، وَنَحَلَتْ أَجْسَامُهُمْ، وَاسْتَخَفُّوا بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِينَ فِي رِضَا الْخَالِقِ؛ فَلَمْ يُفَرِّطُوا فِي غَضَبٍ، وَلَمْ يَحِيفُوا فِي جَوْرٍ، وَلَمْ يُجَاوِزُوا حُكْمَ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِي الْقُرْآنِ؛ شَغَلُوا الْأَلْسُنَ بِالذِّكْرِ، وَبَذَلُوا دِمَاءَهُمْ حِينَ اسْتَنْصَرَهُمْ، وَبَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ حِينَ اسْتَقْرَضَهُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ خَوْفُهُمْ لِلْمَخْلُوقِينَ، حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُمْ، وَهَانَتْ مُؤنَتُهُمْ، وَكَفَاهُمُ الْيَسِيرُ مِنْ دُنْيَاهُمْ إِلَىٰ آخِرَتِهِمْ» -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-.

الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالْفَارُوقُ يَلْعَنُهُمَا الرَّوَافِضُ وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ -بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ- كَمَا عَلَّمَهُمْ طَاغُوتُهُمُ الْأَكْبَرُ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَكَتَبَ لَهُمُ الْخُمَيْنِيُّ -لَا رَحِمَ اللهُ فِيهِ مَغْرِزَ إِبْرَةٍ- فَتَجِدُ الرَّافِضِيَّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَبِيَدِهِ كِتَابُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنْ صَنَمَيْ قُرَيْشٍ، وَجِبْتَيْ قُرَيْشٍ، وَطَاغُوتَيْ قُرَيْشٍ!! وَيَلْعَنُ ابْنَتَيْهِمَا عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، وَجُمْلَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِبَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، يَتَقَرَّبُ بِهَذَا الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ إِلَىٰ رَبِّهِ -بِزَعْمِهِ- كَمَا عَلَّمَهُ طَاغُوتُهُمُ الْأَكْبَرُ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْخُمَيْنِيُّ -لَا رَحِمَ اللهُ فِيهِ مَغْرِزَ إِبْرَةٍ-!!

الصِّدِّيقُ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢١].

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَجْمَعُوا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»، فَفِيهَا التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ الْأَتْقَىٰ مِنْ سَائِرِ الْأُمَّةِ، وَالْأَتْقَىٰ هُوَ الْأَكْرَمُ عِنْدَ اللهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

الْفَارُوقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، أَوْ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ**».

وَذُو النُّورَيْنِ يَقُولُ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟**» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي؟**».

ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ: هَذَا هُوَ الصَّوَابُ؛ فَالصَّوَابُ تَقْدِيمُ عُثْمَانَ عَلَىٰ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ-.

وَمِنْ فِقْهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّهُ مَنْ سُئِلَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

تَكُونُ الْإِجَابَةُ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ عَلِيٌّ أَوْ عُثْمَانُ؟ قَالَ: قَدْ كَفَانَا ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-.

وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ أَحَدُ أَفْرَادِ الشُّورَىٰ السِّتَّةِ، وَهُمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ فَوَّضَ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمُ الْأَمْرَ إِلَىٰ ثَلَاثَةٍ،

فَفَوَّضَ الزُّبَيْرُ عَلِيًّا، وَفَوَّضَ سَعْدٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَفَوَّضَ طَلْحَةُ عُثْمَانَ، ثُمَّ كَانَ أَنِ اخْتَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عُثْمَانَ عَنْ عَلِيٍّ، فَفِعْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَقَرَّهُ بَاقِي السِّتَّةِ عَلَيْهِ فَصَارَ كَإِجْمَاعِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ.

فَابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَسَائِرِ عُلَمَائِنَا آتَاهُمُ اللهُ عِلْمًا وَآتَاهُمُ اللهُ حِكْمَةً وَعَقْلًا، فَإِذَا كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ مِمَّا يُدِرُّ شِقَاقًا أَوْ خِلَافًا أَوْ مُنَازَعَةً؛ فَإِنَّ الْإِجَابَةَ تَكُونُ بِالْحِكْمَةِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ عَلِيٌّ أَوْ عُثْمَانُ؟ كَأَنَّمَا يُرِيدُ الرَّجُلُ فِتْنَةً، فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ كَفَانَا ذَاكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ».

وَابْنُ الْجَوْزِيِّ -أَيْضًا- أَجَابَ إِجَابَةً قَرِيبَةً عِنْدَمَا كَانَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ رَوَافِضُ وَفِيهِ نَوَاصِبُ، فَسَأَلَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ سُؤَالًا كَالَّذِي يَسْأَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ صُنَّاعِ الْفِتْنَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْخِيَانَةِ، فَيَذْهَبُ فِي أَيَّامِ فِتْنَةٍ إِلَىٰ مُتَكَلِّمٍ فِي الْعِلْمِ أَوْ عَالِمٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَنْطِقَهُ بِشَيْءٍ يُثِيرُ فِتْنَةً وَيُحَرِّكُهَا، فَيَأْتِي بِسُؤَالٍ مِنَ الْأَسْئِلَةِ الْمُفَخَّخَةِ، مَا تَقُولُ فِي كَذَا؟ وَإِنَّمَا يُرِيدُ جَوَابًا، بَلْ رُبَّمَا لَمْ يُرِدْ جَوَابًا وَإِنَّمَا أَرَادَ سُكُوتًا، فَالسُّكُوتُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمَكَرَةِ لَهُ مَعْنًىٰ، وَالْجَوَابُ أَيْضًا لَهُ مَعْنًىٰ، ثُمَّ تَثُورُ ثَائِرَةُ الْفِتْنَةِ كَأَنَّهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

فَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي مَجْلِسٍ حَضَرَهُ رَوَافِضُ وَنَوَاصِبُ: أَيُّهُمَا كَانَ أَفْضَلَ؟ أَبُو بَكْرٍ أَوْ عَلِيٌّ؟!

فَإِنْ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ قَامَتْ عَلَيْهِ الرَّوَافِضُ، وَإِنْ قَالَ: عَلِيٌّ قَامَ عَلَيْهِ النَّوَاصِبُ، فَقَالَ مُجِيبًا بِحِكْمَةٍ وَعَقْلٍ: أَفْضَلُهُمَا مَنْ كَانَتِ ابْنَتُهُ تَحْتَهُ.

وَالضَّمَائِرُ هَاهُنَا تَتَوَجَّهُ تَوَجُّهًا؛ فَأَبُو بَكْرٍ كَانَتِ ابْنَتُهُ تَحْتَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلِيٌّ كَانَتِ ابْنَتُهُ تَحْتَهُ، فَقَالَ: أَفْضَلُهُمَا مَنْ كَانَتِ ابْنَتُهُ تَحْتَهُ!

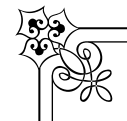
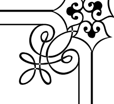
فَيَفْهَمُ النَّوَاصِبُ مَا يُحِبُّونَ، وَيَفْهَمُ الرَّوَافِضُ مَا يَرْغَبُونَ، وَلَا تُثَارُ الْفِتْنَةُ -رضي اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ-.

فَابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا سُئِلَ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ عَلِيٌّ أَوْ عُثْمَانُ؟

قَالَ: كَفَانَا ذَاكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

●●●



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْعَاشِرَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَتِمَّةُ عَقِيدَةِ السَّلَفِ فِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم

الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَعُمَرُ لَا يُقَدَّمُ عَلَيْهِمَا أَحَدٌ، وَهَذَا مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْأُمَّةِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّفْضِيلُ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَمُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ أَفْضَلَ الْأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ هَذَا إِجْمَاعٌ.

وَيَأْتِي الرَّوَافِضُ فَيُكَفِّرُونَهُمَا، وَيَلْعَنُونَهُمَا، وَيَتَحَيَّلُونَ الْحِيَلَ عِنْدَ أَبْنَائِهِمْ؛ يُرَبُّونَهُمْ عَلَىٰ بُغْضِ الشَّيْخَيْنِ، وَبُغْضِ عَائِشَةَ رضي الله عنها بِجَمِيعِ الْحِيَلِ وَالْأَسَالِيبِ التَّرْبَوِيَّةِ الشَّيْطَانِيَّةِ؛ لِيَنْشَأَ نَاشِئُهُمْ عَلَىٰ بُغْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَإِنَّمَا هِيَ نَزْعَةٌ قَوْمِيَّةٌ فَارِسِيَّةٌ.

فَهَؤُلَاءِ الْإِيرَانِيُّونَ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ- قَوْمٌ يُرِيدُونَ إِعَادَةَ الزَّنْدَقَةِ وَيُبْغِضُونَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَهُمْ -أَيِ: الرَّوَافِضُ- عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ أَصْلًا، بَلْ إِنَّ الْعُلَمَاءَ عِنْدَمَا مَيَّزُوا أَهْلَ السُّنَّةِ جَعَلُوهُمْ فِي مُقَابَلَةِ الرَّوَافِضِ، فَقَالُوا: إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَهَا إِطْلَاقَانِ: إِطْلَاقٌ عَامٌّ، وَإِطْلَاقٌ خَاصٌّ.

فَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَىٰ الْعَامُّ فَأَهْلُ السُّنَّةِ: كُلُّ مُسْلِمٍ لَيْسَ بِرَافِضِيٍّ، وَلَوْ كَانَ خَارِجِيًّا، وَلَوْ كَانَ مُرْجِئِيًّا، مَادَامَ لَيْسَ بِرَافِضِيٍّ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَقَسَّمُوا الْأُمَّةَ بَدْءًا تَقْسِيمًا عَامًّا، قَالُوا: أَهْلُ سُنَّةٍ، وَرَوَافِضُ.

ثُمَّ أَهْلُ السُّنَّةِ بِالْمَعْنَىٰ الْأَخَصِّ: هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ.

فَيَخْرُجُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ -بِالْمَعْنَىٰ الْأَخَصِّ- الْخَوَارِجُ وَالْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ الَّتِي حَدَّدَ عَدَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَمِيعُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ؛ «**وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**».

⊙ ⊙ ⊙



مِنْ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ فِي بَيَانِ فَضْلِهِ مِنْهَا:

مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**».

وَكَذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ -وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ- مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا.

قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ**».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ:

مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**»، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، فَأَبَىٰ عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: **يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**. ثَلَاثًا.

ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَىٰ مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ، **فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ**، حَتَّىٰ أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ؛ يَعْنِي: أَشْفَقَ مِنْ أَنْ يَغْضَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ عُمَرَ، حَتَّىٰ أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ. مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟**» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا». رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فَقَالَ: «بَابُ فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ».

ثُمَّ رَوَىٰ بِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ -وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي -أَيْ: لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ.

عَلِيٌّ هُوَ الَّذِي يَقُولُ.

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

قَالَ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَىٰ جَمِيعِ الْأُمَّةِ».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيُقِرُّونَ -يَعْنِي: أَهْلَ السُّنَّةِ- بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ -أَيْ: أَهْلُ السُّنَّةِ- بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ».

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «لُمْعَةِ الِاعْتِقَادِ»: «وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَاسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ -أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الرِّجَالِ، وَصَاحِبُهُ فِي الْهِجْرَةِ، وَنَابَ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ.

وَبَعْدَهُ أَبُو حَفْصٍ الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَلِيفَةُ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَاءَتِ الْأَحَادِيثُ مُتَكَاثِرَةً فِي بَيَانِ فَضْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ-: «**إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ**».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟!**».

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ».

وَبَعْدَ عُمَرَ فِي الْفَضْلِ: أَبُو عَبْدِ اللهِ ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ يُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي بَابِ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَحْفِرُ بِئْرَ رُومَةَ، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟** فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، **قَالَ**: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ!**»، جَهَّزَهُ عُثْمَانُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا -أَيْ: بُسْتَانًا- وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَىٰ بَلْوَىٰ سَتُصِيبُهُ**»، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بِسَنَدِهِ عَنْ عُثْمَانَ -هُوَ ابْنُ مَوْهَبٍ- قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَىٰ قَوْمًا جُلُوسًا فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ! إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ! كَأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَىٰ ذَمِّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ: فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ.

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ: فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ.

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ: فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ.

وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَمَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ: هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ، فَضَرَبَ بِهَا عَلَىٰ يَدِهِ، فَقَالَ: هَذِهِ لِعُثْمَانَ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الْآنَ مَعَكَ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَوَالَىٰ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «**تَهْجُمُونَ عَلَىٰ رَجُلٍ مُعْتَجِرٍ يُبَايِعُ النَّاسَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَهَجَمْنَا عَلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَهُوَ يُبَايِعُ النَّاسَ**»، وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ ... عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: وَهُوَ رَابِعُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَحَادِيثُ فِي بَيَانِ مَنَاقِبِهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا مِنْهَا مَا مَرَّ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ -أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ- يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَكَانَ أَرْمَدَ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ فِي الْعَسْكَرِ فِي تِلْكِ اللَّيْلَةِ يَرْجُو أَنْ يُعْطَىٰ الرَّايَةَ، وَلَعَلَّ عَلِيًّا لَمْ يُرْجَ؛ لِأَنَّهُ مَا كَانَ يَكَادُ يُبْصِرُ أَمَامَهُ -أَصَابَهُ الرَّمَدُ فِي عَيْنَيْهِ- فَلَمَّا أَصْبَحُوا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا، قَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**».

قَالَ قَائِلُهُمْ: يَشْكُو عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**ائْتُونِي بِهِ**»، **فَجِيءَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَصَحَّتَا، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ.**

وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيْضًا كَمَا مَرَّ: «**أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟!**».

وَقَالَ ﷺ: «**عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا يَقْضِي عَنِّي دَيْنِي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**».

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيَّ أَلَّا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ».

بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ: مِنَ النَّجَاحِ، وَهُوَ نَيْلُ الْمَقْصُودِ، وَالظَّفَرُ بِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنَّهُمُ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ ... عَلَىٰ نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ

سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ ... وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ

وَإِنَّهُمُ وَالرَّهْطُ: أَيِ: الصَّحَابَةُ، وَالرَّهْطُ: الْجَمَاعَةُ دُونَ الْعَشَرَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨].

عَلَىٰ نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ: النَّجِيبُ: الْكَرِيمُ الْحَسِيبُ.

وَالْفِرْدَوْسُ: اسْمُ مَكَانٍ فِي الْجَنَّةِ هُوَ أَعْلَاهَا.

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ»**.

وَإِنَّهُمُ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ ... عَلَىٰ نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ

سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ ... وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ

الْخُلْدُ: عَدَمُ الْمَوْتِ وَدَوَامُ الْحَيَاةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

تَسْرَحُ: وَتَرُوحُ فِي أَوَّلِ الْيَوْمِ، وَالرَّوَاحُ فِي آخِرِهِ.

سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرُ فِهْرٍ: فِهْرٌ: أَحَدُ آبَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سِلْسِلَةِ نَسَبِهِ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ فِهْرٍ.

وَقِيلَ: فِهْرٌ وَصْفٌ، وَاسْمُهُ قُرَيْشٌ، وَقِيلَ: الْعَكْسُ اسْمُهُ فِهْرٌ، وَوَصْفُهُ قُرَيْشٌ.

وَذُكِرَ فِهْرٌ عِنْدَ عَامِرٍ؛ لِأَنَّهُ يَلْتَقِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي فِهْرٍ، فَعَامِرُ فِهْرٍ: أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ بْنِ هِلَالِ بْنِ وُهَيْبِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي التَّفْضِيلِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ: تَقْدِيمُ بَاقِي الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ كَمَا وَرَدَ فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ ... عَلَىٰ نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ

وَإِنَّهُمْ: يَعْنِي الْخُلَفَاءَ الْأَرْبَعَةَ.

ثُمَّ الرَّهْطُ: الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ.

لَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ: وَلَا شَكَّ فِيهِ سَيَنَالُونَ الْفَضْلَ مِنَ اللهِ، مَنْزِلَتُهُمُ الْجَنَّةُ.

وَالرَّهْطُ: مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَىٰ سَبْعَةٍ إِلَىٰ عَشَرَةٍ، أَوْ مَا دُونَ الْعَشَرَةِ، وَمَا فِيهِمُ امْرَأَةٌ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.

عَلَىٰ نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ؛ يَسْرَحُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَىٰ النُّوقِ الْكَرِيمَةِ، وَالْخَيْلِ الْكَرِيمَةِ.

عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِئَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**».

النَّبِيُّ ﷺ بَشَّرَ هَؤُلَاءِ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ.

وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمْ: أَوَّلُهُمْ فِيمَا ذَكَرَ فِي الْمَنْظُومَةِ: سَعِيدٌ: وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلِ ابْنِ عَمِّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهُوَ زَوْجُ أُخْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

سَعِيدٌ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَسَعْدٌ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الزُّهْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَابْنُ عَوْفٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْ أَثْرِيَاءِ الصَّحَابَةِ، وَمِنَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْإِنْفَاقَ الْكَثِيرَ.

وَطَلْحَةُ: طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَامِرُ فِهْرٍ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَفِهْرٌ مِنْ أَجْدَادِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ آبَاءِ الْقُرَشِيِّينَ كَمَا مَرَّ.

وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ: الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَوَارِيُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هَؤُلَاءِ السِّتَّةُ مَعَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ صَارُوا عَشَرَةً مُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْعَشَرَةِ مِنْ قُرَيْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَىٰ الْحَدِيثَ -أَيْضًا- فِي بَيَانِ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي**

الْجَنَّةِ»، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ! مَنِ التَّاسِعُ -يَعْنِي لِمَاذَا لَمْ تُسَمِّهِ-؟ قَالَ: نَاشَدْتُمُونِي بِاللهِ، وَاللهِ الْعَظِيمِ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَاشِرُ.

تَأَمَّلْ فِي هَضْمِهِمْ لِذَوَاتِهِمْ عِنْدَمَا رَوَىٰ الْحَدِيثَ لَمْ يُعْلِنْ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَلَمَّا نَاشَدُوهُ بِاللهِ، قَالَ: نَاشَدْتُمُونِي بِاللهِ، وَاللهِ الْعَظِيمِ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَاشِرُ».

فِي بَعْضِ طُرُقِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ، لَيْسَ فِيهِ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ.

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ» وَغَيْرُهُمْ، وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» وَغَيْرِهِ.

وَكَذَلِكَ بِشَارَةُ الْخُلَفَاءِ -كَمَا مَرَّ- فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

سَعِيدٌ وَسَعْدٌ..

سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، وَهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ.

وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَبُو إِسْحَاقَ، أَوَّلُ مَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَمَنَاقِبُهُ شَهِيرَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ: مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، اسْتُشْهِدَ يَوْمَ الْجَمَلِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَةٍ وَسِتِّينَ، وَرَوَىٰ لَهُ الْجَمَاعَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجَرَّاحِ: أَحَدُ الْعَشَرَةِ أَسْلَمَ قَدِيمًا وَشَهِدَ بَدْرًا، وَمَاتَ شَهِيدًا بِطَاعُونِ عَمْوَاسَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ، وَلَهُ ثَمَانٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: ابْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ، أَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، قُتِلَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ وَقْعَةِ الْجَمَلِ، وَرَوَىٰ لَهُ الْجَمَاعَةُ.

الْمُمَدَّحُ: صَاحِبُ الْمَدَائِحِ الْكَثِيرَةِ.

لِهَؤُلَاءِ الْعَشَرَةِ الْمَدَائِحُ الْكَثِيرَةُ، وَالْفَضَائِلُ الْكَبِيرَةُ، وَأَعْظَمُ مَدْحٍ لَهُمْ أَنَّهُمْ بُشِّرُوا بِالْجَنَّةِ، وَقَدْ جَمَعَهُمُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ:

لِلْمُصْطَفَىٰ خَيْرُ صَحْبٍ نَصَّ أَنَّهُمُ ... فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ نَصًّا زَادَهُمْ شَرَفَا

هُمُ: طَلْحَةٌ، وَابْنُ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرُ ... مَعْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَالسَّعْدَيْنِ، وَالْخُلَفَا

وَالسَّعْدَانِ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فَهَذَا مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّنَا نَشْهَدُ لِلْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَكَذَلِكَ لِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ سِوَىٰ الْعَشَرَةِ، وَإِنَّمَا جَمَعَ هَؤُلَاءِ الْعَشَرَةَ.

وَقِيلَ: الْعَشَرَةُ الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جمعَهُمْ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ، وَإِلَّا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَشَّرَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْجَنَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَمِنْهُمْ -مَثَلًا- كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ...﴾ [الحجرات: ٢] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ.

جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: **يَا أَبَا عَمْرٍو! مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَىٰ؟**

قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَىٰ، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

فَكَانَ رَفِيعَ الصَّوْتِ -يَعْنِي كَانَ عَالِيَ الصَّوْتِ- وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: كَانَ فِي سَمْعِهِ ثِقَلٌ، فَكَانَ يَزِيدُ فِي طَبَقَةِ صَوْتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ نَفْسَهُ، وَمَا يَقْصِدُ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ. قَالَ: فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

وَمِمَّنْ بُشِّرَ بِالْجَنَّةِ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ابْنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَذَا بُشِّرَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبُشِّرَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، وَكَذَلِكَ آخَرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِلَالٍ؛ وَجَاءَتِ الْأَدِلَّةُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

ذَكَرَ هُنَا بَقِيَّةَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَمَا ذَكَرَ الْعَشَرَةَ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ:

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ: حَتَّىٰ لَا يُظَنَّ أَنَّ ذِكْرَ الْفَاضِلِ مِنَ الصَّحَابَةِ تَنَقُّصٌ لِلْمَفْضُولِ، بَلْ كُلُّهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُمْ فَضْلُ الصُّحْبَةِ وَالْمُنَاصَرَةِ لِرَسُولِ اللهِ، وَالتَّلَقِّي عَنْهُ، فَقَدْ رَأَوُا الرَّسُولَ، وَآمَنُوا بِهِ، وَاجْتَمَعُوا بِهِ، وَصَلَّوْا خَلْفَهُ، وَسَمِعُوا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَوْلُهُ: فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ؛ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ تُثْنِيَ عَلَيْهِمْ وَتَمْدَحَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْمَدْحَ وَالثَّنَاءَ.

وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ: لَا يَجُوزُ تَنَقُّصُ أَحَدٍ مِنْهُمْ، أَوِ الْتِمَاسُ الْعُيُوبِ لَهُمْ، كَمَا تَفْعَلُ الرَّوَافِضُ -قَبَّحَهُمُ اللهُ-؛ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ الدِّينِ، وَأَعْدَاءُ الْأُمَّةِ، وَأَعْدَاءُ الْمِلَّةِ، وَكَمَا تَفْعَلُ الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ.

قَالَ: فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ: الْوَحْيُ يَشْمَلُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ كِتَابًا وَسُنَّةً بِفَضْلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَالَّذِي يَطْعَنُ فِي الصَّحَابَةِ مُكَذِّبٌ لِكِتَابِ اللهِ، وَمُكَذِّبٌ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ: فِي الْفَتْحِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

فِي السُّورَةِ ثَنَاءٌ مُتكَرِّرٌ عَلَىٰ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ [الفتح: ١٠].

وَقَالَ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

وَقَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ يَعْنِي صِفَتَهُمْ ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ يَعْنِي الَّتِي نَزَلَتْ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾ أَيْ: صِفَتُهُمْ ﴿فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ، وَهَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ، قَالَ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي يَغْتَاظُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ، أَوْ يُبْغِضُهُمْ أَنَّهُ كَافِرٌ بِنَصِّ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾.

وَقَعَتْ فِي الْمَنْظُومَةِ زِيَادَةُ أَبْيَاتٍ بَعْدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كَمَا وَرَدَ فِي آخِرِ كِتَابِ «السُّنَّةِ» لِابْنِ شَاهِينَ، فَفِيهَا:

وَسِبْطَيْ رَسُولِ اللهِ وَابْنَيْ خَدِيجَةٍ ... وَفَاطِمَةٍ ذَاتِ النَّقَاءِ تَبَحْبَحِ

وَعَائِشَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالِنَا ... مُعَاوِيَةٍ أَكْرِمْ بِهِ ثُمَّ امْنَحِ

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَسِبْطَيْ رَسُولِ اللهِ: يَعْنِي: الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالسِّبْطُ: هُوَ ابْنُ الْبِنْتِ.

وَالْحَفِيدُ: ابْنُ الِابْنِ.

فَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبطَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَيِ: ابْنَا بِنْتِهِ فَاطِمَةَ، وَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَابْنَيْ خَدِيجَةٍ: أَوْلَادُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ مِنْ خَدِيجَةَ مَا عَدَا إِبْرَاهِيمَ؛ فَهُوَ مِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَوْلَادِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَكُلُّهُمْ مِنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَلَهُ مِنْهَا ابْنَانِ مَاتَا فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَكَّةَ.

وَفَاطِمَةُ: هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهَا، وَكَانَتْ إِذَا أَقْبَلَتْ قَامَ إِلَيْهَا، وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا إِلَىٰ جَنْبِهِ.

وَعَائِشَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: الَّتِي هِيَ أَحَبُّ النِّسَاءِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَحَبُّ الرِّجَالِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبُوهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَخَالِنَا مُعَاوِيَةٍ: مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ كَاتِبُ الْوَحْيِ، كَانَ يَكْتُبُ الْقُرْآنَ لِرَسُولِ اللهِ، وَكَانَ خَالَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ أُخْتَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ أَخُو أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَهَذَا مِنْ فَضَائِلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: عَائِشُ تَرْخِيمُ عَائِشَةَ، عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَهَا فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ؛ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ**».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ الطَّعَامِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِشُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ**. قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ. قَالَتْ: وَهُوَ يَرَىٰ مَا لَا أَرَىٰ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

وَعَائِشَةُ زَوْجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ عَمَّارٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

.... وَخَالِنَا مُعَاوِيَةٍ أَكْرِمْ بِهِ فَهْوَ مُصْلِحُ

كَمَا فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ لِلْبَيْتِ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الرَّافِضَةِ، وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنَ الطَّاعِنِينَ فِي مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَاسْمُ أَبِي سُفْيَانَ: صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَأُمُّ مُعَاوِيَةَ: هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ صَحَابِيَّانِ، وَكَمَا مَرَّ، الصَّحَابَةُ لَا يُدَانِيهِمْ أَحَدٌ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ فِي الْفَضِيلَةِ وَالْمَكَانَةِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَجِدُ مَنْ يَطْعَنُ فِي أَبِي سُفْيَانَ، وَيَتَّهِمُهُ بِالنِّفَاقِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلِ الْإِسْلَامَ إِلَّا ظَاهِرًا، وَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِهِ، وَيَطْعَنُ فِي هِنْدَ حَتَّىٰ إِنَّهُ يَطْعَنُ فِي مُعَاوِيَةَ بِأَنْ يَجْعَلَهُ ابْنَ هِنْدٍ، وَهُوَ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَيَقُولُ: مُعَاوِيَةُ ابْنُ هِنْدٍ، كَمَا تَوَرَّطَ فِي ذَلِكَ سَيِّدُ قُطْبٍ، وَغَيْرُهُ مِمَّنْ لَفَّ لَفَّهُ مِمَّنْ تَوَرَّطَ فِي الْخَوْضِ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ، دَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ**». وَالْحَدِيثُ خَرَّجَ طُرُقَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ.

وَاسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ زَوْجَتَهُ طَالِقٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُعَاوِيَةُ فِي الْجَنَّةِ أَنَّ امْرَأَتَهُ لَا تَطْلُقُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لِمُعَاوِيَةَ أَنْ يَقِيَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْعَذَابَ.

خَالُ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُ أَخُو أُمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَاللهُ -تَعَالَىٰ- يَقُولُ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الشَّانِئِينَ بِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ الطَّعْنِ فِيهِ، وَاسْتَدَلُّوا بِمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ الْبَابِ أَوْ خَلْفَ بَابٍ، قَالَ: فَجَاءَ، فَحَطَأَنِي حَطْأَةً، وَقَالَ: **اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**. قَالَ: فَجِئْتُ، فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: **اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**. قَالَ: فَجِئْتُ، فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ. فَقَالَ: **لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ**».

وَلَا مَطْعَنَ فِيهِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ: يَدْعُوكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَفَضَ الْإِجَابَةَ.

وَأَمْرٌ آخَرُ: أَنَّهُ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَانِ، فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَغْضَبَاهُ،

فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ. قَالَ: **وَمَا ذَاكِ؟** قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا. قَالَ: **أَوَمَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ، فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا**».

وَجَاءَ فِي غَيْرِهَا، وَتُعْتَبَرُ هَذِهِ فَضِيلَةً لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الْأَمْرُ الثَّالِثُ: أَنَّ التَّنَعُّمَ بِأَكْلِ الْحَلَالِ مِنَ النِّعَمِ، فَكَانَ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ بَرَكَةٌ عَظِيمَةٌ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

جَاءَ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي بَيَانِ إِسْلَامِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَا يُقَاعِدُونَهُ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، ثَلَاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ. قَالَ: **نَعَمْ**. قَالَ: عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ، أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا. قَالَ: **نَعَمْ**. قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ. قَالَ: **نَعَمْ**. قَالَ: وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّىٰ أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ، كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: **نَعَمْ**. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ: نَعَمْ».

وَطَعَنَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَعْضُهُمْ، وَلَا مَطْعَنَ فِيهِ، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ أُزَوِّجُكَهَا أَيْ: أُجَدِّدُ لَكَ الْعَقْدَ عَلَيْهَا وَأُطَيِّبُهُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ لَعَلَّهُ أَرَادَ بِهَا أُخْتَهَا فَتَصَحَّفَ عَلَىٰ الرَّاوِي -وَاللهُ أَعْلَمُ-.

وَعَائِشَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالِنَا مُعَاوِيَةٍ أَكْرِمْ بِهِ ثُمَّ امْنَحِ

وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ بِنَصْرِهِمْ عَنْ ظُلْمَةِ النَّارِ زُحْزِحُوا

فَذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ الأَنْصَارَ، وَهُمْ أَهْلُ يَثْرِبَ الَّتِي سَمَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَهُمُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللهِ وَآوَوْهُ.

وَالْهَاجِرُونَ: يُرِيدُ الْمُهَاجِرِينَ أَهْلَ مَكَّةَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ زَكَّىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- كِلَا الْفَرِيقَيْنِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

الْكَلَامُ فِي الصَّحَابَةِ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُنَّ زَوْجَاتُ نَبِيِّنَا الْأَمِينِ ﷺ، وَهُنَّ مِنَ الصَّحَابِيَّاتِ مِمَّنْ زَكَّاهُنَّ اللهُ فِي جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهِنَّ الْكَثِيرُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وَكَذَلِكَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَلَهُ مِنَ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ مَا لِسَائِرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، وَاهْدِ بِهِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ زَادَ: «**وَلَا تُعَذِّبْهُ**».

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أُمِّ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ فَقَدْ أَوْجَبُوا**».

وَكَانَ قَائِدُ هَذَا الْجَيْشِ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَإِنَّمَا خَصَّ فِي النَّظْمِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالذِّكْرِ بَعْدَ الصَّحَابَةِ مُفْرَدًا لِأَسْبَابٍ مِنْهَا:

لِأَنَّ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ فِي مُقَابِلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ جَيْشُ مُعَاوِيَةَ، وَكِلَاهُمَا اجْتَهَدَ فِي بُلُوغِ الْحَقِّ، فَلَمَّا كَانَ الْحَقُّ بِنَصِّ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ عَلِيٍّ ظَنَّ الْجَاهِلُ السَّفِيهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ مِنَ الْمُضِلِّينَ؛ وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْخَوَارِجَ وَالشِّيعَةَ يَسُبُّونَهُ، وَيَسُبُّونَ أَبَاهُ -عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ مَا يَسْتَحِقُّونَ-.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْحَقَّ، وَإِنْ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَأْجُورٌ بِأَجْرٍ وَاحِدٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ-.

وَكِلَاهُمَا صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وَكِلَاهُمَا دَاخِلٌ فِي رِضَا اللهِ تَعَالَىٰ، فَمَنْ سَبَّ أَحَدَهُمَا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ سَابًّا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ يُعْرَفُ بِأَصْحَابِهِ.

وَأَيْضًا مِنَ الْأَسْبَابِ: أَنَّ أَبَاهُ أَبَا سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ رَأْسَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَالْمُنَازَعَةِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا لَا قِيمَةَ لَهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِيهِ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ**».

فَذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ ... بِنُصْرَتِهِمْ عَنْ كَيَّةِ النَّارِ زُحْزِحُوا

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ لِلْبَيْتِ: بِنُصْرَتِهِمْ عَنْ ظُلْمَةِ النَّارِ زُحْزِحُوا

وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَا ... حَذَوْا فِعْلَهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا

وَمَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمُ ... أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ

وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ ... إِمَامَا هُدًى مَنْ يَتْبَعِ الْحَقَّ يَنْصَحُ

أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمُ ... فَأَحْبِبْهُمْ؛ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ

هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مَعَ مَا قَبْلَهَا مِمَّا زِيدَ فِي الْمَنْظُومَةِ، وَلَعَلَّكَ تَلْحَظُ أَنَّ النَّفَسَ لَيْسَ وَاحِدًا؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَظْمِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ -رَحِمَهُمَا اللهُ-.

فَكُلُّ مَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِالشِّعْرِ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ هَذَا، وَلَكِنْ هَذَا كُلُّهُ مِنَ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَا حَذَوْا: يَعْنِي مِنْ بَعْدِ الصَّحَابَةِ التَّابِعُونَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قَوْلُهُ: اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ- لَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ التَّابِعِيُّ فَالْمُرَادُ بِهِ: مَنْ تَتَلْمَذَ عَلَىٰ الصَّحَابَةِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ، وَإِلَّا فَاسْمُ التَّابِعِيِّ عُمُومًا يَشْمَلُ كُلَّ مَنِ اتَّبَعَ وَسَارَ عَلَىٰ نَهْجِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ بَعْدَ الصَّحَابَةِ وَالْآخِرِينَ؛ لِهَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا لَمَّا ذَكَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا رَدٌّ عَلَىٰ الرَّافِضَةِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِقُلُوبِهِمْ وَيَتَكَلَّمُونَ فِيهِمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَلْعَنُونَ وَيُكَفِّرُونَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ [الحشر: ١٠].

وَسَلَامَةُ أَلْسِنَتِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

فَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا سَلَامَةُ الْقُلُوبِ وَالْأَلْسِنَةِ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هَذَا مَنْهَجُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَمَّا مَنْ يَجْرَحُ وَيَلْتَمِسُ الْعُيُوبَ، وَيُشَكِّكُ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ، أَوْ يُكَفِّرُهُمْ وَيَلْعَنُهُمْ، هَذَا مُخَالِفٌ لِهَدْيِ الْإِسْلَامِ، وَمُعَادٍ لِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَمُعَادٍ لِرَسُولِ الْإِسْلَامِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ إِذَا طَعَنَ فِي صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ طَعَنَ فِي الرَّسُولِ، وَطَعَنَ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي يُثْنِي عَلَيْهِمْ وَيَمْدَحُهُمْ رضي الله عنهم.

بَلْ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَطْعَنُونَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ زَنَادِقَةٌ كَمَا قَالَ أَبُو زُرْعَةَ رضي الله عنه. إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَطْعَنُوا فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا، فَطَعَنُوا فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِيَقُولَ النَّاسُ: أَصْحَابُ سُوءٍ لِرَجُلِ سُوءٍ، فَمَا أَرَادُوا إِلَّا أَنْ يَجْرَحُوا شُهُودَنَا؛ لِأَنَّهُ مِنَ الَّذِي نَقَلَ إِلَيْنَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ؟

إِنَّهُمْ أَصْحَابُ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِذَا كَانَ مَنْ رَوَىٰ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَحَمَلَ عَنْهُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ: كَفَرَةٌ، وَكَذَبَةٌ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْعَتُونَ بِهِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرضي الله عنهم، إِذَا كَانُوا هَكَذَا فَقَدْ سَقَطَتْ عَدَالَتُهُمْ، فَيُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَطْعَنُوا فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ؛ فَالْأَمْرُ كَبِيرٌ جِدًّا، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْلَمُونَ.

فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ الرَّوَافِضُ إِخْوَانُنَا، حَتَّىٰ إِنَّ الْقَرَضَاوِيَّ -عَلَيْهِ مِنَ اللهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ- يَقُولُ: إِنَّ إِخْوَانَنَا الشِّيعَةَ، يَعْنِي لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ كَبِيرُ خِلَافٍ، هُمْ يَعْنِي فَقَطْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا، يَعْنِي يَنْقُصُ بَعْضَ الْآيَاتِ.. هَذَا أَمْرٌ يَسِيرٌ!!

لَمْ يَدْرُسْ هَذَا أَنَّ مَنْ قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ يَنْقُصُ حَرْفًا وَاحِدًا فَهُوَ كَافِرٌ؟!

وَيَقُولُ: الْخِلَافُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ خِلَافٌ يَسِيرٌ، يَعْنِي هُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا يَعْنِي يَنْقُصُ شَيْئًا مَا.

يَقُولُونَ: إِنَّ الصَّحَابَةَ غَيَّرُوا الْقُرْآنَ وَبَدَّلُوهُ، وَيَقُولُ الرَّافِضَةُ -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهِ-: إِنَّ مَا عِنْدَهُمْ هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ، وَكَانَ سَيَنْزِلُ عَلَىٰ عَلِيٍّ، فَخَانَ الْأَمَانَةَ، وَنَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَيَقُولُونَ: خَانَ الْأَمِينُ. يُرِيدُونَ بِالْأَمِينِ: جِبْرِيلَ عليه السلام.

وَيَدَّعُونَ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ بِالْوَحْيِ إِلَىٰ عَلِيٍّ، فَخَالَفَ وَذَهَبَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا كَانَ جِبْرِيلُ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ فَمَا الَّذِي فَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَقَرَّ الْخِيَانَةَ؟!!

وَمَا مَصْلَحَةُ جِبْرِيلَ فِي أَنْ يَخُونَ؟!

هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ -عَامَلَهُمُ اللهُ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ-، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ وَصَفَ الرَّوَافِضَ بِأَنَّهُمْ حَمِيرُ الْيَهُودِ؛ لَمْ يُقَاتِلُوا الْيَهُودَ وَلَا أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ قَطُّ.

الرَّوَافِضُ إِذَا وَقَعَ قِتَالٌ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ -أَعْنِي أَهْلَ السُّنَّةِ- يَكُونُونَ دَائِمًا مَعَ الْكُفَّارِ.

وَاقْرَأْ كَيْفَ سَقَطَتْ بَغْدَادُ، وَمَنِ الَّذِي أَعَانَ عَلَىٰ دُخُولِهَا، وَقَتْلِ مِلْيُونَيْ مُسْلِمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ أَيْدِي التَّتَارِ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِصَنِيعِ وَتَدْبِيرِ الرَّوَافِضِ مِمَّنْ كَانُوا هُنَالِكَ فِي بَغْدَادَ وُزَرَاءَ وَمُتَنَفِّذِينَ.

وَمَالِـــكُ وَالثَّـــوْرِيُّ ثُـــمَّ أَخُـــوهُمُ ... أَبُـو عَمْـرٍو الْأَوْزَاعِـيُّ ذَاكَ الْمُسَـبِّحُ

مَالِكُ: ابْنُ أَنَسٍ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ.

الثَّوْرِيُّ: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ.

الْأَوْزَاعِيُّ: إِمَامُ أَهْلِ الشَّامِ.

وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

فَالشَّافِعِيُّ: الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ.

وَأَحْمَدُ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

فَأَحْبِبْهُمْ؛ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ: تُحِبُّ السَّلَفَ الصَّالِحَ، وَأَئِمَّةَ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ هَذَا عَلَامَةُ الْإِيمَانِ.

لَمْ يَذْكُرِ الْمُصَنِّفُ أَوِ النَّاظِمُ أَوْ مَنْ زَادَ الْأَبْيَاتَ أَبَا حَنِيفَةَ؛ لِأَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ قِيلَ: إِنَّهُ مِنَ التَّابِعِينَ، لِأَنَّهُ أَدْرَكَ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكِ الصَّحَابَةَ بَيْنَمَا أَدْرَكَ التَّابِعِينَ، فَهُوَ مِنَ الْقَرْنِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ، هُوَ أَوَّلُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْمَتْبُوعِينَ فِي الزَّمَانِ -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ رَحْمَةً وَاسِعَةً-.

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِـمْ لِـي مَـذْهَبٌ ... وَمَـــوَدَّةُ الْقُرْبَــىٰ بِهَــا أَتَوَسَّــلُ

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِـمْ ... وَلَا تَــكُ طَعَّانًــا تَعِيــبُ وَتَجْـرَحُ

فَسَلِّمْ زِمَامَ قَلْبِكَ وَنَفْسِكَ وَرُوحِكَ لِلشَّرْعِ الْأَغَرِّ، لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا وَرَدَ فِيهِمَا فِي حَقِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ.

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

أَفَتُرِيدُ أَنْ تُكَذِّبَ كِتَابَ اللهِ؟

وَاللهُ ﷻ هُوَ الَّذِي مَدَحَهُمْ، أَتُرِيدُ أَنْ تُكَذِّبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي مَدَحَهُمْ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ؟

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

هَذَا مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهَذَا مَا قَرَّرَهُ الْأَئِمَّةُ؛ فَلَا نَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ، وَلَا نُبْغِضُهُ لِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ أَوْ بِذِكْرِ مَسَاوِيهِ، وَمَنْ فَعَلَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ.

مَنْ طَعَنَ فِي صَحَابِيٍّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ أَبْغَضَهُ، أَوْ صَرَّحَ بِذِكْرِ مَسَاوِيهِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، حَتَّىٰ يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَحَتَّىٰ يَكُونَ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيمًا، وَهَذَا كَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «أُصُولِ السُّنَّةِ».

تَتَرَحَّمُ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ، فَلَعَنُوهُمْ، وَكَفَّرُوهُمْ وَسَبُّوهُمْ؛ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

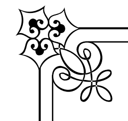
فَأُمِرُوا بِأَنْ يَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ خَالَفُوا مَا أُمِرُوا بِهِ، وَطَعَنُوا فِيهِمْ، وَآذَوْهُمْ، وَتَبَرَّءُوا مِنْهُمْ، وَلَعَنُوهُمْ، كَمَا يَفْعَلُ الرَّوَافِضُ الْيَوْمَ فِي بَيْتِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الْحَرَامِ. نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُنَجِّيَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شُرُورِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ حَمِيرُ الْيَهُودِ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «الرَّوَافِضُ حَمِيرُ الْيَهُودِ».

وَنَحْنُ نَقُولُ فِي هَذَا الْعَصْرِ: «وَالْإِخْوَانُ الْمُسْلِمُونَ حَمِيرُ الرَّوَافِضِ؛ فَالْإِخْوَانُ الْمُسْلِمُونَ حَمِيرُ حَمِيرِ الْيَهُودِ».

أَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أَنْ يُنَجِّيَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْبِدْعَةِ وَأَهْلِهَا، وَأَنْ يَجْمَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ السُّنَّةِ وَاحْتِرَامِ أَهْلِهَا، وَتَقْدِيرِ مَنْ نَقَلَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ تَقْدِيرِ مَنْ جَاءَ بِهَا صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ.

❁ ❁ ❁






مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْحَادِيَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْقَدَرِ

فَبَعْدَ أَنْ فَرَغَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِنْ ذِكْرِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَكَرَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ ... دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ، وَالدِّينُ أَفْيَحُ

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ...: فِي هَذَا الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُ النَّاظِمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْقَدَرِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ: هُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَجَاءَ النَّصُّ عَلَيْهِ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ: هُوَ الْإِيمَانُ بِعِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَبِتَقْدِيرِهِ لِلْأُمُورِ قَبْلَ حُدُوثِهَا، وَبِأَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِرَادَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَخَلْقِهِ وَإِيجَادِهِ.

وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ الْقَدَرِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ:

مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

هَلِ الْقَدَرُ هُوَ الْقَضَاءُ أَوْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ؟

الْجَوَابُ: كَلَامُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ كَانَ الْقَضَاءُ أَعَمَّ مِنَ الْقَدَرِ، فَالْقَضَاءُ يَأْتِي بِمَعْنَىٰ الْقَدَرِ؛ أَيْ: أَنَّ اللهَ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ.

وَيَأْتِي الْقَضَاءُ بِمَعْنًىٰ أَعَمَّ، وَهُوَ الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ، وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٧].

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» يَقُولُ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**».

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ...: قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ: «مَعْنَىٰ الْقَضَاءِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي بِهَا خَاطَبَنَا اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَبِهَا نَتَخَاطَبُ وَنَتَفَاهَمُ مُرَادَنَا: أَنَّهُ الْحُكْمُ فَقَطْ، وَبِذَلِكَ يَقُولُونَ: الْقَاضِي بِمَعْنَىٰ الْحَاكِمِ.

وَقَضَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكَذَا: أَيْ: حَكَمَ بِهِ.

وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَىٰ: أَمَرَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، بِلَا خِلَافٍ أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَمَرَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ.

وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَىٰ أَخْبَرَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

بِمَعْنَىٰ: أَخْبَرْنَاهُ أَنَّ دَابِرَهُمْ مَقْطُوعٌ بِالصَّبَاحِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، أَيْ: أَخْبَرْنَاهُمْ بِذَلِكَ.

وَيَكُونُ -أَيْضًا- بِمَعْنَىٰ: أَرَادَ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَىٰ حَكَمَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]. وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: حَكَمَ بِكَوْنِهِ فَكَوَّنَهُ.

● ● ●

مَعْنَى الْقَدَرِ لُغَةً وَشَرْعًا

وَمَعْنَىٰ الْقَدَرِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: التَّرْتِيبُ، وَالْحَدُّ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ الشَّيْءُ.

تَقُولُ: قَدَّرْتُ الْبِنَاءَ تَقْدِيرًا: إِذَا رَتَّبْتُهُ وَحَدَّدْتُهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، بِمَعْنَىٰ: رَتَّبَ أَقْوَاتَهَا وَحَدَّدَهَا.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، يُرِيدُ تَعَالَىٰ: بِرُتْبَةٍ وَحَدٍّ.

فَمَعْنَىٰ قَضَىٰ وَقَدَّرَ: حَكَمَ وَرَتَّبَ.

وَمَعْنَىٰ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ: حُكْمُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي شَيْءٍ بِحَمْدِهِ أَوْ ذَمِّهِ، وَبِكَوْنِهِ وَتَرْتِيبِهِ عَلَىٰ صِفَةِ كَذَا، وَإِلَىٰ وَقْتِ كَذَا فَقَطْ».

فَهَذَا مَا ذَكَرَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفِصَلِ».

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ....:

أَيْقِنْ: مِنَ الْيَقِينِ، وَهُوَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ يَظْهَرُ عَلَىٰ جَوَارِحِ الْعَبْدِ. أَيْ: صَدِّقْ تَصْدِيقًا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الْقَدَرَ فِعْلُ اللهِ ﷻ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ ....

الدِّعَامَةُ: عِمَادُ الْبَيْتِ، وَيُسَمَّىٰ السَّيِّدُ: الدِّعَامَةَ.

فَالدِّعَامَةُ أَهَمُّ مَا فِي الشَّيْءِ.

فَمِنْ أَهَمِّ مَسَائِلِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ...:

الْعَقْدُ: الْجَمْعُ بَيْنَ أَطْرَافِ الشَّيْءِ.

وَالْعَقْدُ: الضَّمَانُ وَالْعَهْدُ، وَالْعَقْدُ: الْقِلَادَةُ.

فَعَقْدُ الدِّينِ: هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَ الرَّبِّ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَهُوَ مَا يَتَقَلَّدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَعْتَقِدُهُ بِجَمِيعِ أَرْكَانِهِ لَا يَخْلُو مِنْهُ رُكْنٌ.

دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ...: أَيْ: وَالدِّينُ أَوْسَعُ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنَ التَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَنِ نَبِيِّهِ ﷺ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، وَهُوَ أَنْ تُسَلِّمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ، وَشَاءَ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ».

فَدَلِيلُ الْعِلْمِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وَدَلِيلُ الْكِتَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢].

وَدَلِيلُ الْمَشِيئَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وَدَلِيلُ الْخَلْقِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ الْحَكَمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تُوصِلُ إِلَىٰ خَيْرِهِ، وَتَحْجِزُ عَنْ شَرِّهِ هِيَ نِظَامُ الشَّرْعِ، وَلَا يَنْتَظِمُ أَمْرُ الدِّينِ وَيَسْتَقِيمُ إِلَّا لِمَنْ آمَنَ بِالْقَدَرِ وَامْتَثَلَ الشَّرْعَ، كَمَا قَرَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ قَالَ لِمَنْ قَالَ لَهُ: أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**».

فَمَنْ نَفَىٰ الْقَدَرَ زَاعِمًا مُنَافَاتَهُ لِلشَّرْعِ، فَقَدْ عَطَّلَ اللهَ تَعَالَىٰ عَنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ الْعَبْدَ مُسْتَقِلًّا بِأَفْعَالِهِ خَالِقًا لَهَا، فَأَثْبَتَ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ خَالِقًا، بَلْ أَثْبَتَ أَنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقِينَ خَالِقُونَ، وَمَنْ أَثْبَتَهُ مُحْتَجًّا بِهِ عَلَىٰ الشَّرْعِ، مُحَارِبًا لَهُ بِهِ، نَافِيًا عَنِ الْعَبْدِ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ الَّذِي مَنَحَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ، وَكَلَّفَهُ بِحَسَبِهِ زَاعِمًا أَنَّ اللهَ كَلَّفَ عِبَادَهُ مَا لَا يُطَاقُ، كَتَكْلِيفِ الْأَعْمَىٰ بِنَقْطِ الْمُصْحَفِ فَقَدْ نَسَبَ اللهَ تَعَالَىٰ إِلَىٰ الظُّلْمِ، وَكَانَ إِمَامُهُ فِي ذَلِكَ إِبْلِيسَ -لَعْنَةُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ-.قَالَ تَعَالَىٰ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيُؤْمِنُونَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَنَّ اللهَ خَالِقُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَيَنْقَادُونَ لِلشَّرْعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُحَكِّمُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ سِرًّا وَجَهْرًا، وَالْهِدَايَةُ وَالْإِضْلَالُ بِيَدِ اللهِ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوَاقِعِ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: ٨]. وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ، وَأَنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ مُرَتَّبٌ عَلَىٰ الشَّرْعِ فِعْلًا وَتَرْكًا عَلَىٰ الْقَدَرِ.

فَعَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي بَابِ الْقَدَرِ: أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَّ مَا أَصَابَ الْمَرْءَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

●●●



الْقَدَرُ قِسْمَانِ

وَالْقَدَرُ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْقَدَرُ الشَّرْعِيُّ، وَهُوَ الْمُرَادِفُ لِـ(الْمَحَبَّةِ).

وَالثَّانِي: الْقَدَرُ الْكَوْنِيُّ، وَهُوَ الْمُرَادِفُ لِـ(الْمَشِيئَةِ).

وَالْقَدَرُ الشَّرْعِيُّ: يُعَبَّرُ عَنْهُ بِـ(الْإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ)، وَهِيَ الْأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي، فَمَا أَمَرَ بِهِ شَرْعًا فَهُوَ يُحِبُّهُ، وَمَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ فَهُوَ يَكْرَهُهُ، فَالصَّلَاةُ يُحِبُّهَا اللهُ، وَالزِّنَا يَكْرَهُهُ اللهُ، وَاللهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْخَيْرُ مُرَادٌ لِذَاتِهِ، وَالشَّرُّ مُرَادٌ لِغَيْرِهِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ.

◉ ◉ ◉



الْإِرَادَةُ قِسْمَانِ

وَقَسَّمُوا الْإِرَادَةَ إِلَىٰ إِرَادَتَيْنِ:

* إِرَادَةٌ شَرْعِيَّةٌ.

* وَإِرَادَةٌ كَوْنِيَّةٌ.

وَمِنَ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْإِرَادَتَيْنِ:

الْفَرْقُ الْأَوَّلُ: الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ: تَكُونُ فِي الْمَحْبُوبِ، وَالْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ: تَكُونُ فِي الْمَحْبُوبِ وَغَيْرِ الْمَحْبُوبِ.

الثَّانِي: الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ: قَدْ تَقَعُ، وَقَدْ لَا تَقَعُ؛ فَاللهُ يُرِيدُ الْإِيمَانَ مِنَ النَّاسِ شَرْعًا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَهَذَا يَتَحَقَّقُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ لَا مِنْ كُلِّهِمْ، وَالْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ: لَا بُدَّ أَنْ تَقَعَ، مِثَالُهُ: أَنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنْ زَيْدٍ الْإِيمَانَ، فَلَا يَتَخَلَّفُ، وَأَرَادَ مِنْ أَبِي جَهْلٍ الْكُفْرَ، هَلْ يُمْكِنُ لِأَبِي جَهْلٍ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ؟ الْجَوَابُ: لَا.

فَالْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ: لَا بُدَّ أَنْ تَقَعَ، وَالْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ: هِيَ الْمُعَبَّرُ عَنْهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ؛ لِهَذَا يُقَالُ: مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

مَـا شِـئْتَ كَـانَ وَإِنْ لَـمْ أَشَـأْ وَمَـا شِـئْتُ إِنْ لَـمْ تَشَـأْ لَـمْ يَكُـنْ

وَالْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ وَالْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ تَجْتَمِعَانِ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ الطَّائِعِ؛ فَاللهُ أَرَادَ شَرْعًا وَكَوْنًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ الْإِيمَانَ، عَرَفْنَا ذَلِكَ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ آمَنَ.

وَتَفْتَرِقَانِ -يَعْنِي: الْإِرَادَةَ الْكَوْنِيَّةَ وَالْإِرَادَةَ الشَّرْعِيَّةَ- فِي حَقِّ الْكَافِرِ، فَاللهُ يُحِبُّ مِنَ الْكَافِرِ الْإِيمَانَ، وَيُرِيدُ الْإِيمَانَ مِنْهُ شَرْعًا، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِهِ، لَكِنْ مَا أَرَادَ لَهُ الْإِيمَانَ كَوْنًا، وَلَا وَفَّقَهُ لِلْإِيمَانِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِلْإِيمَانِ.

بَقِيَ مَنْ يَقُولُ: كَيْفَ يُرِيدُ مِنْهُ الْإِيمَانَ، وَلَمْ يُوَفِّقْهُ؟

فَالْجَوَابُ: اللهُ عَجَّلَ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وَيَقُولُ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

خَلَقَ الْخَلْقَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ وَبِمَصَالِحِهِمْ، فَعَلِمَ مِنْ هَذَا الْخَيْرَ؛ فَوَفَّقَهُ لِلْخَيْرِ فَضْلًا مِنْهُ، وَعَلِمَ مِنْ ذَلِكَ الشَّرَّ فَلَمْ يُوَفِّقْهُ عَدْلًا مِنْهُ، حَتَّىٰ قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنْ عُـذِّبُوا فَبِعَدْلِـهِ أَوْ نُعِّمُـوا فَبِفَضْـلِهِ وَهُـوَ الْكَـرِيمُ الْوَاسِـعُ

وَالْخَلْقُ مِلْكُهُ وَخَلْقُهُ؛ مَنْ شَاءَ وَفَّقَهُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ، وَمَنْ شَاءَ لَمْ يُوَفِّقْهُ وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

ثُمَّ عَقْلًا: لَا يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ دَلَّكَ عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنْ مَصْلَحَةِ نَفْسِكَ أَنْ يُعِينَكَ عَلَيْهِ، فَتَنَبَّهْ تَخْرُجْ مِنْ مَزَالِقِ أَهْلِ الضَّلَالِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: يَجِبُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ

فِعْلُ الْأَصْلَحِ لِلْعَبْدِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خلقَكَ قَابِلًا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَآتَاكَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مَشِيئَةً تَحْتَ مَشِيئَتِهِ، فَأَنْتَ الَّذِي تَخْتَارُ -فِي الْأُمُورِ الِاخْتِيَارِيَّةِ-، وَأَمَّا مَا هُوَ وَاقِعٌ عَلَيْكَ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُحَاسِبُكَ عَلَىٰ مَا أَنْتَ مَجْبُورٌ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُحَاسِبُكَ عَلَىٰ أَنْتَ مُخَيَّرٌ فِيهِ.

وَكَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْعِلْمُ الْمُحِيطُ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ، وَيَعْلَمُ اخْتِيَارَكَ فِيمَا أَنْتَ مُخْتَارٌ فِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُجْبِرَكَ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ مَا سَوْفَ تَخْتَارُ؛ لِأَنَّهُ لَهُ الْعِلْمُ الْكَامِلُ الشَّامِلُ الْمُحِيطُ، فَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ اخْتِيَارَكَ بِمَشِيئَتِكَ أَنْتَ، وَشَاءَ لِمَا اخْتَرْتَهُ أَنْ يَقَعَ فِي مُلْكِهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا اخْتَارَ الْكُفْرَ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُجْبِرُهُ أَحَدٌ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَلَا يَقَعُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ، فَيَأْذَنُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِاخْتِيَارِكَ أَنْ يَقَعَ فِي مُلْكِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ خَلَقَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَبْتَلِيَكَ وَيُحَاسِبَكَ، ثُمَّ يَبْعَثُكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِيُحَاسِبَكَ عَلَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ.

فَهَذَا التَّكْلِيفُ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ الْمَشِيئَةِ الَّتِي آتَاهَا اللهُ لِلْعَبْدِ، وَالْإِرَادَةِ الَّتِي آتَاهَا اللهُ لِلْعَبْدِ تَحْتَ مَشِيئَتِهِ تَعَالَىٰ وَإِرَادَتِهِ، فَيَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ، فَيَكْتُبُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مُجْبَرًا عَلَىٰ فِعْلِ مَا أَنْتَ مُخْتَارٌ فِيهِ، بَلْ أَنْتَ الَّذِي اخْتَرْتَ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنِ اخْتَرْتَ الْهُدَىٰ أَمَدَّكَ بِالْهِدَايَةِ الْخَاصَّةِ، وَأَمَّا إِذَا اخْتَارَ الْإِنْسَانُ الضَّلَالَ، فَإِنَّ اللهَ يُمْلِي لَهُ فِي ضَلَالِهِ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

فَالْإِنْسَانُ مَسْئُولٌ عَنْ أَعْمَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ، وَهُوَ مُكَلَّفٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَاللهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا بِمَعْنَىٰ: أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يُجْبِرُ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ ثُمَّ يُثِيبُهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ هَذَا عَبَثٌ، وَلَا يُجْبِرُ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ فِعْلِ الشَّرِّ ثُمَّ يُحَاسِبُهُ عَلَىٰ مَا هُوَ مُجْبَرٌ عَلَيْهِ، فَهَذَا ظُلْمٌ!

وَاللهُ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنِ الْعَبَثِ وَالظُّلْمِ، بَلْ أَنْتَ الَّذِي تَخْتَارُ، أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ، وَمَشِيئَتُكَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنْفَاذَ مَشِيئَتِكَ، شَاءَ اللهُ لِمَا شِئْتَ أَنْ يَقَعَ فِي كَوْنِهِ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَا يَقَعُ فِي كَوْنِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

***



مَراتِبُ الْقَدَرِ أَرْبَعَةٌ

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَىٰ: مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ:

وَالْمُرَادُ بِهَا الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ عَلِمَ بِمَا كَانَ، وَبِمَا يَكُونُ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِي الْكَوْنِ شَيْءٌ إِلَّا وَاللهُ عَلِيمٌ بِهِ.

فَتُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ: أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

وَتَأْسِيسًا عَلَىٰ هَذَا الْعِلْمِ الْكَامِلِ الشَّامِلِ الْمُحِيطِ جَاءَتِ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، **وَهِيَ مَرْتَبَةُ الْكِتَابَةِ:**

وَالْمُرَادُ بِهَا: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كُلَّ شَيْءٍ، وَجَاءَ التَّصْرِيحُ بِهَذَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**».

فَتَأْسِيسًا عَلَىٰ عِلْمِ اللهِ الْكَامِلِ الشَّامِلِ الْمُحِيطِ، وَعِلْمِهِ بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، كَتَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ: مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ: وَالْمُرَادُ بِهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَرَادَ الْأَشْيَاءَ وَشَاءَ وُقُوعَهَا، وَأَنَّهُ لَا يَقَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

مَرْتَبَةُ الْإِيجَادِ وَالْخَلْقِ: هِيَ الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، وَالْمُرَادُ بِهَا: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ وَأَوْجَدَهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٦٩].

فَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِهَا أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا بِالْقَدَرِ، أَنْ يُؤْمِنَ بِعِلْمِ اللهِ، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْكِتَابَةِ كِتَابَةِ الْأَشْيَاءِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَبْلَ خَلْقِ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ، مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ، وَيُؤْمِنُ بِمَرْتَبَةِ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

◉◉◉

هَلِ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ يُنَافِي الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ؟

هَلْ إِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ بِالْأَسْبَابِ يُنَافِي ذَلِكَ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ؟

فِعْلُ الْأَسْبَابِ، وَالْأَخْذُ بِهَا مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَافِلَةٌ بِاتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ فِي مُخْتَلِفِ شُئُونِ الْحَيَاةِ، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِالسَّعْيِ فِي الْأَرْضِ وَطَلَبِ الرِّزْقِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥].

وَأَمَرَ الْمُسَافِرِينَ بِالتَّزَوُّدِ لِلْحَجِّ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَأَمَرَ بِإِعْدَادِ الْعُدَّةِ لِلْعَدُوِّ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وَأَمَرَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ حِينَ وَلَدَتْ بِهَزِّ جِذْعِ النَّخْلَةِ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ مَا أُمِرَ بِهِ مُتَّكِلًا عَلَىٰ الْكِتَابِ -يَعْنِي: عَلَىٰ الْقَدَرِ- كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمَكْتُوبِ الْمَقْدُورِ الَّذِي يَصِيرُ بِهِ شَقِيًّا، وَكَانَ قَوْلُهُ

ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقُولُ: أَنَا لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ، فَإِنْ كَانَ اللهُ قَضَىٰ بِالشِّبَعِ وَالرِّيِّ حَصَلَ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ. أَوْ يَقُولُ: لَا أُجَامِعُ امْرَأَتِي فَإِنَّ اللهَ قَضَىٰ لِي بِوَلَدٍ فَإِنَّهُ يَكُونُ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ جَاهِلُونَ ضَالُّونَ... إِلَىٰ أَنْ قَالَ: الْأُمُورُ أَمْرَانِ: أَمْرٌ فِيهِ حِيلَةٌ، وَأَمْرٌ لَا حِيلَةَ فِيهِ، فَمَا فِيهِ حِيلَةٌ لَا يُعْجَزُ عَنْهُ، وَمَا لَا حِيلَةَ فِيهِ لَا يُجْزَعُ مِنْهُ».

فَهَذَا كَالتَّوْطِئَةِ وَالْمُقَدِّمَةِ أَمَامَ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ، وَالرُّكْنِ السَّادِسِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ وَهُوَ: الْإِيمَانُ الْقَدَرِ.

وَبِالْقَــدَرِ الْمَقْــدُورِ أَيْقِــنْ فَإِنَّــهُ ... دِعَامَـةُ عِقْـدِ الـدِّينِ، وَالـدِّينُ أَفْيَحُ

فَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ هُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ كَمَا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ: هُوَ الْإِيمَانُ بِعِلْمِ اللهِ وَتَقْدِيرِهِ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا، وَبِأَفْعَالِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَخَلْقِهِ وَإِيجَادِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

فَكَمَا تَرَىٰ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، تُذْكَرُ مَرَاتِبُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

أَيْ: قَدَّرَ وُقُوعَهُ، وَشَاءَ وُجُودَهُ وَخَلْقَهُ، وَقَدَّرَ صِفَاتِهِ وَوَقْتَهُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ، كُلُّ شَيْءٍ، فَهُوَ مُقَدَّرٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِهِ، وَمِنْ جِهَةِ كِتَابَتِهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَمِنْ جِهَةِ مَشِيئَةِ اللهِ لَهُ فِي وَقْتِهِ، وَمِنْ جِهَةِ خَلْقِهِ وَإِيجَادِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ صِفَاتٌ جَعَلَهَا اللهُ لَهُ لَا يَزِيدُ عَنْهَا وَلَا يَنْقُصُ، فَهَذَا شَيْءٌ مُقَدَّرٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي الْمَطَرِ: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

وَالْمَطَرُ مَعْلُومُ الْكَمِّيَّةِ، وَمَعْلُومُ مَكَانِ النُّزُولِ، وَوَقْتِ النُّزُولِ، فَهُوَ مَعْلُومٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلِمَهُ، وَخَلَقَهُ، وَقَدَّرَهُ، لَمْ يُوجَدْ بِدُونِ خَلْقٍ، وَلَا مِنْ غَيْرِ سَابِقِ تَقْدِيرٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَشَاءَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وَيُرِيدَهُ.

فَأُمُورُ الْكَوْنِ لَيْسَتْ فَوْضَىٰ، وَإِنَّمَا هِيَ مُنْضَبِطَةٌ بِتَقْدِيرِ اللهِ لَهَا، وَإِيجَادِهِ لَهَا، وَمَشِيئَتِهِ لَهَا بِصِفَاتِهَا الَّتِي هِيَ عَلَيْهَا، فَهَذَا أَمْرٌ مُهِمٌّ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ضَلَّتْ فِيهِ أَفْهَامٌ، وَزَلَّتْ فِيهِ أَقْدَامٌ مِمَّنْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَإِنَّمَا اعْتَمَدُوا عَلَىٰ عُقُولِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ، فَتَخَبَّطُوا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ تَخَبُّطًا فَظِيعًا، وَهَدَىٰ اللهُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَآمَنُوا بِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ وَفَرَضَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِمُوجِبِ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَعَادَتِهِمْ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْعَقِيدَةِ.

*** وَالْبَحْثُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَتَضَمَّنُ أُمُورًا كَثِيرَةً:**

أَوَّلًا: مَعْنَىٰ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

الْقَدَرُ: هُوَ تَقْدِيرُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا لِلْأَشْيَاءِ، وَإِرَادَتُهُ لَهَا، وَإِيجَادُهَا فِي وَقْتِهَا.

هَذَا مَعْنَىٰ الْقَدَرِ، وَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ الْقَضَاءِ.

وَغَالِبًا يَأْتِي التَّعْبِيرُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا أَنَّ الْقَضَاءَ أَعَمُّ مِنَ الْقَدَرِ؛ لِأَنَّ الْقَضَاءَ يَأْتِي بِمَعْنَىٰ الْقَدَرِ بِمَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ وَقَضَاهَا، وَيَأْتِي بِمَعْنَىٰ الْفَصْلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالْحُكْمِ بَيْنَهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ كَمَا مَرَّ.

فَالْقَضَاءُ أَعَمُّ مِنَ الْقَدَرِ، فَبَيْنَهُمَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ.

ثَانِيًا: حُكْمُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدرِ وَاجِبٌ وَفَرْضٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ، وَلِأَنَّهُ إِيمَانٌ بِقُدْرَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَلِهَذَا قَالُوا: الْقَدَرُ قُدْرَةُ اللهِ، فَمَنْ جَحَدَهُ فَقَدْ جَحَدَ قُدْرَةَ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَفِي بَعْضِ الْعِبَارَاتِ: الْقَدرُ سِرُّ اللهِ فِي خَلْقِهِ.

وَالْبَحْثُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدرِ لَا يَجُوزُ أَنْ يُتَعَدَّىٰ فِيهِ مَا جَاءَ فِي النُّصُوصِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالتَّعَمُّقُ فِيهِ يُفْضِي إِلَىٰ الضَّلَالِ وَالْحَيْرَةِ؛ لِأَنَّهُ سِرُّ اللهِ فِي خَلْقِهِ، فَأَنْتَ حِينَ تَتعَمَّقُ وَتَبْحَثُ فِيهِ لَنْ تَصِلَ إِلَىٰ نَتِيجَةٍ؛ لِأَنَّكَ تَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ أَسَرَّهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا عَنْ خَلْقِهِ، وَحَسْبُكَ أَنْ تُؤْمِنَ بِهِ، فَمَا تَعَمَّقَ فِيهِ أَحَدٌ وَوَصَلَ إِلَىٰ نَتِيجَةٍ! بَلْ وَصَلَ إِلَىٰ الْحَيْرَةِ وَالِاضْطِرَابِ، فَحَسْبُكَ أَنْ تَتَمَشَّىٰ مَعَ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي إِثْبَاتِ الْقَدرِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَيَكْفِيكَ هَذَا.

وَلْنَعْلَمْ جَمِيعًا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا فَرَضَ عَلَيْنَا الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُيَسَّرًا؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يُكَلِّفُ إِلَّا بِمَا يُسْتَطَاعُ، وَلَمْ يُكَلِّفْنَا اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بِالْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَهُوَ أَلْغَازٌ وَأَحْجِيَةٌ بِحَيْثُ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْهَمَهُ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا!

لِأَنَّهُ مَفْرُوضٌ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ دَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ أَنْ يُؤْمِنَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدرِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُيَسَّرًا لِلْفَهْمِ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يُؤْمِنُ بِهِ؟

وَأَمْرُهُ سَهْلٌ بِفَضْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فَلْنَنْظُرْ فِي مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ مَرَّةً أُخْرَىٰ:

الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَتَرَتَّبُ أَرْبَعَ مَرَاتِبَ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَىٰ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ بِعِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَعْلَمُهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَالْآيَاتُ عَلَىٰ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْكَلَامِ وَالنَّجْوَىٰ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهُوَ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

فَعِلْمُ اللهِ تَعَالَىٰ شَامِلٌ لِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي عِلْمِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا الشَّامِلِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ لِلْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ مَكْشُوفٌ أَمَامَ اللهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً، الزَّمَانُ مِنْ مَاضٍ وَحَاضِرٍ وَمُسْتَقْبَلٍ لِي وَلَكَ، وَكَذَلِكَ الْمَكَانُ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ!

فَهَذَا قَانُونٌ لِلْمَخْلُوقِ لَا لِلْخَالِقِ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ الْكَوْنُ كُلُّهُ مَكْشُوفٌ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ بِعِلْمِهِ الْكَامِلِ الشَّامِلِ الْمُحِيطِ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا كَانَ بِالنِّسْبَةِ لَنَا مَاضِيًا، وَمَا هُوَ كَائِنٌ أَيْ: حَاضِرٌ، وَمَا سَيَكُونُ أَيْ: فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.. اللهُ عَلِيمٌ بِهَذَا كُلِّهِ.

فَجَاءَتِ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ وَهِيَ: أَنْ نُؤْمِنَ وَنَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كُلَّ شَيْءٍ، وَاللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ لَوْحٌ مَخْلُوقٌ، لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ وَسَعَتَهُ إِلَّا اللهُ جَلَّ وَعَلَا، فَهُوَ عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلَا نُؤْمِنُ بِهِ، وَنُؤْمِنُ بِالْكِتَابَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: **«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. فَجَرَىٰ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**.

وَفِي الْحَدِيثِ: **«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ»**.

وَالْحَدِيثُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ».

أَيُّهُمَا أَسْبَقُ.. -أَيْ فِي الْخَلْقِ- الْعَرْشُ أَمِ الْقَلَمُ؟

قَالَ قَوْمٌ: الْعَرْشُ أَسْبَقُ مِنَ الْقَلَمِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: الْقَلَمُ أَسْبَقُ مِنَ الْعَرْشِ.

وَقَوْمٌ فَصَّلُوا.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي ... كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدَّيَّانِ

هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ؟ ... قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعُلَا الْهَمَدَانِي

وَالْحَـقُّ أَنَّ الْعَـرْشَ قَبْـلُ؛ لِأَنَّـهُ قَبْـلَ الْكِتَابَـةِ كَـانَ ذَا أَرْكَـانِ

وَكِتَابَـةُ الْقَلَـمِ الشَّـرِيفِ تَعَقَّبَـتْ إِيجَـادَهُ مِـنْ غَيْـرِ فَصْـلِ زَمَـانِ

فَالْكِتَابَةُ مُقَارِنَةٌ لِوُجُودِ الْقَلَمِ، حِينَمَا خَلَقَهُ اللهُ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ.

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْوُجُودُ، فَالْعَرْشُ أَسْبَقُ.

هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**».

قَدَّرَهَا قَبْلَ الْكِتَابَةِ ثُمَّ كَتَبَهَا، فَالْكِتَابَةُ مُقَارِنَةٌ لِوُجُودِ الْقَلَمِ، وَوُجُودُ الْقَلَمِ مُتَأَخِّرٌ عَنْ وُجُودِ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ أَسْبَقُ.

هَذِهِ مَسْأَلَةٌ اسْتِطْرَادِيَّةٌ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا؛ لِأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي مَرْتَبَةِ الْكِتَابَةِ، وَهِيَ الْكِتَابَةُ الْعَامَّةُ الشَّامِلَةُ الَّتِي كُتِبَ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ.

قَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ فَيَقُولُ: أَلَيْسَ اللهُ يَأْمُرُ الْمَلَكَ الْمُوَكَّلَ بِالْأَجِنَّةِ أَنْ يَكْتُبَ الرِّزْقَ، وَالْأَجَلَ وَالشَّقَاوَةَ، وَالسَّعَادَةَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ؟!

الْجَوَابُ: هَذِهِ الْكِتَابَةُ تَفْصِيلٌ لِلْكِتَابَةِ السَّابِقَةِ، وَهِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْكِتَابَةِ السَّابِقَةِ الَّتِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

فِي أُمِّ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَهَذَا الَّذِي فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَا يَتَغَيَّرُ.

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ جَاءَ أَنَّ اللهَ يُقَدِّرُ مَا يَجْرِي فِي السَّنَةِ مِنْ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ، وَمِنْ جَدْبٍ أَوْ خِصْبٍ، أَوْ رِخَصِ الْأَسْعَارِ أَوْ غَلَاءِ الْأَسْعَارِ، أَوِ الْحُرُوبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، هَذَا كُلُّهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

لِذَلِكَ سُمِّيَتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّهُ يُقَدَّرُ فِيهَا مَا يَجْرِي فِي السَّنَةِ؛ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

الْكِتَابَةُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ نُسْخَةٌ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْكِتَابَةِ الْعَامَّةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فِي السَّنَةِ إِلَىٰ لَيْلَةِ الْقَدْرِ بَعْدَهَا، وَلَا تَنَافِيَ وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ.

وَيَدُلُّ عَلَىٰ هَاتَيْنِ الدَّرَجَتَيْنِ -أَوِ الْمَرْتَبَتَيْنِ (الْعِلْمِ وَالْكِتَابَةِ)- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

نَبْرَأَهَا: أَيْ: نُوجِدَهَا، وَنَخْلُقَهَا.

فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي مِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ: مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ يَقَعُ فَهُوَ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَإِرَادَتِهِ، فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ مَا لَا يَشَاؤُهُ، وَلَا مَا لَا يُرِيدُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

كُلُّ شَيْءٍ يَحْدُثُ قَدْ شَاءَهُ اللهُ وَأَرَادَهُ وَأَوْجَدَهُ، بَعْدَمَا عَلِمَهُ وَكَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الإِيمَانِ بِالْقَدَرِ: الْخَلْقُ وَالْإِيجَادُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: ٢٢]. أَيْ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَهَا وَنُوجِدَهَا، فَدَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَىٰ مَرْتَبَةِ الْكِتَابَةِ، وَمَرْتَبَةِ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ، وَمَرْتَبَةِ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ.

فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ لَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِهَا:

الْأُولَىٰ: مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ.

الثَّانِيَةُ: مَرْتَبَةُ الْكِتَابَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

الثَّالِثَةُ: مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ عِنْدَ وُقُوعِ الشَّيْءِ.

الرَّابِعَةُ: مَرْتَبَةُ خَلْقِ الشَّيْءِ وَإِيجَادِهِ.

هَذِهِ مَرَاتِبُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، مَنْ جَحَدَ وَاحِدَةً مِنْهَا لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

فَالْأَمْرُ كَمَا تَرَىٰ لَوْ فَهِمْنَاهُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ قَرِيبٌ دَانٍ يَسِيرٌ -بِفَضْلِ اللهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ-.

خَلَقَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا سَيَقَعُ مِنَّا، وَجَعَلَنَا مُسَيَّرِينَ فِي أُمُورٍ، وَمُخَيَّرِينَ فِي أُمُورٍ، وَاللهُ لَا يُحَاسِبُنَا إِلَّا عَلَىٰ مَا نَحْنُ مُخَيَّرُونَ فِيهِ، وَهَذَا آتَانَا الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ، وَالْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ لِفِعْلِهِ أَوْ عَدَمِ فِعْلِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ اخْتِيَارَنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَنَا -لِأَنَّهُ خَالِقُنَا-، وَيَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ مِنَّا، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَنَا، وَأَنْ يَبْتَلِيَنَا فَكَلَّفَنَا، وَجَعَلَ لَنَا اخْتِيَارًا وَمَشِيئَةً تَحْتَ مَشِيئَتِهِ، وَعَرَضَ هَذَا عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَ أَمَانَةَ التَّكْلِيفِ، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا، فَقَبِلَ الْإِنْسَانُ أَمَانَةَ التَّكْلِيفِ بِـ(افْعَلْ، وَلَا تَفْعَلْ)!

وَاللهُ ﷻ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا؛ لِذَلِكَ فَهُوَ يُكَلِّفُهُمْ بِمَا يَسْتَطِيعُونَ، وَبِمَا يُقْدِرُهُمْ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ لَهُمُ اخْتِيَارًا وَمَشِيئَةً وَإِرَادَةً، وَحَذَّرَهُمْ وَرَغَّبَهُمْ، وَحَثَّهُمْ وَنَفَّرَهُمْ، وَبَيَّنَ لَهُمْ طَرِيقَ الْحَقِّ وَطَرِيقَ الضَّلَالِ، وَطَرِيقَ الْهِدَايَةِ وَطَرِيقَ الْغِوَايَةِ، وَجَعَلَ كُلًّا عَلَىٰ رَأْسِ الطَّرِيقَيْنِ، وَأَرْسَلَ الرَّسُولَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ، وَقَطَعَ الْعُذْرَ، وَجَعَلَ الْإِنْسَانَ مُخْتَارًا ذَا مَشِيئَةٍ فَهُوَ يَخْتَارُ فِيمَا هُوَ مُخْتَارٌ فِيهِ، وَرَفَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْحَرَجَ عَنْهُ فِيمَا هُوَ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ، وَلَوْ تَلَفَّظَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ مُكْرَهًا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحَاسِبُهُ.

وَكَذَلِكَ جَعَلَ هَذَا الِاخْتِيَارَ رَاجِعًا إِلَىٰ الْعَقْلِ، فَجَعَلَ الْعَقْلَ مَنَاطَ التَّكْلِيفِ؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَكْتَمِلْ كَمَا فِي حَالِ الصَّبِيِّ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ يُرْفَعُ

الْقَلَمُ عَنْهُ، فَلَا يُحَاسِبُهُ، وَإِذَا مَا عَرَضَ عَارِضٌ لِهَذِهِ الْأَهْلِيَّةِ فَذَهَبَ الْعَقْلُ، رُفِعَ التَّكْلِيفُ وَالْقَلَمُ أَيْضًا.

إِذَنِ: اللهُ يُحَاسِبُنَا، وَقَدْ آتَانَا كُلَّ مَا يَلْزَمُنَا مِنْ أَجْلِ أَنْ نَأْتِيَ بِمَا كَلَّفَنَا، وَأَعْطَانَا الْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ وَالْمَشِيئَةَ أَيْضًا عَلَىٰ أَلَّا نَفْعَلَ مَا كَلَّفَنَا بِهِ، ثُمَّ هُوَ يَمُدُّ لَنَا فِي سُبُلِ الْهِدَايَةِ إِنِ اهْتَدَيْنَا بِالْهِدَايَةِ الْعَامَّةِ، فَيُنْعِمُ عَلَيْنَا بِالتَّوْفِيقِ بِالْهِدَايَةِ الْخَاصَّةِ، وَأَمَّا إِذَا ضَلَّ الْإِنْسَانُ وَعَانَدَ، فَإِنَّ اللهَ يَدَعُهُ، وَيُمْلِي لَهُ فِي بَاطِلِهِ، فَيَأْخُذُ بِأَسْبَابِ الضَّلَالِ وَهُوَ يُحَاسَبُ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ عَلَىٰ حَسَبِ اخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

وَمَهْمَا اخْتَارَ الْإِنْسَانُ مِنْ شَيْءٍ يَأْذَنُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِوُقُوعِهِ فِي كَوْنِهِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِذْنِ بِأَنْ يَقَعَ فِي كَوْنِهِ جَلَّ وَعَلَا وَهِيَ الْمَشِيئَةُ الْكَوْنِيَّةُ؛ لِأَنَّ الْمَشِيئَةَ الْكَوْنِيَّةَ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِمَا يُوجَدُ وَيَشَاؤُهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْكَوْنِ، سَوَاءٌ كَانَ مَحْبُوبًا لَهُ تَعَالَىٰ مِمَّا أَمَرَ بِهِ، أَوِ الْكَفِّ عَمَّا نَهَىٰ عَنْهُ، أَوْ كَانَ مَبْغُوضًا لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَكْرُوهًا عِنْدَهُ كَالْكُفْرِ وَالْفَوَاحِشِ مِمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ يَأْذَنُ اللهُ بِأَنْ يَقَعَ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ بِمَشِيئَتِهِ، وَهِيَ الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ.

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَلَّفَنَا وَأَعْطَانَا مَا نَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ نَأْتِيَ بِهَذَا التَّكْلِيفِ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ مِنَّا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنَا، وَكَتَبَ ذَاكَ عِنْدَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَلَمَّا أَوْجَدَنَا وَاخْتَرْنَا بِمَحْضِ اخْتِيَارِنَا وَمَشِيئَتِنَا، وَشَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا شِئْنَا نَحْنُ مِنَ اخْتِيَارِنَا، فَهَذَا يُوَافِقُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَا يُخَالِفُهُ، وَلَيْسَتِ الْكِتَابَةُ السَّابِقَةُ تَعْنِي الْجَبْرَ

عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ الْإِنْسَانُ بِالْمَكْتُوبِ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُوَافِقَ الْفِعْلَ الْمَكْتُوبَ؛ لِأَنَّ الْمَكْتُوبَ كُتِبَ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ الْعِلْمِ فَهُوَ لَا يَتَخَلَّفُ.

اللهُ يَعْلَمُ مَا سَنَفْعَلُ مِمَّا نَحْنُ مُخْتَارُونَ فِيهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَفْعَلَهُ فَكَتَبَهُ، وَيَأْتِي فِعْلُنَا مُطَابِقًا لِلْكِتَابَةِ، فَالْكِتَابَةُ لَا تَعْنِي الْجَبْرَ، وَإِنَّمَا تَعْنِي سَابِقَ الْعِلْمِ كَمَا مَرَّ فِي أَنَّ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَىٰ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ هِيَ مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ، وَعِلْمُ اللهِ كَامِلٌ شَامِلٌ مُحِيطٌ، وَهُوَ يَعْلَمُ اخْتِيَارِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَخْتَارَ، فَيَأْتِي اخْتِيَارِي حَتْمًا مُوَافِقًا لِلْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يَتَخَلَّفُ، وَالْعِلْمُ عَلَىٰ مُقْتَضَاهُ، كَتَبَ مَا سَأَخْتَارُهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَيَأْتِي اخْتِيَارِي مُطَابِقًا لِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

مَا كَانَ مِنَ اخْتِيَارٍ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِاخْتِيَارِي أَنَا، وَأَمَّا مَا يَقَعُ عَلَيَّ أَوْ فِيَّ فَإِنَّ هَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِمُقَدِّمَاتٍ مِنِّي؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لَا يُحَاسِبُنِي عَلَيْهِ إِذَا كَانَتْ رِدَّةُ فِعْلِي عَلَىٰ مَا قَضَىٰ اللهُ عَلَيَّ أَوْ فِيَّ لَا خَارِجَةً عَنِ الشَّرْعِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ مُطَابِقَةً لِلشَّرْعِ الْأَغَرِّ، فَلَا اعْتِرَاضَ وَلَا تَسَخُّطَ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ عَطِيَّةً مِنَ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَتَكُونُ هَذِهِ الْمِحْنَةُ مِنْحَةً مِنَ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَاخْتِبَارًا وَابْتِلَاءً، وَلَكِنَّ هَذَا الَّذِي قُضِيَ عَلَىٰ الْعَبْدِ لَا يُحَاسِبُهُ عَلَيْهِ الرَّبُّ إِذَا كَانَ مُضْطَرًّا إِلَيْهِ، أَوْ كَانَ وَاقِعًا عَلَيْهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا مَرَّ.

إِذَنْ: مَا اخْتَرْتَهُ أَنْتَ هُوَ مَا تُحَاسَبُ عَلَيْهِ، لَا يَظْلِمُكَ رَبُّكَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أَنْتَ الَّذِي اخْتَرْتَ، فَالَّذِي كَفَرَ اخْتَارَ الْكُفْرَ، وَالَّذِي آمَنَ اخْتَارَ الْإِيمَانَ، اللهُ يَعْلَمُ

ذَلِكَ، وَكَتَبَهُ عِنْدَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَيَأْتِي فِعْلُ الْعَبْدِ مُطَابِقًا لِلْمَكْتُوبِ عَلَىٰ حَسَبِ سَابِقِ الْعِلْمِ.

ضُرِبَ لِهَذَا أَمْثِلَةٌ: كَالْمُعَلِّمِ الَّذِي يَخْتَبِرُ تَلَامِيذَهُ، وَيَضَعُ التَّقْدِيرَ بِالدَّرَجَاتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَضَعَ الْأَسْئِلَةَ، ثُمَّ يَخْتَبِرُهُمْ فَتُصَحَّحُ أَوْرَاقُهُمْ، وَتَأْتِي دَرَجَاتُهُمْ مُطَابِقَةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ طُلَّابُهُ وَتَلَامِيذُهُ، وَيَعْلَمُ مُسْتَوَيَاتِهِمُ الْعِلْمِيَّةَ، وَيَعْلَمُ قُدْرَتَهُمْ عَلَىٰ إِجَابَةِ الْأَسْئِلَةِ الَّتِي وَضَعَهَا لَهُمْ، فَلَمَّا وَضَعَ الدَّرَجَاتِ قَبْلَ أَدَاءِ الِاخْتِبَارِ، ثُمَّ صُحِّحَتِ الْأَوْرَاقُ، جَاءَتِ النَّتِيجَةُ مُطَابِقَةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ طُلَّابُهُ وَتَلَامِيذُهُ.

فَهَلْ سَابِقُ عِلْمِهِ بِمَا أَتَوْا بِهِ كَانَ هُوَ الَّذِي أَجْبَرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَكْتُبُوا إِجَابَاتِهِمْ عَلَىٰ وَفْقِ مَا يَتِمُّ التَّصْحِيحُ وَالتَّقْدِيرُ بِالدَّرَجَاتِ الْمُطَابِقَةِ لِمَا وَضَعَهُ أُسْتَاذُهُمْ؟!

إِنَّمَا هَذَا عَلَىٰ سَابِقِ عِلْمِهِ بِهِمْ مَعَ أَنَّ هَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَخَلَّفَ، فَهَذَا عِلْمٌ بَشَرِيٌّ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الطُّلَّابِ مَنْ هُوَ خَبِيثٌ يُذَاكِرُ بِحَيْثُ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ، وَيُمَوِّهُ عَلَىٰ الطُّلَّابِ وَعَلَىٰ الْأُسْتَاذِ أَنَّهُ بَلِيدٌ غَيْرُ حَاذِقٍ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ.

أَمَّا مَعَ اللهِ؛ فَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

إِذَنْ: سَبْقُ الْعِلْمِ الَّذِي رُتِّبَتْ عَلَيْهِ الْكِتَابَةُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَا يَعْنِي الْجَبْرَ لَكَ فِيمَا أَنْتَ مُخْتَارٌ فِيهِ، أَنْتَ الَّذِي تَخْتَارُ.

فَاتَّقِ اللهَ رَبَّكَ!!



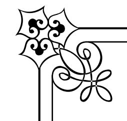
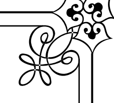
وَاحْمِلْ مَسْئُولِيَّتَكَ!

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ يَجْعَلُ الْأُمَّةَ مُقَاتِلَةً؛ مِنْ أَجْلِ التَّرَقِّي فِي سُلَّمِ التَّرَقِّي الْإِنْسَانِيِّ؛ لِكَيْ تَكُونَ قَائِدَةً لِلْأُمَمِ فِي أُمُورِ الْمَادَّةِ كَمَا هِيَ قَائِدَةٌ لِلْأُمَمِ فِي أُمُورِ الشَّرِيعَةِ وَالرُّوحِ، وَلَكِنْ لَمَّا جَعَلُوا الْكِتَابَةَ السَّابِقَةَ جَبْرًا لِلْإِنْسَانِ، وَأَنَّ الْمَكْتُوبَ عَلَىٰ الْجَبِينِ لَا بُدَّ أَنْ تَرَاهُ الْعَيْنُ -كَمَا يَقُولُونَ- تَوَاكَلُوا وَتَرَكُوا الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ فَتَخَلَّفُوا!!

حَتَّىٰ عَيَّرَنَا الْكُفَّارُ -أَيْ: عَيَّرُوا الْأُمَّةَ- بِأَنَّ سَبَبَ تَخَلُّفِهَا مَا يَأْتِي مِنْهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُتَوَاكِلُونَ.. هَؤُلَاءِ قَوْمٌ سَلْبِيُّونَ.. هَؤُلَاءِ لَائِطُونَ بِالْأَرْضِ؛ لَا يَرْتَفِعُونَ وَلَا يَرْتَقُونَ، وَهَذَا خَطَأٌ!!

بَلِ الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَجْعَلُ الْأُمَّةَ مُنَافِسَةً لِلْأُمَمِ كُلِّهَا، آخِذَةً بِالْأَسْبَابِ طَوَاعِيَةً وَاخْتِيَارًا، وَهِيَ تُنَافِحُ وَتُكَافِحُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ سَابِقَةً لِلْأُمَمِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَرَائِدَةً لِلْأُمَمِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّانِيَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

خَالَفَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ طَائِفَتَانِ

خَالَفَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ طَائِفَتَانِ مُتَنَاقِضَتَانِ:

الْقَدَرِيَّةُ، وَالْجَبْرِيَّةُ.

الْقَدَرِيَّةُ: الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَدَرَ.

سُمُّوا بِالْقَدَرِيَّةِ، أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وَوَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ، وَاعْتَزَلَا مَجْلِسَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ.

فَالْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ نَفَوُا الْقَدَرَ هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ.

قَالُوا: إِنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ لَمْ يُقَدِّرْهُ اللهُ، فَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هُمُ الَّذِينَ يُوجِدُونَهَا اسْتِقْلَالًا، لَيْسَ لِلَّهِ فِيهَا إِرَادَةٌ وَلَا مَشِيئَةٌ؛ لِذَاكَ سُمُّوا بِالْقَدَرِيَّةِ.

وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ، فَيَكُونُ أَثْبَتَ خَالِقِينَ مَعَ اللهِ، وَاللهُ هُوَ الْخَالِقُ جَلَّ وَعَلَا وَمَا سِوَاهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ أَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

هُمْ يَقُولُونَ: اللهُ مَعَهُ مَنْ يَخْلُقُ، وَهُمُ الْعِبَادُ يَخْلُقُونَ أَفْعَالَهُمْ، وَهَذَا شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِذَلِكَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

فَالْقَدَرِيَّةُ هُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ -أَيِ: الْمَجُوسَ- أَثْبَتُوا خَالِقِينَ مَعَ اللهِ، الْمَجُوسُ قَالُوا: هَذَا الْكَوْنُ لَهُ خَالِقَانِ: النُّورُ يَخْلُقُ الْخَيْرَ، وَالظُّلْمَةُ تَخْلُقُ الشَّرَّ، وَزَادَ عَلَيْهِمُ الْقَدَرِيَّةُ فَقَالُوا: كُلٌّ يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ، فَأَثْبَتُوا خَالِقِينَ مُتَعَدِّدِينَ مَعَ اللهِ عَجَّلَ، وَهَذَا شِرْكٌ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهَذَا عِنْدَهُمْ -عِنْدَ الْقَدَرِيَّةِ النُّفَاةِ وَعِنْدَ غُلَاتِهِمْ- مُرَتَّبٌ عَلَىٰ نَفْيِ صِفَةِ الْعِلْمِ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ مَا يَكُونُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَا يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ فَكَيْفَ يُقَدَّرُ الْمَوْتُ عَلَىٰ الْأَحْيَاءِ؟!

وَكَيْفَ يُقَدَّرُ الرِّزْقُ لَهُمْ؟ وَكَيْفَ يُقَدَّرُ تَدْبِيرُ هَذَا الْكَوْنِ؟!

وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَضَلَّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِلْمٍ.

قَابَلَتْهُمْ فِرْقَةُ الْجَبْرِيَّةِ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، قَالُوا: الْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ وَلَا مَشِيئَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَىٰ مَا يَحْصُلُ مِنْهُ بِدُونِ اخْتِيَارِهِ، فَهُوَ كَالْآلَةِ بِيَدِ مَنْ يُحَرِّكُهَا، وَكَالرِّيشَةِ فِي الْهَوَاءِ، وَكَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ، وَكَالْجِنَازَةِ عَلَىٰ النَّعْشِ، فَالْعَبْدُ مَجْبُورٌ عَلَىٰ أَفْعَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ، إِنَّمَا هُوَ آلَةٌ تُحَرَّكُ.

فَالْجَبْرِيَّةُ غَلَوْا فِي إِثْبَاتِ إِرَادَةِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَنَفَوْا مَشِيئَةَ الْعَبْدِ وَإِرَادَتَهُ، وَالْمُعْتَزِلَةُ الْقَدَرِيَّةُ عَلَىٰ النَّقِيضِ غَلَوْا فِي إِثْبَاتِ مَشِيئَةِ الْعَبْدِ وَإِرَادَتِهِ، وَنَفَوْا مَشِيئَةَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَإِرَادَتَهُ.

فَكُلٌّ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ غَلَا فِي شَيْءٍ.

الْقَدَرِيَّةُ غَلَوْا فِي إِثْبَاتِ مَشِيئَةِ الْعَبْدِ وَإِرَادَتِهِ حَتَّىٰ قَالُوا: إِنَّهُ لَيَسْتَقِلُّ عَنِ اللهِ، وَيَخْلُقُ مَا يُرِيدُ.

وَالْجَبْرِيَّةُ غَلَوْا فِي إِثْبَاتِ مَشِيئَةِ اللهِ وَإِرَادَتِهِ حَتَّىٰ نَفَوْا مَشِيئَةَ الْعَبْدِ وَإِرَادَتَهُ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَوَسَّطُوا؛ فَقَالُوا: كُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَمِنْهَا أَفْعَالُ الْعِبَادِ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ، وَهِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ بِاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ، يَعْنِي: أَنَّ الْعَبْدَ لَهُ مَشِيئَةٌ وَلَهُ اخْتِيَارٌ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَقِلُّ عَنِ اللهِ -كَمَا تَقُولُ الْقَدَرِيَّةُ- وَلَيْسَ مُجْبَرًا -كَمَا تَقُولُ الْجَبْرِيَّةُ-، بَلْ هَلْ يَفْعَلُ الْأَشْيَاءَ بِاخْتِيَارِهِ، وَمَحْضِ إِرَادَتِهِ؛ وَلِذَلِكَ يُثَابُ عَلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ، وَيُعَاقَبُ عَلَىٰ فِعْلِ الشَّرِّ؛ لِأَنَّهُ فُعِلَ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَلَوْ كَانَ مُجْبَرًا فَإِنَّهُ لَا يُعَاقَبُ، كَيْفَ يُعَاقَبُ عَلَىٰ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ اخْتِيَارٌ، وَلَا مَشِيئَةٌ، وَلَا إِرَادَةٌ؟

لِذَلِكَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لَا يُؤَاخِذُ الْمَجْنُونَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ إِرَادَةٌ، وَلَا يُؤَاخِذُ الْمُكْرَهَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ، وَلَا يُؤَاخِذُ النَّائِمَ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ فِكْرٌ وَلَا عَقْلٌ.

قَالَ ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: الصَّغِيرُ حَتَّىٰ يَحْتَلِمَ، الْمَجْنُونُ حَتَّىٰ يُفِيقَ، وَالنَّائِمُ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ**».

لِمَاذَا؟

لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسَتْ لَهُمْ إِرَادَةٌ وَلَا مَشِيئَةٌ، فَلَا يُؤَاخَذُونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَقْتَ غِيَابِ عُقُولِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، أَمَّا مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ إِرَادَةٌ وَعِنْدَهُ مَشِيئَةٌ وَاخْتِيَارٌ فَإِنَّهُ

يُثَابُ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَيُعَاقَبُ عَلَىٰ فِعْلِ الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّهُ فَعَلَهَا بِاخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَاللهُ جَلَّوَعَلَا يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]. وَعَمِلُوا: أَسْنَدَ الْعَمَلَ إِلَيْهِمْ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَأَسْنَدَ الْعَمَلَ إِلَيْهِمْ.

وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٦]. أَسْنَدَ الْكُفْرَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ مِنْ فِعْلِهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ.

وَيَقُولُ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الجن: ٢٣]. فَأَسْنَدَ الْمَعْصِيَةَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهَا مِنْ فِعْلِهِمْ.

فَهِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الْفِعْلِ: أَفْعَالُ الْعِبَادِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ الْقَدَرِ: مُقَدَّرَةٌ مِنَ اللهِ جَلَّوَعَلَا، فَهِيَ قَدَرُ اللهِ، وَهِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ جَمْعًا بَيْنَ النُّصُوصِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

فَقَوْلُهُ: لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ رَدٌّ عَلَىٰ الْجَبْرِيَّةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَقِلُّ بِمَشِيئَتِهِ وَهِيَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ مُسْتَقِلَّةٌ، وَالْعَبْدُ يَفْعَلُ اسْتِقْلَالًا، فَالْآيَةُ رَدٌّ عَلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ.

وَفِي الْآيَةِ إِثْبَاتُ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِيَ هِيَ فِعْلُ الْعِبَادِ، وَهِيَ قَضَاءُ اللهِ وَقَدَرُهُ قَدَّرَهَا عَلَيْهِمْ، وَفَعَلُوهَا بِاخْتِيَارِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ.

وَلِذَلِكَ فَالْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ غَيْرُ الْمُكْرَهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَدَّقَ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ الصَّلَاةَ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَتْرُكُ هُوَ بِاسْتِطَاعَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ، يُقْدِمُ عَلَىٰ الزِّنَا، وَعَلَىٰ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَعَلَىٰ أَكْلِ الرِّبَا بِاخْتِيَارِهِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ الرِّبَا وَيَتْرُكَ الزِّنَا وَيَتْرُكَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَهُوَ بِاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ يَفْعَلُ هَذَا، كُلٌّ يَعْرِفُ هَذَا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُمَيِّزُ بَيْنَ مَا هُوَ مُخْتَارٌ فِيهِ، وَمَا هُوَ مُكْرَهٌ عَلَيْهِ، كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ هَذَا.

الْإِنْسَانُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أَنْ يَتَبَوَّلَ بِإِرَادَتِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَبَوِّلًا لَا إِرَادِيًّا.

وَالْإِنْسَانُ يُقَالُ لَهُ: عِنْدَنَا وَظِيفَتَانِ: رَاتِبُ إِحْدَاهُمَا أَلْفَانِ، وَالْعَمَلُ فِيهَا سَاعَتَانِ، وَهُوَ عَمَلٌ يَسِيرٌ، هَذِهِ مَعْرُوضَةٌ عَلَيْكَ، وَمَعْرُوضٌ عَلَيْكَ مَعَهَا وَظِيفَةٌ رَاتِبُهَا خَمْسُمِئَةٍ، وَالْعَمَلُ عَشْرُ سَاعَاتٍ، وَهُوَ عَمَلٌ صَعْبٌ، وَيُقَالُ لَهُ: أَتَخْتَارُ الْأُولَىٰ أَمِ الثَّانِيَةَ؟

النَّاسُ جَمِيعًا يَخْتَارُونَ الْأُولَىٰ، هِيَ ذَاتُ رَاتِبٍ عَالٍ، وَذَاتُ عَمَلٍ خَفِيفٍ، لَا يَخْتَارُونَ الثَّانِيَةَ.

إِذَنْ: هُمْ أَصْحَابُ اخْتِيَارٍ.

يَخْتَارُ هَذَا؛ لِأَنَّهُ يَصْلُحُ لَهُ.

يُقَالُ لَهُ: إِنْ أَرَدْتَ السَّفَرَ أَمَامَكَ طَرِيقَانِ: أَحَدُهُمَا سَهْلٌ مُعَبَّدٌ مُضَاءٌ سَهْلٌ قَصِيرٌ، وَالْآخَرُ مَخُوفٌ وَهُوَ غَيْرُ مُعَبَّدٍ وَهُوَ مُظْلِمٌ، وَتَعْتَرِضُهُ قَوَاطِعُ فِي الطَّرِيقِ، وَكَذَلِكَ فِيهِ مِنْ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ مَنْ فِيهِ، وَيَقُولُونَ لَهُ: هَذَا يُوَصِّلُ إِلَىٰ غَايَتِكَ، وَهَذَا يُوَصِّلُ إِلَىٰ غَايَتِكَ، أَيَّهُمَا تَسْلُكُ؟

لَا شَكَّ أَنَّهُ يَسْلُكُ الطَّرِيقَ الْأَوَّلَ.

إِذَنِ: الْإِنْسَانُ يُفَرِّقُ فِي نَفْسِهِ بَيْنَ مَا هُوَ مُخْتَارٌ فِيهِ وَمَا هُوَ مُجْبَرٌ عَلَيْهِ.

هَذَا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا تَجِدُهُ يَمْضِي فِيهِ كَالسِّكِّينِ فِي قِطْعَةِ الزُّبْدِ، وَيَخْتَارُ وَيُثْبِتُ الِاخْتِيَارَ، فَإِذَا جَاءَ الشَّرْعُ، وَقِيلَ لَهُ: صَلِّ، قَالَ: إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيَّ أَلَّا أُصَلِّيَ، وَلَوْ كَتَبَ عَلَيَّ أَنْ أُصَلِّيَ لَصَلَّيْتُ، فَيُقَالُ: وَمِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكَ أَلَّا تُصَلِّيَ؟

مَا قَدَّرَهُ اللهُ وَكَتَبَهُ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَنْفُذَ الْقَدَرُ حَتَّىٰ يَصِيرَ مَقْدُورًا، وَاقِعًا فِي الْحَيَاةِ يَعْنِي أَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ حَتَّىٰ تَفْعَلَ، فَإِذَا فَعَلْتَ عَلِمَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ، هُوَ الْمَكْتُوبُ لَكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْتَ بَعْدَ عَدَمِ الْفِعْلِ أَنَّ عَدَمَ الْفِعْلِ هُوَ الْمَكْتُوبُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

إِذَنْ لَا يُمْكِنُ الِاطِّلَاعُ عَلَىٰ الْقَدَرِ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ، فَالَّذِي لَا يُصَلِّي يُقَالُ لَهُ: قُمْ فَصَلِّ، فَيَقُولُ: اللهُ كَتَبَ عَلَيَّ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَلَّا أُصَلِّيَ!!

مِنْ أَيْنَ؟

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا تَرْجِيحٌ بِغَيْرِ مُرَجِّحٍ يَعْنِي أَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ حَتَّىٰ يَقَعَ.

فَهَا هُنَا النِّسْبَةُ مُتَسَاوِيَةٌ، أَنْ تُصَلِّيَ أَوْ لَا تُصَلِّيَ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ سَتُصَلِّي أَوْ لَا تُصَلِّي إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِ ذَلِكَ.

فَهُنَا يَأْتِي بِالْجَبْرِ، وَأَنَّ الْكِتَابَةَ تَعْنِي عِنْدَهُ الْجَبْرَ، بَلْ يَدَّعِي الْعِلْمَ السَّابِقَ بِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

خَلْطٌ وَخَبْطٌ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ عِنْدَ الْجَبْرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ فَالْإِنْسَانُ مَجْبُورٌ عَلَيْهِ، هَذَا لَوْ صَفَعْتَهُ عَلَىٰ قَفَاهُ فَاعْتَرَضَ عَلَيْكَ لَصَارَ مُتَنَاقِضًا فِي مَذْهَبِهِ، يَعْنِي مَنْ قَالَ لَكَ إِنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُورٌ عَلَىٰ فِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا اخْتِيَارَ لَهُ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، بِمَعْنَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ هَذَا الَّذِي سَيَكُونُ، اصْفَعْهُ عَلَىٰ قَفَاهُ، فَإِنِ اعْتَرَضَ عَلَيْكَ فَقُلْ لَهُ: لِمَاذَا تَعْتَرِضُ عَلَيَّ، صَفْعُكَ عَلَىٰ قَفَاكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ؟!

خُذْ مَالَهُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، فَإِنِ اعْتَرَضَ عَلَيْكَ فَقَدْ خَالَفَ مَذْهَبَهُ؛ لِأَنَّهُ إِنِ اعْتَرَضَ عَلَيْكَ، اعْتَرَضَ عَلَىٰ أَنَّكَ مَجْبُورٌ عَلَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ.

أَنْتَ مَجْبُورٌ؛ مَا ذَنْبُكَ؟

أَنْتَ مَجْبُورٌ عَلَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (طَرِيقِ الْهِجْرَتَيْنِ) قِصَّةً تُبَيِّنُ تَنَاقُضَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ الَّذِينَ سَلَبَ اللهُ عُقُولَهُمْ: أَنَّ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ دَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ فَوَجَدَ رَجُلًا يَفْحُشُ بِهَا، فَغَارَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ وَأَطَرَهُ، فَأَعْجَزَهُ الرَّجُلُ هَرَبًا، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ الْحِمَارِ فَرَجَعَ إِلَىٰ الْبَرْدَعَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ الْمَرْأَةَ، فَلَمَّا رَفَعَ السَّيْفَ قَالَتْ: وَيْحَكَ!! تَتْرُكُ السُّنَّةَ، وَتَأْخُذُ بِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ؟ فَأَغْمَدَ سَيْفَهُ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ فِيكِ كِدْتُ أَضِلُّ!!

يَعْنِي وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ هَذَا الْفَاحِشِ الْفَاسِقِ وَمِنْهَا رَغْمًا عَنْهُمَا، فَمَاذَا يَصْنَعَانِ؟

هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ عِنْدَهُ وَعِنْدَهَا، أَمَّا مَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ فَهَذَا فُحْشٌ، وَهَذِهِ فَاحِشَةٌ، وَهَذَا إِذَا كَانَ مُحْصَنًا فَإِنَّهُ يُرْجَمُ، كَمَا تُرْجَمُ هِيَ، وَلَكِنْ أَرْجَعَتْهُ إِلَىٰ هَذَا الْمَذْهَبِ الْبَاطِلِ فِي الْجَبْرِ فَقَالَتْ: تَتْرُكُ السُّنَّةَ تَعْنِي الْجَبْرَ، وَتَأْخُذُ بِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ؟

فَانْتَبَهَ الْمِسْكِينُ، فَفَوَّتَهَا.

الْجَبْرِيَّةُ لَا يُطَبِّقُونَ مَا يَأْخُذُونَ بِهِ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ، لَوْ أَنَّ أَحَدًا اعْتَدَىٰ عَلَيْهِمْ ضَرَبَهُمْ، أَوْ قَتَلَ أَحَدًا مِنْهُمْ، أَلَيْسُوا يُطَالِبُونَ بِالِانْتِقَامِ وَالْقِصَاصِ؟

كَيْفَ يُطَالِبُونَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُجْبَرٌ لَا اخْتِيَارَ لَهُ؟

أَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّنَاقُضِ؟

هُمْ أَيْضًا يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ، وَيَتَزَوَّجُونَ، فَلَوْ كَانُوا مُجْبَرِينَ كَمَا يَقُولُونَ، لِمَاذَا يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ، وَيَطْلُبُونَ إِيجَادَ الْأَشْيَاءِ الْمَعْدُومَةِ؟

هُمْ لَا يُطَبِّقُونَ هَذَا الْمَذْهَبَ الْخَبِيثَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ؛ وَلِذَلِكَ يُطَالِبُونَ بِالِانْتِقَامِ وَالْقِصَاصِ، وَيَتَزَوَّجُونَ وَيَطْلُبُونَ الرِّزْقَ، فَهَذَا مِنَ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

وَهَذِهِ نَتِيجَةُ الِاعْتِمَادِ عَلَىٰ الْأَفْكَارِ وَالْعُقُولِ الْمُجَدِّدَةِ أَوِ الْفَاسِدَةِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَىٰ أَقْوَالِ وَآرَاءِ النَّاسِ بِدُونِ رُجُوعٍ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا تَنَافِي بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ، بَلْ فِعْلُ الْأَسْبَابِ مِنَ الْقَدَرِ.

فَأَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا تُعَطِّلُ الْأَسْبَابَ، بَلْ تَطْلُبُ الرِّزْقَ وَتَتَزَوَّجُ، وَتَطْلُبُ التِّجَارَةَ، وَتَسْعَىٰ فِي الْأَرْضِ، وَتَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ اللهِ، لَا تَقُولُ: أَعْتَمِدُ عَلَىٰ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؛ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّرٍ سَوْفَ يَأْتِينِي، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُقَدَّرًا لِي فَلَنْ يَأْتِيَنِي، هَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ.

حَتَّىٰ الطُّيُورُ وَالْبَهَائِمُ بِفِطْرَتِهَا تَذْهَبُ تَطْلُبُ الرِّزْقَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ: تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**». الطُّيُورُ لَمْ تَقْعُدْ فِي أَوْكَارِهَا، فِطْرَتُهَا تَقْتَضِي أَنْ تَتَحَرَّكَ وَتَذْهَبَ؛ لِتَطْلُبَ الرِّزْقَ، تَغْدُو خِمَاصًا فِي الصَّبَاحِ، وَتَرُوحُ فِي الْمَسَاءِ بِطَانًا شِبَعًا.

فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ، إِنَّمَا يَقُولُ هَذَا الْجَبْرِيَّةُ، وَلَكِنَّ الْأَسْبَابَ لَا تَسْتَقِلُّ بِإِيجَادِ النَّتِيجَةِ، إِنَّمَا الْمُسَبِّبُ هُوَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا

رَدًّا عَلَىٰ الْقَدَرِيَّةِ، فَلَا نَغْلُو فِي إِثْبَاتِ الْأَسْبَابِ كَالْقَدَرِيَّةِ، وَلَا نَغْلُو فِي نَفْيِ تَأْثِيرِهَا كَمَا تَقُولُ الْجَبْرِيَّةُ، بَلِ اتِّخَاذُ الْأَسْبَابِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ؛ ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٦]. ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وَاللهُ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَأَمَرَ بِالطَّاعَاتِ، وَهَذَا مِنْ فِعْلِ الْأَسْبَابِ، وَنَهَىٰ عَنْ أَسْبَابِ الشَّرِّ كَالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْفُسُوقِ.

فَلَيْسَ مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ أَنْ نُعَطِّلَ الْأَسْبَابَ، بَلْ نَمْضِي فِي طَلَبِهَا مَعَ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ كَتَبَ لَكَ شَيْئًا فَسَيَأْتِيكَ، وَلَكِنْ لَا يَأْتِي لَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ جَالِسٌ، لَا بُدَّ أَنْ تَفْعَلَ السَّبَبَ؛ لِهَذَا قَالَ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**».

يَعْنِي مَا وَقَعَ عَلَيْكَ مِمَّا يَسُوؤُكَ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْكَ فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ. قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ.

فَالْقَدَرُ لَا يُذْكَرُ عِنْدَ التَّكْلِيفِ، وَإِنَّمَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، إِنَّمَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ وَيُحْتَجُّ بِهِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، فَإِذَا وَقَعَ مَا يَسُوءُ الْعَبْدَ قَالَ: قَدَرُ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ.

أَمَّا عِنْدَ التَّكْلِيفِ فَيَنْبَغِي عَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ، وَأَنْ يَفْعَلَ مَا هُوَ مُكَلَّفٌ بِهِ، فَيَكُونَ آخِذًا بِالْقَدَرِ وَآخِذًا بِالشَّرْعِ.

وَهَذَا هُوَ الْعَبْدُ الصَّحِيحُ النَّاجِي مِنَ الْعَذَابِ، الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ وَيَلْتَزِمُ بِالشَّرْعِ.

أَمَّا الَّذِي يَجْعَلُ الْقَدَرَ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّرْعِ، فَيَحْكُمُ عَلَىٰ الشَّرْعِ بِالْقَدَرِ، فَهَذَا ضَالٌّ.

وَأَمَّا الَّذِي يَسْتَقِلُّ بِالشَّرْعِ وَيُنْكِرُ الْقَدَرَ، فَهَذَا ضَالٌّ.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقَدَرِ، وَيَلْتَزِمُونَ بِالشَّرْعِ أَمْرًا وَنَهْيًا.

فَتَفْعَلُ السَّبَبَ فَإِنْ حَصَّلْتَ النَّتِيجَةَ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ لَمْ تُحَصِّلِ النَّتِيجَةَ فَتَرْضَىٰ وَتُسَلِّمُ أَنَّ اللهَ مَا كَتَبَ لَكَ شَيْئًا، وَهَذَا مِنَ الِابْتِلَاءِ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ وَاضِحٌ فِي فِعْلِ الْأَسْبَابِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ أَنْ تُعَطَّلَ الْأَسْبَابُ، أَوْ أَنَّ فِعْلَ الْأَسْبَابِ يَسْتَقِلُّ بِإِيجَادِ النَّتَائِجِ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ، بَلِ الْأَسْبَابُ يَفْعَلُهَا الْعَبْدُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَالنَّتَائِجُ بِيَدِ اللهِ.

فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَأْخُذُ بِالسَّبَبِ وَلَا يُحَصِّلُ النَّتِيجَةَ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَطْلُبُونَ الْوَلَدَ، فَإِذَا تَزَوَّجُوا لَمْ يُرْزَقُوا بِالْوَلَدِ، فَهَذَا مِمَّا قَدَّرَهُ اللهُ، مَعَ الْأَخْذِ بِالسَّبَبِ، وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَفْلَحُونَ الْأَرْضَ، وَلَا تُؤْتِيهِمُ الْأَرْضُ شَيْئًا.

فَلَيْسَتِ الْأَسْبَابُ إِذَا مَا أُخِذَتْ حَتْمًا تَأْتِي بِنَتَائِجِهَا؛ لِأَنَّ الَّذِي يُقَدِّرُ ذَلِكَ هُوَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

***

مِنْ فَوَائِدِ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدرِ لَهُ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ جِدًّا مِنْهَا -وَهِيَ أَعْظَمُهَا-:

* اسْتِكْمَالُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، فَمَنْ جَحَدَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتكْمِلْ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ.

* الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْعَبْدَ يَمْضِي وَلَا يَسْتَسْلِمُ لِلْأَوْهَامِ وَالْخَوْفِ، وَإِنَّمَا يَمْضِي وَيَقُولُ: مَا قَدَّرَ اللهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ، جَلَسْتُ أَوْ لَمْ أَجْلِسْ.

بِهَذَا حَكَىٰ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

فَلَيْسَ الْجُلُوسُ فِي الْبُيُوتِ يَمْنَعُ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَيْسَ الْخُرُوجُ لِلْجِهَادِ يُوقِعُ الْمَوْتَ أَوْ يَجْلِبُ الْمَوْتَ إِذَا لَمْ يُقَدِّرْهُ اللهُ، فَهُوَ سَبَبٌ، وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يُقَدِّرْهُ اللهُ عَجَلَّ فَلَا أَثَرَ وَلَا نَتِيجَةَ لَهُ، كَمْ يَدْخُلُونَ الْمَعَارِكَ وَيَخْرُجُونَ سَالِمِينَ مُعَافَيْنَ، هَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: «مَا فِي جِسْمِي مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ طَعْنَةٌ أَوْ ضَرْبَةٌ»، وَكَانَ يَتَمَنَّىٰ الشَّهَادَةَ، وَخَاضَ مَعَارِكَ عَظِيمَةً، وَتَمَنَّىٰ أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَكِنْ لَمْ يُقَدِّرْ لَهُ اللهُ ذَلِكَ فَمَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَبْعَثُ عَلَىٰ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، أَمَّا الْقُعُودُ فَلَا يُغْنِي شَيْئًا، ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [النساء: ٧٨].

فَالْقَضَاءُ لَا بُدَّ أَنْ يَنْفُذَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَجْرِيَ، وَلَا فَائِدَةَ فِي قُعُودِ الْإِنْسَانِ وَتَخَلُّفِهِ عَنْ فِعْلِ الْأَسْبَابِ النَّافِعَةِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْأَسْبَابِ السَّيِّئَةِ.

فَهَذَا يَبْعَثُ فِي الْإِنْسَانِ الْقُوَّةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْإِيمَانَ بِاللهِ، وَيَنْفِي عَنْهُ الشُّكُوكَ وَالْأَوْهَامَ وَالتَّشَاؤُمَ الَّذِي يُصَابُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَيَنْفِي عَنِ الْإِنْسَانِ الْوَسَاوِسَ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْإِيمَانِ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْ طَلَبِ مَا فِيهِ خَيْرٌ وَمَا فِيهِ فَائِدَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَلَا يَقُولُونَ: نَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ.

إِذَا كَانَ الْمَوْتُ مُقَدَّرًا لَكَ سَيَأْتِيكَ وَلَوْ لَمْ تَذْهَبْ إِلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يُقَدَّرْ فَلَنْ يَأْتِيَكَ وَلَوْ كُنْتَ فِي أَشَدِّ الْخَطَرِ.

وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

* أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصَابَتْهُ الْمُصِيبَةُ لَا يَجْزَعُ؛ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ هَذَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، فَهَذَا يُسَهِّلُ مُلَاقَاةَ الْمَصَائِبِ، فَلَا يَجْزَعُ الْإِنْسَانُ، لَا يَلْطِمُ الْخَدَّ، وَلَا يَشُقُّ الْجَيْبَ، وَلَا يَدْعُو بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَصْبِرُ وَيَحْتَسِبُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

فَهَذَا يُهَوِّنُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ الْمَصَائِبَ، فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمُ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

هَذِهِ الْفَوَائِدُ مِنْ فَوَائِدِ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ: اسْتِكْمَالُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَبْعَثُ عَلَىٰ الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يُهَوِّنُ عَلَي الْمُسْلِمِ الْمَصَائِبَ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ.

أَمَّا الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَإِنَّهُ يَجْزَعُ وَيَتَسَخَّطُ، وَيَحْصُلُ مِنْهُ مَا يَحْصُلُ وَتَسْمَعُ كَثِيرًا عَنِ انْتِحَارِ بَعْضِ النَّاسِ، وَأَنَّ هَذَا الِانْتِحَارَ انْتَشَرَ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَلِ الْأُخْرَىٰ، وَالسَّبَبُ: عَدَمُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَإِذَا تَضَايَقَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ نَحَرَ نَفْسَهُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَلَا يَقُولُ: هَذَا شَيْءٌ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ.. هَذَا شَيْءٌ مَكْتُوبٌ عَلَيَّ وَالْفَرَجُ قَرِيبٌ إِنْ شَاءَ اللهُ ﷻ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥].. ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فَالَّذِي يَنْتَحِرُ وَيَقْتُلُ نَفْسَهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَحَمَّلُ الشَّدَائِدَ وَالْمَصَائِبَ.

وَالْأُمُورُ الَّتِي تَتَرَتَّبُ عَلَىٰ مَذْهَبِ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ أُمُورٌ خَطِيرَةٌ:

يَلْزَمُ عَلَىٰ مَذْهَبِ الْقَدَرِيَّةِ إِثْبَاتُ خَالِقِينَ مَعَ اللهِ، وَهَذَا شِرْكٌ فِي شِرْكٍ فِي الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِذَلِكَ سُمُّوا مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَيَلْزَمُ عَلَىٰ مَذْهَبِ الْجَبْرِيَّةِ: وَصْفُ اللهِ بِالظُّلْمِ، وَأَنَّهُ يُعَذِّبُ الْعِبَادَ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يَفْعَلُوهُ، بَلْ فَعَلَهُ هُوَ، فَاللهُ يُعَذِّبُهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يَفْعَلُوهُ، وَهُمْ يُحَرَّكُونَ

بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ، وَبِغَيْرِ إِرَادَتِهِمْ، فَهَذَا فِيهِ وَصْفُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالظُّلْمِ؛ لِأَنَّهُ عَذَّبَ عِبَادَهُ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يَفْعَلُوهُ، وَإِنَّمَا عَذَّبَهُمْ عَلَىٰ فِعْلِهِ هُوَ.

وَلَا يَخْفَىٰ فَسَادُ هَذَا الْمَذْهَبِ الْبَاطِلِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

وَرَبَطَ الْعَذَابَ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ، وَرَبَطَ الثَّوَابَ بِالطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ، فَاللهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا.

وَلَكِنَّ الْجَبْرِيَّةَ يَصِفُونَ اللهَ بِالظُّلْمِ، وَأَنَّهُ يُعَذِّبُ الْعِبَادَ عَلَىٰ أَفْعَالِهِ هُوَ، وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا، وَإِنَّمَا هُمْ مُحَرَّكُونَ كَالْآلَةِ وَالرِّيشَةِ فِي الْهَوَاءِ، وَهَذَا مَذْهَبٌ بَاطِلٌ، وَهُمْ يُخَالِفُونَهُ كَمَا مَرَّ، فَإِنَّهُمْ إِذَا ظُلِمُوا طَالَبُوا بِرَدِّ الْمَظَالِمِ، وَإِذَا قُتِلَ مِنْهُمْ أَحَدٌ طَالَبُوا بِالْقِصَاصِ، وَإِذَا نُهِبَ مَالُهُمْ طَالَبُوا بِرَدِّهِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ..

مَعَ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ يَقْتَضِي أَنْ لَا يُطَالِبُوا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ تَعْطِيلُ الْأَسْبَابِ، وَأَنْ يُقَالَ: مَا دَامَ أَنَّهُ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ فَأَنَا أَجْلِسُ وَالْمُقَدَّرُ سَيَكُونُ.

وَهَذَا مِنْ سَلْبِيَّاتِ مَذْهَبِ الْجَبْرِيَّةِ، وَمَذْهَبُ الْجَبْرِيَّةِ فَاشٍ فِي جَمَاهِيرِ الْأُمَّةِ مِنَ الْعَوَامِّ وَغَيْرِهِمْ، فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ جَبْرِيٌّ لَا يَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ، وَإِنَّمَا يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ الْجَبْرِيَّةِ، وَمَذْهَبَ الْإِرْجَاءِ، وَمَذْهَبَ الْخَوَارِجِ مَعًا!!

وَهَذِهِ تَوْلِيفَةٌ عَجِيبَةٌ جِدًّا!! يَعْجَبُ الْمَرْءُ كَيْفَ تَجْتَمِعُ فِي نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؟

فَكَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ جَبْرِيٌّ فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، مُرْجِئِيٌّ فِي بَابِ الْإِيمَانِ، وَخَارِجِيٌّ فِيهِ أَيْضًا.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا غَلَا سِعْرُ الْأُرْزِ -مَثَلًا- خَرَجُوا عَلَىٰ حُكَّامِهِمْ، فَيَتَّبِعُونَ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَوَامَّ إِذَا مَا غَلَا سِعْرُ الْأُرْزِ وَالزَّيْتِ وَالسُّكَّرِ قَالُوا: إِنَّ الْحَاكِمَ هُوَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، وَإِذَا وَفَّرَ لَهُمْ ذَلِكَ قَالُوا: هُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ. فَهُمْ جَبْرِيَّةٌ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، وَهُمْ مُرْجِئِيَّةٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ، فَإِذَا قُلْتَ لِلْوَاحِدِ مِنْهُمْ: صَلِّ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ. قَالَ: الْعِبْرَةُ بِالْقَلْبِ، مَا دَامَ الْقَلْبُ أَبْيَضَ وَنَظِيفًا فَلَا يُهِمُّ أَبَدًا هَذِهِ الْأُمُورُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَفُلَانٌ يُصَلِّي الْفَرْضَ وَيَنْقُبُ الْأَرْضَ، وَفُلَانٌ يَحُجُّ بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ، وَهُوَ لِصٌّ كَبِيرٌ!

*** مَا دَخْلُ هَذَا بِهَذَا؟**

أَنْتَ مَطْلُوبٌ مِنْكَ أَنْ تُصَلِّيَ أَنْتَ، وَلَا تَنْقُبَ الْأَرْضَ، وَمَطْلُوبٌ مِنْكَ أَنْ تَحُجَّ وَلَا تَنْهَبَ مَالَ الْآخَرِينَ، فَانْشَغِلْ بِنَفْسِكَ أَنْتَ!

وَلَكِنْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِالْأَعْمَالِ، وَيَعُودُونَ إِلَىٰ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ بِزَعْمِهِمْ وَلَوْ صَلَحَتْ قُلُوبُهُمْ لَصَلَحَتْ جَوَارِحُهُمْ، وَلَصَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ؛ لِأَنَّ التَّلَازُمَ بَيْنَ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ حَتْمٌ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ، لَوْ صَلَحَ الْقَلْبُ لَصَلَحَ سَائِرُ الْجَسَدِ، وَفَسَادُ

الْجَسَدِ وَالْجَوَارِحِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ فَسَادِ الْبَاطِنِ، فَالتَّلَازُمُ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ حَتْمٌ لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَتَغَافَلُونَ.

فَتَجِدُ الْعَوَامَّ خَوَارِجَ مَعَ الْحُكَّامِ، وَتَجِدُ الْعَوَامَّ مُرْجِئَةً فِي بَابِ الْإِيمَانِ، وَتَجِدُهُمْ جَبْرِيَّةً فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

فَمَهْمَا طَالَبْتَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ أَرْجَعَكَ إِلَىٰ عَقِيدَةِ الْجَبْرِيَّةِ، قَالَ: وَمَا نَفْعَلُ يَا صَاحِ؛ هَذِهِ أُمُورٌ مُقَدَّرَةٌ؟!

وَلَكِنْ كَمَا قَالَ عَبْدُ الْقَادِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فُتِحَ لِي فِي الْقَدَرِ رَوْزَنَةٌ، فَأَنَا أُدَافِعُ أَقْدَارَ اللهِ بِأَقْدَارِ اللهِ»، وَهُوَ مَا اسْتَمْلَحَهُ جِدًّا شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «**رِسَالَةِ الْعُبُودِيَّةِ**» لَهُ.

فَالْخَلَلُ الْوَاقِعُ فِي الْأُمَّةِ إِنَّمَا هُوَ فِي النِّهَايَةِ رَاجِعٌ إِلَىٰ الْخَلَلِ فِي الْمُعْتَقَدِ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ تَوَفَّرُوا عَلَىٰ بَيَانِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ لِجَمَاهِيرِ الْأُمَّةِ؛ فَاعْتَقَدَتْ دِينَ اللهِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَقَدَ، وَآمَنَتْ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ، وَأَخَذَتْ بِأَرْكَانِ الْإِيمَانِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ تُؤْخَذَ لَتَغَيَّرَ حَالُنَا تَمَامًا! وَلَخَرَجْنَا مِنَ الْمَذَلَّةِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْنَا بِسَبَبِ عَدَمِ رُجُوعِنَا إِلَىٰ دِينِنَا، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**».

إِذَنْ رَفْعُ الذُّلِّ، وَكَشْفُ الْمَذَلَّةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الدِّينِ.

فَعِنْدَنَا مَرْحَلَتَانِ:

الْأُولَىٰ: مَعْرِفَةُ الدِّينِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَصْفِيَةِ مَا لَدَيْنَا مِمَّا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَىٰ الدِّينِ حَتَّىٰ نَعْرِفَ الدِّينَ الْمَرْجُوعَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ، وَخَرَجَ بِهِ الْعَرَبُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَصَحِبُوا مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشَّتَاتِ وَالتَّخَلُّفِ وَالْبُعْدِ التَّامِّ عَنْ مَا كَانَ مِنْ مَدَنِيَّاتِ الدُّوَلِ الْقَوِيَّةِ الْكُبْرَىٰ فِي عَصْرِهِمْ، كَالْفُرْسِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ.

فَخَرَجُوا مِنَ الصَّحْرَاوَاتِ بِمَا مَعَهُمْ مِنْ أَدَوَاتِ الْجِهَادِ وَأَسْلِحَةِ الْقِتَالِ، فَدَانَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا الْقَدِيمَةُ، لَمَّا آمَنُوا بِاللهِ إِيمَانًا صَحِيحًا، وَتَبِعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مُتَابَعَةً حَقِيقِيَّةً أَعْلَىٰ اللهُ شَأْنَهُمْ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُمْ مَعَ أَخْذِهِمْ بِأَسْبَابِهِمْ. فَمَا تَوَانَوْا وَمَا قَصَّرُوا، وَإِنَّمَا بَذَلُوا الْمَجْهُودَ فَآتَاهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمَفْقُودَ، وَرَفَعَهُمْ فِي الْقِمَّةِ الَّتِي لَا تُدَانَىٰ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَكَانُوا عَلَىٰ رَأْسِ الْأُمَمِ فِي الدُّنْيَا الْقَدِيمَةِ، وَوَقَعَ مَعَهُمْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَحِمَ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ- مَا لَمْ يَقَعْ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ، فَلَمْ يَحْدُثْ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ قَطُّ فِي هَذِهِ السِّنِينَ الْقَلَائِلِ الَّتِي مَلَكُوا فِيهَا الدُّنْيَا أَنْ مَلَكَتْ أُمَّةٌ الدُّنْيَا عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ الزَّمَنِيَّةِ الْقَصِيرَةِ، وَالنَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَيَتْرُكُونَ لُغَاتِهِمْ لِلُغَةِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَلُغَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَأَمَّا الْيَوْمَ، فَالْمُسْلِمُونَ يَخْرُجُونَ مِنَ اللُّغَةِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ رُبَّمَا خَرَجَ مِنَ الدِّينِ مَبْهُورًا بِمَا عِنْدَ غَيْرِنَا مِمَّا لَا قِيمَةَ لَهُ مِمَّا غَزَوْنَا -هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ- بِهِ حَتَّىٰ فِي

مَخَادِعِنَا، فَتَغَيَّرَتْ أَفْكَارُنَا وَأَسَالِيبُنَا وَتَصَوُّرَاتُنَا وَأَنْمَاطُ حَيَاتِنَا، فَصِرْنَا لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ.

وَالتَّمَزُّقُ الْوَاقِعُ فِي النَّفْسِ الْمُسْلِمَةِ الْيَوْمَ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ هَذَا التَّنَازُعِ بَيْنَ الْمَوْرُوثِ وَالدِّينِ وَالْعَادَاتِ، وَمَا نُشِّئَ عَلَيْهِ الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَضْرِبُ بِجُذُورِهِ إِلَىٰ مَا يَزِيدُ عَلَىٰ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةِ سَنَةٍ، فَهَذَا لَا يُقْتَلَعُ مِنَ النَّفْسِ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي النَّسِيجِ النَّفْسِيِّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، فَيَقَعُ التَّنَازُعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الْوَارِدِ الطَّارِئِ عَلَيْهِ مِنَ الِانْحِلَالِ وَالْإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ وَالزَّيْغِ وَالضَّلَالِ وَالْفَسَادِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ الْمَلَذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ. فَيَقَعُ التَّمَزُّقُ النَّفْسِيُّ عِنْدَ التَّعَارُضِ بَيْنَ الْمَوْرُوثِ الثَّابِتِ مِنَ الدِّينِ وَالتَّقَالِيدِ وَالْعَادَاتِ وَالْفَضِيلَةِ، وَالطَّارِئِ مِنَ الرَّذِيلَةِ وَالْفُحْشِ الْخَبِيثِ، وَالْفَسَادِ الدَّنِيءِ، وَالِاسْتِهْتَارِ الْمَرِيضِ.

فَهَذَا التَّمَزُّقُ الَّذِي تُحِسُّهُ فِي نَفْسِكَ، وَالْقَلَقُ وَالِاضْطِرَابُ وَعَدَمُ الِاسْتِقْرَارِ سَبَبُهُ:

مَا يَقَعُ فِي سَاحَةِ نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَرُوحِكَ وَعَقْلِكَ وَفِكْرِكَ مِنَ التَّنَازُعِ، وَالْمَعْرَكَةُ الْقَائِمَةُ بَيْنَ قَدِيمِكَ وَالطَّارِئِ عَلَيْكَ، بَيْنَ دِينِكَ وَالْكُفْرِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَغْزُوَكَ، بَيْنَ قِيَمِكَ وَبَيْنَ هَذَا الِانْحِلَالِ الَّذِي يَهْجُمُ عَلَىٰ قِيَمِكَ. فَهَذِهِ الْمَعْرَكَةُ بِسَاحَتِهَا فِي قَلْبِكَ وَنَفْسِكَ وَرُوحِكَ وَفِكْرِكَ وَعَقْلِكَ هِيَ سَبَبُ قَلَقِكَ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تَحْسِمِ الْمَعْرَكَةَ بَعْدُ.

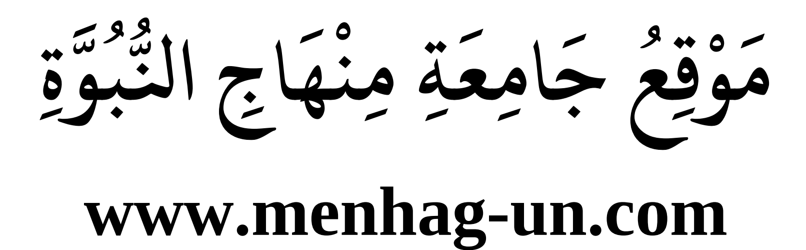
احْسِمْهَا يَا رَجُلُ!

وَاخْلُصْ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ، وَصِرْ إِلَىٰ مَاضِيكَ الَّذِي هُوَ حَاضِرُكَ وَمُسْتَقْبَلُكَ إِلَىٰ دِينِكَ فَتَمَسَّكْ بِهِ، وَلَنْ تَتَمَسَّكَ بِهِ حَتَّىٰ تَفْهَمَهُ، وَلَنْ تَفْهَمَهُ حَتَّىٰ تَتَعَلَّمَهُ.

فَتَعَلَّمْ يَا رَجُلُ! وَأَقْبِلْ عَلَىٰ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ؛ حَتَّىٰ يُصَحِّحَ اللهُ لَكَ حَيَاتَكَ وَفِكْرَكَ، وَيَرْفَعَ ذِكْرَكَ، وَيُعِزَّ أَمْرَكَ وَمَآلَكَ.

وَاللهُ ﷻ يَتَوَلَّانِي وَإِيَّاكُمْ؛ وَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.





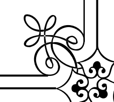
يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]




جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

فَإِنَّ النَّاظِمَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ، شَرَعَ فِي بَيَانِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَالَ:

وَلَا تُنْكِرَنْ -جَهْلًا- نَكِيرًا وَمُنْكَرًا ... وَلَا الْحَوْضَ، وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

وَقُلْ: يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ ... وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ

يَتَحَدَّثُ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ.

وَقَدْ مَرَّ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ بَعْضُ هَذِهِ الْأَرْكَانِ، وَالْأَرْكَانُ السِّتَّةُ أَرْكَانُ الْإِيمَانِ مُتَرَابِطَةٌ لَا يَنْفَكُّ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَالْإِيمَانُ بِبَعْضِهَا يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِبَعْضِهَا الْآخَرِ، وَالْكُفْرُ بِبَعْضِهَا كُفْرٌ بِسَائِرِهَا، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْكَانِ فِي نُصُوصِ الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى

ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالنَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ هُنَا يَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الْمَنْظُومَةَ مُخْتَصَرَةٌ، لَا مَجَالَ فِيهَا لِلْبَسْطِ وَالْإِطْنَابِ، فَإِنَّهُ أَشَارَ إِلَىٰ بَعْضِ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ مُنَبِّهًا بِذَلِكَ إِلَىٰ الْأُمُورِ الْأُخْرَىٰ الَّتِي لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ذِكْرِهَا مُرَاعَاةً لِلِاخْتِصَارِ.

وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ جُمْلَةٌ مِنْ أُمُورِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ذَكَرَ: مُنْكَرًا وَنَكِيرًا، وَالْحَوْضَ، وَالْمِيزَانَ، وَإِخْرَاجَ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ، وَالشَّفَاعَةَ، وَعَذَابَ الْقَبْرِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ضَابِطُهُ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَهَذَا مِنْ أَجْمَعِ مَا يَكُونُ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ لِشُمُولِهِ لِكُلِّ مَا يَكُونُ بِدَايَةً مِنْ دُخُولِ الْقَبْرِ إِلَىٰ افْتِرَاقِ النَّاسِ إِلَىٰ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّهَا أَمَارَاتٌ، وَعَلَامَاتٌ عَلَىٰ قُرْبِهَا وَدُنُوِّ مَجِيئِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾ [محمد: ١٨].

وَفِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ «**قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ! قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاةِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

فَالسَّاعَةُ لَهَا عَلَامَاتٌ:

عَلَامَاتٌ كُبْرَىٰ: تَكُونُ عِنْدَ قُرْبِ قِيَامِهَا.

وَلَهَا عَلَامَاتٌ صُغْرَىٰ: تَكُونُ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَالْإِيمَانُ بِهَذِهِ الْعَلَامَاتِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، ثُمَّ الْإِيمَانُ بِالْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَأَنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ -كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ-: «**عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ**»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ.

● ● ●

إِثْبَاتُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا تُنْكِرَنْ: (لَا) نَاهِيَةٌ.

تُنْكِرَنْ: مِنَ الْإِنْكَارِ وَهُوَ الْجَحْدُ، وَعَدَمُ الْإِثْبَاتِ.

جَهْلًا: مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ.

أَيْ: لَا تُنْكِرْ وُجُودَهُمَا -يَعْنِي: مُنْكَرًا وَنَكِيرًا-؛ لِأَجْلِ جَهْلِكَ، وَبِسَبَبِ قِلَّةِ عِلْمِكَ.

وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا: هَذَانِ مَلَكَانِ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ، زُرْقُ الْعُيُونِ، سُودُ الْوُجُوهِ؛ كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ، أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمُ: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟**

فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ! فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي، فَأُخْبِرُهُمْ. فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ

يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ. فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ». الْحَدِيثُ -كَمَا مَرَّ- رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

سَبَبُ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَأْتِيَانِ عَلَىٰ صُورَةٍ مُنْكَرَةٍ، لَمْ يَعْهَدْهَا الْإِنْسَانُ، وَلَيْسَ فِيهَا أُنْسٌ لِلنَّاظِرِينَ، وَيُسَمَّيَانِ -يَعْنِي: مُنْكَرًا وَنَكِيرًا- يُسَمَّيَانِ: الْفَتَّانَانِ؛ لِأَنَّهُمَا يَفْتِنَانِ النَّاسَ فِي قُبُورِهِمْ.

فَالْإِيمَانُ بِالْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَقَدْ سَأَلَ رَجُلٌ الْإِمَامَ أَحْمَدَ: هَلْ نَقُولُ الْمُنْكَرُ وَالنَّكِيرُ، أَوْ نَقُولُ الْمَلَكَانِ؟

قَالَ: الْمُنْكَرُ وَالنَّكِيرُ، هَكَذَا هُوَ.

يَعْنِي فِي الْحَدِيثِ؛ فَالْحَدِيثُ صَحَّ فِيهِ ذِكْرُ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ الَّذِينَ يُحَكِّمُونَ عُقُولَهُمْ فِي الشَّرْعِ يَرُدُّونَ هَذَا، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ: لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ عَنْ بَعْضِ مَلَائِكَةِ اللهِ إِنَّهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، فَأَنْكَرُوا هَذَا بِالْعَقْلِ، وَهَذَا مِنْ غَلَبَةِ الْجَهْلِ، وَقِلَّةِ الْعِلْمِ مِنْ هَؤُلَاءِ بِالشَّرْعِ؛ لِذَا قَالَ النَّاظِمُ: جَهْلًا، وَلَا تُنْكِرَنْ جَهْلًا، أَيْ: لَا تُنْكِرَنْ يَا صَاحِبَ السُّنَّةِ بِسَبَبِ الْجَهْلِ هَذَا الْأَمْرَ، وَهَذَا إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَىٰ أَنَّهُ لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا إِلَّا الْجَاهِلُ، أَمَّا الْعَالِمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّهُ يُؤْمِنُ بِهِ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ -وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ كَلَامٍ- فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ عِلْمٍ؛ لِذَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ جَهْلٌ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلَامِ عِلْمٌ؛ فَالْعِلْمُ قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ ﷺ، قَالَ الصَّحَابَةُ، فَالْمُتَكَلِّمُ -وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ وَمَنْطِقٍ وَجَدَلٍ- فَإِنَّهُ جَاهِلٌ لَا عِلْمَ لَهُ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَيْنِ الْمَلَكَيْنِ يَأْتِيَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ وَيُجْلِسَانِهِ وَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟

وَلِذَا مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ نَشْرُ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَعْلِيمُهُمْ إِيَّاهَا؛ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ فِي قَبْرِهِ؛ لِذَا كَانَ مِنْ نَصِيحَةِ الْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ رَحِمَهُ اللهُ لِلْأُمَّةِ أَنْ أَلَّفَ رِسَالَتَهُ الْجَلِيلَةَ «الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ وَأَدِلَّتَهَا».

وَفِي ضَوْءِ جَوَابِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَسْئِلَةِ، وَتَثْبِيتِ اللهِ لَهُ مِنْ عَدَمِ تَثْبِيتِهِ يَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قِسْمَيْنِ:

قِسْمٌ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ.

وَقِسْمٌ يُنَعَّمُونَ.



إِثْبَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ

وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

فَهُمُ الْآنَ يُعَذَّبُونَ فِي الْقَبْرِ يَوْمِيًّا إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهَذَا حَالُ كُلِّ كَافِرٍ بِاللهِ، أَمَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِمَّنْ هُمْ عُصَاةٌ، وَأَهْلُ كَبَائِرَ لَيْسَ تَعْذِيبُهُمْ فِي الْقَبْرِ كَتَعْذِيبِ الْكَافِرِ، وَإِنَّمَا يُعَذَّبُونَ عَلَىٰ قَدْرِ كَبَائِرِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ. وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ: فَإِنَّهُ مُنَعَّمٌ فِي قَبْرِهِ.

وَلَا يَجُوزُ إِنْكَارُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ بِالْعَقْلِ، وَلَا الْمَنْطِقِ، وَلَا التَّجَارِبِ، خَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِتَجَارِبِ الْمَلَاحِدَةِ حَيْثُ قَالُوا: حَفَرْنَا الْقُبُورَ، فَلَمْ نَجِدْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَمْ نَرَ عَذَابًا وَلَا نَعِيمًا!!

وَلَٰكِنْ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ فِي صِفَةِ الْمُتَّقِينَ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢- ٣]. أَيْ: يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ مَا غَابَ عَنْهُمْ مِمَّا أَخْبَرَتْهُمْ بِهِ رُسُلُ اللهِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ بَدَأَ كَلَامَهُ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ بِالْكَلَامِ عَنِ الْمَلَكَيْنِ: مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ؛ إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّ الْقَبْرَ، وَمَا فِيهِ هُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَأَنَّ مَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ.

◉ ◉ ◉

الْإِيمَانُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ

وَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِهَذَا، وَبِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَهُ، فَنُؤْمِنُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَهُوَ قَرْنٌ يَنْفُخُ فِيهِ الَّذِي وُكِّلَ بِهِ وَهُوَ إِسْرَافِيلُ، وَالنَّفَخَاتُ ثَلَاثٌ: نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَنَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَنَفْخَةُ الْقِيَامِ، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ جَعَلَهَا نَفْخَتَيْنِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا ثَلَاثٌ، وَكُلُّهَا ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

فَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةُ الْأُولَىٰ: فَيَفْزَعُ النَّاسُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ: فَيُصْعَقُونَ، ثُمَّ يُنْفَخُ: فَيَقُومُونَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ بَيْنَهُمَا أَرْبَعِينَ، وَلَا يُدْرَىٰ عَنِ الْأَرْبَعِينَ مَا هِيَ؟

جَاءَ فِي وَصْفِ قِيَامِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَقُومُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا.



الْإِيمَانُ بِالْحَشْرِ

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالْحَشْرِ -يَعْنِي حَشْرَ النَّاسِ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا-، وَيُحْشَرُونَ كُلُّهُمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ، يُجْمَعُونَ عَلَىٰ صَعِيدٍ وَاحِدٍ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِدُنُوِّ الشَّمْسِ مِنَ الْخَلَائِقِ، وَتَفَاوُتِ النَّاسِ فِي الْعَرَقِ، وَمَنْ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، وَمَنْ لَا يُظِلُّهُمْ.

وَكَذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِالدَّوَاوِينِ، وَمَجِيءِ الرَّبِّ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَالْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ، وَكُلِّ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَفِي ذِكْرِ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ، وَتَحْذِيرِهِ مِنْ إِنْكَارِ وُجُودِهِمَا، وَإِنْكَارِ مَا يَقُومَانِ بِهِ مِنْ مَهَامَّ بِأَمْرِ اللهِ الْعَلِيِّ الْعَلَّامِ، وَهُمَا مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ- فِي ذِكْرِ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ عُمُومًا، وَبِأَسْمَائِهِمْ، وَوَظَائِفِهِمْ، وَأَوْصَافِهِمْ، وَأَعْدَادِهِمُ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِجْمَالًا فِيمَا أُجْمِلَ، وَتَفْصِيلًا فِيمَا فُصِّلَ.

بَلِ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَأَصْلٌ مِنْ أُصُولِهِ الْعِظَامِ.

فَيَنْهَىٰ عَنْ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ، وَكَذَا يَنْهَىٰ عَنْ إِنْكَارِ الْحَوْضِ، وَالْمِيزَانِ؛ لَا تُنْكِرَنْ جَهْلًا الْحَوْضَ الْمَوْرُودَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ وَلِأُمَّتِهِ.

⦿⦿⦿

الْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ

وَجَاءَ فِي وَصْفِ هَذَا الْحَوْضِ فِي السُّنَّةِ: «**أَنَّ طُولَهُ شَهْرٌ، وَعَرْضَهُ شَهْرٌ، وَمَاءَهُ أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَنَّ عَدَدَ كِيزَانِهِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا**»، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

أَحَادِيثُ الْحَوْضِ مُتَوَاتِرَةٌ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ السُّيُوطِيُّ وَغَيْرُهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مَرْوِيٌّ عَنْ خَمْسِينَ صَحَابِيًّا، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ**». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ ذَكَرَ ﷺ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُذَادُ -أَيْ: يُدْفَعُ- عَنْ هَذَا الْحَوْضِ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَصْحَابِي! أَصْحَابِي! فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَىٰ مَنِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَمَاتَ مُرْتَدًّا.

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَحْمِلَ الرَّوَافِضُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ أَنَّهُمْ، وَمَنْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِمْ، هُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ -يَعْنِي الرَّوَافِضَ-؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يُغَيِّرُوا، وَلَمْ يُحْدِثُوا بَعْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وَأَمَّا الَّذِينَ بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا فَهُمُ الرَّوَافِضُ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ حَرَّفُوا الْقُرْآنَ؛ زَادُوا فِيهِ وَنَقَصُوا فِيمَا اخْتَرَعُوهُ هُمْ، وَأَمَّا كَلَامُ اللهِ فَلَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَلَا يُحَرَّفُ، فَهُمْ رَمَوُا الصَّحَابَةَ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ!

وَالشَّاهِدُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ وَاجِبٌ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا جَاهِلٌ.

◉ ◉ ◉

الْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ؛ فَإِنَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانَ بِالْمِيزَانِ الَّذِي يُنْصَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فَتُوضَعُ الْأَعْمَالُ وَالدَّوَاوِينُ وَالْأَشْخَاصُ فِي تِلْكَ الْمَوَازِينِ؛ لِأَنَّ الْوَزْنَ كَمَا قَدَّرَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَكُونُ لِلْأَعْمَالِ، يَكُونُ لِلصُّحُفِ، يَكُونُ لِلْأَشْخَاصِ.

وَهُوَ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ، لَهُ كِفَّتَانِ، يُوضَعُ عَلَىٰ كِفَّةٍ الْحَسَنَاتُ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ كِفَّةٍ السَّيِّئَاتُ، وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْبِطَاقَةِ، وَالشَّاهِدُ فِيهِ ذِكْرُ كِفَّتَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «**فَتُوضَعُ الْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، وَالسِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ**»، وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: «**لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ**»، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ذَكَرَهُ أَبُو الشَّيْخِ مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ، وَيُرْوَىٰ أَيْضًا عَنِ الْحَسَنِ، وَلَمْ يَأْتِ ذِكْرُ اللِّسَانِ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أَحَادِيثُ الْمِيزَانِ مُتَوَاتِرَةٌ، وَالْقُرْآنُ مَلِيءٌ بِالْآيَاتِ عَنِ الْمِيزَانِ، وَهِيَ مَوَازِينُ تَزِنُ مَثَاقِيلَ الذَّرِّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْضَ الْأُمُورِ مِنْ مُشْتَمَلَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا لَمْ يَذْكُرْهُ فَإِنَّهُ لَمْ يُهْمِلْهُ، وَإِنَّمَا هُوَ الْتَزَمَ الْإِيجَازَ وَالِاخْتِصَارَ فِي الْمَنْظُومَةِ، وَمَا يُذْكَرُ يَدُلُّ عَلَىٰ مَا لَمْ يُذْكَرْ.

وَلَا تُنْكِرَنْ -جَهْلًا- نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ، وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

فَذَكَرَ الْمُنْكَرَ وَالنَّكِيرَ، وَكَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ مَا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يُفْتَنَ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ ذَكَرَ نَعِيمَ الْقَبْرِ وَعَذَابَهُ فِي آخِرِ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي مَرَّتْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخِلَافَ وَقَعَ فِيهَا، وَتَكَلَّمَ الْمُعْتَزِلَةُ بِكَلَامِ سُوءٍ، وَأَنْكَرُوا وَأَتَوْا بِمَا لَمْ يُعْهَدْ عِنْدَ السَّلَفِ لَا فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ.

وَذَكَرَ الْحَوْضَ، وَالْحَوْضُ مِنْ: حَاضَ الْمَاءَ أَيْ: جَمَعَهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ تَكَلَّمَ عَنِ الْحَوْضِ. أَحَادِيثُ الْحَوْضِ مُتَوَاتِرَةٌ كَمَا مَرَّ، وَحَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ قَاضٍ بِأَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا مَرَّ.

وَذَكَرَ الْمِيزَانَ مِنْ: وَزَنَ، وَالْوَزْنُ مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشَّيْءِ بِالْعَدْلِ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

إِنَّكَ تُنْصَحُ: أَيْ: تُرْشَدُ وَتُوَجَّهُ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ؛ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، وَهَذَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ -أَيْضًا- مِنَ الْأُمُورِ السُّلُوكِيَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خَائِفًا وَجِلًا.

كَثِيرًا مَا تَجِدُ النَّاسَ يَدْعُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْمَوْتِ، وَكَأَنَّهُمْ سَيَتَخَلَّصُونَ مِنْ مَتَاعِبِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا يَدْرِي الْوَاحِدُ مِنْهُمْ:

هَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟

وَهَلْ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ أَوْ يُنَعَّمُ؟

وَهَلْ يَثْبُتُ عِنْدَ الْفِتْنَةِ فِي الْقَبْرِ أَوْ لَا يَثْبُتُ؟!!

فَنَسْأَلُ اللهَ الثَّبَاتَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ لِلْعَمَلِ لِهَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ، وَأَنْ يُعِدَّ الْجَوَابَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْذُ كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامٍ فِيهِ حَسَنَاتٌ، وَفِيهِ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، لَا أَنْ يَكُونَ أَخْذُ كِتَابِهِ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَفِيهِ مَا يُدِينُهُ!

وَلَمْ يَظْلِمْهُ أَحَدٌ!

لَمْ يَظْلِمْهُ الْكَتَبَةُ الْحَفَظَةُ.. لَمْ يَظْلِمْهُ الْمَلَائِكَةُ، بَلْ يَشْهَدُ هُوَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِمَا قَدَّمَ، وَمَا عَمِلَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمِيزَانَ يُوزَنُ فِيهِ مَا قَدَّمَ، وَمَا أَخَّرَ حَتَّىٰ مَثَاقِيلُ الذَّرِّ، فَلَنْ يُفْلِتَ شَيْءٌ، وَسَيُقَامُ الْعَدْلُ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَامَ، وَيُعْطَىٰ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا دِرْهَمَ وَلَا دِينَارَ، وَإِنَّمَا الْحِسَابُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، مَنْ ظَلَمَ أُخِذَ مِنْ

حَسَنَاتِهِ لِلْمَظْلُومِ، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُ الظَّالِمِ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ، فَطُرِحَ عَلَىٰ الظَّالِمِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.

فَالْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ التَّفْصِيلِيِّ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُحَاسَبُ هَذَا الْحِسَابَ الْعَسِيرَ، فَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ رَبَّهُ، وَأَنْ لَا يُوَرِّطَ نَفْسَهُ.

الْحَوْضُ أَنْكَرَهُ مَنْ أَنْكَرَهُ، وَأَثْبَتَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ.

الْحَوْضُ مَصَبُّ نَهْرِ الْكَوْثَرِ الَّذِي وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَاءُ الْحَوْضِ مِنْهُ هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، حَافَتَاهُ مِنَ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ وَالذَّهَبِ، وَمَجْرَاهُ -مَجْرَىٰ الْكَوْثَرِ فِي الْجَنَّةِ- عَلَىٰ الْيَاقُوتِ وَالدُّرِّ، طِينَتُهُ مِسْكٌ أَزْفَرُ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ.

الْحَوْضُ مَصَبُّ الْكَوْثَرِ، وَيَرِدُ عَلَيْهِ الْخَلْقُ؛ لِيَشْرَبُوا، مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَبُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِدُ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ بَعْدَ طُولِ الظَّمَأِ كَمَا مَرَّ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَتَىٰ يَوْمًا الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**». قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا**

بَعْدُ». فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ -يَعْنِي: وَأَنْتَ لَمْ تَرَهُمْ- قَالَ: «**أَرَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**». قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ -أَيْ: سَابِقُهُمْ- عَلَىٰ الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ -لَيُدْفَعَنَّ وَيُطْرَدَنَّ- رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ -أَقْبِلُوا-، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ حَوْضِهِ وَأُمَّتُهُ تَرِدُ عَلَيْهِ، يَعْرِفُ أَصْحَابَهُ؛ لِأَنَّهُمْ صَحْبُهُ، وَيَعْرِفُ إِخْوَانَهُ، يَعْنِي الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَلَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يَرَهُمْ بِعَلَامَةٍ تُمَيِّزُهُمْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: بِالْبَيَاضِ الَّذِي يَكُونُ فِي وُجُوهِهِمْ من أَثَرِ الْوُضُوءِ، وَكَذَلِكَ بِالتَّحْجِيلِ، يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ، وَالتَّحْجِيلُ: يَكُونُ فِي أَقْدَامِ الْفَرَسِ مِنْ بَيَاضٍ يَتْبَعُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا هُوَ لَوْنُهُ، فَكَذَلِكَ يَأْتِي الْمُتَوَضِّئُ الْمُصَلِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَغَرَّ مُحَجَّلًا، وَيَعْرِفُهُ الرَّسُولُ ﷺ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ بَدَّلَ، فَإِنَّهُ يُسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يَشْرَبَ مِنَ الْحَوْضِ.

وَالَّذِي يَشْرَبُ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَكَمَا مَرَّ مَاءُ الْحَوْضِ مِنَ الْجَنَّةِ؛ وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ هُوَ بَعْدَ الصِّرَاطِ أَوْ هُوَ قَبْلَ الصِّرَاطِ؟

فَالَّذِينَ قَالُوا هُوَ قَبْلَ الصِّرَاطِ اعْتُرِضَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ قَدْ لَا يَجُوزُ الصِّرَاطَ وَلَا يَعْبُرُهُ قَدْ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ بَعْدَ أَنْ شَرِبَ مِنَ الْحَوْضِ فَكَيْفَ؟

قَالُوا: إِذَا عُذِّبَ فِي النَّارِ يُعَذَّبُ بِغَيْرِ الْعَطَشِ.

وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا: إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الصِّرَاطِ، فَيَشْرَبُ مِنْهُ الَّذِينَ سَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ أَيْضًا الْمِيزَانَ، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ سَيُوزَنُ بِنَفْسِهِ، بِجَسَدِهِ، يُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ؟!**».

فَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْعَامِلَ يُوزَنُ، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّ الْأَعْمَالَ هِيَ الَّتِي تُوزَنُ، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّ الصُّحُفَ تُوزَنُ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبِطَاقَةِ، وَأَمَّا أَنَّ الْأَعْمَالَ تُوزَنُ مِنْ غَيْرِ صُحُفٍ، فَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»، وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**».

دَلَّتِ الْأَحَادِيثُ كَمَا دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَىٰ أَنَّ مَا يُوزَنُ فِي الْمِيزَانِ:

الْأَعْمَالُ: كَمَا فِي حَدِيثِ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ**».

الْأَشْخَاصُ: كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَكَذَا فِي حَدِيثِ الرَّجُلِ السَّمِينِ.

وَالصُّحُفُ: كَمَا فِي حَدِيثِ صَاحِبِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ سِجِلًّا.

لِذَلِكَ قَالَ أَبُو زُرْعَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ -رَحِمَهُمَا اللهُ-: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا، وَعِرَاقًا، وَشَامًا، وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ: وَالصِّرَاطُ حَقٌّ، وَالْمِيزَانُ حَقٌّ، لَهُ كِفَّتَانِ تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ.

فَلَا تُنْكِرَنْ -جَهْلًا- نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ، وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

يَنْصَحُكَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِالَّذِي فِيهِ سَعَادَتُكَ وَنَجَاتُكَ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ رَحِمَهُ اللهُ -كَمَا مَرَّ- فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ لَا يَنْضَبِطُ أَمْرُ الْعَالَمِ إِلَّا بِهِ، لَا تَصْلُحُ هَذِهِ الْحَيَاةُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي هَذَا الْوُجُودِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ؛ لِأَنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِالْجَزَاءِ يَكُونُ مُتَّسِقًا مَعَ إِنْكَارِهِ، وَعَدَمِ إِيمَانِهِ فِي أَنْ يَرْتَعَ فِي الْمَلَذَّاتِ؛ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ إِذَا مَاتَ فَلَنْ يَحْدُثَ بَعْدَ الْمَوْتِ شَيْءٌ، وَلَنْ يُحَاسَبَ عَلَىٰ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يُبْعَثَ.

لَوْ أَنَّ النَّاسَ آمَنُوا بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْبَاطِلَةِ، وَهِيَ عَدَمُ الْبَعْثِ، وَعَدَمُ الْجَزَاءِ مَا اسْتَقَامَ لِأَحَدٍ فِي الدُّنْيَا أَمْرٌ، وَنَحْنُ نَرَىٰ كَثِيرًا مِنَ الْمَظَالِمِ لَا يُفْصَلُ فِيهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فَالنَّاسُ قَدْ يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَتَقَعُ الْمَظَالِمُ وَلَا تَنْتَهِي، وَلَا يُفْصَلُ فِيهَا، فَهَؤُلَاءِ الْمَظْلُومُونَ إِذَا لَمْ يَأْخُذُوا حَقَّهُمْ بَعْدُ فَإِنَّهُمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقِيمَ لَهُمْ حَيَاةٌ، وَرُبَّمَا تَحَوَّلُوا إِلَىٰ مُنْتَقِمِينَ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا مِتْنَا فَلَا بَعْثَ وَلَا حِسَابَ وَلَا جَزَاءَ؛ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ بِيَدِهِ.

وَالظَّالِمُ -أَيْضًا- يَرْتَعُ فِي الظُّلْمِ، فَلَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُ الْخَلْقِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ، فَتَسْتَقِيمُ أُمُورُ الْحَيَاةِ.

وَلَقَدْ هَدَّدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَالْعُصَاةَ بِأَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَيُحَاسَبُونَ وَيُجَازَوْنَ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْبَعْثَ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَأَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ، وَهَذِهِ حِكْمَةُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، وَمِنَ الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ لِلْبَعْثِ لِلْحَشْرِ، وَالْوُقُوفِ فِي الْمَحْشَرِ، وَمَا يَجْرِي بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِذَلِكَ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، فَالْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ -الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ- هُوَ أَوَّلُ مَا ذَكَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ كَمَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢- ٣].

قَبْلَ أَنْ يَذْكُرَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ الدِّينُ أَكْثَرُهُ غَيْبٌ، وَأَنْتَ إِذَا آمَنْتَ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَآمَنْتَ بِالرَّسُولِ ﷺ فَأَنْتَ تُصَدِّقُ مَا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ، فَإِذَا رَاجَعَ الْإِنْسَانُ مَا أُخْبِرَ بِهِ مِنْ قِبَلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ فَهُوَ يُرَاجِعُ إِيمَانَ الْقِمَّةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا آمَنَ بِاللهِ رَبًّا عَلِيمًا حَكِيمًا، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ الرَّسُولَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ، فَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَهُ، فَإِذَا كَذَّبَ الرَّسُولَ كَأَنَّهُ يُكَذِّبُ الْمُرْسِلَ تَمَامًا.

فِي مَسْأَلَةِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ إِذَا أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَإِذَا عَصَىٰ الرَّسُولَ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَأْمُرُ وَيَنْهَىٰ؛ فَالْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ مُهِمٌّ جِدًّا.

وَنَحْنُ: اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِالنِّسْبَةِ لَنَا غَيْبٌ، لَمْ تَرَهُ الْأَعْيُنُ، بَلِ الرَّسُولُ ﷺ بِالنِّسْبَةِ لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ لَمْ يُعَاصِرُوهُ وَلَمْ يَصْحَبُوهُ، وَلَمْ يَرَوْهُ هُوَ غَيْبٌ بِالنِّسْبَةِ لَنَا.

فَمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَهُ، وَإِلَّا كُنَّا غَيْرَ شَاهِدِينَ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ: أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: أَنْ تُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَنْ تُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَأَنْ تَنْتَهِيَ عَنْ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَلَّا تَعْبُدَ اللهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

هَذَا مَعْنَىٰ أَنْ تَقُولَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

مَعْنَاهَا: أَنْ تُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَنْ تُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَأَنْ تَكُفَّ وَتَنْتَهِيَ عَنْ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَنْ تَعْبُدَ اللهَ تَعَالَىٰ بِمَا شَرَعَ، وَأَلَّا تَعْبُدَ اللهَ بِالْبِدَعِ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ شَاهِدًا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

فَأَوَّلُ شَيْءٍ: أَنْ تُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ ﷺ؛ لِذَلِكَ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الصِّفَةَ الْعَظِيمَةَ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ، أَوَّلَ مَا ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِهِمْ فِي صَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَبَدَأَبِالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ.

وَإِنْكَارُ الْبَعْثِ يَلْزَمُ مِنْهُ إِنْكَارُ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَإِنْكَارُ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنْكَارُ كُلِّ مَا لَا يَقَعُ تَحْتَ الْمُشَاهَدَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّكَ إِنْ أَنْكَرْتَ الْبَعْثَ،

وَهُوَ غَيْبٌ أُخْبِرْتَ بِهِ؛ فَحِينَئِذٍ يَجْتَرِئُ عَلَىٰ أَنْ يُنْكِرَ الْمَلَائِكَةُ، وَهُمْ غَيْبٌ، وَأَنْ يُنْكَرَ كُلُّ مَا لَا يَقَعُ تَحْتَ الْمُشَاهَدَةِ بِالْعَيْنِ الْبَاصِرَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، هَذَا قَوْلُ الْمَلَاحِدَةِ، وَقَوْلُ الدَّهْرِيَّةِ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْغَيْبِ.

وَالْإِنْسَانُ يَسْتَدِلُّ عَلَىٰ الْأُمُورِ بِشَوَاهِدَ وَقَرَائِنَ وَبَرَاهِينَ؛ يَعْنِي: الْإِنْسَانُ لَمْ يَرَ مُخَّهُ، وَلَمْ يَرَ عَقْلَهُ، وَلَكِنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ مُخًّا، وَيُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ عَقْلًا، هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ عَقْلَهُ؟

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَوْ نَفَيْتَ الْعَقْلَ عَنْ أَحَدٍ لَقَاتَلَكَ، وَلَم يَقْبَلْ مِنْكَ، وَهُوَ مُوقِنٌ يَقِينًا جَازِمًا بِأَنَّ لَهُ عَقْلًا، فَإِذَا قُلْتَ هَلْ رَأَيْتَهُ؟

فَيَقُولُ: لَا.

فَلِمَ تُؤْمِنُ بِأَنَّ لِلْأَبْعَدِ عَقْلًا؟

يُسْتَدَلُّ بِأَحْوَالِهِ هُوَ، وَتَصَرُّفَاتِهِ عَلَىٰ أَنَّهُ عَاقِلٌ، وَأَنَّهُ ذُو عَقْلٍ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، فَالْإِنْسَانُ نَفْسُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ مَا بِدَاخِلِهِ، وَلَا أَنْ يُحَقِّقَهُ، هَلْ فِينَا أَحَدٌ لَا يُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ رُوحًا؟

كُلُّنَا يُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ رُوحًا، وَهَذِهِ الرُّوحُ مَادِّيَّةٌ يَعْنِي: لَيْسَتْ شَيْئًا مَعْنَوِيًّا، الرُّوحُ مَادِّيَّةٌ بِدَلِيلِ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، وَقَدْ شُقَّ بَصَرُهُ، أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا خَرَجَتْ تَبِعَهَا الْبَصَرُ.

إِذَنِ: الْبَصَرُ وَرَاءَ الرُّوحِ إِذَا مَا خَرَجَتْ مِنَ الْإِنْسَانِ تَبِعَهَا الْبَصَرُ، فَهِيَ شَيْءٌ مَادِّيٌّ؛ هَلْ تَعْرِفُهُ، وَبِهِ حَيَاتُكَ؟! هَلْ تُدْرِكُهُ؟ هَلْ تَصِفُهُ؟ هَلْ لَمَسْتَهُ؟ أَبْصَرْتَهُ؟ شَمَمْتَهُ، وَهُوَ فِيكَ وَأَنْتَ تَجْزِمُ أَنَّهُ فِيكَ بِأَنَّ لَكَ رُوحًا؟!!

فَالْأَمْرُ يَسِيرٌ وَقَرِيبٌ، وَلَكِنْ عَلَىٰ مَنْ ثَبَّتَ اللهُ ﷻ إِيمَانَهُ وَيَقِينَهُ، وَالنَّاسُ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ مُقْتَضَىٰ الْعَقْلِ فِي الْإِيمَانِ حَتَّىٰ بِالْغَيْبِ، وَلَكِنْ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ التَّفْصِيلِ، وَإِلَّا مَا كَانَ غَيْبًا، وَهَذَا مِنَ الِاخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ وَالْفِتْنَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ يَخْتَبِرُكَ.. يُخْبِرُكَ وَيَنْظُرُ تَصْدِيقَكَ، وَالْمُؤْمِنُ إِذَا جَاءَهُ الْخَبَرُ قَالَ: آمَنْتُ وَصَدَّقْتُ، وَإِذَا جَاءَهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ قَالَ: سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ.

فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ: أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَسُوِّيَ عَلَيْهِ التُّرَابُ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ النَّاسُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، يُجْلِسَانِهِ وَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟

***

الرَّدُّ عَلَى مُنْكِرِي عَذَابِ الْقَبْرِ

بَعْضُ النَّاسِ -كَمَا مَرَّ- مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْمَلَاحِدَةِ قَالُوا: إِنَّنَا إِذَا مَا كَشَفْنَا عَنْ حَالِ الْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ لَمْ نَجِدْ فِيهِ تَغَيُّرًا، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ بِالنَّعِيمِ وَالْعَذَابِ، وَتَقُولُونَ بِالسُّؤَالِ وَالْإِقْعَادِ.

حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: نَضَعُ الزِّئْبَقَ عَلَىٰ صَدْرِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ نَأْتِي بَعْدَ يَوْمٍ -مَثَلًا- لِنَكْشِفَ عَنْ هَذَا الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ، فَسَنَجِدُ الزِّئْبَقَ عَلَىٰ حَالِهِ، وَلَوْ تَحَرَّكَ لَوَقَعَ هَذَا الزِّئْبَقُ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ كُرَاتٍ مَعْرُوفَةً، وَحَرَكَتُهَا سَرِيعَةٌ، وَهِيَ قَابِلَةٌ لِلْحَرَكَةِ بِأَدْنَىٰ تَأْثِيرٍ، فَأَدْنَىٰ مُؤَثِّرٍ يُحَرِّكُ فِي كُرَاتِ الزِّئْبَقِ هَذِهِ عَنْ مَوَاضِعِهَا، فَلَوْ تَحَرَّكَ حَرَكَةً يَسِيرَةً، وَقَدْ وُضِعَ الزِّئْبَقُ عَلَىٰ صَدْرِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ هَذَا الزِّئْبَقُ جَمِيعُهُ عَنْ صَدْرِهِ.

جَاءَهُ الْمَلَكَانِ أَقْعَدَاهُ، وَسَأَلَاهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَا تَقُولُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكَ؟ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

يَقُولُونَ: نَفْتَحُ وَنَنْظُرُ، وَنَجِدُ الْأَمْرَ عَلَىٰ حَالِهِ هُنَا.

أَوَّلًا: مَرَّتْ بِهِمْ أُمُورٌ -كَمَا ذُكِرَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ- بِمَرْحَلَةِ الْوُجُودِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأَرْحَامِ عِنْدَمَا كَانُوا أَجِنَّةً فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ، هَؤُلَاءِ مَرُّوا بِالْمَرْحَلَةِ الْجَنِينِيَّةِ،

وَكَانَ لَهَا قَانُونٌ فِي الْغِذَاءِ وَالْإِخْرَاجِ، وَفِي التَّنَفُّسِ وَفِي الْحَرَكَةِ، بَلْ فِي الْهَيْئَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْجَنِينُ فِي الرَّحِمِ مُنْطَوِيًا عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ حَتَّىٰ لَا تُؤَثِّرَ فِيهِ الصَّدَمَاتُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهَا بَطْنُ الْأُمِّ، بَلْ إِنَّهُ يَكُونُ مِنْ حَوْلِهِ السَّائِلُ (الْأَمِينْيُوسِيُّ) فِي غِشَاءٍ أَمِينْيُوسِيٍّ يَكُونُ كَالْوِسَادَةِ، سَائِلًا، وَالسَّائِلُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَصَّ الصَّدَمَاتِ، فَإِذَا مَا وَقَعَ أَيُّ شَيْءٍ لِبَطْنِ الْأُمِّ، فَإِنَّ هَذَا السَّائِلَ يَمْنَعُ تَأَثُّرَ الْجَنِينِ مُبَاشَرَةً بِمَا وَقَعَ مِنَ الِاصْطِدَامِ -مَثَلًا- بَيْنَ بَطْنِ الْأُمِّ، وَمَا اصْطَدَمَتْ بِهِ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ رِعَايَةِ اللهِ لِهَذَا الْإِنْسَانِ، ثُمَّ يَخْرُجُ، وَيُقْطَعُ الْحَبْلُ السُّرِّيُّ، وَعَنْ طَرِيقِهِ كَانَ التَّنَفُّسُ، وَكَانَتِ التَّغْذِيَةُ، وَكَانَ الْإِخْرَاجُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَظَائِفِ، وَيَبْدَأُ هُوَ فِي التَّنَفُّسِ، وَيَبْدَأُ فِي الْأَكْلِ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُعْتَادِ، وَكَذَلِكَ الْإِخْرَاجُ.

الْمَرْحَلَةُ هَذِهِ مَرَّ بِهَا كُلُّ إِنْسَانٍ، مَرَّ بِهَذِهِ الْمَرْحَلَةِ كُلُّ إِنْسَانٍ، كَانَ جَنِينًا فِي الرَّحِمِ سِوَىٰ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَأَمَّا سَائِرُ الْخَلْقِ حَتَّىٰ عِيسَىٰ، فَالْجَمِيعُ مَرَّ بِالْمَرْحَلَةِ الْجَنِينِيَّةِ، هَلِ الَّذِي يُنْكِرُ مَا يَكُونُ فِي الْبَرْزَخِ، وَهُوَ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَ اللهُ السَّاعَةَ، هَلِ الَّذِي يُنْكِرُ هَذَا الَّذِي يَقَعُ مِنَ الْمَذْكُورِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ يُنْكِرُ مَا وَقَعَ لَهُ فِي الْمَرْحَلَةِ الْجَنِينِيَّةِ؟!!

وَهَلْ هَذَا الْقَانُونُ الَّذِي كَانَ يَحْكُمُهُ وَهُوَ جَنِينٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ يُمْكِنُ أَنْ يَسْرِيَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ حَاكِمًا لَهُ بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ؟!

فَهَذَا مَرَرْتَ بِهِ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ، بَلْ لَا تَتَصَوَّرُهُ، وَهُوَ لَا يَحْكُمُكَ وَقَدْ مَرَّ فِي حَيَاتِكَ وَخَلْقِكَ، فَمَا الشَّأْنُ فِيمَا لَمْ تَمُرَّ بِهِ بَعْدُ، وَلَمْ تُزَاوِلْهُ؟!!

وَهُوَ قَانُونٌ يَحْكُمُ حَيَاةً أُخْرَىٰ تَالِيَةً لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَرْزَخٌ وَسَطٌ بَيْنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، فَالْحَيَاةُ الْبَرْزَخِيَّةُ لَهَا قَانُونٌ.

وَالْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ، وَكَانَ فِي سِيَاقِ الِاحْتِضَارِ جَاءَهُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، أَوْ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ وَقَعَدُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، وَهُمْ يُكَلِّمُونَهُ، وَهُوَ يَرَاهُمْ وَيَسْمَعُهُمْ، وَالَّذِينَ حَوْلَ الْمَيِّتِ الْمُحْتَضَرِ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا، وَلَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا.

بَلْ مَا هُوَ أَقْرَبُ مِنْ هَذَا: الرَّجُلَانِ يَنَامَانِ جَنْبًا إِلَىٰ جَنْبٍ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا يَرَىٰ فِي الرُّؤْيَةِ أَنَّهُ يُضْرَبُ وَيُهَانُ وَيُسْحَلُ وَيُعَذَّبُ، وَالْآخَرُ بِجِوَارِهِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَرَىٰ فِي الرُّؤْيَةِ أَنَّهُ يُنَعَّمُ وَيُعْطَىٰ وَيُكْرَمُ، وَيَقُومُ هَذَا مُسْتَبْشِرًا مُتَهَلِّلَ الْأَسَارِيرِ، وَيَقُومُ هَذَا مُنْكَدِرًا، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ مَا أَحَاطَ بِهِ، وَهُمَا لَا يَدْرِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنِ الْآخَرِ شَيْئًا، وَقَدِ اتَّسَعَ الْأَمْرُ لِهَذَا الَّذِي رَآهُ وَتَكَدَّرَ بِسَبَبِهِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ رُبَّمَا يَظَلُّ مُتَكَدِّرًا زَمَانًا طَوِيلًا مِمَّا رَآهُ مَعَ أَنَّهُ رَآهُ فِي رُؤْيَةٍ، وَلَمْ يُزَاوِلْهُ فِي الْحَيَاةِ.

فَسَلِّمْ تَسْلَمْ!

وَهَذَا مُقْتَضَىٰ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ الْأُمُورَ الْغَيْبِيَّةَ الْعَقْلُ يُثْبِتُهَا وَلَا يَعْلَمُهَا، يَعْنِي: أَنْتَ تُثْبِتُ بِعَقْلِكَ مَا وَرَاءَ الْجِدَارِ مِمَّا لَا تَرَاهُ وَلَا تَسْمَعُهُ مِمَّا يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ، يَحُولُ

بَيْنَكَ وَبَيْنَ رُؤْيَتِهِ وَسَمَاعِهِ وَتَحْقِيقِهِ الْجِدَارُ، لَكِنَّكَ لَا تُنْكِرُهُ وَتُقِرُّ بِوُجُودِهِ، وَتَقُولُ: هُنَاكَ أُمُورٌ تَحْدُثُ فِي الطَّرِيقِ.

أَقْوَامٌ يَمُرُّونَ، وَيُذْنِبُونَ، أَوْ يُحْسِنُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ، أَوْ يَصْمُتُونَ يَتَعَارَكُونَ يَتَصَافَحُونَ، أُمُورٌ تَحْدُثُ لَا تَعْلَمُهَا، وَلَكِنَّكَ تُقِرُّ بِوُجُودِهَا مَعَ أَنَّهَا غَيْبٌ بِالنِّسْبَةِ لَكَ، وَهُوَ غَيْبٌ قَرِيبٌ فَأَنْتَ عِنْدَمَا تَقُولُ: قَالَ الرَّسُولُ ﷺ **عِنْدَمَا أَمُوتُ وَأُوضَعُ فِي قَبْرِي سَيَأْتِينِي مَلَكَانِ يَسْأَلَانِنِي: عَنْ رَبِّي، وَعَنْ دِينِي، وَعَنِ الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ. أُصَدِّقُ بِذَلِكَ.**

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا يَتَكَلَّمُ عَنْ أُمُورٍ يَسْتَغْرِبُهَا الْعَقْلُ، وَلَا يُحِيلُهَا، يَعْنِي لَا يَقُولُ هِيَ مُسْتَحِيلَةٌ؛ لِأَنَّ الدِّينَ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، وَلَكِنْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، وَفَرْقٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: أَنْ تَتَحَيَّرَ مِنَ الْأَمْرِ، وَأَنْ تُحِيلَهُ -يَعْنِي: أَنْ تَقُولَ: هَذَا مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا لَا يُمْكِنُ-، الدِّينُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ؛ يَعْنِي بِمَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا.. لَا يُمْكِنُ، بَلْ هُوَ وَاقِعٌ تَحْتَ قُدْرَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَالدِّينُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، بَلْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، وَهَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَتُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ قُدْرَتَكَ أَنْتَ حَاكِمَةً؟ أَنْتَ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ، فَالْقُدْرَةُ لِصَاحِبِ الْقُدْرَةِ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا ذَكَرَ أَنَّهُ: **بَيْنَمَا كَانَ رَجُلٌ يَرْكَبُ بَقَرَةً كَلَّمَتْهُ الْبَقَرَةُ، قَالَتْ: أَنَا لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا! -يَعْنِي لِلرُّكُوبِ- هِيَ**

خُلِقَتْ لِلَّبَنِ، لِلزَّرْعِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ!! يَا رَسُولَ اللهِ، بَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ؟! فَقَالَ: نَعَمْ، أُؤمِنُ بِهَذَا، وَيُؤْمِنُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَلَمْ يَكُونَا حَاضِرَيْنِ.

وَتَكَلَّمَ عَنْ ذِئْبٍ يَتَكَلَّمُ فَقَالُوا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ؟!! قَالَ: أُؤمِنُ بِهَذَا، وَيُؤْمِنُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَلَمْ يَكُونَا ثَمَّ، لَمْ يَكُونَا حَاضِرَيْنِ.

إِيمَانٌ بِالْغَيْبِ فَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

عَقْلُكَ يَعْمَلُ فِي مَجَالَيْنِ:

الْمَجَالُ الْأَوَّلُ: إِثْبَاتُ النَّصِّ.

الْمَجَالُ الثَّانِي: فَهْمُ النَّصِّ الَّذِي ثَبَتَ.

ثُمَّ يَتَوَقَّفُ وَيُسَلِّمُ.

الْمَجَالُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ إِثْبَاتُ النَّصِّ: إِذَا ثَبَتَ نُؤْمِنُ بِهِ، هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الصِّدِّيقِيُّ؛ لِأَنَّ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَمَّا وَقَعَ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَكَذَّبَ مَنْ كَذَّبَ، بَلِ ارْتَدَّ مَنِ ارْتَدَّ مِنْ ضِعَافِ الْإِيمَانِ مِمَّنْ كَانَ قَدْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تَثْبُتْ قَدَمُهُ فِيهِ، فَبَعْضُ النَّاسِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَصَارَ النَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ؛ فَمِنْ ضَارِبٍ كَفًّا بِكَفٍّ، وَمِنْ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ يَقُولُونَ: هَذَا شَيْءٌ لَا يُصَدَّقُ!

مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخبَرَهُمْ عَنِ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ.

تَذْكُرُونَ الْقِصَّةَ كَمَا عِنْدَ الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَمَّا سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ قَالَ: لَوْ أَنِّي جَمَعْتُ لَكَ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ. قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ يُنَادِي عَلَىٰ قُرَيْشٍ هَلُمُّوا.. هَلُمُّوا.. هَلُمُّوا، فَجَمَعَ النَّاسَ، فَقَالَ: حَدِّثْهُمْ يَا مُحَمَّدُ بِمَا حَدَّثْتَنِي بِهِ، فَلَمَّا حَدَّثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَعَ بَعْضُ الَّذِي ذَكَرْتُ فَمِنْ ضَارِبٍ كَفًّا بِكَفٍّ، وَمِنْ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَعَجُّبًا، وَبَعْضُ النَّاسِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَثَبَّتَهُمُ اللهُ، لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ حَاضِرًا، فَلَقِيَهُ الْكُفَّارُ بِظَاهِرِ مَكَّةَ يُرِيدُونَ فِتْنَتَهُ، فَقَالُوا: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ صَاحِبُكَ؟

قَالَ: وَمَا قَالَ؟

قَالُوا: يَقُولُ إِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عَادَ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَلَمَّا يَبْرُدْ فِرَاشُهُ بَعْدُ.

قَالَ: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ -الْعَقْلُ يَعْمَلُ هُنَا- قَالَ: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ. يُرِيدُ أَنْ يَسْتَوْثِقَ مِنَ النَّصِّ؛ قَالَ: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ.

قَالُوا: بَلْ قَالَ. فَلَمَّا رَجَعُوا، وَأَصَرُّوا عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ قَالَ، عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَالَ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ.

هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الصِّدِّيقِيُّ!

إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَعْجَبُ، قَالَ: بَلْ هُوَ يُحَدِّثُنِي بِمَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا؛ الْوَحْيُ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ!!

وَمِنْ يَوْمِهَا لُقِّبَ أَبُو بَكْرٍ بِالصِّدِّيقِ.

فَالْإِيمَانُ الصِّدِّيقِيُّ: هُوَ أَنَّكَ تَبْحَثُ عَنْ تَوْثِيقِ النَّصِّ، فَإِذَا وُثِّقَ النَّصُّ فَتَقُولُ: سَمِعْتُ وَصَدَّقْتُ، لَيْسَ لَكَ كَلَامٌ، وَالْعَقْلُ يَعْمَلُ فِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ عَلَىٰ حَسَبِ الْقَوَاعِدِ.

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُعْمِلُ الْعَقْلَ بِغَيْرِ قَاعِدَةٍ، يَقُولُ: هَذَا لَا أَقْبَلُهُ! هَذَا كَذِبٌ! هَذَا افْتِرَاءٌ! هَذَا مُسْتَحِيلٌ! إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، هَؤُلَاءِ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، لَا يُذْكَرُونَ لَا فِي عِيرٍ وَلَا نَفِيرٍ، وَلَكِنْ عَلَىٰ حَسَبِ الْقَوَاعِدِ الْحَدِيثِيَّةِ الْمَرْعِيَّةِ: ثَبَتَ النَّصُّ؛ فَلَا كَلَامَ لِأَحَدٍ.

نَفْهَمُ النَّصَّ: مَا الْمُرَادُ مِنْهُ؟

هَذَا شَيْءٌ آخَرُ، وَيُوكَلُ هَذَا إِلَىٰ عَالِمِهِ كَمَا يُوكَلُ إِثْبَاتُ النَّصِّ إِلَىٰ عَالِمِهِ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ التَّقْلِيدِ فِي شَيْءٍ، يَعْنِي عِنْدَمَا تَقُولُ: وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَهُوَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّحِيحِ، يَعْنِي: صَحِيحٌ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي الصَّحِيحِ، يَعْنِي: صَحِيحٌ.

هَلْ أَنْتَ مُقَلِّدٌ؟

تَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يَأْخُذُونَ بِالتَّقْلِيدِ، بَلْ يُنْكِرُونَ التَّقْلِيدَ، وَيَذُمُّونَهُ، وَلَكِنْ بِإِطْلَاقٍ؟

لَا، لَيْسَ بِإِطْلَاقٍ؛ أَوَّلًا: هَذَا لَيْسَ مِنَ التَّقْلِيدِ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ قَبُولِ قَوْلِ الثِّقَةِ.

الْأَخْذُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي التَّصْحِيحِ وَالتَّضْعِيفِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ هَذَا مِنْ بَابِ قَبُولِ قَوْلِ الثِّقَةِ.

وَهَلِ التَّقْلِيدُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ بِإِطْلَاقٍ؟ مَاذَا يَصْنَعُ الْعَامِّيُّ؟

الْعَامِّيُّ لَا يَعْرِفُ الدَّلِيلَ، وَإِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يُمَيِّزُهُ؛ فَهَذَا يُقَلِّدُ، وَلَا تَثْرِيبَ عَلَيْهِ.

عَلَىٰ كُلِّ حالٍ هَذِهِ الْأُمُورُ الْغَيْبِيَّةُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا، وَمِنْهَا أَنَّنَا إِذَا مِتْنَا وَغُيِّبْنَا فِي قُبُورِنَا فُتِنَّا، -نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ- وَنُسْأَلُ الْأَسْئِلَةَ الثَّالِثَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ.

ذَكَرَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ -كَمَا مَرَّ- الْحَوْضَ: كُلُّ مُبْتَدِعٍ لَا يَشْرَبُ مِنَ الْحَوْضِ؛ الْحَوْضُ حَرَامٌ شُرْبُ مَائِهِ عَلَىٰ كُلِّ مُبْتَدِعٍ؛ «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ أَحْدَثَ بَعْدِي**»، وَالْمَلَائِكَةُ يَطْرُدُونَهُمْ شَرَّ طِرْدَةٍ عَنْ حَوْضِ رَسُولِ اللهِ.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْرَبَ مِنْ حَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَرْبَةً هَنِيئَةً لَا تَظْمَأُ مِنْ بَعْدِهَا أَبَدًا فَالْزَمِ السُّنَّةَ، وَإِيَّاكَ وَالْبِدْعَةَ؛ فَإِنَّهَا تَقْطَعُكَ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ حَوْضِ نَبِيِّكَ ﷺ.

تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: «**فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَاذَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

فَإِيَّاكَ وَالْإِحْدَاثَ فِي الدِّينِ، الْزَمْ غَرْسَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، تَمَسَّكْ بِسُنَّتِهِ ﷺ فِي الدُّنْيَا، وَاعْمَلْ بِهَا؛ حَتَّىٰ تَرِدَ عَلَيْهِ حَوْضَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَتَّىٰ تَشْرَبَ مِنْهُ.

⊙ ⊙ ⊙



الرَّدُّ عَلَى مُنْكِرِي الْمِيزَانِ

الْمِيزَانُ: ذَكَرَهُ أَيْضًا، وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: هُوَ مِيزَانٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ.

قَالُوا: هَذَا رَمْزٌ، مَعْنَاهُ: إِقَامَةُ الْعَدْلِ؛ فَهُوَ مِيزَانٌ مَعْنَوِيٌّ، مَعْنَاهُ: الْعَدْلُ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَلَا تَدْرِي مَا الَّذِي جَعَلَ هَؤُلَاءِ النَّاسَ يُدْخِلُونَ عُقُولَهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ؟!

يَعْنِي: مَا الَّذِي يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مِيزَانًا حَقِيقِيًّا، وَلَهُ كِفَّتَانِ؟

وَلِمَاذَا تَقُولُ: هُوَ رَمْزٌ؟

لِمَاذَا تُدْخِلُ عَقْلَكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ؟

وَمِنْ أَيْنَ أَنَّهُ رَمْزٌ؟

يَعْنِي: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ أَنْتَ بِأَنَّهُ رَمْزٌ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: الْعَدْلُ بَيْنَ الْعِبَادِ؟ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا؟

يَأْتِيكَ النَّصُّ مِنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي الْكِتَابِ، وَفِي السُّنَّةِ بِأَنَّهُ: مِيزَانٌ، وَيُوزَنُ فِيهِ، وَفِي السُّنَّةِ أَنَّ لَهُ كِفَّتَيْنِ، وَأَنَّهُ تُوضَعُ فِي إِحْدَىٰ هَاتَيْنِ الْكِفَّتَيْنِ صُحُفٌ، وَيَكُونُ هُنَاكَ وَزْنٌ بِمَثَاقِيلِ الذَّرِّ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُوزَنُ بِنَفْسِهِ، وَأَنَّ الْأَعْمَالَ تُوزَنُ!!

كُلُّ هَذَا يَأْتِيكَ، وَأَنْتَ تَقُولُ: لَا، إِنَّمَا هُوَ رَمْزٌ، مَا الْمَعْنَىٰ فِي أَنْ يَكُونَ رَمْزًا؟

وَمَا الَّذِي يَضُرُّ إِذَا كَانَ مِيزَانًا حَقِيقِيًّا؟

هَذِهِ لَيْسَتْ بِعَقْلِيَّاتٍ؛ هَذِهِ جَهْلِيَّاتٌ، وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَفْسَدُوا عَلَىٰ النَّاسِ دِينَهُمْ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!!

فَعَلَيْنَا فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ: التَّصْدِيقُ، بَلْ عَلَيْنَا: الْيَقِينُ عَلَىٰ صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ.

وَمَا جَاءَ عَنِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْخِلَافِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ لَا يَضُرُّكَ، يَعْنِي بَعْض النَّاسِ يَقُولُ: هَلْ هُوَ مِيزَانٌ وَاحِدٌ؟ لِأَنَّهُ وَرَدَ الْمِيزَانُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ: «**وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ** ﷻ **يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ**».

فَبَعْضُ النَّاسِ رُبَّمَا يَتَشَكَّكُ مِنْ أُمُورٍ لَا يَفْهَمُهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْمِلْ عَقْلَهُ هُنَا بِسُؤَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالْبَحْثِ عَنِ التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ لِمَا وَرَدَ.

أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ، فَلِمَاذَا ذُكِرَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؟

قَالُوا: بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ فِيهِ، يُوزَنُ لَكَ، وَيُوزَنُ لِغَيْرِكَ، فَمِيزَانُكَ سِوَىٰ مِيزَانِ الْآخَرِ، وَإِنْ كَانَ الْمِيزَانُ وَاحِدًا، وَلَكِنَّ مِيزَانَكَ أَنْتَ كَذَا وَنَتِيجَتُهُ كَذَا، وَمِيزَانُ الْآخَرِ كَذَا وَنَتِيجَتُهُ كَذَا، فَكَأَنَّهُمَا مِيزَانَانِ؛ فَإِذَا كَثُرَ الْعَدَدُ

فَهِيَ مَوَازِينُ، فَقَالُوا: هُوَ مِيزَانٌ وَاحِدٌ تُوزَنُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَإِنَّمَا جُمِعَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ فِيهِ.

الْحَافِظُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْخِلَافَ قَالَ: وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ، وَلَا يُشْكِلُ عَلَيْهِ كَثْرَةُ مَا يُوزَنُ فِيهِ؛ لِأَنَّ أَحْوَالَ الْقِيَامَةِ لَا تُكَيَّفُ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ: مِيزَانٌ وَاحِدٌ تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ مِنْ آدَمَ إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا؟!

سُئِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَحْوًا مِنْ هَذَا السُّؤَالِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ تَعَالَىٰ الْخَلْقَ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ؟

قَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ.

الَّذِينَ تُوزَنُ أَعْمَالُهُمْ فِي الْمِيزَانِ هُمُ الْمُكَلَّفُونَ؛ كَمْ يَبْلُغُ الْمُكَلَّفُونَ مِنَ الْأَحْيَاءِ؟

سِوَىٰ الْمُكَلَّفِينَ، إِنَّ عَالَمَ الْأَسْمَاكِ -كَمَا يُقَرِّرُ عُلَمَاءُ الْبِحَارِ- فِيهِ مِنَ التَّنَوُّعِ أَكْثَرُ مِنَ التَّنَوُّعِ الْمَوْجُودِ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ؛ الْكَائِنَاتُ الْبَحْرِيَّةُ أَكْثَرُ عَدَدًا فِي تَنَوُّعِهَا وَخَلْقِهَا، وَصِفَاتِهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ الْبَرِّيَّةِ؛ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَشَرَاتِ وَالزَّوَاحِفِ، كُلُّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْبَرِّيَّةِ لَا تَبْلُغُ أَنْ تَصِلَ إِلَىٰ عَدَدِ الْمَخْلُوقَاتِ الْبَحْرِيَّةِ فِي تَنَوُّعِهَا وَخِلْقَتِهَا، وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَهَذَا عِلْمٌ مَادِّيٌّ، هُمْ لَا يُرِيدُونَ إِثْبَاتَ شَيْءٍ شَرْعِيٍّ، وَلَكِنْ يُخْبِرُونَ عَلَىٰ حَسَبِ عِلْمِهِمْ.

كُلُّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ مِنْ أَوَّلِ مَا نَعْرِفُهُ، هُوَ الْفَيْرُوسُ يَتَغَذَّىٰ، وَيَتَكَاثَرُ وَيَتَنَفَّسُ، رِزْقٌ! لَهُ رِزْقٌ مَقْصُودٌ، أَتَظُنُّ أَنَّ حَرَكَةَ مُلَاحَظَتِكَ لِلنَّمْلِ الْمُتَجَمِّعِ عَلَىٰ قِطْعَةٍ مِنَ الْحَلْوَىٰ -مَثَلًا-، وَقَدْ تَكَاثَرَتْ أَعْدَادُ النَّمْلِ فِي شَيْءٍ يَسِيرٍ، وَأَعْدَادٌ لَا تَبْلُغُ شَيْئًا، أَتَظُنُّ أَنَّ حَرَكَةَ هَذِهِ النِّمَالِ، وَمَا تَأْخُذُ مِنْ هَذَا الْغِذَاءِ، وَمَا تَرُوحُ بِهِ، وَمَا يَكُونُ لَهَا تَهْضِمُهُ هِيَ، وَمَا تَذْهَبُ بِهِ إِلَىٰ حَيْثُ الْمَمْلَكَةُ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَيْهَا مِنْ مَمَالِكِ النَّمْلِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُدَّخَرَ لِأَيَّامِ الشِّتَاءِ وَالْمَطَرِ، أَتَحْسَبُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَحْسُوبٍ؟!

هَذَا مَحْسُوبٌ، وَمَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

هَذِهِ النَّمْلَةُ أَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسَمِّيَهَا، أَنْ تُلَقِّبَهَا، اللهُ يَعْلَمُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، حَرَكَةُ حَيَاتِهَا مَرْسُومَةٌ، بَلْ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ هَذَا ﴿**وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا**﴾ [الأنعام: ٥٩]!!

الْوَرَقَةُ تَنْزِلُ فِي وَقْتٍ مَا مُحَدَّدٍ، وَعِنْدَمَا تَنْزِلُ تَكُونُ هُنَاكَ رِيحٌ، أَوْ لَا تَكُونُ، وَالْجَاذِبِيَّةُ فِي الْمَكَانِ لَهَا نِظَامُهَا، وَكَذَلِكَ مَا حَوْلَ الْمَكَانِ مِنْ بُخَارِ الْمَاءِ مِنَ الْحَرِّ، مِنَ الْبَرْدِ مِنَ النَّهَارِ مِنَ اللَّيْلِ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي سَتَنْزِلُ فِيهِ أَحْيَاءٌ مِنَ النَّبَاتِ أَوْ غَيْرِ النَّبَاتِ أَوْ مِنَ التُّرَابِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، حَرَكَةُ هَذِهِ الْوَرَقَةِ فِي نُزُولِهَا مَحْسُوبَةٌ، سَتَنْزِلُ؛ لِتَكُونَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا ﴿**وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا**﴾ [الأنعام: ٥٩]!!

بَلْ أَدَقُّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ، الرَّطْبُ مَا فِيهِ جُزَيْئَاتُ الْمَاءِ، وَالْيَابِسُ مَا خَرَجَتْ مِنْهُ جُزَيْئَاتُ الْمَاءِ، فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِنْدَ دُخُولِ جُزَيْءِ الْمَاءِ إِلَىٰ الشَّيْءِ يَعْلَمُهُ، وَجُزَيْءُ الْمَاءِ فِيهِ ذَرَّتَانِ مِنَ الْهَيْدُرُوجِينِ، وَذَرَّةٌ مِنَ الْأُكْسُجِينِ، كَمَا يَقُولُونَ، اتِّحَادُ هَذِهِ الذَّرَّاتِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ؛ لِتَكْوِينِ هَذَا الْجُزَيْءِ مِنَ الْمَاءِ مَعْلُومٌ مُقَدَّرٌ مُحَدَّدٌ وَمَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ!

يَدْخُلُ جُزَيْءُ الْمَاءِ يَصِيرُ الْيَابِسُ رَطْبًا، يَخْرُجُ يَصِيرُ الرَّطْبُ يَابِسًا؛ ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] مَاذَا تَظُنُّونَ؟

بَلْ مَاذَا تَعْتَقِدُونَ؟

إِنَّهُ اللهُ!!

لَوْ قَدَرْنَاهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَا عَصَيْنَاهُ قَطُّ، وَنَحْنُ لَا نُوَفِّيهِ حَقَّ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ سَجَدَ لِلَّهِ مُنْذُ أَنْ يَخْلُقَهُ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَ السَّاعَةَ، فَإِنَّهُ لَا يُوَفِّي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَقَّ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ، لَكِنَّنَا لَا نَعْرِفُهُ؛ فَنَجْتَرِئُ وَنَعْصِي، بَلْ بَعْضُ الْبَشَرِ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِلَهٌ أَوْ نِصْفُ إِلَهٍ، فَيُرِيدُ تَعْبِيدَ الْخَلْقِ بِوَجْهِهِ الْقَبِيحِ!!

وَأَمَّا اللهُ جَلَّ وَعَلَا فَإِنَّهُ هُوَ الْحَلِيمُ السِّتِّيرُ، يَشْتُمُهُ خَلْقُهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهِمْ وَيَحْلُمُ، وَيُكَذِّبُونَهُ وَيَحْلُمُ عَلَيْهِمْ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْقُدُسِيِّ.

الْمُهِمُّ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَ بِمَا جَاءَهُ مِمَّا هُوَ ثَابِتٌ فِي كِتَابِ رَبِّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَسُئِلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ الْخَلْقَ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ؟

قَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ.

اللهُ عز وجل رَبَطَ الرِّزْقَ بِالْأَجَلِ، وَكُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ لَهُ رِزْقٌ، كَمَا قُلْتُ لَكَ مِنْ أَوَّلِ الْفَيْرُوسِ فِيمَا نَعْلَمُ، وَرُبَّمَا يَكُونُ هُنَاكَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مَا هُوَ أَدَقُّ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَلَمْ نَعْلَمْهُ بَعْدُ.

الْفَيْرُوسُ مِنْ أَعْقَدِ الْكَائِنَاتِ فِي التَّكْوِينِ الْعُضْوِيِّ، رِزْقٌ، وَهَذَا الرِّزْقُ أَنْتَ أَحْيَانًا تَأْخُذُهُ مُجْمَلًا -يَعْنِي رِزْقُكَ، مَا أَتَاكَ، تَأْكُلُ، وَتَشْرَبُ، وَتَلْبَسُ، وَتُنْفِقُ؟- لَا كُلُّ خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَايَاكَ لَهَا رِزْقٌ، وَمِنْهَا مَا يَمُوتُ يَنْقَطِعُ رِزْقُهُ، وَمِنْهَا مَا هُوَ حَيٌّ يَصِلُ إِلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَرِيضٌ يَصِلُ إِلَيْهِ رِزْقُهُ بِحَسَبِهِ، حَتَّىٰ الْخَلِيَّةُ، بَلْ مَا بِدَاخِلِ الْخَلِيَّةِ لَهُ رِزْقُهُ؛ لِأَنَّ الْخَلِيَّةَ الْحَيَوَانِيَّةَ لَهَا تَرْكِيبٌ -كَمَا تَعْلَمُونَ-، فَالْأَمْرُ كَبِيرٌ جِدًّا.

وَاللهُ عز وجل خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ، فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَهَا، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي الْإِتْيَانِ بِهَا حَتَّىٰ يَرْحَمَنَا رَبُّنَا؛ وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

قَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ.

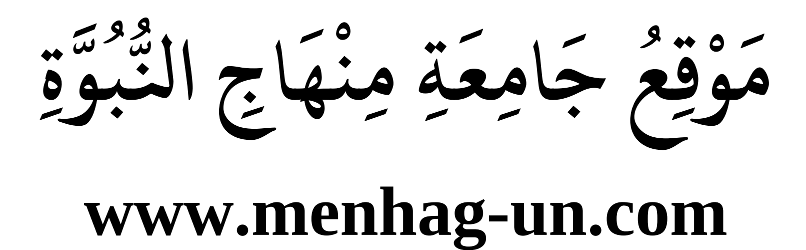
هَلْ تَرَكَ أَحَدًا؟

النَّاسُ جَمِيعًا يُقِرُّونَ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ حَيٌّ غَيْرُ مَرْزُوقٍ، بَلْ رَبَطُوا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فَيَقُولُونَ: حَيٌّ يُرْزَقُ؛ كَيْفَ حَالُ فُلَانٍ؟ حَيٌّ يُرْزَقُ، كَيْفَ حَالُكَ؟ حَيٌّ أُرْزَقُ.

فَتُرْبَطُ الْحَيَاةُ بِالرِّزْقِ، وَالْأَجَلُ بِالْعَطَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَطُّ حَيًّا لَا يُرْزَقُ، لَا يُمْكِنُ، وَالرِّزْقُ لَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، رُبَّمَا تَحْبِسُهُ، وَتَقُولُ: غَيْرُ مَرْزُوقٍ، لَا هُوَ مَرْزُوقٌ أَيْضًا، الْهَوَاءُ الَّذِي يَتَنَفَّسُهُ رِزْقٌ، إِذَا انْقَطَعَ جَاءَ الْمَوْتُ، فَأُمُورٌ كَثِيرَةٌ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا.

◉◉◉



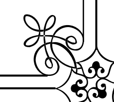
يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الرَّابِعَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]




جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



الْإِيمَانُ بِالشَّفَاعَةِ

وَقُــلْ: يُخْــرِجُ اللهُ الْعَظِـيمُ بِفَضْــلِهِ مِنَ النَّـارِ أَجْسَـادًا مِنَ الْفَحْـمِ تُطْـرَحُ

عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

قَالَ الْخَلِيلُ: لَا يُقَالُ الْجَسَدُ إِلَّا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ.

أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ: مِنَ الْفَحْمِ أَيْ: صَارُوا كَالْفَحْمِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُمْ مِنَ الْفَحْمِ، الْفَحْمُ: الْجَمْرُ الطَّافِئُ، وَاحِدَتُهُ: فَحْمَةٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

كَحَبِّ: الْحَبُّ: بُذُورُ الْبُقُولِ.

حَمِيلُ السَّيْلِ: هُوَ مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ.

وَالسَّيْلُ: الْمَاءُ الْمُنْحَدِرُ بِشِدَّةٍ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ طِينٍ.

فَإِذَا اتَّفَقَتْ فِيهِ الْحَبَّةُ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَىٰ شَطِّ مَجْرَىٰ السَّيْلِ فَإِنَّهَا تَنْبُتُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَهِيَ أَسْرَعُ نَابِتَةٍ نَبَاتًا.

كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ: أَيِ: امْتَلَأَ وَارْتَفَعَ، وَإِنَاءٌ طَفْحَانُ: يَفِيضُ مِنْ جَوَانِبِهِ بِمَا فِيهِ.

فَذَكَرَ مَسْأَلَةً مِنْ أَهَمِّ الْمَسَائِلِ الَّتِي تُمَيِّزُ أَهْلَ السُّنَّةِ عَنِ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَهِيَ إِخْرَاجُ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ مِنَ النَّارِ، وَثُبُوتُ الشَّفَاعَةِ لِلنَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ، وَهَذَا مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُفَرَّقُ بِهِ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ مِنْ جِهَةٍ، وَأَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ الْفَاسِقِ الْمِلِّيِّ، مَسْأَلَةُ الْفَاسِقِ الْمِلِّيِّ، أَوْ حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ، مَا حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ؟

إِنَّ الْكَبِيرَةَ إِذَا كَانَتْ دُونَ الشِّرْكِ فَمَاتَ صَاحِبُهَا غَيْرَ تَائِبٍ مِنْهَا، وَمَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهَا فَلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ أَمْرَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ -لَا شَأْنَ لِأَحَدٍ- رُبَّمَا عَفَا عَنْهُ، وَلَمْ يُعَذِّبْهُ، وَإِنْ عَذَّبَهُ؟

وَإِنْ عَذَّبَهُ فَأَدْخَلَهُ النَّارَ لَا يُخَلِّدُهُ فِي النَّارِ، فَمَنْ مَاتَ وَمَعَهُ أَصْلُ التَّوْحِيدِ، وَمَعَهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) -مَهْمَا أَتَىٰ بِهِ مِنْ ذَنْبٍ- فَإِنَّهُ إِذَا عُوقِبَ وَعُذِّبَ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمًا مِنَ النَّارِ.

هَذِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْفَاسِقِ الْمِلِّيِّ، أَوْ فِي مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ.

الْخَوَارِجُ قَالُوا: لَا.

أَهْلُ السُّنَّةِ يَشْهَدُونَ لَهُ بِالْإِسْلَامِ، لَا يُخْرِجُونَهُ مِنَ الْإِيمَانِ، لَا يَقُولُونَ هَذَا كَافِرٌ، وَلَا يَتَوَقَّفُونَ فِيهِ، بَلْ يَقُولُونَ: هَذَا مُؤْمِنٌ عَاصٍ، أَوْ هَذَا مُؤْمِنٌ فَاسِقٌ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ.

هَذَا الْمَوْضِعُ مِنْ أَهَمِّ الْمَوَاضِعِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ زَلُّوا فِيهِ عَلَىٰ أَحَدِ فَرِيقَيْنِ: الْوَعِيدِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ.

أَمَّا الْوَعِيدِيَّةُ: فَهُمُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ، قَالُوا: مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ، يَخْرُجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ خُرُوجِهِ مِنَ الْمِلَّةِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الْمُرْتَدِّ مِنَ الْأَحْكَامِ؛ لِذَلِكَ -مَثَلًا- فِي قَضِيَّةِ الْعَصْرِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، يُكَفِّرُونَ، وَيُرَتِّبُونَ الْأَحْكَامَ عَلَىٰ التَّكْفِيرِ، يَسْتَحِلُّونَ الدِّمَاءَ وَالْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ، وَيُعَامِلُونَ الْمُسْلِمَ الَّذِي يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ -لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَوْ لِغَيْرِهَا- مُعَامَلَةَ الْمُرْتَدِّ، وَيَكُونُ عِنْدَهُمْ أَسْوَأَوَأَشَدَّ كُفْرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيَقُولُونَ: أَهْلُ الْكِتَابِ لَهُمْ كِتَابٌ، وَيَتَّبِعُونَ نَبِيًّا، وَإِنْ كَانُوا كَذَبَةً فِي اتِّبَاعِهِمْ، مُحَرِّفِينَ لِكِتَابِ رَبِّهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ فِي النِّهَايَةِ لَهُمْ أَحْكَامُهُمْ فِي الشَّرِيعَةِ!! فَيَقُولُونَ: هُمْ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُرْتَدِّينَ.

وَلِذَلِكَ تَجِدُ التَّكْفِيرِيِّينَ يُصَرِّحُونَ، وَيَفْعَلُونَ عَلَىٰ حَسَبِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ: أَنَّ الْجَيْشَ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ، فَهُوَ أَشَدُّ كُفْرًا مِنَ الْيَهُودِ؛ لِذَلِكَ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ لَا يَبْدَأُونَ بِالْيَهُودِ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَإِنَّمَا يَبْدَأُونَ بِالْمُرْتَدِّينَ، وَلَوْ وَقَعَ قِتَالٌ بَيْنَ الْمُرْتَدِّينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانُوا مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ ضِدَّ الْمُرْتَدِّينَ.

كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الزَّلَلِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَهِيَ: الْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ، أَوْ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ.

فَالْخَوَارِجُ يُكَفِّرُونَهُ، وَبِالتَّالِي يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ.

الْمُعْتَزِلَةُ قَالُوا: لَا، إِذَا ارْتَكَبَ الْمُسْلِمُ كَبِيرَةً فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْكُفْرِ، فَهُوَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، كَمَا قَالَ شَيْخُهُمْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ قَالُوا: إِنَّ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ، أَوْ إِنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ -يَعْنِي: لَا هُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا هُوَ كَافِرٌ-، فَقَالُوا: إِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْكُفْرَ.

هَذَا إِذَا مَاتَ: أَيْنَ نَدْفِنُهُ؟

يَعْنِي: لَا هُوَ كَافِرٌ، وَلَا هُوَ مُسْلِمٌ نَدْفِنُهُ فِي قَبْرٍ بَيْنَ قَبْرَيْنِ؟!

يَعْنِي: مَاذَا نَصْنَعُ بِمِثْلِ هَذَا؟!

وَلَكِنَّهُمُ اتَّفَقُوا مَعَ الْخَوَارِجِ فِي أَنَّهُ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

إِذَنْ: الْمَآلُ وَاحِدٌ عِنْدَ الْفِرْقَتَيْنِ -الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ- الْمَآلُ وَاحِدٌ، وَأَمَّا الْحُكْمُ فِي الدُّنْيَا:

فَالْخَوَارِجُ يَقُولُونَ: كَافِرٌ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ، كَافِرٌ مُرْتَدٌّ.

الْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْكُفْرَ، وَهُوَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

أَهْلُ السُّنَّةِ قَالُوا: لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْإِيمَانِ أَصْلًا؛ هُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنْ مُؤْمِنٌ فَاسِقٌ بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ.

احْفَظْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، هَذَا حُكْمُ الْفَاسِقِ الْمِلِّيِّ، فَأَثْبَتُوا لَهُ الْإِيمَانَ، وَلَكِنْ لَمْ يُثْبِتُوا لَهُ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ.

الْإِيمَانُ الْمُطْلَقُ: هُوَ الَّذِي لَا مَعْصِيَةَ مَعَهُ، فَقَالُوا: هُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ، فَأَثْبَتُوا لَهُ مُطْلَقَ الْإِيمَانِ، وَنَفَوْا عَنْهُ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ، وَلَكِنَّهُ مُؤْمِنٌ؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا شَرَحُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» قَالُوا: وَهُوَ مُؤْمِنٌ إِيمَانًا كَامِلًا يَحْجُزُهُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ، وَلَكِنْ: هَلْ إِذَا وَقَعَ فِي الزِّنَا يَكُونُ كَافِرًا؟

قَالُوا: لَا، الْخَوَارِجُ يَقُولُونَ: كَافِرٌ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْوَعِيدِيَّةُ: الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ.

وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ الْوَعْدِيَّةُ: فَهُمْ فِي الطَّرَفِ الْمُقَابِلِ، هَؤُلَاءِ قَالُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ أَصْلٌ وَاحِدٌ هُوَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَقَالُوا: إِيمَانُ أَفْجَرِ النَّاسِ كَإِيمَانِ أَتْقَىٰ النَّاسِ، وَإِيمَانُ أَشَدِّ النَّاسِ فُجُورًا كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ.

قَالُوا: الْإِيمَانُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ.

وَعَلَيْهِ: فَالْأَعْمَالُ عِنْدَهُمْ لَا تَزِيدُ فِي الْإِيمَانِ إِذَا عُمِلَتْ -يَعْنِي الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ-، وَالْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ لَا تَنْقُصُ مِنَ الْإِيمَانِ، فَهُمْ يَقُولُونَ بِعَدَمِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَلَا نُقْصَانِهِ، فَهَؤُلَاءِ جَرَّءُوا الْخَلْقَ عَلَىٰ الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا، تَقُولُ: أَنْتَ عِنْدَكَ الْإِيمَانُ، وَالَّذِينَ غَلَوْا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُرْجِئَةِ يَقُولُونَ: مُجَرَّدُ أَنْ تُصَدِّقَ بِالْقَلْبِ بِوُجُودِ الرَّبِّ لَيْسَ شَرْطًا أَنْ تَنْطِقَ بِاللِّسَانِ بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

حَتَّىٰ هَذِهِ؟!

يَقُولُونَ: لَيْسَ شَرْطًا، وَإِذَا مَاتَ عَلَىٰ هَذَا التَّصْدِيقِ، يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِيمَانَ مُطْلَقُ التَّصْدِيقِ، فَإِذَا صَدَّقَ بِوُجُودِ الرَّبِّ وَالشَّرْعِ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَبِالتَّالِي لَا يَأْتِي بِأَيِّ عَمَلٍ قَطُّ إِذَا كَانَ لَا يَنْطِقُ بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، قَالُوا: هَذَا مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، هَذَا إِيمَانُكَ إِيمَانُ جِبْرِيلَ، وَإِيمَانُ مُحَمَّدٍ ﷺ!!!

هَذِهِ فِرْقَةٌ ضَالَّةٌ، مُتَسَيِّبَةٌ مُنْحَلَّةٌ، وَهَذِهِ فِرْقَةٌ ضَالَّةٌ قَاسِيَةٌ شَاذَّةٌ؛ فَهَؤُلَاءِ يُكَفِّرُونَ، وَهَؤُلَاءِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ يُكَفِّرُ.

أَهْلُ السُّنَّةِ أَيْنَ؟

بَيْنَ هَذَيْنِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ فَضِيلَةٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ كُلَّ فَضِيلَةٍ إِنَّمَا هِيَ وَسَطٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ؛ الشَّجَاعَةُ -مَثَلًا- وَسَطٌ بَيْنَ التَّهَوُّرِ وَالْجُبْنِ، الْجُودُ وَالْكَرَمُ وَسَطٌ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالْبُخْلِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فَضِيلَةٍ فَهِيَ وَسَطٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ الْمُتَقَابِلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَهُمْ يَقُولُونَ بِتَأْثِيرِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ فِي الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَنْقُصُ بِفِعْلِ السَّيِّئَاتِ كَمَا يَزِيدُ بِفِعْلِ الصَّالِحَاتِ.

فَقَالُوا: إِنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ تُؤَثِّرُ فِيهِ كَبِيرَتُهُ، تُؤَثِّرُ فِي إِيمَانِهِ، لَمْ يَنْفُوا تَأْثِيرَ الْكَبِيرَةِ فِي إِيمَانِ الْمُؤْمِنِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ يَفْسُقُ بِكَبِيرَتِهِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ.

فَنُثْبِتُ لَهُ مُطْلَقَ الْإِيمَانِ، وَلَا نُثْبِتُ لَهُ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ، وَإِذَا مَاتَ فَلَهُ عِنْدَ اللهِ حَالَانِ:

الْحَالُ الْأُولَىٰ: أَنْ يَغْفِرَ لَهُ -لَا شَأْنَ لَنَا- يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ، قَدْ يَغْفِرُ لَهُ، هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَإِذَا عَذَّبَهُ فَإِنَّهُ مُسْلِمٌ عُذِّبَ بِالنَّارِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ.

الْوَعِيدِيَّةُ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ يَقُولُونَ: يَدْخُلُ النَّارَ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا.

الْمُرْجِئَةُ يَقُولُونَ: مَهْمَا فَعَلَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ؛ أَصْلًا عِنْدَهُ أَصْلُ الْإِيمَانِ.

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَسْأَلَةُ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ كَبَائِرُ، وَلَكِنْ دُونَ الشِّرْكِ هَؤُلَاءِ يُعْتَبَرُونَ مُؤْمِنِينَ مُوَحِّدِينَ، وَلَكِنَّ إِيمَانَهُمْ وَتَوْحِيدَهُمْ نَاقِصٌ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، فَهُمْ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ: إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَلَمْ يُعَذِّبْهُمْ، وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، لَكِنَّهُمْ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ كَمَا يُخَلَّدُ الْكَافِرُ وَالْمُشْرِكُ، وَإِنَّمَا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ

بَعْدَ تَعْذِيبِهِمْ؛ إِمَّا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَإِمَّا بِفَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِمَّا بِانْتِهَاءِ عَذَابِهِمْ، وَلَكِنْ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَطْعًا كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ.

النَّارُ يَدْخُلُهَا الْكَافِرُ وَالْمُشْرِكُ، وَقَدْ يَدْخُلُهَا الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ بِذُنُوبِهِ، لَكِنَّ الْكَافِرَ وَالْمُشْرِكَ يُخَلَّدَانِ فِي النَّارِ، وَأَمَّا الْمُوَحِّدُ وَالْمُؤْمِنُ فَلَا يَخْلُدُ فِيهَا إِذَا دَخَلَهَا.

هَذِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ فِيمَنْ يَمُوتُ مُرْتَكِبًا لِلْكَبِيرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ.

الْخَوَارِجُ يَقُولُونَ: مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَإِذَا مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ فَهُوَ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ مِثْلَ الْكُفَّارِ.

هَؤُلَاءِ قَوْمٌ حَمْقَى؛ لِأَنَّهُ يُقَامُ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَارِجِيُّ عِنْدَمَا يَقُولُ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ، هَذَا يُلْغِي الْحُدُودَ كُلَّهَا، هَذَا وَاضِحٌ! يَعْنِي عِنْدَمَا يَقُولُ الْخَارِجِيُّ: مَنِ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً كَفَرَ.. ارْتَدَّ، مَا حُكْمُ الْمُرْتَدِّ؟

الْقَتْلُ.

طَيِّبٌ؛ الَّذِي يَسْرِقُ؟ إِذَا قَالُوا: تُقْطَعُ يَدُهُ.

قُلْنَا إِنَّمَا تُقْطَعُ يَدُ مَنْ؟

الْمُسْلِمُ، وَهُوَ قَدْ سَرَقَ -يَعْنِي وَقَعَ فِي كَبِيرَةٍ-، فَحُكْمُهُ أَنَّهُ مُرْتَدٌّ.

فَإِذَنْ: نَقْطَعُ يَدَهُ أَمْ نَقْتُلُهُ؟

عَلَىٰ حَسَبِ حُكْمِهِمْ هُمْ: أَنَّهُ يُقْتَلُ.

إِذَنْ: لَيْسَ هُنَاكَ قَطْعٌ لِأَيْدِي السَّرَقَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْقَتْلُ -عِنْدَ الْخَوَارِجِ-، وَقِسْ عَلَىٰ ذَلِكَ سَائِرَ الْحُدُودِ.

إِذَا زَنَا مَنْ لَيْسَ بِمُحْصَنٍ، الْبِكْرُ إِذَا زَنَا حُكْمُهُ: أَنَّهُ يُجْلَدُ مِئَةَ جَلْدَةٍ، وَيُغَرَّبُ عَنْ وَطَنِهِ عَامًا هَذَا حَدُّهُ، وَحَدُّ الزَّانِي الْبِكْرِ -عِنْدَ الْخَوَارِجِ- الزِّنَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَالْخُرُوجُ مِنَ الْمِلَّةِ رِدَّةٌ، وَحُكْمُ الْمُرْتَدِّ مَاذَا؟

الْقَتْلُ.

إِذَنْ: نَقْتُلُهُ أَمْ نَجْلِدُهُ؟

إِذَا قَالُوا: نَجْلِدُهُ، قُلْنَا لَهُمْ: تَنَاقَضْتُمْ؛ لِأَنَّكُمْ تُثْبِتُونَ الْإِيمَانَ لِمُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ.

وَإِذَا قَالُوا: نَقْتُلُهُ، قُلْنَا لَهُمْ: أَلْغَيْتُمْ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللهِ، وَالَّذِي يُلْغِي حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللهِ يَكُونُ كَافِرًا.

فَحُكْمُهُمْ هُمْ مَاذَا يَكُونُ حِينَئِذٍ؟

حَمْقَىٰ؛ كُلُّ مَنْ تَرَكَ السُّنَّةَ تَنَاقَضَ.

السُّنَّةُ هِيَ الْعَقْلُ، وَعَلَىٰ قَدْرِ تَمَسُّكِكَ بِالسُّنَّةِ يَكُونُ عَقْلُكَ، وَيَزِيدُ اللهُ فِي عَقْلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ تَمَسُّكِكَ بِسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ.

كُلُّ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ تَنَاقَضَ، احْفَظْ هَذِهِ فَهِيَ مِنْ كَلَامِ سَلَفِكَ الصَّالِحِينَ؛ كُلُّ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ تَنَاقَضَ، فَيَقُولُ الْيَوْمَ قَوْلًا وَيَنْقُضُهُ غَدًا، وَيَنْقُضُ مَا صَارَ إِلَيْهِ غَدًا بَعْدَ غَدٍ، مُتَنَاقِضٌ لَيْسَ عِنْدَهُ أَصْلٌ ثَابِتٌ، أَمَّا الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالسُّنَّةِ: قَالَ اللهُ، قَالَ الرَّسُولُ، قَالَ الصَّحَابَةُ؛ فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ التَّنَاقُضُ؟

هِيَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، فَلَا يَتَنَاقَضُونَ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ لَا يَتَنَاقَضُونَ، الَّذِينَ يَتَنَاقَضُونَ هُمُ الْمُبْتَدِعَةُ فِي كُلِّ وَقْتٍ لَهُمْ قَوْلٌ، وَفِي كُلِّ حَالٍ لَهُمْ مَقَالٌ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَثَابِتُونَ.

وَأَنْتَ -كَمَا مَرَّ- تَجِدُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَاحِدَةً مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْيَوْمِ، وَإِلَىٰ أَنْ يَرْفَعَ اللهُ الْقُرْآنَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مِنَ الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ، وَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ: اللهُ... اللهُ.

ثَابِتَةٌ.. عَقِيدَةٌ وَاحِدَةٌ؛ لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ، وَلَا حَرْفٌ، عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُهَا الرَّجُلُ فِي أَقْصَىٰ الشَّرْقِ، كَمَا يَقُولُهَا الرَّجُلُ فِي أَقْصَىٰ الْغَرْبِ، وَلَمْ يَلْتَقِيَا قَطُّ، بَلْ فِي عُصورٍ مُتَباعِدَةٍ بِمِئَاتِ السِّنِينَ، وَلَكِنْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ فِي أَقْصَىٰ الشَّمَالِ كَمَا فِي أَقْصَىٰ الْجَنُوبِ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا: قَالَ اللهُ، وَقَالَ رَسُولُهُ، قَالَ الصَّحَابَةُ؛ هَذَا لَا يَتَغَيَّرُ.

فَالْخَوَارِجُ هَؤُلَاءِ حَمْقَىٰ؛ وَلِذَلِكَ إِذَا قُدِّرَ لَكَ أَنْ تَلْقَىٰ خَارِجِيًّا، فَاللهُ يُعِينُكَ مِنْ حَمَاقَتِهِ، وَانْغِلَاقِ عَقْلِهِ وَشَرَاسَتِهِ، كَأَنَّكَ تُكَلِّمُ ثَوْرًا هَائِجًا...!

اهْدَأْ؛ فَإِنَّ ارْتِفَاعَ الصَّوْتِ وَالْحِدَّةَ فِي الْكَلَامِ لَا تُحِقُّ حَقًّا، وَلَا تُبْطِلُ بَاطِلًا، يَعْنِي أَنْتَ لَنْ تَغْلِبَ مُنَاظِرَكَ وَخَصْمَكَ بِرَفْعِ صَوْتِكَ، ارْفَعْ مَا شِئْتَ؛ الْحَقُّ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَلْزَمُكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَكَ، يَضُرُّكَ أَنْ تَرْفَعَ صَوْتَكَ.

الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ هَكَذَا، هَذَا عِنْدَ الْمُنَاظَرَةِ، وَأَمَّا عِنْدَ التَّقْرِيرِ فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ، عِنْدَ الْمُنَاظَرَةِ ارْتِفَاعُ الصَّوْتِ وَالْحِدَّةُ فِي الْكَلَامِ لَا تُحِقُّ حَقًّا، وَلَا تُبْطِلُ بَاطِلًا.

فَأَيْنَ هُوَ الْحَقُّ؟

فَإِذَا قُدِّرَ عَلَيْكَ.. عَلَيْكَ لَا لَكَ أَنْ تَلْقَىٰ خَارِجِيًّا، وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَلَامٌ، فَاللهُ يُعِينُكَ؛ انْغِلَاقٌ فِي الْعَقْلِ، وَضِيقٌ فِي الْأُفُقِ، وَحَرَجٌ فِي الصَّدْرِ -أَعُوذُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ-، مَا هَذَا؟

هَا، كُنْتُ نَاظَرْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ قَدِيمًا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا -بَلْ يَزِيدُ-، وَكَانَ فِي مَدِينَةِ الْبُعُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَبَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ انْصَرَفْتُ مُسْرِعًا، وَجَاءَ بَعْضُ إِخْوَانِنَا مِنَ الطُّلَّابِ قَالُوا: هُنَا رَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ، أَخَذَ يَسُبُّ الرَّئِيسَ السَّادَات عَلَىٰ الْمِنبَرِ، وَكَانَ إِمَامًا وَخَطِيبًا فِي الْمَسْجِدِ، فَعَاقَبُوهُ.. عَاقَبَهُ الْمَسْئُولُونَ فِي الْأَوْقَافِ بِأَنْ وَقَفُوهُ، وَأَحَالُوهُ إِلَىٰ التَّحْقِيقِ، يَعْنِي يَسُبُّ فِي الْعِرْضِ؛ لِأَمْرٍ كَانَ يُشِيعُهُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي زِيَارَةِ رَئِيسٍ أَمْرِيكِيٍّ،

وَإِحْدَاثِ شَيْءٍ إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَقَفَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ يَسُبُّ رَئِيسَ الْجُمْهُورِيَّةِ، فَأَضْعَفُ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْخَذَ مَعَهُ، وَلَمْ تَكُنِ الْأَحْكَامُ أَحْكَامُ الطَّوَارِئِ قَدْ فُرِضَتْ بَعْدُ، وَكَانَتْ هُنَاكَ فُسْحَةٌ لِلْكَلَامِ وَالْحَرَكَةِ وَالْمَقَالِ، فَوَقَفَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَسَبَّ الرَّئِيسَ السَّادَاتَ فِي عِرْضِهِ: هَلْ هَذَا مِنْ دِينِ اللهِ؟

لَا يُحَالُ مِثْلُ هَذَا إِلَىٰ مَرْءُوسِيهِ فِي الْأَوْقَافِ؛ لِيُحَقِّقُوا مَعَهُ، بَلْ هَذَا يُحَالُ إِلَىٰ الْمَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَامَ عَلَيْهِ حَدُّ الْقَذْفِ، وَيُعَزَّرَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ؛ لِأَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ عَدَمِ الْفُحْشِ فِي الْكَلَامِ، وَعَدَمِ الْقَذْفِ لِلْأَعْرَاضِ، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ؛ يُعَلِّمُهُمْ مِثْلَ هَذَا؟!!

وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا حُوِّلَ لِلتَّحْقِيقِ، وَكَانَ كَفِيفًا جَاءَ فِي نَفْسِهِ مَا جَاءَ، فَصَارَ إِلَىٰ التَّكْفِيرِ، فَصَارَ يُكَفِّرُ جُزَافًا، لَهُ قَرِيبٌ كَانَ مَوْجُودًا فِي مَدِينَةِ الْبُعُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ.

الْمُدُنُ الْجَامِعِيَّةُ -كَمَا تَعْلَمُونَ- يَأْتِي فِيهَا اللَّحْمُ، وَأَحْيَانًا يَكُونُ مِنْ لُحُومِ الطُّيُورِ الْمَذْبُوحَةِ، وَكَذَلِكَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمَذْبُوحَةِ، وَيَأْتِي هَذَا الطَّعَامُ، وَيُصْرَفُ لِلطُّلَّابِ، هُوَ يُكَفِّرُ؛ إِذَنْ: هَذَا اللَّحْمُ إِذَا كَانَ هُوَ مُتَّسِقًا مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُعْتَقَدِ لَا يَأْكُلُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ ذَبِيحَةِ الْكَافِرِ، وَيُكَفِّرُ الْعُمُومَ، جَاءَ مِنَ الرَّأْسِ إِلَىٰ الْفَرْعِ، كَفَّرَ الْجَمِيعَ حَتَّىٰ الَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ صَلَاةَ الظُّهْرِ، يُصَلِّي وَحْدَهُ، يُصَلِّي مُنْفَرِدًا!!

الْمُهِمُّ: لَمَّا يَسَّرَ اللهُ وَلَقِيتُهُ فِي جَمْعٍ مِنَ الطُّلَّابِ تَحَلَّقُوا حَوْلَهُ، أَنَا قُلْتُ: النِّقَاشُ مَعَ هَؤُلَاءِ غَيْرُ مُجْدٍ، وَأَسْلَمُ شَيْءٍ أَنْ تَأْتِيَ بِضَرْبَةٍ فِي الْمِحَزِّ، وَتَفْصِلَ الْعُضْوَ، وَيَنْتَهِيَ الْأَمْرُ، كَيْفَ يَكُونُ هَذَا فِي الْأَزْهَرِ؟!

بِأَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، قُلْتُ لَهُ: مَا حُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ عِنْدَكَ؟

قَالَ: كُفَّارٌ!!

فَهَمَّ بِهِ الطُّلَّابُ، أَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ، فَأَخَذْتُ أَنَا أُدَافِعُ عَنْهُ: دَعُوهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَمَامَهُمْ: هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَ شَيْئًا، فَأَذْهَبَ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَشْتَرِيَ لَكَ؟ وَكَانَتْ مَدِينَةُ الْبُعُوثِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَائِيَةً عَلَىٰ طَرِيقِ (صَلَاح سَالِم) بَيْنَ الْمَقَابِرِ؛ وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تَأْتِيَ بِطَعَامٍ فِي الْعَشَاءِ خَاصَّةً تَسِيرُ طَرِيقًا طَوِيلًا مُظْلِمًا مُوحِشًا، لَا إِنَارَةَ فِيهِ، وَهُوَ نَازِلٌ هَذَا الطَّرِيقُ؛ لِأَنَّهَا عَلَىٰ شِبْهِ هَضْبَةٍ أَوْ جَبَلٍ، فَإِذَا نَزَلْتَ -مَثَلًا- إِلَىٰ مَيْدَانِ (أَحْمَد سَعِيد) أَوْ مَيْدَانِ (عَبْدُه بَاشَا)؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَشْتَرِيَ طَعَامًا فَفِي ظُلْمَةٍ مُظْلِمَةٍ مُدْلَهِمَّةٍ حَالِكَةٍ، وَقَدْ لَا تَأْمَنُ عَلَىٰ نَفْسِكَ.

فَأَنَا قُلْتُ لَهُ: هَلْ تُحِبُّ أَنْ آتِيَ لَكَ بِطَعَامٍ؟ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَطِيعٍ بِنَفْسِهِ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَا فِيهِ، لَا بَأْسَ.

فَقَالَ: لَا.

قُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ سَتَأْكُلُ؟!

قَالَ: أَنَا أَنْزِلُ عِنْدَ فُلَانٍ وَهُوَ قَرِيبٌ لِي، أَوْ صَاحِبٌ لِي، وَعِنْدَهُ -بِطَرِيقَةِ وَأُسْلُوبِ الطُّلَّابِ فِي الْجَامِعَةِ، فِي الْمَدِينَةِ- يَقُولُ: وَعِنْدَهُ (بُون) زِيَادَة؛ فَسَوْفَ يَأْتِي لِي بِطَعَامٍ.

قُلْتُ: أَتَأْكُلُ لُحُومَ الْحَيَوَانَاتِ الْمَذْبُوحَةِ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ؟!

فَأُبْلِسَ.

نُبِّئْتُ بَعْدَهَا -هَذَا مَوْطِنُ الشَّاهِدِ-، نُبِّئْتُ بَعْدَهَا أَنَّهُ قَالَ بِالْعَامِّيَّةِ كَمَا نُقِلَ إِلَيَّ قَالَ: أَمَّا هَذَا لَوْ أَسْلَمَ، لَكَانَ آيَةً...!!

لَوْ أَسْلَمَ!! عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ يَعْنِي!!

عُقُولٌ مُنْغَلِقَةٌ، لَا يَنْفَعُ مَعَها حُجَّةٌ، فَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: مَنْ كَذَبَ دَخَلَ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا، مَنْ قَتَلَ نَقْتُلُهُ رِدَّةً لَا حَدًّا وَلَا قِصَاصًا، وَكَذَلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالسَّرِقَةِ لَا نُقِيمُ عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا نَقْتُلُهُ!

اللهُ ﷻ أَرْحَمُ بِهِ مِنْكَ، اللهُ ﷻ قَضَىٰ بِأَنَّ الزَّانِيَ الْبِكْرَ يُجْلَدُ مِئَةَ جَلْدَةٍ، وَأَنَّ السَّارِقَ تُقْطَعُ يَدُهُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُدُودِ، وَأَنَّ مَنْ قَذَفَ مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً يُجْلَدُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وَأَنْتَ تَقُولُ: يُقْتَلُ؟!

إِذَنْ أَنْتَ تُلْغِي الْحُدُودَ، وَإِلْغَاءُ الْحُدُودِ كُفْرٌ بِالرَّبِّ الْمَعْبُودِ، فَحَتَّىٰ هَذَا الْمُتَشَدِّدُ لَا يَنْجُو مِنْ تَشَدُّدِهِ، وَهِيَ مِنْ عُقُوبَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِكُلِّ مُنْحَرِفٍ أَنَّ انْحِرَافَهُ لَا بُدَّ أَنْ يُطَبَّقَ عَلَيْهِ، وَأَنَّ تَشَدُّدَهُ وَغُلُوَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ سُوءُهُ عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهِ مِنْ حِكَمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ!

كَمَا فِي الْمُقَابِلِ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَ اللهِ عَذَّبَهُ اللهُ بِمَنْ أَحَبَّ وَلَا بُدَّ؛ وَلِذَلِكَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَبْنَاءَهُمْ مَحَبَّةً غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ، يَعْنِي يَكُونُ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءُ سَبَبًا فِي تَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّ اللهِ، أَوْ فِي إِهْمَالِهِمْ لِدِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيُمْضُونَ حَيَوَاتِهِمْ جَمِيعَهَا مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءِ، يُعَذِّبُهُمُ اللهُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا عَلَتْ بِهِمُ السِّنُّ أَهْمَلُوهُمْ، وَرُبَّمَا تَخَلَّصُوا مِنْهُمْ، وَأَخَذُوا الْمَالَ الَّذِي جَمَعُوهُ فَتَمَتَّعُوا بِهِ، وَلَمْ يُنْفِقُوا مِنْهُ دِرْهَمًا وَاحِدًا لَا عَلَىٰ عِلَاجِهِمْ وَلَا عَلَىٰ مَأْوَاهُمْ، وَلَا عَلَىٰ كِسْوَتِهِمْ، وَيُهَانُونَ غَايَةَ الْإِهَانَةِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا؛ فَيُعَذِّبُهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ.

إِيَّاكَ أَنْ تُقَدِّمَ أَحَدًا عَلَىٰ اللهِ، أَوْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ!! عُذِّبْتَ بِهِ لَا مَحَالَةَ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْحَمْقَىٰ مِنَ الْخَوَارِجِ.

الْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ.

أَيْنَ يَذْهَبُ هَذَا؟

يَقُولُونَ: فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

كِلَا الْمَذْهَبَيْنِ بَاطِلٌ، وَضَالٌّ، وَمُخَالِفٌ لِلْأَدِلَّةِ.

قَالَ النَّاظِمُ: مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ: يَقُولُ: هَذِهِ الْأَجْسَادُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِذَا أُخْرِجَتْ مِنَ النَّارِ تَخْرُجُ كَالْفَحْمِ مُحْتَرِقَةً، وَأَنَّ نَارَ الدُّنْيَا هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ، نَارُنَا هَذِهِ فِي الدُّنْيَا.. هَذِهِ النَّارُ الَّتِي تَعْرِفُهَا فِي الدُّنْيَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ، نَارُ الْآخِرَةِ تَزِيدُ عَلَىٰ نَارِ الدُّنْيَا هَذِهِ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، أَيْ: ضِعْفًا وَمِثْلًا، فَإِذَا

أُدْخِلَ النَّارَ لَا يُدْخَلُ عَلَىٰ هَيْئَتِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِلَّا الإِنْسَانُ لَا يَتَحَمَّلُ هَذَا، وَلَكِنْ يَبْقَىٰ عَلَىٰ حَالِهِ مُعَذَّبًا، وَلَكِنْ يَحْتَرِقُ يَخْرُجُ فَحْمًا فَمَاذَا يُصْنَعُ بِهِ؟

عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

كَمَا بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

كَمَا تَرَىٰ أَنْتَ فِي مَجْرَىٰ الْمَاءِ، وَتَجِدُ حَبَّةً وَهِيَ أَسْرَعُ النَّبَاتِ نَبَاتًا، وَتَمِيلُ جِهَةَ الشَّمْسِ فَمَا يَكُونُ جِهَةَ الشَّمْسِ يَكُونُ أَخْضَرَ، وَمَا لَا يَكُونُ جِهَةَ الشَّمْسِ يَكُونُ أَصْفَرَ، كُلُّ مَنْ عَالَجَ فِلَاحَةَ الْأَرْضِ يَعْرِفُ مَا أَقُولُ، فَتَنْبُتُ كَالْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ضَبَائِرَ جَمَاعَاتٍ مُحْتَرِقِينَ، يُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يُسَمَّىٰ: نَهْرَ الْحَيَاةِ، فَيَحْيَوْنَ كَمَا يَحْيَا الْحَبُّ الَّذِي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ يَطْفَحُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْتَقِرُّ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْبُتُ، وَيُصْبِحُ شَجَرًا حَيًّا.

وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ

ذَكَرَ النَّاظِمُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ مَا مَرَّ، وَهَذَا الْبَيْتُ: سُؤَالُ الْمَلَكَيْنِ، وَذَكَرَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ، وَذَكَرَ حَوْضَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ذَكَرَ الْمِيزَانَ، ذَكَرَ مَسْأَلَةَ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَذَكَرَ الشَّفَاعَةَ فِي هَذَا الْبَيْتِ.

●●●



مَعْنَى الشَّفَاعَةِ

وَإِنَّ رَسُــولَ اللهِ لِلْخَلْــقِ شَــافِعٌ   وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ

الشَّفَاعَةُ: مَعْنَاهَا الْوَسَاطَةُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ عِنْدَ مَنْ هِيَ عِنْدَهُ.

وَالشَّفَاعَةُ تَكُونُ عِنْدَ اللهِ، وَتَكُونُ عِنْدَ النَّاسِ، الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللهِ تَخْتَلِفُ عَنِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ النَّاسِ.

النَّاسُ: يَشْفَعُ عِنْدَهُمُ الشَّافِعُونَ وَإِنْ لَمْ يَأْذَنُوا لَهُمْ.

اللهُ ﷻ: لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فَيَأْذَنُ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، أَيْ: مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُحَدِّدُهُ لَكَ ﷻ، يَعْنِي الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ مَفْتُوحَةً هَكَذَا، لَنْ يَشْفَعَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ، وَلَنْ يَشْفَعَ إِلَّا فِي مَنْ أَذِنَ اللهُ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ.

هَذَا مُهِمٌّ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا أَرَادَ أَنْ يَشْفَعَ فِي كَافِرٍ، الشَّفَاعَةُ فِي الْكَافِرِ غَيْرُ وَارِدَةٍ، لَمْ يُشْفَعْ إِلَّا فِي كَافِرٍ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ جَمِيعًا، وَهُوَ أَبُو طَالِبٍ عَمُّ رَسُولِ اللهِ، وَشُفِعَ فِيهِ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ، لَا فِي الْإِخْرَاجِ مِنَ النَّارِ؛ هُوَ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ

عَذَابًا لِمَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْمُنَاصَرَةِ وَالْمُؤَازَرَةِ لِلْإِسْلَامِ وَلِلنَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنْ لَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ، لَهُ نَعْلَانِ مِنَ النَّارِ جَمْرَتَانِ فِي أَخْمَصَيْ قَدَمَيْهِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَشَدُّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، وَهُوَ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا -نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ-.

إِذَنْ: لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ إِلَّا فِيمَنْ أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ فِيهِ، يُحَدِّدُهُ لَهُ.

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، يَعْنِي: مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ، أَمَّا الْكَافِرُ فَلَا شَفَاعَةَ فِيهِ، وَلَا تُقْبَلُ فِيهِ شَفَاعَةٌ؛ ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وَلَوْ بَذَلَ الْكَافِرُ أَمْوَالَ الدُّنْيَا يُرِيدُ الْفِدْيَةَ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١]، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ، وَهُوَ الْمَالُ الَّذِي يَفْتَدُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَلَا يُقْبَلُ فِيهِمْ شَفَاعَةُ أَحَدٍ، بَلْ هُمْ قَطْعًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ خَالِدُونَ مُخَلَّدُونَ فِيهَا.

●●●



لِلشَّفَاعَةِ شَرْطَانِ

الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

* إِذْنُ اللهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ.

* الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ.

أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَتَشْفَعُ عِنْدَهُ، وَلَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَكَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَلَوْ لَمْ يَرْضَ عَنِ الْمَشْفُوعِ فِيهِ، قَدْ يُبْغِضُ الْمَشْفُوعَ فِيهِ، وَيَوَدُّ أَنْ يَقْتُلَهُ أَوْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ، وَلَا يَرْضَىٰ عَنْهُ، وَلَكِنْ يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ فِيهِ مُضْطَرًّا لِحَاجَتِهِ لِلنَّاسِ وَالْأَعْوَانِ، فَلَوْ رَدَّ شَفَاعَتَهُمْ لَتَنَكَّرُوا عَلَيْهِ، فَهُوَ يَتَأَلَّفُهُمْ، وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُمْ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَأْذَنْ، وَلَوْ كَانَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْمَشْفُوعِ فِيهِ.

أَمَّا اللهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يُشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا فِي عُصَاةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ.

هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الشَّفَاعَتَيْنِ، وَالشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللهِ حَقٌّ بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ.

الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: هِيَ الشَّفَاعَةُ فِي الْكُفَّارِ، أَوِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ بِغَيْرِ إِذْنِ اللهِ.

⦿⦿⦿



الشَّفَاعَةُ قِسْمَانِ

الشَّفَاعَةُ: شَفَاعَتَانِ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ:

شَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

وَشَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

●●●

الرَّدُّ عَلَى مُنْكِرِي الشَّفَاعَةِ

قَدْ يَأْتِيكَ مَنْ يَقُولُ: الشَّفَاعَةُ لَا تُقْبَلُ بِدَلِيلِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]!!

فَتَقُولُ: أَنْتَ لَمْ تَسْتَقْرِئْ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مُجْتَزِئٌ، وَهِيَ آفَةٌ تَلْحَقُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَوَامِّ وَالْجَهَلَةِ، وَمِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ، وَأَحْيَانًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّهُ يَجْتَزِئُ النُّصُوصَ؛ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَأْخُذُ نَصًّا وَاحِدًا فِي الْمَسْأَلَةِ، وَيُرَتِّبُ عَلَيْهِ أَحْكَامًا، وَقَدْ يَكُونُ النَّصُّ مَنْسُوخًا، وَقَدْ يَكُونُ مُخْتَلَفًا فِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ مُطْلَقًا لَهُ مَا يُقَيِّدُهُ، وَقَدْ يَكُونُ عَامًّا لَهُ مَا يُخَصِّصُهُ، وَقَدْ يَكُونُ عَامًّا مَخْصُوصًا، وَقَدْ يَكُونُ مُشْكِلًا أَوْ مُجْمَلًا يَحْتَاجُ بَيَانًا، هُنَاكَ قَوَاعِدُ.

فَقَاعِدَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ النَّظَرِ فِي مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الشَّرْعِ: أَنْ تَجْمَعَ جَمِيعَ مَا وَرَدَ مِنَ النُّصُوصِ فِي الْمَسْأَلَةِ. هَذِهِ أَوَّلُ خُطْوَةٍ.

الْخُطْوَةُ الثَّانِيَةُ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ النُّصُوصُ مِنْ غَيْرِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يَعْنِي مِنَ الْكِتَابِ وَمِنَ السُّنَّةِ تَنْظُرُ فِي مَا جَاءَ مِنْ نُصُوصِ السُّنَّةِ؛ مِنْ أَجْلِ إِثْبَاتِ الثَّابِتِ، وَتَنْحِيَةِ الدَّخِيلِ، هَذِهِ الْخُطْوَةُ الثَّانِيَةُ.

فَلَا بُدَّ مِنَ اعْتِمَادِ الدَّلِيلِ بَعْدَ جَمْعِهِ وَالْبَحْثِ عَنْهُ، فَيَجْمَعُ الْأَدِلَّةَ الْوَارِدَةَ فِي الْمَسْأَلَةِ، ثُمَّ نَعْتَمِدُ مِنْهَا مَا هُوَ ثَابِتٌ.

ثُمَّ نَذْهَبُ إِلَىٰ الْخُطْوَةِ الثَّالِثَةِ، وَهِيَ: فَهْمُ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ مُتَأَزِرَةً مُتَعَاضِدَةً يَشْرَحُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُفَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَلَا نَجْتَزِئُ!

فَبَعْضُ النَّاسِ يَأْخُذُ نَصًّا وَاحِدًا يَأْتِيهِ، وَيُرَتِّبُ عَلَيْهِ حُكْمًا، وَيُحَارِبُ الدُّنْيَا كُلَّهَا، وَيَكُونُ هَذَا النَّصُّ -أَصْلًا يَكُونُ هَذَا النَّصُّ- مُطْلَقًا، وَقَدْ قُيِّدَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ، أَوْ يَكُونُ عَامًّا وَقَدْ خُصِّصَ، وَهُوَ يَأْخُذُ بِالْعَامِّ وَيُحَارِبُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا كَذَا!! عَلَىٰ الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ مَا قَالَهُ اللهُ ﷻ، وَلَكِنَّ هَذَا دِينُ اللهِ، وَهُنَاكَ قَاعِدَةٌ هَامَّةٌ أَنَّ الدِّينَ كُلٌّ مُتَكَامِلٌ؛ الْإِسْلَامُ بِعَقِيدَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ كُلٌّ مُتَكَامِلٌ، -لِلتَّقْرِيبِ- كَالْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ كُلُّ عُضْوٍ فِي هَذَا الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ الْحَيِّ لَهُ مَوْضِعُهُ، وَلَهُ أَهَمِّيَّتُهُ، يَعْنِي: هَلْ أَهَمِّيَّةُ الْعَيْنِ كَأَهَمِّيَّةِ الظُّفُرِ؟

هَلْ أَهَمِّيَّةُ الْقَلْبِ كَأَهَمِّيَّةِ الشَّعَرِ؟

لِكُلٍّ أَهَمِّيَّتُهُ وَقَدْرُهُ، وَلِكُلٍّ مَوْضِعُهُ فِي الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ سَوِيًّا مُتَكَامِلًا لَيْسَ شَائِهًا وَلَا مُشَوَّهًا.

الَّذِينَ لَا يُرَاعُونَ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ، وَيَأْتُونَ بِالْأَحْكَامِ عَلَىٰ حَسَبِ أَهْوَائِهِمْ، وَيَضَعُونَ كُلَّ حُكْمٍ فِيمَا تَرَائَىٰ لَهُمْ أَنْ يَضَعُوهُ فِيهِ، هَؤُلَاءِ كَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْأَعْضَاءَ فِي الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَيَجْعَلُ -مَثَلًا- الْأُذُنَيْنِ فِي

أَعْلَىٰ الرَّأْسِ، وَيَجْعَلُ الْعَيْنَيْنِ فِي الْقَفَا، وَيَجْعَلُ الطَّرَفَيْنِ السُّفْلِيَّيْنِ مَكَانَ الطَّرَفَيْنِ الْعُلْوِيَّيْنِ، وَيَذْهَبُ بِالْعُلْوِيَّيْنِ إِلَىٰ السُّفْلِيَّيْنِ.

تَصَوَّرْ كَائِنًا إِنْسَانِيًّا عَلَىٰ هَذِهِ الصُّورَةِ، مَا يَكُونُ هَذَا؟ وَهَلْ يُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ؟

يَعْنِي: إِذَا كَانَ هَذَا الَّذِي يَعْبَثُ بِالشَّرِيعَةِ، وَيَضَعُ النُّصُوصَ فِي غَيْرِ مَحَالِّهَا، وَيُنَزِّلُهَا عَلَىٰ غَيْرِ مَنَازِلِهَا، وَيُقِرُّهَا فِي غَيْرِ مَقَارِّهَا، إِذَا كَانَ هَذَا يَفْعَلُ هَذَا بِالشَّرِيعَةِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَجْعَلُ الصَّدْرَ -مَثَلًا- مَكَانَ الْبَطْنِ!

تَصَوَّرْ أَنْ يَكُونَ صَدْرُ إِنْسَانٍ مَكَانَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَمْشِي هَكَذَا، وَبَطْنُهُ فِي أَعْلَىٰ جِذْعِهِ، أَوْ يَجْعَلُ عَيْنَيْهِ فِي قَفَاهُ، وَهُوَ يَمْشِي بِظَهْرِهِ، فَكَذَلِكَ الَّذِي يَعْبَثُ بِنُصُوصِ الشَّرِيعَةِ، وَيَجْعَلُهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

خَطَأٌ كَبِيرٌ، لَيْسَ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ هَذَا مِنَ الْجَهْلِ بِالْعِلْمِ وَبِطَرِيقَتِهِ، وَبِطَرَائِقِ أَهْلِهِ فِي الِاسْتِنْبَاطِ.

◉ ◉ ◉

الِاسْتِنْبَاطُ لَهُ رِجَالُهُ

الِاسْتِنْبَاطُ لَهُ رِجَالُهُ؛ ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: ٨٣]؛ لِأَنَّ هُنَاكَ فَارِقًا كَبِيرًا بَيْنَ الْمُسْتَوَيَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، مُعْظَمُ النَّاسِ مِنَ الْعَوَامِّ لَيْسُوا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ، حَتَّىٰ طُلَّابُ الْعِلْمِ لَأَكْثَرُهُمْ لَيْسُوا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ؛ هَيْئَتُهُمْ أَنَّهُمْ مِنَ الطُّلَّابِ، وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسُوا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ.

طَالِبُ الْعِلْمِ مَنْ عَطَّلَ دُكَّانَهُ، وَخَرَّبَ بُسْتَانَهُ، وَمَاتَ أَقْرَبُ أَهْلِهِ فَلَمْ يَشْهَدْ جَنَازَتَهُ، طَالِبُ الْعِلْمِ مُقْبِلٌ عَلَىٰ الْعِلْمِ بِكُلِّيَّتِهِ، أَنْتَ لَيْسَ مَطْلُوبًا مِنْكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ فَرْضَ عِلْمِ الْكِفَايَةِ؛ لِتَكُونَ عَالِمًا، لِأَنَّ الْأُمَّةَ لَنْ تَكُونَ بِمَجْمُوعِ أَفْرَادِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ، هَذَا لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ فِي شَيْءٍ، بَلْ ضِدُّ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، نَوَّعَ اللهُ الصَّنَائِعَ، وَنَوَّعَ اللهُ الْحِرَفَ، وَنَوَّعَ اللهُ الِاهْتِمَامَاتِ، بَلْ آتَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ إِنْسَانٍ قُدْرَةً عَلَىٰ شَيْءٍ يُحْسِنُهُ، وَإِذَا مَا اشْتَغَلَ بِمَا يُحْسِنُهُ فَإِنَّهُ يَبْلُغُ فِيهِ الْمَبَالِغَ، وَأَمَّا إِذَا ضَيَّعَ الطَّاقَةَ، وَبَدَّدَ الْقُدْرَةَ الَّتِي آتَاهُ اللهُ فِي طَلَبِ مَا لَا يُحْسِنُهُ، وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ، فَهَذَا مُهْدِرٌ لِعُمْرِهِ، سَفِيهٌ فِي عَقْلِهِ.

وَتَذْكُرُونَ قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعَرُوضَ، وَوَزْنَ الشِّعْرِ عِنْدَ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ، وَالْخَلِيلُ كَانَ مِنْ أَذْكَىٰ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللهُ، وَكَانَ مُتَجَرِّدًا، كَانَ طُلَّابُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِعِلْمِهِ.

كَانَ طُلَّابُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِعِلْمِهِ: يَعْنِي الَّذِي تَعَلَّمُوهُ مِنْهُ، فَيَصِلُونَ إِلَىٰ الْمُلُوكِ، وَيُصَنِّفُونَ الْكُتُبَ، وَإِلَىٰ الْأُمَرَاءِ وَيَحُوذُونَ الدُّنْيَا وَيَتَمَتَّعُونَ.

وَهُوَ؟!

كَانَ يَضَعُ الْكِسْرَةَ مِنَ الْخُبْزِ الْيَابِسِ فِي مَاءِ النَّهْرِ إِدَامًا وَيَأْكُلُهَا، وَلَمْ يَلْتَفِتْ لِدُنْيَا!!

جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ عِلْمَ الْعَرُوضِ، وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ أُغْلِقَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ فِيهِ بِشَيْءٍ، فَظَلَّ عِنْدَ الْخَلِيلِ زَمَنًا، وَالْخَلِيلُ رَجُلٌ حَيِيٌّ لَمْ يَصْرِفْهُ، يَعْنِي: لَمْ يَقُلْ لَهُ: يَا أَخِي اغْرُبْ عَنْ وَجْهِي! أَنْتَ لَنْ تَتَعَلَّمَ شَيْئًا، اصْرِفْ هَمَّكَ لِشَيْءٍ آخَرَ، وَإِنَّمَا جَاءَهُ يَوْمًا بِحِيلَةٍ، وَالرَّجُلُ أَيْضًا كَانَ مُتَجَاوِبًا، فَجَاءَ الْخَلِيلُ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: قَطِّعْ لِي هَذَا الْبَيْتَ، يَعْنِي عَلَىٰ حَسَبِ التَّفْعِيلَاتِ.

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَىٰ مَا تَسْتَطِيعُ

فَفَهِمَ الرَّجُلُ فَانْصَرَفَ.

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَىٰ مَا تَسْتَطِيعُ

وَالْعُلَمَاءُ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ الْأَثْبَاتُ الْكِبَارُ مِنَ السَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- بَعْضُهُمْ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي بَعْضِ الْعُلُومِ حَتَّىٰ مَنْ كَانَ مَوْسُوعِيًّا، وَقَالَ إِنَّهُ بَلَغَ رُتْبَةَ الِاجْتِهَادِ الْمُطْلَقِ؛ السُّيُوطِيُّ -مَثَلًا- قَالَ: لَمْ يُفْتَحْ لِي فِي عِلْمِ الْحِسَابِ، وَجَاءَ عَلَيَّ وَقْتٌ لَنَقْلُ جَبَلٍ مِنْ مَوْضِعِهِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ حَلِّ مَسْأَلَةٍ!!

مَعَ أَنَّ الرِّيَاضِيَّاتِ أَيَّامَ السُّيُوطِيِّ -بِالتَّأْكِيدِ- لَمْ تَكُنْ مُعَقَّدَةً كَمَا هِيَ الْيَوْمَ!

لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ، بَعْضُهُمْ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي النَّحْوِ.. لَا شَيْءَ!!

لَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الْأُصُولِ.. لَا شَيْءَ أَيْضًا!!

بَعْضُهُمْ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الْحِفْظِ، وَهُوَ إِمَامٌ؛ كَالْمَحَلِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَمَا تَأْتِيهِ مَسْأَلَةٌ يُرِيدُ حِفْظَهَا إِذَا أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي حِفْظِهَا انْتَشَرَتْ فِي جَسَدِهِ الثَّآلِيلُ، وَهِيَ الِانْتِفَاخَاتُ الَّتِي تَنْتَفِطُ مِنَ الْجِلْدِ، وَتَكُونُ مَمْلُوءَةً بِالْمَاءِ، كَمَا لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ تَعَرَّضَ لِلنَّارِ، وَلَمْ تُحْرِقْ إِصْبَعَهُ، فَتَظْهَرُ مِنَ الثَّآلِيلِ بَعْضُ تِلْكَ النَّفَّاطَاتِ الَّتِي تَكُونُ مَمْلُوءَةً بِالْمَاءِ مِنْ شِدَّةِ مَا كَانَ يُعَانِي.

فَهَذَا فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ؛ فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ يُرِيدُ أَنْ يَبْحَثَهَا هُوَ أَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ فِي مَوْضِعِهِ.

هُنَاكَ عَوَامٌّ -مِثْلُنَا- نَتَعَلَّمُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ مَا نُؤَدِّي بِهِ الْفَرَائِضَ، لَسْنَا بِصَدَدِ مَشَارِيعِ عُلَمَاءَ كِبَارٍ، وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ هَذَا فَلَهُ سَبِيلٌ أُخْرَىٰ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا هَذَا شَيْءٌ آخَرُ، أَمَّا أَنْتَ تَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ الْفَرْضَ الْوَاجِبَ عَلَيْكَ.

لَا تَمُنَّ عَلَىٰ أَحَدٍ بِأَنَّكَ تَتعَلَّمُ، يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَتعَلَّمَ رَغْمًا عَنْكَ، وَإِلَّا عُذِّبْتَ؛ تَعَلَّمْ: كَيْفَ تَعْتَقِدُ، وَكَيْفَ تُصَلِّي، وَكَيْفَ تَصُومُ، وَكَيْفَ تُزَكِّي، وَكَيْفَ تَحُجُّ، وَكَيْفَ تَتَعَامَلُ بِالدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ إِذَا كُنْتَ مُشْتَغِلًا بِالْمُعَامَلَاتِ الْمَالِيَّةِ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَإِلَّا أَكَلْتَ الْحَرَامَ صِرْفًا، هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَتعَلَّمَهُ إِذَا تَعَلَّمْتَهُ لَا تَمُنَّ عَلَىٰ أَحَدٍ بِأَنَّكَ تَتعَلَّمُهُ.

هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَتعَلَّمَهُ، وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِفَايَةِ، أَوْ فَرْضِ الْكِفَايَةِ فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ، تَنْتَظِمُ فِي سِلْكِ طُلَّابِ الْعِلْمِ، وَتَثْنِي رُكْبَتَيْكَ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ، وَذَلَلْتَ طَالِبًا فَعَزَزْتَ مَطْلُوبًا؛ لِأَنَّ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ مَنْ يَكُونُ قَاسِيَ الطَّبْعِ، وَأَحْيَانًا يَشْتُمُ، وَأَحْيَانًا يَضْرِبُ، أَصْبِرُ عَلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: «ذَلَلْتُ طَالِبًا فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا»، قَالَ: وَلَوْ لَمْ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا كَانَ يَأْتِي مِنْهُ مَا تَعَلَّمْتُ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ يَخزِنُ عِلْمَهُ عَنْكَ، يَعْنِي أَنْتَ تَتعَلَّمُ عَلَىٰ شَرْطِ أَنَّكَ عَالِمٌ؟ يَعْنِي: تَجْلِسُ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ عَلَىٰ أَنَّكَ عَالِمٌ صَاحِبُ مِنَّةٍ، أَمْ أَنَّكَ تَتعَلَّمُ؟

فَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ أَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ فِي مَوْضِعِهِ، أَنْتَ طَالِبُ عِلْمٍ فَلْتَكُنْ عَلَىٰ قَانُونِ طَالِبِ الْعِلْمِ، قَانُونُ طَالِبِ الْعِلْمِ قَاسٍ جِدًّا، وَيَجْعَلُ الْإِنْسَانُ يَصْرِفُ عُمْرَهُ يُفْنِي شَبَابَهُ، وَيَحْنِي ظَهْرَهُ، وَيَشِيبُ شَعْرُهُ، وَيَذْهَبُ بَصَرُهُ، وَلَا يُحَصِّلُ مِنَ اللَّذَّاتِ شَيْئًا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الطَّلَبِ، وَقَدْ يُعْطَىٰ، وَقَدْ لَا يُعْطَىٰ!! قَدْ يُعْطَىٰ وَقَدْ لَا يُعْطَىٰ!! يَعْنِي لَيْسَ شَرْطًا إِذَا فَعَلْتَ هَذَا كُلَّهُ أَنْ تَأْخُذَ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا

كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ قَالَ: «الْعِلْمُ شَيْءٌ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّىٰ تُعْطِيَهُ كُلَّكَ، وَأَنْتَ بَعْدَ إِعْطَاءِ كُلِّكَ إِيَّاهُ مِنْ إِعْطَائِهِ إِيَّاكَ الْبَعْضَ عَلَىٰ خَطَرٍ»!!

يَعْنِي: قَدْ تَأْخُذُ، وَقَدْ لَا تَأْخُذُ، هَذِهِ أُمُورٌ، الْعُلَمَاءُ كَانُوا يُرَبُّونَ الطُّلَّابَ قَبْلَ أَنْ يُعَلِّمُوهُمْ، وَهَذَا غَائِبٌ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَوَقَعَ بِسَبَبِهِ -وَيَقَعُ- كَثِيرٌ جِدًّا مِنَ الْمَشَاكِلِ الَّتِي تَعُودُ فِي النِّهَايَةِ عَلَىٰ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَيَحْتَقِرُهُ الْعَوَامُّ وَالْمَسَاكِينُ وَالْجَهَلَةُ، يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ طُلَّابُ الْعِلْمِ!! يَتَكَلَّمُونَ عَنْهُمْ بِاحْتِقَارٍ وَازْدِرَاءٍ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ سَبَقَ التَّرْبِيَةَ، وَالْأَصْلُ: أَنَّ التَّرْبِيَةَ تَسْبِقُ الْعِلْمَ؛ لِذَلِكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَىٰ آدَابِ الطَّلَبِ فِي اخْتِيَارِ الشَّيْخِ تَقُولُ: إِنَّ الشَّيْخَ الْأَتْقَىٰ الْأَوْرَعَ أَنْفَعُ لَكَ وَأَجْنَىٰ عَلَيْكَ مِنَ الْأَعْلَمِ الَّذِي لَا تَقْوَىٰ عِنْدَهُ وَلَا وَرَعَ؛ لِأَنَّكَ سَتَسْتَفِيدُ مِنْهُ، مِنْ سَمْتِهِ، مِنْ حَرَكَةِ حَيَاتِهِ مِنْ مُعَامَلَاتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْفَائِدَةُ الْمَطْلُوبَةُ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ فَائِدَتُهُ الْعَمَلُ.

يَعْنِي لِمَاذَا تَتَعَلَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَرْتَفِعَ إِلَيْنَا أَبْصَارُ النَّاسِ؟ مِنْ أَجْلِ أَنْ نُنَاظِرَ هَذَا وَنَغْلِبَهُ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ نُحَارِبَ وَنَهْزِمَهُ؟!

لَا، إِنَّمَا نَتَعَلَّمُ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَعْمَلَ؛ فَالَّذِي يُفِيدُكَ فِي هَذَا التَّقِيُّ الْوَرِعُ، فَكَانُوا يَحْرِصُونَ عَلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّ فِيهَا تَرْبِيَةً قَبْلَ التَّعْلِيمِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي بِهِ النَّجَاةُ مِنْ أَزْمَةِ التَّعَلُّمِ.

فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَالِمٌ يُؤْتَىٰ بِهِ، يُعَرِّفُهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ، فَيَعْرِفُهَا يَقُولُ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

يَقُولُ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ؛ لِأَجْلِكَ.

يَقُولُ: كَذَبْتَ؛ إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتَهُ؛ لِكَيْ يُقَالَ: عَالِمٌ.

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَىٰ وَجْهِ حَتَّىٰ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ!!

أَمْرٌ كَبِيرٌ، وَمَسْئُولِيَّةٌ خَطِيرَةٌ.

فَالْإِنْسَانُ يُحَرِّرُ قَصْدَهُ أَنْ يَأْتِيَ: أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا -اللهُ الْمُسْتَعَانُ- وَفَّقَكَ اللهُ لِكُلِّ خَيْرٍ، اسْلُكِ السَّبِيلَ بِالنِّيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ أَيَّ إِنْسَانٍ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْحِرَفِ وَالصِّنَاعَاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِشَيْءٍ تَسْعَدُ بِهِ نَفْسُهُ وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ حَتَّىٰ يَبْذُلَ الْمَجْهُودَ، فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ تَرَىٰ بِعَيْنَيْكَ.

أَلَا تَرَىٰ الصَّبِيَّ الصَّغِيرَ يُلْقِي بِهِ أَبُوهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُعَلِّمَهُ، أَوْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ تَعْلِيمِهِ، أَوْ يَئِسَ مِنْ تَعْلِيمِهِ، فَيُلْقِي بِهَذَا الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ بَيْنَ يَدَيِ الَّذِي يَقُومُ عَلَىٰ إِصْلَاحِ السَّيَّارَاتِ -مَثَلًا- مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ: الْمِيكَانِيكِيُّ، فَيَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ؟!

وَإِذَا رَأَيْتَ هَذَا الصَّبِيَّ فِي مَرَاحِلِ التَّعَلُّمِ الْأُولَىٰ لَا تَكَادُ تُمَيِّزُ شَكْلَهُ مِنَ الشَّحْمِ وَالسَّوَادِ، وَالزَّيْتِ، وَالْهِبَابِ!!!

لَا تَكَادُ تُمَيِّزُهُ!!!

وَأَبُوهُ يَمُرُّ عَلَيْهِ، وَيَسْعَدُ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ يَتَقَدَّمُ، وَلَكِنْ سَيَبْقَىٰ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ؟!

لَا، بَعْدَ حِينٍ، وَعِنْدَمَا يَتَعَلَّمُ وَتَرْتَقِي بِهِ حَالُ التَّعَلُّمِ، يَجْلِسُ عَلَىٰ الدِّكَّةِ، وَيُشَغِّلُ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ، وَصَارَ مُعَلِّمًا... هَذَا فِي كُلِّ الْحِرَفِ.

فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ تِلْمِيذًا، أَنْ تَكُونَ طَالِبًا، وَلَكَ قَانُونٌ فِي الطَّلَبِ فِي مَرْحَلَةِ التَّلْمَذَةِ، أَنْتَ تِلْمِيذٌ!!

إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ فِي مَرْحَلَةِ التَّلْمَذَةِ شَيْخًا!!

وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحْدُثُ مِنَ الْخَلَلِ فِي السَّاحَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَبِسَبَبِهِ هَذِهِ الْفَوْضَىٰ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي تَرَاهَا، كُلُّ مَنْ أَقْبَلَ عَلَىٰ الْعِلْمِ صَارَ عَالِمًا، وَيُسْتَفْتَىٰ، وَالْجُهَّالُ مِنَ الْعَوَامِّ مَسَاكِينُ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَأْخُذَ الْهَدْيَ الظَّاهِرَ، أَوْ أَنْ يَرَوْهُ يَخْطُبُ فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ يَجْلِسُ لِيُعَلِّمَ -بِزَعْمِهِ- يَصِيرُ عَالِمًا عِنْدَهُمْ، وَلَا يُصَدِّقُونَ فِيهِ قَوْلًا.

يَعْنِي: إِذَا أَفْتَىٰ بِفَتْوَىٰ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِمَّنْ لَا يُقِرُّونَ هُمْ لَهُ بِالْعِلْمِ: هَذِهِ الْفَتْوَىٰ خَطَأٌ وَضَرَرٌ، وَالصَّوَابُ كَذَا، وَالدَّلِيلُ كَذَا...

يَقُولُونَ: تَفْهَمُ أَحْسَنَ مِنْ فُلَانٍ؟؟

فَوْضَىٰ عِلْمِيَّةٌ!!

الْأُمَّةُ لَا تَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا هَكَذَا، إِنَّمَا تَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ إِذَا انْضَبَطَ الْعِلْمُ فِي التَّلَقِّي، فِي التَّحَمُّلِ، وَفِي الْأَدَاءِ، وَلَهُ قَوَاعِدُهُ وَضَوَابِطُهُ، طَالِبُ الْعِلْمِ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَهَا.

فَعِنْدَنَا رَجُلٌ عَامِّيٌّ هَذَا مُطَالَبٌ بِمَا نَجْتَهِدُ نَحْنُ فِيهِ الْآنَ مِنْ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ، وَأُمُورِ الْعِبَادَةِ، وَأُمُورِ الْمُعَامَلَةِ وَالْأَخْلَاقِ، كُلُّ مُسْلِمٍ مُطَالَبٌ بِهَذَا.

كُلُّ مُسْلِمٍ مُطَالَبٌ بِأَنْ يَتَعَلَّمَ: كَيْفَ يُصَلِّي، كَيْفَ يَصُومُ، كَيْفَ يَحُجُّ، كَيْفَ يَتَعَامَلُ بِالدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ -إِذَا كَانَ يُتَاجِرُ، أَوْ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي، أَوْ يَهَبُ وَيُؤَجِّرُ وَيُشَارِكُ- إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ التَّعَامُلَاتِ!

كُلُّ مُسْلِمٍ مَطْلُوبٌ مِنْهُ: أَنْ يُحْسِنَ التَّعَامُلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ!

كُلُّ مُسْلِمٍ مَطْلُوبٌ مِنْهُ حَدٌّ أَدْنَىٰ لَا بُدَّ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَا نُحَاوِلُ نَحْنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.

إِذَنْ نَحْنُ مِنَ الْعَوَامِّ، لَسْنَا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ، طَالِبُ الْعِلْمِ دَرَجَةٌ أَعْلَىٰ، هَذَا لَا دُنْيَا لَهُ، هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا، وَلَهَا ضَرِيبَتُهَا، كَانُوا يَرْحَلُونَ سِتَّةَ شُهُورٍ؛ مِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ وَاحِدٍ، شُعْبَةُ قَالَ: إِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَطْلُبُ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا الْمَفَالِيسُ، وَيَقُولُ: إِنَّ طَلَبَ الْحَدِيثِ صَنْعَةُ الْمَفَالِيسِ. هُوَ لَا يَذُمُّ، وَلَكِنْ يُحَذِّرُ، يَعْنِي: إِذَا طَلَبْتَ الْعِلْمَ لَا بُدَّ أَنْ يُؤَثِّرَ فِي دُنْيَاكَ، حَتَّىٰ إِذَا كُنْتَ عَالِمًا، وَلَكِنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ؛ لِأَنَّ الْعَالِمَ إِذَا ذَهَبَ يَشْتَرِي شَيْئًا، فَلَنْ يُسَاوِمَ؛ مُرُوءَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ، وَمَا أَقَامَهُ اللهُ فِيهِ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُشَاكِسَ، وَأَنْ يُعَاكِسَ فَمَا يُعْطِيهِ الْبَائِعُ يَأْخُذُهُ، وَلَوْ كَانَ ظَاهِرَ الْغَبْنِ فِيهِ، وَهِيَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَىٰ فَقْرِ الْعُلَمَاءِ،

كَمَا قَرَّرَهُ ابْنُ خَلْدُونَ فِي «الْمُقَدِّمَةِ»، فَقَالَ: لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءَ عِنْدَهُمْ مُرُوءَةٌ، وَلَا نَذْهَبُ إِلَىٰ التَّاجِرِ مِنْ نِسَاءٍ أَوْ مِنْ رِجَالٍ، وَيَقُولُ لَهُ: حِزْمَةُ الْفِجْلِ هَذِهِ بِكَذَا. يَقُولُ لَهُ: اتَّقِ اللهَ!! إِنَّ الْفِجْلَ مَبْذُولٌ عَلَىٰ قَوَارِعِ الطُّرُقِ، فَلِمَاذَا تُغَالِي؟ وَأَنَا إِذَا أَخَذْتُهُ مِنْكَ الْآنَ، وَذَهَبْتُ إِلَىٰ الْحَاكِمِ عَذَّرَكَ، فَأَنْتِ تَغْبِنُ!

الْعَالِمُ سَيَقُولُ هَذَا؟!!!

إِمَّا أَنْ يَأْخُذَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصَرِفَ.

فَلَهَا مَسْئُولِيَّةٌ، يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ تَرْكِ الْمَلَاذِّ، وَلَا بُدَّ مِنْ رِعَايَةِ الْمُرُوءَةِ.

طَالِبُ الْعِلْمِ يُطَالَبُ بِمَا لَا يُطَالَبُ بِهِ الْعَامِّيُّ، يَعْنِي: كَانَ قَدِيمًا -مَثَلًا- لَوْ أَنَّ طَالِبَ عِلْمٍ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ يَمْشِي حَاسِرَ الرَّأْسِ فِي الشَّارِعِ، أَوْ يَحْضُرُ مَجْلِسَ عِلْمٍ وَهُوَ حَاسِرُ رَأْسٍ، فَهَذَا تَسْقُطُ مُرُوءَتُهُ؛ يَقُولُونَ: إِذَا جَاءَ يُحَدِّثُ لَا نَقْبَلُ مِنْهُ؛ لَيْسَتْ عِنْدَهُ أَهْلِيَّةُ الْأَدَاءِ!

هُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ عَلَىٰ أَيِّ هَيْئَةٍ، طَالَمَا كَانَ سَاتِرًا لِلْعَوْرَةِ، حَتَّىٰ الْكَافِرُ لَا نَمْنَعُهُ مِنْ حُضُورِ مَجْلِسِ الْعِلْمِ، الْكَافِرُ أَهْلٌ لِأَنْ يَتَحَمَّلَ، وَلَيْسَ بِأَهْلٍ لِأَنْ يُؤَدِّيَ؛ الْأَدَاءُ مَسْئُولِيَّةٌ كَبِيرَةٌ؛ لِأَنَّكَ سَتُؤَدِّي دِينَ اللهِ، أَمَّا أَنْ يَتَحَمَّلَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ، أَنْ يَسْأَلَ حَتَّىٰ يَهْتَدِيَ إِلَىٰ الْحَقِّ فَلَا يُصَدُّ أَحَدٌ عَنْ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، وَلَا عَنْ طَلَبِهِ، -وَلَوْ كَانَ كَافِرًا-، وَلَكِنْ إِذَا حَمَلَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، وَأَرَادَ أَنْ يُؤَدِّيَهُ نَقُولُ: لَا نَأْخُذُ مِنْهُ، الْكَافِرُ لَا يُؤَدِّي الْعِلْمَ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ، وَالْفَاسِقُ

كَذَلِكَ، وَكَانُوا يُحَاسِبُونَ طُلَّابَ الْعِلْمِ وَالرُّوَاةَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَىٰ أُمُورٍ لَا يُحَاسَبُ عَلَيْهَا غَيْرُهُمْ.

يَعْنِي: شُعْبَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ رَدَّ رَاوِيًا، قَالَ: لَا يُحْمَلُ عَنْهُ. فَقَالُوا: مَا جَرْحُهُ؟ يَعْنِي: لِمَاذَا تَجْرَحُهُ؟ يَعْنِي: لِمَاذَا هُوَ غَيْرُ عَدْلٍ عِنْدَكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَرْكَبُ بِرْذَوْنًا يَجْرِي بِهِ مِلْءَ فُرُوجِهِ!

مَا فِي هَذَا يَعْنِي؟

لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا رَكِبَ بَغْلًا أَوْ حِمَارًا أَوْ فَرَسًا، وَجَرَىٰ بِهِ بِأَقْصَىٰ سُرْعَتِهِ، هَذَا يُؤَثِّرُ فِيهِ؟ قَالَ: لَا. هَذَا عِنْدِي سَاقِطُ الْمُرُوءَةِ... لَا مُرُوءَةَ عِنْدَهُ، وَلَا أَحْمِلُ عَنْهُ الْحَدِيثَ، وَلَا يُحْمَلُ عَنْهُ، وَيُحْذَرُ مِنْهُ!

بَلْ بَعْضُهُمْ قَالَ: لَا أَحْمِلُ عَنْ فُلَانٍ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَبُولُ قَائِمًا. قَالُوا: وَمَا فِي هَذَا؟ قَالَ: أَرَىٰ رَشَاشَ الْبَوْلِ يَرْتَدُّ عَلَىٰ ثَوْبِهِ، أَوْ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ. قَالُوا: يَغْسِلُهُ. قَالَ: لَا أُرَاهُ يَغْسِلُهُ!!

لَا يَسْمَحُونَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا عَلَىٰ قَوَارِعِ الطُّرُقِ، وَلَا أَنْ يَشْرَبُوا هَكَذَا وُقُوفًا بَيْنَ النَّاسِ، عِلْمٌ لَهُ احْتِرَامُهُ، إِنْ لَمْ تَحْتَرِمْهُ لَمْ يَحْتَرِمْكَ، لَنْ يَحْتَرِمَكَ وَلَنْ يَحْتَرِمَكَ أَحَدٌ؛ لِأَنَّكَ تُهِينُهُ، وَإِذَا أَهَنْتَ الْعَزِيزَ أُهِنْتَ، وَالْعِلْمُ أَعَزُّ عَزِيزٍ مَنَحَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْخَلْقِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، الْأَمْرُ لَهُ ضَوَابِطُ حَاكِمَةٌ، وَهَذَا فِي كُلِّ شَيْءٍ. تَعْرِفُ كَانَ النَّاسُ قَدِيمًا إِذَا أَرَادَ طَالِبٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ الطِّبَّ قَامُوا بِالتَّحَرِّيَاتِ عَنْهُ، يُتَحَرَّىٰ عَنْهُ مِنْ جِهَاتٍ سِرِّيَّةٍ: أَهْلُهُ.. أَبُوهُ.. أُمُّهُ.. عَمُّهُ.. عَائِلَتُهُ.. مُسْتَوَاهُ الِاجْتِمَاعِيُّ.. أَخْلَاقُهُ.. طَرِيقَتُهُ؛ سَيَدْرُسُ الطِّبَّ!!

يَعْنِي: لَنْ يَكُونَ فِي مَوْقِعٍ مُتَنَفِّذٍ يَحْكُمُ فِيهِ فِي النَّاسِ، وَإِنَّمَا فِي الطِّبِّ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الطِّبَّ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ رِعَايَةِ الْأَسْرَارِ، الطِّبُّ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ رِعَايَةِ الْأَسْرَارِ، يَعْنِي: لَوِ اضْطُرَّتِ ابْنَةُ مُسْلِمٍ أَنْ تُعَالَجَ عِنْدَ طَبِيبٍ مُسْلِمٍ أَبُوهَا يَذْهَبُ بِهَا، وَيُدْخِلُهَا عَلَىٰ الطَّبِيبِ، وَتَدْخُلُ مَعَهَا أُمُّهَا.. أُخْتُهَا، أَبُوهَا لَا يَدْخُلُ، وَالطَّبِيبُ يُبَاشِرُ مِنْهَا مَا لَا يُبَاشِرُهُ أَبُوهَا؛ فَالطِّبُّ صَنْعَةٌ مِنْ أَجَلِّ الصِّنَاعَاتِ.

لِذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْكُنَ فِي بَلَدٍ لَيْسَ فِيهَا فَقِيهٌ وَلَا طَبِيبٌ، فَأَمَّا الْفَقِيهُ فَلِرِعَايَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَمَّا الطَّبِيبُ فَلِرِعَايَةِ الْأَبْدَانِ وَالْأَجْسَادِ.

فَهَذِهِ أُمُورٌ -حَتَّىٰ فِي الصِّنَاعَاتِ- لَهَا نِظَامٌ.

وَأَمَّا الْعِلْمُ فَكُلُّ أَحَدٍ يَدْخُلُ عَلَىٰ الْعِلْمِ! ادْخُلْ مَا شِئْتَ، لَكِنْ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا، أَوْ تُؤَدِّيَ الْعِلْمَ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ مِنْ غَيْرِ مُرُوءَةٍ، وَلَا أَخْلَاقٍ؟! مَمْنُوعٌ، وَلَا يُحْمَلُ مِنْكَ.

لِذَلِكَ قَالُوا قَدِيمًا: لَا تُعَلِّمُوا أَوْلَادَ السِّفْلَةِ الْعِلْمَ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ أُصُولٌ تَحْكُمُهُمْ، فَبَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَخْدِمُونَ الْعِلْمَ فِي تَحْصِيلِ الدُّنْيَا، وَمُحَارَبَةِ الدِّينِ، وَالِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ الصَّالِحِينَ، وَالْإِتْيَانِ بِالْفَتَاوَىٰ الَّتِي لَا مُسْتَنَدَ لَهَا لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا مِنْ سُنَّةٍ، وَلَا أَثَارَةٍ مِنْ صَحَابِيٍّ وَلَا تَابِعِيٍّ.

أَمْرٌ جَلِيلٌ!! وَأَنْتَ تَكُونُ إِذَا كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مُؤْتَمَنًا عَلَىٰ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَلَاغِ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

نَبِيُّنَا لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، فَمَنِ الْوَاسِطَةُ فِي الْبَلَاغِ، وَتَبْلِيغِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ الْأُمَّةِ؟

الْعُلَمَاءُ؛ فَهُمْ يَقُومُونَ بِرِسَالَةِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْعَالِمُ فَاسِقًا؟ أَنْ يَكُونَ فَاجِرًا؟ أَنْ يَكُونَ مُتَهَتِّكًا؟ أَنْ يَكُونَ مِهْزَارًا؟ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذِي مُرُوءَةٍ؟ هَلْ يَكُونُ هَذَا عَالِمًا؟ وَكَيْفَ يُحْتَرَمُ؟ وَكَيْفَ يُقْبَلُ مِنْهُ؟!!

وَكَذَلِكَ طَالِبُ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعَالِمَ يُرَبِّيهِ عَلَىٰ هَذَا، وَيَأْطُرُهُ عَلَيْهِ أَطْرًا، وَارْجِعُوا إِلَىٰ كُتُبِ سَلَفِكُمْ، كَيْفَ رَبَّوْا طُلَّابَهُمْ حَتَّىٰ صَارُوا عُلَمَاءَ، وَصَارَتِ الْمَسِيرَةُ الْعِلْمِيَّةُ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، وَلَكِنَّهَا انْحَرَفَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ انْحِرَافًا بَلِيغًا، فَتَهَجَّمَ عَلَىٰ الْعِلْمِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وَوَقَعَتْ فَوْضَىٰ عِلْمِيَّةٌ، حَتَّىٰ إِنَّكَ لَا تَجِدُ اثْنَيْنِ يُجْمِعَانِ عَلَىٰ قَوْلٍ وَاحِدٍ فِي مَسْأَلَةٍ؛ لِمَاذَا؟

لِأَنَّكَ عِنْدَكَ عَامِّيٌّ.. طَالِبُ عِلْمٍ.. عَالِمٌ.. مُفْتٍ، لَيْسَ كُلُّ عَالِمٍ بِمُفْتٍ -أَنَا لَا أَقْصِدُ الْمَنْصِبَ الرَّسْمِيَّ-، وَلَكِنْ مَنْصِبَ الْإِفْتَاءِ عُمُومًا، لَيْسَ كُلُّ عَالِمٍ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُفْتِيًا، الْمُفْتِي أَوِ الْقَاضِي الَّذِي يَفْصِلُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَنْصِبٌ لَهُ أَهْلِيَّةٌ خَاصَّةٌ، فَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ هُوَ عَالِمٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْعِلْمِ، وَيُؤَدِّي مَا عَلِمَهُ، وَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، وَلَا تَثْرِيبَ عَلَيْهِ، لَكِنْ أَنْ يَكُونَ مُفْتِيًا يَفْصِلُ فِي الْأَحْكَامِ، وَيَتَكَلَّمُ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، هَذَا لَهُ رِجَالُهُ أَعْلَىٰ مِنْ هَذَا، وَالصَّفْوَةُ مِنْهُمْ أَهْلُ الِاسْتِنْبَاطِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي النَّوَازِلِ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [النساء: ٨٣]، وَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ -فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ- وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّ النَّبِيَّ طَلَّقَ النِّسَاءَ، وَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ كَثِيرٍ نَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [النساء: ٨٣].

فَالَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ: أَيْ: مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الْأَحْكَامِ عِنْدَ نُزُولِ النَّازِلَةِ، كَمَا هِيَ النَّوَازِلُ الْعَظِيمَةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ لَهَا رِجَالُهَا، لَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا كُلُّ أَحَدٍ، الْآنَ يَتَكَلَّمُ فِي النَّازِلَةِ كُلُّ مَنْ مَلَكَ لِسَانًا، نَصْنَعُ كَذَا وَلَا نَصْنَعُ كَذَا، كَالنَّازِلَةِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْأُمَّةِ الْآنَ مِنْ أَعْدَائِهَا، وَمِنْ تَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، وَمِنْ مُحَاوَلَةِ إِنْفَاذِ الْمُخَطَّطِ بِمَدِّ الْخَطِّ إِلَىٰ مُنْتَهَاهُ؛ لِتَحْقِيقِ الْوَعْدِ التَّوْرَاتِيِّ الْمَكْذُوبِ مِنْ إِلَهِهِمْ لَهُمْ بِالْأَرْضِ وَالنَّاسِ وَالْمَذَلَّةِ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يَكُونَ جَمِيعُ الْأُمَمِيِّينَ أَوِ الْجُوِيِيمِ أَوِ الْأُمِّيِّينَ فِي مُصْطَلَحِ الْيَهُودِ، أَنْ يَكُونُوا كَالْكِلَابِ عَلَىٰ مَائِدَةِ الْيَهُودِ يَقُولُونَ: خُلِقَ النَّاسُ جَمِيعًا دُونَ الْيَهُودِ؛ لِخِدْمَةِ الْيَهُودِ، كَمَا يَحْدُثُ الْآنَ فِي الْأُرْدُنِّ.

مَنِ الَّذِي يَتكَلَّمُ فِي مِثْلِ هَذِهِ النَّوَازِلِ؟

كُلُّ مَنْ مَلَكَ لِسَانًا يَتكَلَّمُ فِي أَيِّ شَيْءٍ، إِنَّهُمْ يُهَيِّجُونَ النَّاسَ، يَأْتُونَ بِالْمُذِيعِينَ مِنْ أَصْحَابِ التَّوَجُّهَاتِ الْبَاطِلَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُهَيِّجُوا النَّاسَ، وَالْإِعْلَامُ يَصِلُ إِلَىٰ كُلِّ بَيْتٍ، وَيُخْرِجُوا الْمَسَاكِينَ مِنَ الْعَوَامِّ لِلْغَلَاءِ، وَارْتِفَاعِ الْأَسْعَارِ، وَبَعْضِ الْمُعَانَاةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُخَرِّبُوا دُورَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ، وَيُبَدِّدُوا ثَرْوَاتِهِمْ، وَيُحِلُّوا الْعَدُوَّ فِي دِيَارِهِمْ، هَلْ هُنَاكَ عَاقِلٌ.. عَاقِلٌ -فَضْلًا عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا، فَضْلًا عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ مُتَمَسِّكًا بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يَتَمَنَّىٰ أَوْ يَقْبَلُ أَنْ يَقَعَ اضْطِرَابٌ فِي الْأُرْدُنِّ -خَاصَّةً- وَهِيَ عَلَىٰ خَطِّ الْمُوَاجَهَةِ الْأَوَّلِ، وَمَعْلُومٌ عَلَىٰ أَنَّهُ عَلَىٰ حَسَبِ الْمُعَاهَدَاتِ الْقَدِيمَةِ، فَالْأُرْدُنُّ يُشْرِفُ عَلَىٰ الْمُقَدَّسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي فِلَسْطِينَ تَحْتَ الِاحْتِلَالِ، فَيُرِيدُونَ قَطْعَ الصِّلَةِ مِنْ أَجْلِ ضَمِّ الضِّفَّةِ إِلَىٰ الْيَهُودِ، وَكَذَلِكَ ضَمِّ غَزَّةَ إِلَىٰ الْيَهُودِ، أَوْ تَرْكِ غَزَّةَ مَعَ التَّوَسُّعِ فِي صَحْرَاءِ سَيْنَاءَ؛ لِإِنْشَاءِ مَا يُسَمَّىٰ بِغَزَّةَ الْكُبْرَىٰ، وَوَضْعِ الْيَدِ عَلَىٰ أَرْضِ الْمِيعَادِ، فَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِيهِ، فَضَعْ نَفْسَكَ مَوْضِعًا، وَاسْأَلْ رَبَّكَ الزِّيَادَةَ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا أَجْمَعِينَ.

إِذَنِ الْقُرْآنُ لَا يَضْرِبُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ آيَاتٍ فِي الشَّفَاعَةِ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

ائْتِ بِبَقِيَّةِ الْآيَاتِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

شَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ، وَشَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ:

فَالْمَنْفِيَّةُ: لَهَا وَجْهٌ فِي الْكُفَّارِ، وَمَنْ لَمْ يَأْذَنِ اللهُ بِالشَّفَاعَةِ فِيهِ.

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: لَهَا وَجْهٌ فِيمَنْ يَأْذَنُ اللهُ عَجَّلَ لِمَنْ شَاءَ مِنَ الشَّافِعِينَ أَنْ يَشْفَعُوا فِيهِ.

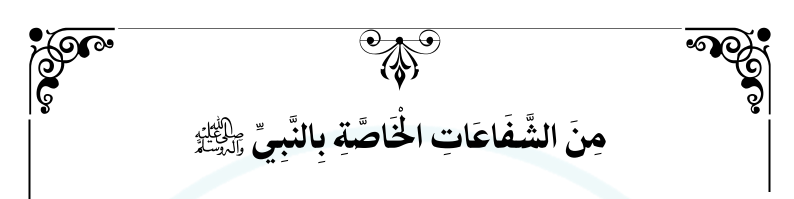
مُثْبَتَةٌ، وَمَنْفِيَّةٌ، وَالْجِهَةُ مُنْفَكَّةٌ كَمَا يَقُولُ الْمَنَاطِقَةُ، وَالْقُرْآنُ لَا يُضْرَبُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: شَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ، وَشَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ.

النَّبِيُّ ﷺ لَهُ شَفَاعَاتٌ.

وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ: لَهُ شَفَاعَاتٌ خَاصَّةٌ بِهِ، وَشَفَاعَاتٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

●●●



مِنَ الشَّفَاعَاتِ الْخَاصَّةِ بِالنَّبِيِّ ﷺ

شَفَاعَاتٌ خَاصَّةٌ بِرَسُولِ اللهِ:

أَوَّلُهَا: الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَىٰ: يَشْفَعُ فِي الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَىٰ حِينَمَا يَطُولُ الْمَوْقِفُ وَالْحَشْرُ عَلَىٰ النَّاسِ، وَهُمْ وُقُوفٌ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ، شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ، حُفَاةً عُرَاةً تَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فَيَتَقَدَّمُونَ، يَذْهَبُونَ إِلَىٰ آدَمَ، فَيُحِيلُهُمْ عَلَىٰ نُوحٍ، وَيُحِيلُهُمْ نُوحٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَيُحِيلُهُمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ، وَمُوسَىٰ يُحِيلُهُمْ عَلَىٰ عِيسَىٰ، وَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ وَيَقُولُونَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»، وَيَدُلُّهُمْ عِيسَىٰ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ فَيَقُولُ: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا، يَسْجُدُ ﷺ عِنْدَ الْعَرْشِ، وَيَحْمَدُ اللهَ وَيَدْعُوهُ، وَيَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ، يَقُولُ: لَا أَعْلَمُهَا الْآنَ**»، -وَإِنَّمَا يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ- حَتَّىٰ يَأْذَنَ لَهُ اللهُ: «**يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**».

فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ أَنْ يَبْدَأَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي حِسَابِهِمْ، وَالْفَصْلِ بَيْنَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهَذَا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ إِلَّا لِرَسُولِ اللهِ، يَغْبِطُهُ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، آدَمُ يَتَنَحَّىٰ، وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَالنَّبِيُّ يَقُولُ: «**أَنَا لَهَا.. أَنَا لَهَا**».

الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: خَاصَّةٌ أَيْضًا: شَفَاعَتُهُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا جَاءُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ لَا يُفْتَحُ لَهُمْ عَلَىٰ الْفَوْرِ، فَيَسْتَشْفِعُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي فَتْحِ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

شَفَاعَتُهُ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ -مَعَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَا تَنْفَعُ الْكَافِرِينَ-، وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقْبَلُ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ كَافِرٌ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْهُ، لَا فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ النَّارِ، كَمَا مَرَّ فِي وَصْفِ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

النَّبِيُّ ﷺ لَهُ شَفَاعَاتٌ خَاصَّةٌ، وَشَفَاعَاتٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا مَعَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ: يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ لَا يَدْخُلُهَا أَصْلًا، وَيَقْبَلُ اللهُ تَعَالَىٰ شَفَاعَتَهُ، وَهَذِهِ شَفَاعَةٌ عَامَّةٌ تَكُونُ لِلْمَلَائِكَةِ وَتَكُونُ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَتَكُونُ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَأَنْ يَرْحَمَنَا.

●●●

الرَّدُّ عَلَى مَنْ يَمْنَعُ الْأَخْذَ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ فِي الْعَقَائِدِ

ثُمَّ ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِك عَذَابَ الْقَبْرِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ مُوَضَّحٌ: الْأَدِلَّةُ عَلَيْهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

فِي هَذَا الْعَصْرِ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ: لَيْسَ فِي الْقَبْرِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ، وَقَدْ تَرَىٰ بَعْضَهُمْ وَيُكَلِّمُكَ، وَيَقُولُ: لَيْسَ فِي الْقَبْرِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ -فِي هَذَا الْعَصْرِ وَقَبْلَهُ- يَقُولُونَ: لَيْسَ فِي الْقَبْرِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ؛ حُجَّتُهُمْ أَنَّ هَذَا مِنْ أُمُورِ الِاعْتِقَادِ، وَمِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، وَهِيَ عِنْدَهُمْ لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِالدَّلِيلِ الْمُتَوَاتِرِ، لَا تَثْبُتُ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ، فَرَدُّوا جُمْلَةً كَبِيرَةً مِنَ الْعَقَائِدِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ سَلَفًا وَخَلَفًا؛ بِسَبَبِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْبَاطِلَةِ.

فَيَقُولُ: الْحَدِيثُ لَيْسَ بِمُتَوَاتِرٍ، فَلَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ اعْتِقَادٌ، وَالْعُلَمَاءُ مُجْمِعُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ قَدِيمٍ عَلَىٰ أَنَّ أَحَادِيثَ الْآحَادِ يُؤْخَذُ بِهَا فِي الْعَقَائِدِ، كَمَا يُؤْخَذُ بِهَا فِي الْأَحْكَامِ، فَقَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ بِأَنَّ فِي الْقَبْرِ نَعِيمًا أَوْ عَذَابًا، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: عِنْدَنَا دَلِيلٌ مِنَ الْكِتَابِ، وَهُوَ الْآيَةُ الَّتِي فِي آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [غافر: ٤٦].

إِذَنْ: هَذَا الْعَرْضُ فِي الْغُدُوِّ وَالْعَشِيِّ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَيَقُولُ: هَذَا صَحِيحٌ غَيْرُ صَرِيحٍ فَإِذَا جِيءَ لَهُ بِصَحِيحٍ قَالَ: هَذَا صَحِيحٌ غَيْرُ صَرِيحٍ، وَإِذَا جِيءَ لَهُ بِصَرِيحٍ قَالَ: صَرِيحٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَالْعُلَمَاءُ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا.

إِذَنْ: مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَالْأَحَادِيثُ فِيهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَوَاضِحَةٌ جِدًّا: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»، وَمِنْهُ: «**إِذَا انْصَرَفَ آتَاهُ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانِهِ وَيَقُولَانِ:....**» الْحَدِيثَ الَّذِي مَرَّ، «**وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ يَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ.**

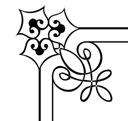
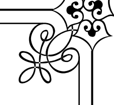
فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» يَعْنِي: الْإِنْسَ وَالْجِنَّ.

فَعَذَابُ الْقَبْرِ ثَابِتٌ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَلَا عِبْرَةَ بِمَا يَقُولُ.

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْحَمَنَا دُنْيَا وَآخِرَةً، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

● ● ●

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْخَامِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَسْأَلَةُ تَكْفِيرِ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ الَّتِي دُونَ الشِّرْكِ

فَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنْظُومَتِهِ (الْحَائِيَّةِ فِي أُصُولِ الِاعْتِقَادِ) عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّكْفِيرَ بِالْمَعْصِيَةِ، يَعْنِي: تَكْفِيرَ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

وَهَذِهِ مَسْأَلَةُ تَكْفِيرِ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ الَّتِي دُونَ الشِّرْكِ: وَقَدْ حَصَلَ فِيهَا اخْتِلَافٌ كَبِيرٌ مَا بَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَمَا بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ، وَمَا بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

فَالْخَوَارِجُ: يُكَفِّرُونَ بِالْكَبَائِرِ الَّتِي دُونَ الشِّرْكِ، وَيُخَلِّدُونَ أَصْحَابَهَا فِي النَّارِ، وَيَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِالْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْوَعِيدِ عَلَىٰ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَيَحْمِلُونَهَا عَلَىٰ كُفْرِ أَصْحَابِ تِلْكَ الْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ دُونَ الشِّرْكِ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ: يَقُولُونَ: لَيْسَ بِكَافِرٍ وَلَا مُؤْمِنٍ، بَلْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

وَالْمُرْجِئَةُ: عَلَىٰ النَّقِيضِ؛ الْكَبَائِرُ عِنْدَهُمْ لَا تَضُرُّ الْإِيمَانَ وَلَا تَنْقُصُهُ، فَالْعَاصِي صَاحِبُ الْكَبِيرَةِ عِنْدَهُمْ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، يَقُولُونَ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ مَعْصِيَةٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ.

هَذَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُدْخِلُونَ الْأَعْمَالَ فِي مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ، فَمَنْ تَرَكَ وَاجِبًا أَوْ فَعَلَ مُحَرَّمًا، أَوِ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً دُونَ الشِّرْكِ، فَهُوَ عِنْدَ الْمُرْجِئَةِ كَامِلُ الْإِيمَانِ، وَلَا تَنْقُصُهُ الْمَعَاصِي، وَلَا تَزِيدُهُ الطَّاعَاتُ عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَهُمْ فِي الْقَلْبِ، وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ.

فَهَذَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ، وَهُوَ عَلَىٰ النَّقِيضِ مِنْ مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ.

فَهُمْ أَخَذُوا بِآيَاتِ الْوَعْدِ وَالرَّجَاءِ، وَتَرَكُوا آيَاتِ الْوَعِيدِ.

وَأَمَّا الْخَوَارِجُ: فَأَخَذُوا بِآيَاتِ الْوَعِيدِ، وَتَرَكُوا آيَاتِ الْوَعْدِ وَالرَّجَاءِ.

*** مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ فشي مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ:**

أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: فَإِنَّهُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ وَالِاعْتِدَالِ، لَا يُكَفِّرُونَ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ، وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ كَامِلُ الْإِيمَانِ، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ لَكِنَّهُ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، أَيْ: نَاقِصُ الْإِيمَانِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، وَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَإِنْ عُذِّبَ فِي النَّارِ، فَإِنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، كَمَا تَقُولُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ.

فَجَمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بَيْنَ آيَاتِ الْوَعْدِ وَآيَاتِ الْوَعِيدِ، فَلَا يَقُولُونَ كَمَا تَقُولُ الْمُرْجِئَةُ: إِنَّ الْمَعَاصِيَ لَا تَضُرُّ، وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّهَا تُكَفِّرُ كَمَا يَقُولُهُ الْخَوَارِجُ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَعَاصِيَ تَضُرُّ وَتَنْقُصُ الْإِيمَانَ، لَكِنَّهَا لَا تُخْرِجُ صَاحِبَهَا مِنَ الدِّينِ، فَجَمَعُوا بَيْنَ النُّصُوصِ.

هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ: أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ كَافِرٌ، وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، وَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، إِنْ مَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ كَبِيرَتِهِ، فَهُوَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ابْتِدَاءً، وَلَمْ يُعَذِّبْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ؛ فَإِنْ عَذَّبَهُ فَإِنَّهُ لَا يُخَلِّدُهُ فِي النَّارِ، لِأَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ.

فَهَذَا مَعْنَىٰ كَلَامِ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا: يَعْنِي مَا دَامَتْ مَعْصِيَتُهُمْ دُونَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، فَكُلُّهُمْ يَعْصِي لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْمَعَاصِي، قَالَ ﷺ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**».

وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ: يَعْنِي يَغْفِرُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: «**يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

فَإِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يُشْرِكْ، وَعِنْدَهُ مَعَاصٍ دُونَ الشِّرْكِ فَهَذَا يَطْمَعُ فِي مَغْفِرَةِ اللهِ ﷻ؛ ﴿**قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

قَدْ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَقَدْ يُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، لَكِنْ لَا يُخَلِّدُهُمْ فِي النَّارِ، وَهَذَا الْمَذْهَبُ الْحَقُّ الْمُعْتَدِلُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ فِي أَصْحَابِ الْمَعَاصِي.

وَلَا تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا ... فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

● ● ●

مَنْ هُمُ الْخَوَارِجُ؟

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

ذُو الْعَرْشِ: صَاحِبُ الْعَرْشِ، اللهُ عَجَّلَ.

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ: وَلَمْ يَقُلْ: دِينَ الْخَوَارِجِ، وَلَمْ يَقُلْ: مُعْتَقَدَ الْخَوَارِجِ؛ لِأَنَّ أَصْلَ مَقَالَاتِهِمْ إِنَّمَا هِيَ مَحْضُ رَأْيٍ رَأَوْهُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، وَالْخَوَارِجُ هُمُ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ بِالْمَعَاصِي، وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ.

فَكُلُّ مَنْ خَرَجَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ الْحَقِّ الَّذِي اتَّفَقَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَيْهِ يُسَمَّىٰ خَارِجِيًّا، سَوَاءٌ كَانَ الْخُرُوجُ فِي أَيَّامِ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ الْأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ، أَوْ كَانَ بَعْدَهُمْ عَلَىٰ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ، وَعَلَىٰ الْأَئِمَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ.

إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي: مِنَ الرَّدَىٰ أَيِ: الْهَلَاكِ.

يُرْدِي: أَيْ: يُهْلِكُ، وَيَفْضَحُ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ: لَا تَحْكُمْ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ بِالْكُفْرِ خَاصَّةً مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، وَذَكَرَ الصَّلَاةَ هُنَا؛ لِأَنَّهَا الْفَارِقُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ، كَمَا رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**».

قَالَ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

فَالْمُسْلِمُ لَا يُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ.

قَالَ الْإِمَامُ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ»:

«وَيُؤْمِنُ أَهْلُ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ بِشَفَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِمُذْنِبِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَمُرْتَكِبِي الْكَبَائِرِ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ الصَّحِيحُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، وَذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**».

وَمُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ الَّذِي لَمْ يَتُبْ مِنْهَا بَيْنَ حَالَاتٍ ثَلَاثٍ:

وَاحِدَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَاثْنَتَانِ فِي الْآخِرَةِ:

أَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا: أَنْ يُحَدَّ الْحَدَّ، فَيَكُونَ لَهُ جَابِرًا.

وَالْحَالَتَانِ اللَّتَانِ فِي الْآخِرَةِ:

- إِمَّا أَنْ يُعَاقَبَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُخْرِجَهُ اللهُ مِنْهَا.

- وَإِمَّا أَنْ يَعْفُوَ اللهُ عَنْهُ وَلَا يُعَاقِبَهُ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ مُبَايِعًا إِيَّاهُمْ: «**بَايِعُونِي عَلَىٰ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا**

أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ، فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَالْخَوَارِجُ قَوْمُ سُوءٍ، وَقَدْ ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ فَضْلَ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، فَقَالَ ﷺ: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

فَحَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْفِرْقَةِ الَّتِي تَخْرُجُ عَلَىٰ حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا وَقَعَ لَمَّا دَبَّ النِّزَاعُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَخَرَجَ الْخَوَارِجُ، فَكَفَّرُوا الطَّائِفَتَيْنِ، وَانْحَازُوا نَاحِيَةً، وَقَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



الْحَذَرُ مِنَ التَّسَرُّعِ فِي التَّكْفِيرِ

فَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي التَّكْفِيرِ مُنْضَبِطٌ بِقَوَاعِدِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَالتَّكْفِيرُ حَقُّ اللهِ، فَمَنْ كَفَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ كَفَّرْنَاهُ، وَمَنْ كَفَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَفَّرْنَاهُ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِالِاشْتِهَاءِ، وَلَيْسَ بِالْهَوَىٰ، وَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَخَطَرُ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ خَطَرٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّ تَكْفِيرَ الْمُسْلِمِ أَشَدُّ بِكَثِيرٍ مِنْ قَتْلِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا قُتِلَ مَظْلُومًا فَمَآلُهُ الْجَنَّةُ، وَأَمَّا تَكْفِيرُهُ فَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا:

أَوَّلُهَا: أَنَّهُ يَصِيرُ مُرْتَدًّا، فَإِذَا مَاتَ فَإِنَّهُ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ أَبَدَ الْأَبِيدِ، وَهَذَا أَعْظَمُ أَثَرٍ لِتَكْفِيرِ الْمُسْلِمِ؛ أَنَّكَ تَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ كُفْرِهِ.

وَأَمَّا فِي حَالِ حَيَاتِهِ يُقَامُ عَلَيْهِ حَدُّ الرِّدَّةِ: فَيُقْتَلُ، وَلَا يُغَسَّلُ، وَلَا يُكَفَّنُ وَلَا يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا حَكَمْتَ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ فَلَا يَرِثُ وَلَا يُورَثُ، وَتَسْقُطُ وَلَايَتُهُ عَنْ أَهْلِهِ.

فَهَذِهِ أَحْكَامٌ عَظِيمَةٌ، وَيَصِيرُ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَذُرِّيَّتُهُ، وَأَهْلُهُ إِنْ كَانُوا عَلَىٰ مَا كَفَّرْتَهُ بِهِ يَصِيرُونَ غَنِيمَةً؛ لِمَنْ؟!

لِهَذَا الَّذِي كَفَّرَهُ. هَذَا أَمْرٌ كَبِيرٌ جِدًّا، فَتَكْفِيرُهُ أَشَدُّ مِنْ قَتْلِهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ مُنْضَبِطًا غَايَةَ الِانْضِبَاطِ. وَقَوَاعِدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِيهِ قَوَاعِدُ مُحْكَمَةٌ، لَا يَتَجَاوَزُهَا إِلَّا مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ لَا يُكَفِّرُونَ أَحَدًا بِمُجَرَّدِ ارْتِكَابِهِ نَاقِضًا مِنَ النَّوَاقِضِ، أَوْ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَفْعَلَ كُفْرًا أَوْ يَقُولَ كُفْرًا، لَا يُكَفِّرُونَ فَاعِلَ الْكُفْرِ، وَلَا قَائِلَ الْكُفْرِ حَتَّىٰ تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَيُبَيَّنَ لَهُ الْحُكْمُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَخْطَأَ وَغَلِطَ؛ حَتَّىٰ تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَتُبَيَّنَ لَهُ الْمَحَجَّةُ، وَمَنْ ثَبَتَ إِسْلَامُهُ بِيَقِينٍ، لَمْ يَزُلْ ذَلِكَ عَنْهُ بِالشَّكِّ، بَلْ لَا يَزُولُ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ».

وَمَنِ الَّذِي يُقِيمُ الْحُجَّةَ عَلَىٰ مَنْ وَقَعَ فِي الْكُفْرِ؟

أَهْلُ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْأَدِلَّةَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمُ الَّذِينَ لَدَيْهِمُ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ، أَمَّا آحَادُ الْعَوَامِّ الَّذِينَ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا أَهْلًا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُهِمَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ فَعَلَ كُفْرًا حُكِمَ بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْقَوْلُ كُفْرًا أَوِ الْفِعْلُ كُفْرًا، لَكِنْ لَا يُطْلَقُ عَلَىٰ فَاعِلِهِ أَنَّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ مَعْذُورًا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالتَّكْفِيرُ وَهُوَ مِنَ الْوَعِيدِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ تَكْذِيبًا لِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ، أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يُكَفَّرُ بِجَحْدِ مَا يَجْحَدُهُ؛ حَتَّىٰ تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ لَا يَسْمَعُ تِلْكَ النُّصُوصَ، أَوْ سَمِعَهَا وَلَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «وَكُنْتُ

دَائِمًا أَذْكُرُ الْحَدِيثَ الَّذِي فِي «الصَّحِيحَيْنِ» فِي الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ: «**إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الْيَمِّ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ، فَقَالَ اللهُ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشِيتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ**...» إِلَىٰ أَنْ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللهِ، وَفِي إِعَادَتِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، بَلِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا يُعَادُ، وَأَنَّ اللهَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ، وَهَذَا كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنْ كَانَ جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ، **فَلَمَّا سَأَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشِيتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ**».

إِذَنْ: قَدْ يَقَعُ الْإِنْسَانُ فِي شَيْءٍ كُفْرِيٍّ، لَكِنْ لَا يَكْفُرُ؛ لِأَنَّهُ جَاهِلٌ، فَيُعْذَرُ بِجَهْلِهِ، وَالْأَعْذَارُ كَثِيرَةٌ، ذَكَرَ مِنْهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ مَا يَلِي:

أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ.

وَرُبَّمَا لَا يَكُونُ حَدِيثَ عَهْدٍ، لَكِنْ تَكُونُ نَشْأَتُهُ وَحَيَاتُهُ فِي الْبَادِيَةِ، وَرُبَّمَا يَعِيشُ فِي الْحَاضِرَةِ وَعِنْدَ الْمُتَعَلِّمِينَ، وَلَكِنْ لَا يَسْمَعُ بِبَعْضِ النُّصُوصِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ بَعْضَ الْأَعْمَالِ كُفْرٌ، وَرُبَّمَا سَمِعَ بِهَذِهِ النُّصُوصِ، لَكِنْ لَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّهُ يَظُنُّهَا غَيْرَ ثَابِتَةٍ.

⁂

التَّفْرِيقُ بَيْنَ التَّكْفِيرِ المُطْلَقِ وَتَكْفِيرِ المُعَيَّنِ

وَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مِنْ قَوَاعِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ:

أَنَّهُمْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ التَّكْفِيرِ الْمُطْلَقِ، وَتَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ، فَيَقُولُونَ: مَنْ فَعَلَ كَذَا أَوْ قَالَ كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ، هَذَا بِإِطْلَاقٍ، وَهَذَا هُوَ التَّكْفِيرُ الْمُطْلَقُ، مَنْ فَعَلَ كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ.. مَنْ قَالَ كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ.. بِإِطْلَاقٍ!

وَهَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ تَكْفِيرَ الْمُعَيَّنِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَعْذُورًا كَمَا مَرَّ، يَفْعَلُ كُفْرًا، وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ كُفْر.

وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّكْفِيرِ الْمُطْلَقِ وَالتَّكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «إِنَّ تَكْفِيرَ الْمُطْلَقِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَكْفِيرَ الْمُعَيَّنِ إِلَّا إِذَا وُجِدَتِ الشُّرُوطُ، وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ».

فَهَذَا مُهِمٌّ، تَقُولُ: مَنْ فَعَلَ كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ. مَنْ قَالَ كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ.. هَذَا بِإِطْلَاقٍ، عِنْدَمَا تُنَزِّلُ هَذَا الْحُكْمَ الْمُطْلَقَ عَلَىٰ فُلَانٍ.. عَلَىٰ مُعَيَّنٍ لَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، وَإِلَّا فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُعَيِّنَ، حَتَّىٰ تَتَوَفَّرَ هَذِهِ الْأُمُورُ حَتَّىٰ تَتَوَفَّرَ الشُّرُوطُ، وَتَنْتَفِيَ الْمَوَانِعُ، وَتُقَامَ الْحُجَّةُ، وَأَيُّ حُجَّةٍ؟

الْحُجَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَالْحُجَّةُ الرَّسُولِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ، يَعْنِي لَا يَأْتِي الْإِنْسَانُ بِكَلَامٍ مِنْ عِنْدِهِ، أَوْ بِقَوَاعِدَ قَعَّدَهَا لِنَفْسِهِ، أَوْ قَعَّدَهَا لَهُ أَمِيرُهُ أَوْ شَيْخُهُ أَوْ مُرْشِدُهُ، ثُمَّ يُنَزِّلُ الْحُكْمَ الْمُطْلَقَ عَلَىٰ الْمُعَيَّنِ، وَيُكَفِّرُ بِغَيْرِ حَقٍّ.

مَسْأَلَةُ تَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ: مَسْأَلَةٌ مَعْرُوفَةٌ، إِذَا قَالَ قَوْلًا يَكُونُ الْقَوْلُ بِهِ كُفْرًا، فَيُقَالُ: مَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَلَكِنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّىٰ تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ.

وَلَيْسَ مَعْنَىٰ التَّشْدِيدِ فِي تَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَيْسَ مَعْنَىٰ الِاحْتِرَازِ وَالِاحْتِيَاطِ أَنَّهُمْ يُوَافِقُونَ الْمُرْجِئَةَ الَّذِينَ لَا يُكَفِّرُونَ مَنْ كَفَّرَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، بَلْ هُمْ -كَمَا سَبَقَ- وَسَطٌ بَيْنَ الْمُكَفِّرَةِ وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ؛ وَلِهَذَا نَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ إِجْمَاعَ السَّلَفِ عَلَىٰ تَكْفِيرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْكَافِرَ أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ، كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ تَكْفِيرِ مَنِ ادَّعَىٰ الْأُلُوهِيَّةَ فِي عَلِيٍّ، وَتَكْفِيرَ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ مَنِ ادَّعَىٰ ذَلِكَ.

إِنَّ بَعْضَ غُلَاةِ الشِّيعَةِ مِنَ الرَّوَافِضِ يَقُولُونَ: إِنَّ فِي عَلِيٍّ جُزْءًا إِلَهِيًّا، فَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِ أُلُوهِيَّةً، وَيَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، مَنْ قَالَ هَذَا، أَوِ اعْتَقَدَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ فَهُوَ مِثْلُهُ.

إِذَنِ: التَّكْفِيرُ حَقُّ اللهِ؛ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَجَّمَ عَلَيْهِ، وَلَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَّا بِحَقٍّ، فَالتَّكْفِيرُ حَقُّ اللهِ وَحَقُّ رَسُولِ اللهِ، مَنْ كَفَّرَهُ اللهُ ﷻ كَفَّرْنَاهُ، وَمَنْ كَفَّرَهُ الرَّسُولُ

ﷺ كفَّرْنَاهُ، لَسْنَا مُرْجِئَةً، وَلَكِنْ لَسْنَا مِنَ الْوَعِيدِيَّةِ، لَسْنَا مِنَ الْخَوَارِجِ يُكَفِّرُونَ بِمُجَرَّدِ الْوُقُوعِ فِي الْكَبِيرَةِ، بِمُجَرَّدِ ارْتِكَابِ الْمَعْصِيَةِ، بَلْ إِذَا أَتَىٰ الْكُفْرُ مِنْ أَحَدٍ فَإِنَّنَا لَا نَحْكُمُ بِكُفْرِهِ تَعْيِينًا، وَإِنَّمَا نَقُولُ: لَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَلَا بُدَّ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ.

وَالتَّكْفِيرُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، وَحَقٌّ لِلَّهِ عَجَّلَ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا كَانَ يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ كَأَبِي إِسْحَاقَ الإِسْفَرَايِينِيِّ وَمَنْ تَبِعَهُ، يَقُولُونَ: لَا نُكَفِّرُ إِلَّا مَنْ يُكَفِّرُ؛ فَإِنَّ الْكُفْرَ لَيْسَ حَقًّا لَهُمْ، بَلْ هُوَ حَقٌّ لِلَّهِ عَجَّلَ.

وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكْذِبَ عَلَىٰ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ، وَلَا أَنْ يَفْعَلَ الْفَاحِشَةَ بِأَهْلِ مَنْ فَعَلَ الْفَاحِشَةَ بِأَهْلِهِ، بَلْ لَوِ اسْتَكْرَهَهُ رَجُلٌ عَلَىٰ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَسْتَكْرِهَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَوْ قَتَلَهُ بِتَجْرِيعِ خَمْرٍ لَمْ يَجُزْ قَتْلُهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا حَرَامٌ لِحَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَلَوْ سَبَّ النَّصَارَىٰ نَبِيَّنَا، لَمْ يَكُنْ لَنَا أَنْ نَسُبَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالرَّافِضَةُ إِذَا كَفَّرُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُكَفِّرَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مِنَ الْقَوَاعِدِ فِي هَذَا الْبَابِ:

أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمُسْلِمِ الْعَدَالَةُ: فَالْأَصْلُ فِي الْمُسْلِمِ الْعَدَالَةُ، وَبَقَاءُ إِسْلَامِهِ، وَبَقَاءُ عَدَالَتِهِ حَتَّىٰ يَتَحَقَّقَ زَوَالُ ذَلِكَ عَنْهُ؛ بِمُقْتَضَىٰ الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ، وَلَا يَجُوزُ التَّسَاهُلُ فِي تَكْفِيرِهِ أَوْ تَفْسِيقِهِ؛ **لِأَنَّ فِي ذَلِكَ مَحْذُورَيْنِ عَظِيمَيْنِ:**

أَحَدُهُمَا: افْتِرَاءُ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الْحُكْمِ، وَالْمَحْكُومِ عَلَيْهِ فِي الْوَصْفِ الَّذِي نَبَذَهُ بِهِ.

الثَّانِي: الْوُقُوعُ فِيمَا نَبَذَ بِهِ أَخَاهُ، إِنْ كَانَ سَالِمًا مِنْهُ؛ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**».

وَقِيَامُ الْحُجَّةِ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ قِيَامَ الْحُجَّةِ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ وَالْأَشْخَاصِ، فَقَدْ تَقُومُ حُجَّةُ اللهِ عَلَىٰ الْكُفَّارِ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، وَفِي بُقْعَةٍ وَنَاحِيَةٍ دُونَ أُخْرَىٰ، كَمَا أَنَّهَا تَقُومُ عَلَىٰ شَخْصٍ دُونَ آخَرَ؛ إِمَّا لِعَدَمِ عَقْلِهِ وَتَمْيِيزِهِ كَالصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ فَهْمِهِ كَالَّذِي لَا يَفْهَمُ الْخِطَابَ، وَلَمْ يَحْضُرْ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، وَجَحْدُ الْأَمْرِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ لَيْسَ كَجَحْدِ الْمَعْلُومِ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ؛ فَإِنَّ جَاحِدَ الْحُكْمِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ إِنَّمَا يَكْفُرُ إِذَا كَانَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، وَأَمَّا الْمُجْمَعُ عَلَيْهِ الَّذِي لَيْسَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ فَلَا يَكْفُرُ بِإِنْكَارِ مِثْلِ: كَوْنِ بِنْتِ الِابْنِ لَهَا السُّدُسُ مَعَ الْبِنْتِ هَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، فَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا الْحُكْمَ فَلَا نُكَفِّرُهُ مَعَ أَنَّهُ حُكْمٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَالَّذِي يَكْفُرُ جَاحِدُهُ إِذَا كَانَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ كَوُجُوبِ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَحْرِيمِ الشِّرْكِ، وَالزِّنَا وَنَحْوِ ذَلِكَ».

فَقَوَاعِدُ التَّكْفِيرِ قَوَاعِدُ مُنْضَبِطَةٌ، وَلَا تَجِدُ أَحَدًا أَرْحَمَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْمُسْلِمِينَ.

أَهْلُ السُّنَّةِ أَرْحَمُ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ، يَرْحَمُونَ الْخَلْقَ، وَيَقْضُونَ بِالْحَقِّ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ هُمُ الرُّحَمَاءُ حَقًّا، وَالَّذِي يُنْبَذُ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ إِنَّمَا هُوَ زُورٌ وَبُهْتَانٌ، إِمَّا أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الْجُهَّالِ الْمَارِقِينَ، وَإِمَّا أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الْمُرْجِئَةِ الْفَاسِدِينَ، وَلَكِنَّ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هِيَ الْعَقِيدَةُ الَّتِي أَقَرَّتْهَا النُّصُوصُ فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأَمَّا رَأْيُ الْخَوَارِجِ فِي التَّكْفِيرِ: فَهَذَا رَأْيٌ بَاطِلٌ، وَقَدْ قَامَتِ الْأَدِلَّةُ وَالْحُجَجُ عَلَىٰ بُطْلَانِهِ، قَدْ حَارَبَهُمُ الصَّحَابَةُ، وَقَتَلُوهُمْ كَمَا فَعَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّهُ كُلَّمَا طَلَعَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، فَمَا زَالَ يُرَدِّدُهَا، لَا تَقُومُ لَهُمْ دَوْلَةٌ، وَلَا يَسْتَمِرُّ لَهُمْ حُكْمٌ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ نَبْتَةٌ فَاسِدَةٌ، وَعَقِيدَةٌ ضَالَّةٌ، فَلَيْسَ لَهَا وُجُودٌ، فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُمْ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

وَالْخَوَارِجُ: فِرْقَةٌ مِنْ فِرَقِ الضَّلَالِ، سُمُّوا بِالْخَوَارِجِ؛ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَأَوَّلَ مَا خَرَجُوا، خَرَجُوا عَلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ، وَقَالُوا: لَا نُحَكِّمُ الرِّجَالَ؛ وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ!».

نَعَمْ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، وَلَكِنْ مَا هُوَ الْمَعْنَىٰ؟

هُوَ أَعْلَمُ بِالْمَعْنَىٰ مِنْهُمْ، وَلَمَّا نَاظَرَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَدْلَوْا عَلَيْهِ بِهَذِهِ الشُّبْهَةِ، وَقَالُوا: إِنَّ عَلِيًّا حَكَّمَ الرِّجَالَ!!

فَقَالَ: أَلَيْسَ اللهُ قَدْ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي الْأَرْنَبِ يَصِيدُهَا الْمُحْرِمُ؛ قَالَ فِي الصَّيْدِ: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]؟!

أَلَيْسَ اللهُ قَدْ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي قَضِيَّةِ النُّشُوزِ، نُشُوزِ الْمَرْأَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]؟!

فَحَكَّمَ الرِّجَالَ، وَتَحْكِيمُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِلرِّجَالِ هُوَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ عُقُولٌ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، رَجَعَ مَعَهُ أَلْفَانِ، أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، فَتَرَكُوا مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ، وَرَجَعُوا مَعَهُ إِلَىٰ مُعَسْكَرِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ: أَيْ: يُحِبُّهُ وَيَتَّبِعُهُ.

يُرْدِي وَيُهْلِكُ: مَنْ قَالَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ رَأْيٌ خَطِيرٌ فِيهِ تَكْفِيرُ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتِحْلَالُ دِمَائِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَالْخُرُوجُ عَلَىٰ وُلَاةِ الْأُمُورِ.

فَمَذْهَبُ الْخَوَارِجِ يَتَفَرَّعُ مِنْهُ فُرُوعٌ قَبِيحَةٌ، فَلَا تَعْتَقِدْهُ، أَوْ تَمِلْ إِلَيْهِ، بَلِ اعْتَبِرْهُ مَذْهَبًا بَاطِلًا.

وَهَذَا الَّذِي يَرَىٰ رَأْيَهُمْ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ مِثْلَ فِعْلِهِمْ، فَكَيْفَ بِالَّذِي يَرَىٰ رَأْيَهُمْ وَيُنْفِذُهُ؟! لِأَنَّهُ نَهَىٰ هُنَا عَنِ اعْتِقَادِ الرَّأْيِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْ تَرْتِيبِ الْعَمَلِ عَلَىٰ اعْتِقَادِ هَذَا الرَّأْيِ.

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُمْ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

لِأَنَّ الْخَوَارِجَ يُعِدُّونَ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَيْدِيَ بِالسِّلَاحِ؛ مِنْ أَجْلِ قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِرَاقَةِ دِمَائِهِمْ.

⦿⦿⦿

الْخَوَارِجُ الْقَعَدَةُ

وَهُنَاكَ مِنَ الْخَوَارِجِ ضَرْبٌ خَبِيثٌ.. نَوْعٌ خَبِيثٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يُقَالُ لَهُمْ: الْخَوَارِجُ الْقَعَدَةُ، هَؤُلَاءِ لَا يَحْمِلُونَ السِّلَاحَ، وَلَا يُقَاتِلُونَ، وَلَكِنْ يُرَوِّجُونَ لِرَأْيِ الْخَوَارِجِ، يُقَعِّدُونَ وَيُنَظِّرُونَ وَيَبُثُّونَ رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهَؤُلَاءِ أَخْبَثُ الْخَوَارِجِ، وَهُمُ الْخَوَارِجُ الْقَعَدَةُ، كَمَا سَمَّاهُمْ عُلَمَاؤُنَا.

أَصْلُ الْخَوَارِجِ: رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ قَسْمًا، فَأَتَىٰ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ -وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ!**

فَقَالَ: وَيْلَكَ!! -وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ؟!- قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ.

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ائْذَنْ لِي فِيهِ؛ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ.

فَقَالَ: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَىٰ نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَىٰ رُصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَىٰ نَضِيِّهِ -وَهُوَ قِدْحُهُ- فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ

إِلَىٰ قُذَذِهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَىٰ عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَىٰ نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَوَارِجِ -فِيمَا رُوِىَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ-: **«كِلَابُ النَّارِ، شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَىٰ مَنْ قَتَلُوهُ»**.

فَالْخَوَارِجُ فِرْقَةٌ ضَالَّةٌ، وَمِنْ عَقَائِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ:

أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ، وَيُخَلَّدُ فِي النَّارِ، وَهُمْ يُكَفِّرُونَ أَيَّ مُسْلِمٍ يَرْتَكِبُ مَعْصِيَةً؛ لِذَلِكَ كَفَّرُوا الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَبَاحُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

وَمِنْ عَقَائِدِ الْخَوَارِجِ:

أَنَّهُمْ يَرَوْنَ وُجُوبَ الْخُرُوجِ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِارْتِكَابِ الْفِسْقِ أَوِ الظُّلْمِ.

●●●

مِنْ عَقَائِدِ الْخَوَارِجِ

وَمِنْ عَقَائِدِهِمْ:

إِنْكَارُ الشَّفَاعَةِ لِعُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْهَا: تَكْفِيرُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ كَأَهْلِ التَّحْكِيمِ وَأَصْحَابِ الْجَمَلِ.

وَمِنْهَا: نَفْيُ رُؤْيَةِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ... إِلَىٰ آخِرِ عَقَائِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ.

وَلَهُمْ أَسْمَاءٌ عَدِيدَةٌ، مِنْهَا: الْإِبَاضِيَّةُ: أَتْبَاعُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبَاضٍ، وَلَهُمْ وُجُودٌ الْآنَ فِي عُمَانَ.

وَالْخَوَارِجُ: وَهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بِـ(جَمَاعَةِ التَّكْفِيرِ وَالْهِجْرَةِ) خَرَجَتْ مِنْ مِصْرَ، وَانْتَشَرَتْ إِلَىٰ بَعْضِ الْأَقْطَارِ، وَتَفَرَّعَ عَنْهَا مَا تَفَرَّعَ مِنَ الْجَمَاعَاتِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ، نَبَغَتْ فِي هَذَا الزَّمَانِ جَمَاعَةُ التَّكْفِيرِ، وَهِيَ تَعْتَنِقُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ، ظَهَرَتْ بِمِصْرَ، ثُمَّ امْتَدَّتْ إِلَىٰ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لَكِنَّهَا الْآنَ أَصْبَحَتْ خَامِلَةً غَيْرَ مُتَّبَعَةٍ؛ بِسَبَبِ تَفَقُّهِ الشَّبَابِ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

تَفَرَّعَ عَنْهُمْ بَعْدُ: الشَّوْقِيُّونَ، الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، الْجِهَادُ، الْقُطْبِيُّونَ، التَّوَقُّفُ وَالتَّبَيُّنُ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ أُصُولٍ بَاطِلَةٍ مُخَالِفَةٍ لِكِتَابِ اللهِ وَلِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَيُحَذِّرُ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ طَرِيقَةِ الْخَوَارِجِ الَّتِي هِيَ مِنْ طُرُقِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَيَقُولُ مُحَذِّرًا: «إِنَّ مَقَالَهُمْ يُرْدِي وَيَفْضَحُ».

فَاللَّهُمَّ جَنِّبْنَا مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ جَامِعًا فِي التَّحْذِيرِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُرْجِئَةِ:

وَلَا تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا ... فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ ... أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْزَحُ

فَبَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ خُطُورَةَ هَاتَيْنِ الْفِرْقَتَيْنِ: الْخَوَارِجِ وَالْمُرْجِئَةِ، وَهُمَا عَلَىٰ طَرَفَيْ نَقِيضٍ، فَحَذَّرَ مِنْهُمَا رَحِمَهُ اللَّهُ.

***

مَنْ هُمُ الْمُرْجِئَةُ؟

فَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ: فَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ نَظَرُوا إِلَىٰ نُصُوصِ الْوَعْدِ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ نُصُوصِ الْوَعِيدِ، وَلَمْ يَجْعَلُوا لِلْمَعَاصِي -وَإِنْ عَظُمَتْ مَا دَامَتْ دُونَ الشِّرْكِ- أَيَّ أَثَرٍ فِي الْإِيمَانِ، يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِيمَانَ شَيْءٌ ثَابِتٌ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ طَاعَةٌ بِالزِّيَادَةِ، وَلَا مَعْصِيَةٌ بِالنُّقْصَانِ.

وَمَا وَصَفَ بِهِ النَّاظِمُ الْمُرْجِئَةَ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُوصَفُونَ بِهِ؛ فَإِنَّ الْمُرْجِئَةَ يَمْزَحُونَ بِالدِّينِ وَيَلْعَبُونَ بِهِ، وَكُلَّمَا غَلَا الْمَرْءُ فِي الْإِرْجَاءِ كَانَ مَزْحُهُ وَلَعِبُهُ بِالدِّينِ أَكْبَرَ، فَغُلَاةُ الْمُرْجِئَةِ يَقُولُونَ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ، وَالْإِيمَانُ عِنْدَهُمُ: الْمَعْرِفَةُ فَقَطْ، فَأَيُّ لَعِبٍ بِالدِّينِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟!

وَأَيُّ فَتْحٍ لِبَابِ الْمَعَاصِي، وَالْمُوبِقَاتِ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟!

يُنْقَلُ عَنْ أَحَدِ الْمُرْجِئَةِ أَنَّهُ مَرَّ عَلَىٰ رَجُلٍ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، فَشَتَمَهُ الْمَخْمُورُ، فَقَالَ الْمُرْجِئُ: أَهَذَا جَزَائِي، وَقَدْ جَعَلْتُكَ مُؤْمِنًا كَامِلَ الْإِيمَانِ؟!

كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تَكُفَّ عَنِ الشَّتْمِ تَحَوَّلْتُ إِلَىٰ مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ وَكَفَّرْتُكَ.

وَكَانَ هَذَا قَدِيمًا عِنْدَمَا تُنَاظِرُ أَحَدًا مِنْ أُولَئِكَ الْخَوَارِجِ تَكْفِيرِيِّينَ، فَإِذَا اشْتَدَدْتَ عَلَيْهِ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ هَدَّدَكَ، يَقُولُ لَكَ: تَسْكُتُ أَوْ أُكَفِّرُكَ؟!

كَأَنَّنَا نَبِيعُ الطَّمَاطِمَ!!

تَسْكُتُ أَوْ أُكَفِّرُكَ؟!!

عَبَثٌ!!

الْإِرْجَاءُ فِي اللُّغَةِ: التَّأْخِيرُ؛ ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١].

وَسُمِّيَ الْمُرْجِئَةُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَّرُوا الْعَمَلَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَقَالُوا: الْعَمَلُ لَيْسَ جُزْءًا مِنَ الْإِيمَانِ.

● ● ●

فِرَقُ الْمُرْجِئَةِ

ثُمَّ افْتَرَقَ الْمُرْجِئَةُ إِلَىٰ فِرَقٍ:

فَقِسْمٌ قَالَ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ فَقَطْ.

وَقِسْمٌ قَالُوا: إِنَّهُ مُجَرَّدُ التَّصْدِيقِ.

وَقِسْمٌ قَالُوا: إِنَّهُ مُجَرَّدُ النُّطْقِ.

وَقِسْمٌ قَالُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ مُجَرَّدُ النُّطْقِ وَالِاعْتِقَادِ.

وَهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْإِرْجَاءِ، مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ إِخْرَاجِ الْعَمَلِ مِنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ، وَبِقَدْرِ حَظِّهِمْ مِنَ الْإِرْجَاءِ وَالْغُلُوِّ فِيهِ يَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْوَصْفِ مَا ذَكَرَهُ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَوَجْهُ اللَّعِبِ وَالْمَزْحِ بِالدِّينِ فِي ضَوْءِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ: أَنَّ الْفَاسِقَ إِذَا قِيلَ لَهُ: إِيمَانُكَ مِثْلُ إِيمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهَلْ يُقْبِلُ عَلَىٰ الدِّينِ؟ أَمْ أَنَّهُ سَيَقُولُ: إِذَا كَانَ إِيمَانِي تَامًّا كَامِلًا، وَهَذِهِ حَالِي مِثْلُ إِيمَانِ النَّبِيِّ ﷺ فَمَا الْحَاجَةُ إِلَىٰ الِالْتِزَامِ بِالدِّينِ أَصْلًا؟

فَتَكُونُ النَّتِيجَةُ اتِّخَاذَ الدِّينِ لَهْوًا وَلَعِبًا.

وَالْغُلَاةُ مِنَ الْمُرْجِئَةِ يَقُولُونَ: كَمَا أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ.

وَهَذَا قَوْلٌ فِي غَايَةِ الْخُبْثِ وَالْفَسَادِ، وَهُوَ سَبِيلٌ لِتَرْكِ الصَّلَوَاتِ، وَمَنْعِ الزَّكَوَاتِ، وَتَرْكِ الصِّيَامِ وَالْحَجِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَهُوَ ذَرِيعَةٌ لِفِعْلِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُوبِقَاتِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَضُرُّ عِنْدَهُمْ بِالْإِيمَانِ؛ إِيمَانُهُمْ كَامِلٌ، فَمَهْمَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنْ فَاحِشَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، فَلَا تَأْثِيرَ لِذَلِكَ عَلَىٰ إِيمَانِهِ.

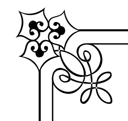
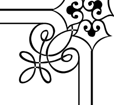
لَا يَرْتَابُ عَاقِلٌ أَنَّ هَذَا لَعِبٌ بِالدِّينِ، وَأَيُّ عَبَثٍ أَفْظَعُ وَأَشَدُّ مِنْ هَذَا الْعَبَثِ؟!

وَعَلَىٰ كُلٍّ فَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ بَيَانِ أَقْوَالِ الطَّوَائِفِ فِي مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ قَوْلٌ عَدْلٌ وَسَطٌ.

وَقَوْلَانِ مُتَنَاقِضَانِ هُمَا: قَوْلُ الْخَوَارِجِ، وَقَوْلُ الْمُرْجِئَةِ، وَالْمُرْجِئَةُ يَتَلَاعَبُونَ بِالدِّينِ، وَيَتَسَاهَلُونَ فِي مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ حَتَّىٰ جَعَلُوهُ كَامِلَ الْإِيمَانِ، وَقَالُوا: إِيمَانُهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ، إِيمَانُ أَفْسَقِ خَلْقِ اللهِ وَأَكْثَرِهِمْ ذَنْبًا كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ، كَإِيمَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

●●●

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّادِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



تَتِمَّةُ فِرَقِ الْمُرْجِئَة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنْظُومَتِهِ (الْحَائِيَّةِ فِي أُصُولِ الِاعْتِقَادِ):

....	أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْزَحُ
وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ	وَفِعْلٌ عَلَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً	بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا: أَيْ مُرْجِئًا، تُخْرِجُ الْأَعْمَالَ مِنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ، وَمِنْهُمْ مُرْجِئَةُ الْجَهْمِيَّةِ، وَمُرْجِئَةُ الْكَرَّامِيَّةِ، وَمُرْجِئَةُ الْأَشَاعِرَةِ، وَمُرْجِئَةُ الْفُقَهَاءِ، اشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي:

أَنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ مِنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ، مَعَ الْفَرْقِ بَيْنَهُمْ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ.

وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا: فَعُولًا مِنْ لَعِبَ.

لَعُوبًا: هِيَ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَةُ الدَّلَالِ.

اللَّعِبُ: الْهَزْلُ، وَعَدَمُ الْجِدِّ.

اللَّعُوبُ: الْهَازِلُ، غَيْرُ الْجَادِّ فِي أَمْرِهِ.

بِالدِّينِ يَمْزَحُ: الْمِزَاحُ قَدْ يَكُونُ مُبَاحًا، وَقَدْ يَكُونُ مَكْرُوهًا، وَقَدْ يَكُونُ حَرَامًا؛ فَالْمِزَاحُ فِي دِينِ اللهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا.

***



عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْإِيمَانِ

يَقُولُ:

وَقُـلْ: إِنَّمَـا الْإِيمَـانُ قَـوْلٌ وَنِيَّـةٌ وَفِعْـلٌ عَلَـىٰ قَـوْلِ النَّبِـيِّ مُصَـرَّحُ

وَيَـنْقُصُ طَـوْرًا بِالْمَعَاصِـي وَتَـارَةً ....

طَوْرًا وَتَارَةً: بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، وَالطَّوْرُ: الْحَدُّ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَالْقَدْرُ أَيْضًا.

أَيْ: يَنْقُصُ الْإِيمَانُ قَدْرًا مَا فِي مَرْحَلَةٍ، وَيَزْدَادُ قَدْرًا مَا فِي مَرْحَلَةٍ أُخْرَىٰ.

يَنْمِي: أَيْ: يَزْدَادُ وَيَكْبُرُ مِنَ النَّمَاءِ.

فِي الْوَزْنِ: أَيْ: فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ تُوزَنُ كَمَا سَبَقَ الْكَلَامُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمِيزَانِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

فَحَذَّرَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ مَقَالَةِ الْخَوَارِجِ، وَحَذَّرَ مِنْ مَقَالَةِ الْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ جَعَلُوا الدِّينَ أَقَلَّ مَا يَكُونُ، فَجَعَلُوا الْإِيمَانَ بِاللهِ قَدْ يَكُونُ تَارَةً الْمَعْرِفَةَ، وَتَارَةً التَّصْدِيقَ بِالْقَلْبِ فَقَطْ، أَوْ هُوَ قَوْلُ اللِّسَانِ فَقَطْ، أَوْ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَتَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ فَقَطْ، وَأَمَّا الْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ عِنْدَهُمْ!!

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَيَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيَتَفَاضَلُ أَهْلُهُ فِيهِ. هَذَا تَعْرِيفُ الْإِيمَانِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَانَ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِمَّنْ أَدْرَكْنَاهُمْ أَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، وَلَا يُجْزِئُ وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَّا بِالْآخَرِ».

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ رَحِمَهُ اللهُ: سَأَلْتُ عَشَرَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالُوا: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَسَأَلْتُ ابْنَ جُرَيْجٍ، وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، وَسَأَلْتُ الْمُثَنَّىٰ بْنَ الصَّبَّاحِ، وَسَأَلْتُ نَافِعَ بْنَ عُمَرَ، وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيَّ، وَسَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَسَأَلْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ -يَعْنِي- فَقَالُوا جَمِيعًا: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ».

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ».

وَقَالَ الْآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الشَّرِيعَةِ»: «اعْلَمُوا -رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ- أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا تُجْزِئُ الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ وَالتَّصْدِيقُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ الْإِيمَانُ بِاللِّسَانِ نُطْقًا، وَلَا تُجْزِئُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ حَتَّىٰ يَكُونَ عَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، فَإِذَا كَمُلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثُ الْخِصَالُ كَانَ مُؤْمِنًا، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَقَوْلُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ».

فَهَذِهِ إِجْمَاعَاتُ السَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- وَمُسْتَنَدُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

دَلِيلُ الْقَلْبِ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ﴾ [الحجرات: ١٤].

وَقَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

فَلَا بُدَّ مِنَ التَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَلَا بُدَّ مِنَ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ، وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»**.

دَلِيلُ الْجَوَارِحِ: قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧].

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٢- ٣].

وَرَوَىٰ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَتُنْقَضَنَّ عُرَىٰ الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ**».

هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ ذَهَابَ الْأَعْمَالِ هُوَ ذَهَابُ الْإِسْلَامِ.

إِذَنْ:

وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْلٌ عَلَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً ... بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يُرْجَحُ

فَالْمُرْجِئَةُ: وَهُمُ الطَّرَفُ الثَّانِي الْمُقَابِلُ لِلْخَوَارِجِ، أَرْجَؤُوا أَيْ: أَخَّرُوا الْأَعْمَالَ عَنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ، وَاشْتَرَكُوا فِي ذَلِكَ.

فَالْمُرْجِئَةُ -وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي تَعْرِيفِ الْإِرْجَاءِ، وَفِي مُعْتَقَدِهِمْ- مُجْمِعُونَ عَلَىٰ إِخْرَاجِ الْأَعْمَالِ مِنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ، حَتَّىٰ مُرْجِئَةُ الْفُقَهَاءِ وَهُمْ أَخَفُّهُمْ إِرْجَاءً يُخْرِجُونَ الْأَعْمَالَ مِنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ، مَعَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ.

الْإِيمَانُ: اعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَلَيْسَ الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ فَقَطْ كَمَا تَقُولُ الْأَشَاعِرَةُ، أَوِ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الِاعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ مَعَ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ كَمَا يَقُولُ الْأَحْنَافُ، أَوْ هُوَ النُّطْقُ بِاللِّسَانِ فَحَسْبُ كَمَا يَقُولُ الْكَرَّامِيَّةُ، أَوْ هُوَ مُجَرَّدُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَلْبِ كَمَا تَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ. فَيَلْزَمُ عَلَىٰ هَذَا الْمَذْهَبِ الْخَبِيثِ أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ مُؤْمِنًا، إِذَا كَانَ مُجَرَّدُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَلْبِ يَكُونُ إِيمَانًا؛ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْآيَاتِ عَلَىٰ مُوسَىٰ عليه السلام؛ بِدَلِيلِ قَوْلِ مُوسَىٰ لَهُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

فَهُوَ مُعْتَرِفٌ بِهَذَا بِقَلْبِهِ، فَهَلْ يَكُونُ مُؤْمِنًا؟

عَلَىٰ مَذْهَبِ الْجَهْمِيَّةِ يَكُونُ مُؤْمِنًا كَامِلَ الْإِيمَانِ، لَكِنَّهُ أَنْكَرَ بِلِسَانِهِ مِنْ بَابِ الْكِبْرِ وَالْبَقَاءِ عَلَىٰ مُلْكِهِ، وَاسْتِكْبَارًا عَمَّا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ عليه السلام.

بَلِ الْمُشْرِكُونَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ صلى الله عليه وآله وسلم كَانُوا يُقِرُّونَ بِقُلُوبِهِمْ مُعْتَرِفِينَ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ الْحَقِّ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

هُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ، يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّكَ النَّبِيُّ الْخَاتَمُ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ، هُمْ لَا يُكَذِّبُونَ

الرَّسُولَ، وَلَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِ الْجُحُودُ وَالْكِبْرُ وَالِاسْتِكْبَارُ عَنِ الْحَقِّ، وَالْعَصَبِيَّةُ لِلْبَاطِلِ، كَمَا حَمَلَ أَبَا طَالِبٍ عَمَّ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَمْدَحُ رَسُولَ اللهِ، وَيَمْدَحُ دِينَ الْإِسْلَامِ.

مِنْ شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

هُوَ يَمْدَحُ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَكَانَ يَمْدَحُ النَّبِيَّ الْأَمِينَ ﷺ، لَكِنْ لَمْ يَتْبَعْهُ، وَمَاتَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.. عَلَىٰ الشِّرْكِ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مَعَ أَنَّهُ يَعْتَرِفُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُ قَالَ:

لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَرَأَيْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

فَامْتَنَعَ مِنَ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حَمِيَّةً لِدِينِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، فَمَنَعَتْهُ الْحَمِيَّةُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- فَمَاتَ عَلَىٰ الْكُفْرِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَىٰ الْحَقِّ، وَيَعْتَقِدُ هَذَا. فَعَلَىٰ هَذَا الْمَذْهَبِ الْبَاطِلِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا.

وَلَيْسَ الْإِيمَانُ الْقَوْلَ بِاللِّسَانِ فَحَسْبُ، بِدُونِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ كَمَا يَقُولُ الْكَرَّامِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الْمُنَافِقُونَ مُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُنْكِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ حَكَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ تَحْتَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ يَعْنِي: يَتَلَفَّظُ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

يَعْنِي: يَتَلَفَّظُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيُنْكِرُونَ بِقُلُوبِهِمْ.

وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ يَقُولُ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

فَمُجَرَّدُ الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ لَا يَكْفِي، بَلْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. فِي أَيِّ شَيْءٍ؟

فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، فِيمَا يَدَّعُونَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ﴾ وَهُوَ يُكَذِّبُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُقِرُّونَ بِذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ. ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾: يَعْنِي: سُتْرَةً ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون: ٢-٣] آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، ثُمَّ كَفَرُوا بِقُلُوبِهِمْ.

فَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ لَا يَكْفِي، وَلَوِ اعْتَرَفَ الْإِنْسَانُ حَتَّىٰ وَلَوْ قَاتَلَ وَجَاهَدَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ صَلَّىٰ وَصَامَ لَا يَكْفِي هَذَا حَتَّىٰ يَعْتَقِدَ بِقَلْبِهِ مَا نَطَقَ بِهِ بِلِسَانِهِ.

كَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ مُرْجِئَةُ الْفُقَهَاءِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ هُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا صَارَ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي فَائِدَةٌ، يَكْفِي أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ، وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَوْ لَمْ يُصَلِّ، وَلَوْ لَمْ يَصُمْ.

وَهَذَا مَذْهَبٌ بَاطِلٌ بِلَا شَكٍّ؛ لِأَنَّهُ يُعَطِّلُ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا، وَاللهُ تَعَالَىٰ قَرَنَ الْعَمَلَ بِالْإِيمَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ: ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥

و٨٢ و٢٧٧]، [آل عمران: ٥٧]، [النساء: ٥٧]، وَلَمْ يَقُلْ آمَنُوا فَقَطْ، أَوْ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَحَسْبُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الِاثْنَيْنِ مَعًا، فَلَا يَكْفِي الْعَمَلُ بِدُونِ إِيمَانٍ، وَلَا يَكْفِي الْإِيمَانُ بِدُونِ عَمَلٍ، فَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ قَرِينَانِ، وَهَذَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ: حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ -هَذَا قَوْلٌ-، أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ -هَذَا عَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ-، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ -هَذَا لِأَجْلِ الْقَلْبِ-**».

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: قَوْلٌ بِاللِّسَانِ.

الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ: هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ.

إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ: هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ.

فَدَلَّ الْحَدِيثُ -وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ- عَلَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَاعْتِقَادٌ وَعَمَلٌ.

وَهُوَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، كَمَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُثْبِتُ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

يَنْقُصُ -أَيْضًا- بِالْمَعَاصِي، كَمَا فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ**

أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ يَضْعُفُ، فَالَّذِي لَا يُنْكِرُ الْمُنْكَرَ لَا بِيَدِهِ وَلَا بِلِسَانِهِ، هَذَا ضَعِيفُ الْإِيمَانِ، وَالَّذِي لَا يُنْكِرُ لَا بِيَدِهِ وَلَا بِلِسَانِهِ وَلَا بِقَلْبِهِ هَذَا لَيْسَ فِي إِيمَانٍ أَصْلًا، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ دَلَّنَا عَلَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهَذَا اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْإِيمَانِ، وَقَدْ ضَلَّ فِيهِ أَقْوَامٌ، وَزَلَّتْ فِيهِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَقْدَامٌ، وَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يُحَرِّرَ الْعَقِيدَةَ تَحْرِيرًا صَحِيحًا، حَتَّىٰ لَا يَكُونَ مِنْ إِحْدَىٰ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

يَعْنِي: الَّذِي يَقُولُ إِنَّ الْأَعْمَالَ -وَكَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ يَقُولُونَ ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَعْنِي هُمْ لَيْسُوا مُرْجِئَةً بِالْمَعْنَىٰ الِاصْطِلَاحِيِّ، وَلَكِنَّهُمْ مُرْجِئَةٌ مِنْ حَيْثُ الْعَمَلُ، لَا يَعْتَقِدُونَ مَذْهَبَ الْإِرْجَاءِ اعْتِقَادًا مَبْنِيًّا عَلَىٰ عِلْمٍ يَعْنِي بَحْثًا وَنَظَرًا وَاخْتِيَارًا، وَلَكِنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالْإِرْجَاءِ عَمَلًا-، وَتَسْمَعُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُهَوِّنُ مِنْ شَأْنِ الْأَعْمَالِ: شَأْنِ الصَّلَاةِ، وَشَأْنِ الزَّكَاةِ، وَشَأْنِ الْحَجِّ، لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَىٰ هَذِهِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ جَلَّوَعَلَا، فَيَكُونُونَ وَاقِعِينَ فِي هَذِهِ الْبِدَعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ تَسْتَقِيمُ عَقِيدَتُهُمْ، فَتَسْتَقِيمُ أَعْمَالُهُمْ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَيَعْتَقِدُونَ: أَنَّ الْإِيمَانَ يَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي، وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي، وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ، بَلْ إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ أَنَّ إِيمَانَهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَالْإِنْسَانُ

إِذَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ مُعْتَكِفًا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مُلْتَمِسًا لَيْلَةَ الْقَدْرِ مُقْبِلًا عَلَىٰ رَبِّهِ بَعِيدًا عَنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، وَمُقْبِلًا عَلَىٰ عِبَادَةِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَتَالِيًا لِكِتَابِهِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ يَجِدُ زِيَادَةً فِي إِيمَانِهِ، وَحَالُهُ تَكُونُ أَحْسَنَ مِنْ حَالِهِ فِي السُّوقِ.. فِي تِجَارَتِهِ.. فِي صِنَاعَتِهِ.. فِي حِرْفَتِهِ.. فِي تَعَامُلِهِ مَعَ أَهْلِهِ فِي وَسْطِ الْمَشَاكِلِ وَالْخُطُوبِ وَالْأَحْوَالِ.

كَذَلِكَ إِذَا ذَهَبَ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ الْحَجِّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ فِي حَالِ وُقُوفِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِعَرَفَاتٍ يَدْعُو رَبَّهُ وَقَدْ فَرَغَ قَلْبُهُ، وَأَنَابَ وَسَكَنَ لِسَيِّدِهِ، وَابْتَهَلَ إِلَىٰ مَوْلَاهُ، لَا شَكَّ أَنَّهُ يَجِدُ زِيَادَةً فِي إِيمَانِهِ، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ يَجِدُ نَقْصًا مِنْهَا عِنْدَمَا يَعُودُ إِلَىٰ سَائِرِ أَحْوَالِهِ.

فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَجِدُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، النَّاسُ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ وَيَعْلَمُونَهُ.

◉ ◉ ◉

التَّحْذِيرُ مِنْ تَقْدِيمِ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ

لَمَّا فَرَغَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَتَىٰ بِنَصِيحَةٍ فِي خِتَامِ الْمَنْظُومَةِ فَقَالَ:

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَىٰ وَأَشْرَحُ

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

أَزْكَىٰ وَأَشْرَحُ: الزَّكَاءُ: النَّمَاءُ.

الشَّرْحُ: الْبَسْطُ.

وَشَرْحُ الصَّدْرِ: بَسْطٌ بِنُورٍ إِلَهِيٍّ، وَسَكِينَةٍ مِنْ جِهَةِ اللهِ، وَرَوْحٌ مِنْهُ.

فَمُتَابَعَةُ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْمَىٰ لِلْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَأَسْكَنُ لِلْقَلْبِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَىٰ وَأَشْرَحُ

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنُ ....

مِنْ طَعَنَ وَالطَّعْنُ: الضَّرْبُ وَالْوَخْزُ..

فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ: وَفِيهِ مِنَ الْأَذَىٰ مَا فِيهِ؛ فَالطَّعْنُ بِالرُّمْحِ فِيهِ أَذًىٰ لِلْبَدَنِ، وَطَعْنُ الْمَرْءِ لِغَيْرِهِ فِيهِ أَذًىٰ لِلنَّفْسِ.

وَأَهْلُ الْحَدِيثِ: أَصْحَابُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ اشْتَغَلُوا بِهِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً، أَهْلُ الْحَدِيثِ صَارُوا لَقَبًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ لِتَوْقِيرِهِمْ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ قَسِيمُ الْوَحْيِ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَىٰ الْهَوَىٰ وَالرَّأْيِ.

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ: أَيِ: الزَّمَنَ، وَقَدْ وَهِمَ مَنْ عَدَّ الدَّهْرَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَدْ رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**».

وَقَدْ عَابَ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الدَّهْرَ هُوَ الزَّمَنُ، وَأَنَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ: ﴿**وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ [الجاثية: ٢٤]. فَكَيْفَ يَكُونُ الدَّهْرُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ؟

وَاللهُ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ: ﴿**نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ**﴾: يَعْنِي الزَّمَنَ.

يَقُولُ:

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ: أَيْ: يَا صَاحِبِي عَلَىٰ التَّرْخِيمِ.

فَخَتَمَ رَحِمَهُ اللهُ حَائِيَّتَهُ بِوَصِيَّةٍ غَالِيَةٍ نَفِيسَةٍ حَذَّرَ فِيهَا مِنْ مُتَابَعَةِ آرَاءِ الرِّجَالِ، وَتَرْكِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَمْ مِنْ غَوِيٍّ وَضَالٍّ وَمُتَهَوِّكٍ قَدْ ضَلُّوا الطَّرِيقَ لِهَوًىٰ، أَوْ لِرَأْيٍ رَأَوْهُ!!

وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ مُتَابَعَةِ الْهَوَىٰ وَتَرْكِ الْوَحْيِ؛ ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فَحَذَّرَ رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الرَّأْيِ وَمِنَ الْقَدْحِ فِي الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ.

لَا تَبْنِ دِينَكَ وَعَقِيدَتَكَ عَلَىٰ الْآرَاءِ الْمُتَكَلِّفَةِ، وَالْأَقْوَالِ الْمُحْدَثَةِ، بَلِ ابْنِ دِينَكَ وَعَقِيدَتَكَ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَفِيهِمَا السَّلَامَةُ وَالْعِصْمَةُ، فَقَدْ جَاءَ عَنِ السَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- نُقُولٌ كَثِيرَةٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْآرَاءِ، وَذَمِّ الرَّأْيِ وَأَهْلِهِ، مِنْ ذَلِكَ:

قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ الدِّينِ، أَعْيَتْهُمُ السُّنَّةُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَأَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ».

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَوْ كَانَ الدِّينُ يُؤْخَذُ بِالرَّأْيِ؛ لَكَانَ مَسْحُ بَاطِنِ الْخُفِّ أَوْلَىٰ مِنْ مَسْحِ ظَاهِرِهِ!».

وَالْمُرَادُ بِالرَّأْيِ هُنَا: الرَّأْيُ الْمَذْمُومُ الْقَائِمُ عَلَىٰ الْحَدْسِ وَالظَّنِّ وَالْعَقْلِ الْمُجَرَّدِ مَعَ تَعْطِيلِ النُّصُوصِ وَإِهْمَالِهَا، وَالصُّدُودِ عَنْهَا وَالْإِعْرَاضِ، وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي أُحْدِثَتْ بِهِ الْبِدْعَةُ، وَأُنْشِئَتْ بِهِ الضَّلَالَاتُ، وَعُطِّلَتْ بِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ.

فَمِثْلُ هَذِهِ الْآرَاءِ الْعَاطِلَةِ، وَالتَّقْرِيرَاتِ الْبَاطِلَةِ لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرْعِيَهَا بَالَهُ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ تُطْرَحَ، وَأَنْ يُحْذَرَ مِنْهَا، وَأَلَّا يُغْتَرَّ بِتَزْيِينِ أَهْلِ الْبَاطِلِ لَهَا؛ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَيْكَ بِالْأَثَرِ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ عَلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ».

دَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ: وَقَابَلَ مَا ذَكَرَهُ مِنَ التَّحْذِيرِ بِمَا دَلَّكَ عَلَيْهِ مِنَ النَّمَاءِ وَالطُّهْرِ.

فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَزْكَىٰ: أَطْهَرُ، وَأَنْقَىٰ وَأَخْلَصُ، وَأَشْرَحُ لِلصَّدْرِ وَلِلْفُؤَادِ وَلِلْقَلْبِ، وَأَدْعَىٰ لِلطُّمَأْنِينَةِ.

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ: وَهَذَا الْبَيْتُ فِي غَايَةِ التَّنَاسُقِ مَعَ الَّذِي قَبْلَهُ؛ حَيْثُ أَشَادَ النَّاظِمُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ضِمْنًا بِحَمَلَةِ السُّنَّةِ، وَنَقَلَةِ الْحَدِيثِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

فَهَؤُلَاءِ خَيْرُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ، لَيْسَ عِنْدَهُمْ آرَاءٌ مَنْطِقِيَّةٌ، وَلَا فَلْسَفَاتٌ عَقْلِيَّةٌ، وَلَا أَقْوَالٌ مُتَكَلَّفَةٌ، وَإِنَّمَا الَّذِي عِنْدَهُمْ تَمَسُّكٌ بِالنُّصُوصِ، وَالْتِزَامٌ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

ثُمَّ حَذَّرَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ اللَّهْوِ وَالْبَاطِلِ الَّذِينَ يَطْعَنُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ الْأَفْذَاذِ، وَالْعُلَمَاءِ الْأَمَاجِدِ.

وَلَا تَكُ: احْذَرْ أَنْ تَكُونَ يَا صَاحِبَ السُّنَّةِ، وَيَا مَنْ هَدَاكَ اللهُ إِلَىٰ لُزُومِ هَدْيِ خَيْرِ الْأُمَّةِ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ، مِمَّنِ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا.

وَهَذَا شَامِلٌ لِأَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَأَهْلِ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ؛ فَإِنَّ الْجَمِيعَ يَشْتَرِكُونَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ مُقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ؛ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ بِالسُّنَّةِ، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ.

فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ: وَهِيَ نَتِيجَةُ اتِّخَاذِ الدِّينِ لَهْوًا وَلَعِبًا: أَنْ يَسْخَرَ بِأَهْلِ الْحَقِّ، وَيَتَهَكَّمَ بِالْمُتَمَسِّكِينَ بِالسُّنَّةِ، وَيَقَعَ فِي أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالنُّبْلِ، وَهَذَا حِيلَةُ الْمَفَالِيسِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَأَوَانٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩- ٣١].

وَلَوِ الْقَوْمُ أَهْلُ حَقٍّ وَحُجَّةٍ لَنَافَحُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ، وَلَقَابَلُوا الْحُجَّةَ بِالْحُجَّةِ، وَالدَّلِيلَ بِالدَّلِيلِ، وَلَكِنْ لَا حِيلَةَ لِلْعَاطِلِ الْمُفْلِسِ إِلَّا أَنْ يَتَهَكَّمَ وَيَسْخَرَ وَيَسْتَهْزِئَ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ: الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوقِ وَأَشَدِّ اللُّؤْمِ؛ إِذْ أَهْلُ الْحَدِيثِ لَمْ يَأْتِ مِنْهُمْ سِوَىٰ الْأَيَادِي الْبَيْضَاءِ، وَالْجَمِيلِ وَالْإِحْسَانِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ، وَالطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ مِنْهُمُ الْعَالِمُ، وَمِنْهُمُ التَّاجِرُ، وَمِنْهُمُ الْمُجَاهِدُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْلَحُ الْأَرْضَ.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَىٰ مُعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

فَلَيْسَ شَرْطًا لِكَيْ يَكُونَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً، وَلَكِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالْعَامِّيُّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَغْلِبُ مِئَةَ عَالِمٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ!

الرَّجُلُ الْعَامِّيُّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِي لَيْسَ بِطَالِبِ عِلْمٍ، وَلَيْسَ بِعَالِمٍ، وَلَكِنْ عَلَىٰ مُعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُ يَغْلِبُ مِئَةَ عَالِمٍ، بَلْ أَلْفَ عَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ حُجَّةٌ وَلَا بُرْهَانٌ.

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

هَذَا الْخِتَامُ يَقُولُ فِيهِ: إِذَا اعْتَقَدْتَ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كُلَّ حَيَاتِكَ أَوْ عِنْدَ خَاتِمَةِ حَيَاتِكَ، فَأَنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ.

أَمَّا أَنْ تَعْتَقِدَ ذَلِكَ فَتْرَةً، ثُمَّ تَتْرُكَهُ وَتُهْمِلَهُ، فَهَذَا لَا يَنْفَعُكَ شَيْئًا، لَا بُدَّ مِنَ الِاسْتِمْرَارِ عَلَىٰ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ فِي كُلِّ حَيَاتِكَ إِلَىٰ أَنْ تَمُوتَ عَلَيْهَا، أَمَّا مَنِ اعْتَقَدَهَا فِي الْأَوَّلِ، ثُمَّ تَرَاجَعَ عَنْهَا، فَهَذَا يَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ!

يَا صَاحِ: أَصْلُهُ: يَا صَاحِبِي، وَرُخِّمَ، وَالتَّرْخِيمُ: أَنْ يُحْذَفَ آخِرُ الْمُنَادَىٰ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ:

تَرْخِيمًا احْذِفْ آخِرَ الْمُنَادَىٰ كَيَا سُعَا لِمَنْ دَعَا سُعَادَا

فَالْأَصْلُ: يَا صَاحِبِي، ثُمَّ حُذِفَ فَقَالَ: يَا صَاحِ.

فَأَنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ: جَزَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ النَّاظِمَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَنَفَعَنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِمَا ذَكَرَهُ، وَثَبَّتَنَا اللهُ تَعَالَىٰ وَإِيَّاكُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ نَلْقَىٰ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ.

هُنَاكَ زِيَادَةٌ وَهِيَ:

هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

عَلَىٰ أَنَّهُ اعْتِقَادُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ.

فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ هَذَا كُلَّهُ رَحِمَهُ اللهُ، هَذَا اعْتِقَادِي، وَاعْتِقَادُ أَبِي، وَاعْتِقَادُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ وَاعْتِقَادُ الْأَئِمَّةِ، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُحْيِيَنَا مُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا مُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِالصَّالِحِينَ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا مَعَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ؛ إِنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

●●●

خَاتِمَةٌ

وَبَعْدُ:

فَهَذَا مَا مَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ مِنْ جَمْعٍ لِأَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَتَحْرِيرٍ لَهَا، وَنَظَرٍ فِيهَا فِي شَرْحِ حَائِيَّةِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ -بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَعَطَائِهِ وَمِنَّتِهِ- فِي مَجَالِسَ:

أَوَّلُهَا: فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمُوَافِقِ لِلْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ يُونْيُو سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، وَأَلْفَيْنِ مِنَ التَّارِيخِ الصَّلِيبِيِّ.

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ ذَلِكَ -بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَطَائِهِ تَعَالَىٰ وَمِنَّتِهِ- فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ، الْمُوَافِقِ لِلرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ يُونْيُو سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَأَلْفَيْنِ مِنَ التَّارِيخِ الصَّلِيبِيِّ.

وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ -بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَنِعْمَتِهِ، وَعَطَائِهِ وَمِنَّتِهِ، وَحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ- فِي الْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ، بِسُبْكِ الْأَحَدِ، مِنْ أَعْمَالِ مُحَافَظَةِ الْمُنُوفِيَّةِ بِمِصْرَ، حَفِظَهَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْبِدَعِ وَالشِّرْكِ، وَالْإِلْحَادِ وَالزَّيْغِ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛ إِنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ، وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ أَبَوَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَعَلَىٰ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْآلِ وَالصَّحْبِ أَجْمَعِينَ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا؛ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا: أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

❁ ❁ ❁